الجليس الصالح الكافي

والأنيس الناصح الشافي

لأبي الفرج

المعافى بن زكريا النهرواني الجريري

٣٠٣ - ٣٩٠هـ

دراسة وتحقيق

الدكتور محمد مرسي الخولي

الجزء الأول

عالم الكتب

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

الجليس الصالح الكافي

والأنيس الناصح الشافي

بسم الله الرحمن الرحيم

بـيروت - المزرعـة ، بنـاية الإيـمان - الطـابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣-١١
تلفون: ٣٠٦١٦٦-٣١٥١٤٢-٣١٣٨٥٩-برقيًا: نابعلبكي - تلكس: ٢٢٣٩٠ ALAMKO

الدراسة

وتتناول :

- المعافى بن زكريا : حياته وأدبه .
- كتب أدب السمر حتى القرن الرابع الهجري .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وخاتم أنبيائه ، محمد النبي الأمين ، ورضي الله عن آله وصحبه أجمعين . وبعد ، فإن بحثنا هذا يتحدث عن القاضي المعافى بن زكريا النهرواني ، وعن كتاب له في الأدب هو « الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي » .

أما المعافى فهو أحد علماء القرن الرابع الهجري ، وقد عاش معظم هذا القرن ، اذ ولد في أوله سنة ٣٠٥ وتوفي سنة ٣٩٠ .

وقد تلقى العلم على أكابر علماء عصره ، وأتقن فنوناً كثيرة وألف فيها ، من ذلك التفسير والقراءات والحديث والفقه والفرائض والنحو والصرف والبلاغة وغيرها ، لكنه لم يشتهر بين معاصريه الا بأنه الجريري ، وذلك نسبة إلى أبي جعفر بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ المشهورين ، والذي كان أيضاً صاحب مذهب فقهي خاص نصب المعافى نفسه للدفاع عنه وألف فيه الكتب الطوال حتى عرف بهذه النسبة واشتهر بها .

والحق أن الرجل لم يكن فقيهاً جريرياً فحسب بل كان أيضاً ذا قدم راسخة في علوم كثيرة ، حتى ليحكى عن سعة علمه أنه حضر في دار أحد الرؤساء فسأله ذلك الرئيس : فيم تحب أن نتذاكر ؟ فأجابه المعافى : إن في مكتبتك عشرين ألف كتاب فمر الخادم يضرب بيده إلى أحدها ويحضره فنتذاكر فيه ، وفي هذا دليل على أنه كما وصفه أبو حيان التوحيدي كان ذا أنسة بسائر العلوم ، ولكن ربما كان لشهرته بأنه كبير المذهب الجريري في عصره قد غطى على جوانبه العلمية الأخرى وجعل الناس ينصرفون عنها كما انصرفوا عن المذهب الجريري ، واندثرت كتبه .. فلم يبق منها إلا كتابنا هذا الموسوم بالجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشـــافي .

ونحن نرى المعافى في مستهل كتابه الذي ألفه في عشر التسعين شيخاً قد وهن منه العظم ونالت منه حوادث الزمان وفظائعه ، يمرّ بظروف نفسية قاسية ، ولكنه بقوة الايمان بالله يدير لها ظهره ويقدم على تأليف هذا الكتاب مرفّهاً به عن نفسه ، وعمن كان على شاكلته من الناس وهم في زمانه كُثُرُ ، سائقاً لهم من أحاديث الرسول الكريم ومن أخبار أصحابه ما فيه التأسي والعظة ، ومن قصص الخلفاء والولاة والقضاة ما فيه كرم وحق وعدل ، ومن شعر الشعراء وأقوال الأدباء ما فيه جمال وطرافة ، ولم يخلع في أثناء ذلك طيلسان المعلم فأورد ضمن قصصه فوائد كثيرة من مختلف أنواع العلوم من تفسير وقراءات ونحو وصرف وعروض وبلاغة وغيرها ، حتى يحقق بذلك للقارئ المتعة والفائدة معاً .

وحينما فكرت في اختيار شخصية المعافى بن زكريا النهرواني ، وتحقيق كتابه لنيل درجة الدكتوراه ، كنت مدفوعاً بما سبق لي من محاولات في تحقيق بعض كتب تراثنا العربي في أدب السمر الاسلامي مما يتشابه في موضوعه مع هذا الكتاب ، كذلك فإن قيمة الكتاب من حيث إنه الأثر الباقي لعالم من علماء القرن الرابع الهجري : أزهى عصور الثقافة كانت

عاملاً آخر لا ينكر وكان من الغريب ألا يتناوله أحد بالدراسة والتحقيق حتى الآن .

إلا أنني بعد أن سرت شوطاً في العمل ، تكشف لي أنني – كما يقولون – لست أول سارٍ غرّه قمر ، فقد عرف هذا الكتاب وأدرك قيمته قبلي عدد من العلماء والباحثين منهم الشيخ حمد الجاسر صاحب مجلة « العرب » السعودية ، الذي أشار في إحدى مقالاته فيها [1] إلى أنه اهتم بهذا الكتاب منذ نحو أربعين عاماً وجمع لصاحبه ترجمة من مختلف المصادر ، كما اهتم ببعض نسخ الكتاب واطلع عليها ، ثم يقول : إنه في إحدى زوراته للقاهرة صادف أحد العلماء المصريين ، وعرف في أثناء حديث بينهما أنه مهتم بالكتاب عازم على تحقيقه ، فكان أن أعطاه كل ما جمعه من مادة عن الكتاب ، ثم يذكر الشيخ الجاسر أن الكتاب قد تقرر نشره في مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

ثم اطلعت بعد ذلك على مقال كتبه في مجلة المجمع العلمي العربي [2] في دمشق المستشرق الألماني الدكتور ألبرت ديتريش رئيس قسم الدراسات الشرقية في جامعة فرانكفورت وقتئذ عن الكتاب ومؤلفه ، وبعد أن يشيد بهما يذكر أنه سوف يعمل على تحقيقه .

وكان عليّ بعدها أن أتقصى إلى أي حد وصلت هذه الجهود خشية أن أبذل في الكتاب جهداً يكون مكرراً أو معاداً ، فيذهب أدراج الرياح ، غير أنني تأكدت أن هذه الجهود لم تسفر عن شيء حتى الآن ، فاستعنت بالله وسرت في عملي .

---

(١) الجزء الحادي عشر ، السنة السابعة ، جمادى الأولى ١٣٩٣ هـ ، حزيران (يونيو) ١٩٧٣ م صفحة ٨١٠ – ٨١١ .

(٢) الجزء الثالث من المجلد الثلاثين ، ١ تموز ١٩٥٥ م ، ١١ ذو القعدة ١٣٧٤ هـ ، من صفحة ٣٨٠ إلى ٣٩٤ .

ولقد تكشف لي في أثناء العمل ما لعله أن يكون السبب في عدم ظهور الكتاب حتى الآن ، فهو كتاب ضخم حافل ضَمَّ نصوصاً من الكثرة بحيث تستلزم جهداً يساويها ضخامة في التحقيق والصحة والضبط ، والنسخة الوحيدة الكاملة للكتاب والموجودة بين أيدي الباحثين بها صفحات كثيرة رديئة ، وخَطُّها من الدقة والصعوبة في بعض الأحيان بحيث لا تقدم كثيراً من المساعدة للمحقق ، ثم إن النسخ الأخرى لا تقدّم النص كاملاً ، فلعل هذا هو السبب في عدم ظهوره حتى الآن .

وعلى أي حال فلقد قبلت القيام بالعمل، وكان علي أن أتحمل عبء العناء في تحقيق هذا النص الذي طال به العهد ولم يصدر .

وهأنذا أقدم هذا الكتاب متضمناً قسمين :

الأول : دراسة عن المعافى بن زكريا النهرواني ، وعن أدب السمر حتى عصره .

الثاني : تحقيق كتابه .

ولقد فَصَّلْتُ الحديث عن القسم الأول في ثلاثة فصول :

الفصل الأول : عصر المعافى .

وتناولت فيه بالذكر :

نبذة عن الحالة السياسية في عصره ، ثم الحياة العلمية في الأمة الإسلامية ، وتشجيع الحكام في دويلاتها المختلفة للعلماء ، بصفة عامة ، ثم الحديث عن بغداد موطن المؤلف بصفة خاصة وذكر أشهر العلماء الذين عاصرهم ، ومؤلفاتهم مع بيان المطبوع منها والمخطوط .

الفصل الثاني : المعافى في عصره :

ويتناول بالتفصيل :

أ — نسبه .

ب – نسبتـــه .

حـ – نشأته وشيوخه .

وعن شيوخه ذكرتْ كتبُ التراجمِ التي تحدثت عنه عدداً قليلاً منهم ، ولقد استطعت أن أضيف إلى ما ذكرته عدداً كبيراً نتيجة استقرائي موسوعة تاريخ بغداد وذكر الخطيب البغدادي عرضاً عند ترجمته للعلماء الذين تحدث عنهم أن المعافى قد تتلمذ عليهم أو روى عنهم .

أ – ثقافته ومكانته العلمية :

ولقد أبنت في هذا عن ولعه بالمعرفة منذ نعومة أظافره، وحرصه على التلقي عن العلماء حتى ألم بثقافة عصره ، ثم تحدثت عن مكانته العلمية العالية بين علماء هذا العصر حتى أقروا له جميعاً بالفضل ، وحتى قال أحدهم : لو أوصى أحد بثلث ماله لأعلم الناس لوجب أن يدفع إلى المعافى !

ب – شهرته بالجريري :

ولقد بينت سبب شهرته بالجريري كما سبق ، وكشفت عن أنه هو الذي ترجم لشيخه ، واحتفظ بأسماء معتنقي مذهبه الفقهي وأسماء مؤلفاتهم ، وعنه أخذهما ابن النديم وأثبتهما في الفهرست .

جـ – مؤلفاتـــه :

أما مؤلفاته فقد أوردتُ ما ذكره ابن النديم وياقوت عنها ، ولكنني استدركتُ عليهما ما ذكره المؤلف نفسه في ثنايا كتابه هذا ولم يذكراه وهو عدد لا بأس به ، وإن كانت كلها للأسف عدا كتابنا هذا قد أضحت نهباً للضياع .

د ـ تلاميـــذه :

وعن تلاميذه لم أكتف بإيراد ما ذكرت كتب التراجم عنهم ، بل أضفت إليهم كذلك ما أورده الخطيب البغدادي عرَضاً في كتابه عنهم وهم عدد كبير .

هـ ـ حياته العامة والخاصة :

ولقد تحدثت في ذلك عن وظيفته الوحيدة التي نعرفها وهي توليه القضاء بباب الطاق ، ثم عن فَقْرِهِ ورقةِ حاله اللذين وصفهما أبو حيان التوحيدي بأبلغ وصف ، ثم عن رحلته إلى الصاحب بن عباد والتي انفرد بذكرها أبو حيان في كتابه أخلاق الوزيرين ، ولكنني أبنت أن المعافى لم يتخذ من شكاواه حرفة ، وأنها كانت كلها تحمل طابعاً عاماً نتيجة إبائه وتعففه .

الفصل الثالث : المعافى الأديب ، ودراسة كتابه الجليس والأنيس :

أ ـ ولقد تحدثت في هذا الفصل بصفة عامة عن جوانب المعافى العلمية المتعددة ، والتي أتمها بمؤلفه هذا في الأدب ليكمل حلقة ثقافته الموسوعية به .

ثم تحدثت عما ذكر المعافى من أن بعض تلامذته كان يكتبه عنه إملاءً في الوقت بعد الوقت ، ولم يذكر اسم أحد ، فكشفت عن هؤلاء وبينت أنهم خمسة على الأقل ، وذلك نتيجة استقرائي لتاريخ بغداد أيضاً . ودراسة النقول المروية فيه من كتاب المعافى .

أدب السمر والثقافة العامة :

ب ـ هذا ولقد أشار المعافى إلى بعض الكتب في أدب السمر مما يشبه كتابه ، وكان لا بد لي من وقفة عند تلك الكتب ما ذكر المؤلف منها وما لم يذكر ، فتحدثت عن نشأة ذلك الأدب وتطوره ، وأول تدوين حدث له ، وأشهر المؤلفين فيه وذكر مؤلفاتهم التي طبعت والتي ما تزال مخطوطة ، ثم

عن أهمية ذلك الأدب عند قارئيه وكيف أنه كان يسد حاجة ملحة لدى فريق من الناس لا يقبل على المتعة ولا اللهو الحرام .

منهجه في تأليف الكتاب ونقده للمبرد والصولي :

حـ - ثم تحدثت عن منهجه في تأليف كتابه من واقع ما ذكره في مقدمته ، مبيناً الطريقة التي اختارها من تقسيم كتابه إلى مجالس يذكر فيها من كل شيء من العلوم طرفاً بحسب ما يحضر في الحال ، وحرصه في كل ما يثبته على ذكر سند روايته له ، وبينت ما تختلف فيه هذه الطريقة مع طرق أخرى .

ولقد نقد المعافى كتاب الكامل للمبرد لأنه لم يلتزم مثله بذكر سند رواياته في كتابه، وكنت في جانب المعافى في نقده هذا ، أما نقده للصولي فلم أقف معه فيه، إذ يبدو في نقده له شيء من التحامل والقسوة، ولسنا نفهم كيف لا تعجبه مؤلفات الصولي ثم نراه ينقل عنه في كتابه هنا عدداً كبيراً جداً من الأخبار .

السند وقيمته في الكتاب :

ولقد أدانا نقد المعافى للمبرد في عدم ذكره لأسانيده إلى بحث في السند وقيمته ، فبينت آراء العلماء فيه ، من كان يحبذه ومن كان يستهجنه، وقد رجحت ما ارتآه المعافى من إثبات سند رواياته ، فالسند وإن كان شيئاً يمل منه القارئ العادي ويضيق به ، إلا أنه عظيم القيمة بالنسبة للدارسين، فبوساطته يمكن معرفة مصادر الأخبار وتقييمها والتعرف على أصحابها ، ومن المعروف أن دراسة السنَد قد لقيت عناية كبيرة من علماء الحديث ، ولكنها لم تَحظَ بمثلها في دراسة أسانيد التاريخ والأدب واللغة وغيرها ، ولقد حاولنا الاستفادة من الأسانيد التي أوردها المعافى هنا في كتابه ، وبناء على ذلك فقد قسمنا مادة الكتاب إلى قسمين :

الأول : مادة رواها المؤلف عن شيوخه :

وقمنا في ذلك – رغم العنَتِ والمشقة – بجمع المادة التي رواها عن كل شيخ من شيوخه ثم أوردناها – بعد التعريف به – مرتبة حسب العصور ، ولقد كشفت لنا هذه الطريقة عن نتائج هامة ، **منها على سبيل المثال أنّ ما رواه عن الصولي يحتوي على أخبار كثيرة من الأجزاء الضائعة من كتابه الأوراق ويتضمن أخبار السفاح والمنصور والهادي والمهدي والرشيد والأمين والمأمون .**

وأن ما رواه عن ابن الأنباري وهو شيء كثير جداً من الأخبار الأدبية وبخاصة ما يتعلق منها بأخبار الخلفاء الأمويين وولاتهم لا يوجد في ما بقي من كتب ابن الأنباري التي بين أيدينا .

وأن ما رواه عن ابن دريد من أخبار مسجوعة عن ملوك اليمن الأقدمين وغيرهم يمكن أن يعد من الأحاديث الخمسين التي يقال إنها أصل المقامات التي نسج البديع الهمذاني على منوالها وأشار إليها الدكتور زكي مبارك في كتابه النثر الفني ، ولقد أشرت بهذه المناسبة إلى تهمة الاختلاق التي حاول الدكتور زكي مبارك إلصاقها بابن دريد، وفنّدْتُ أدلته التي ساقها في هذا الشـــأن .

على أن الكشف الحقيقي يبدو فيما ساقه المعافى من أخبار عن عدد كبير من العلماء الذين **عنوا بأدب السمر وكانت لهم مؤلفات فيه** ، ولم يعن أحد بذكرهم وهم عدد كبير ، كالحسين بن القاسم الكوكبي الذي ألف كتاباً كبيراً في الأخبار لم تبق منه إلا تسع ورقات ، وما نقله عنه المعافى هنا من أخبار يعد أكبر مجموعة له وهي لا توجد في أي مصدر آخر مسندة إليه ، وكأبي بكر محمد بن الحسن المقرئ صاحب التصانيف في التفسير والقراءات وكان له اهتمام بالأدب، فألف فيه كتاب الحمقى والحماقة وهو كتاب مفقود ، وقد نقل عنه المعافى بن زكريا كثيراً من أخبار القضاة مما

يرجّح أن الرجل كان له كتاب آخر في هذه الأخبار لم تذكر كتب التراجم عنه شيئاً .

ثم أبو بكر محمد بن مزيد الخزاعي ، المعروف بابن أبي الأزهر مستملي أبي العباس المبرد ، وكان هو الآخر مهتماً بالأدب ، وبقي من كتبه كتاب أخبار « **عقلاء المجانين** » ، إلا أن المعافى روى عنه كثيراً من أخبار الخلفاء والولاة والأدباء وغيرهم .

وما يقال عن هؤلاء يقال عن عدد آخر كبير من العلماء حفظ لنا المعافى اهتمامهم بالأدب وإسهامهم فيه ، وقد أوردناهم في بحثنا هذا وترجمنا لهم وذكرنا المادة التي رواها عنهم في كتابه .

المادة التي أودعها هو من عنده :

وهي تشمل العلوم اللسانية من نحو ولغة وتصحيح لأخطاء العامة ونقد وبلاغة وعروض ، ويلاحظ على ما أورده المعافى منها أنها مما تمس الحاجة إليه لدى جمهرة المتأدبين ، ولكنه مع ذلك احتفظ لنا بالكثير من مسائل الخلاف النحوية بين الكوفيين والبصريين كما احتفظ لنا بآراء العلماء في المواد اللسانية الأخرى ، مما يجعل كتابه وثيقة مهمة تكشف عن الحياة الأدبية في القرن الرابع الهجري وتعد سجلا للكثير من الآراء وقد قمنا ببحث تلك الآراء وتخريجها والتعليق عليها ، ولكن الأمر لا يزال محتاجاً إلى دراسة خاصة موسّعة تكشف عن مدى اتفاقها أو افتراقها عن ما ورد منها في الكتب الخاصة بتلك العلوم .

وفيما عدا ذلك ، أورد المعافى عدداً قليلاً من مسائل الفقه والفرائض والحديث على سبيل الطرافة والإمتاع ، وكل مسائله الخاصة بالعلوم اللسانية أو الدينية تظهر بجلاء ما كان يتمتع به العلماء في القرن الرابع الهجري من شمول في المعرفة وموسوعية في الثقافة ، وأن ما بقي من كتبهم جدير بأن نوجه إليه عناية أكثر في البحث عنه ونشره .

اسلوب الكتاب وأهمّ مميزاته :

ثم تحدثت بعد ذلك عن أسلوب المعافى في كتابه ، فيما يرويه عن شيوخه من أخبار ، وفيما يورده هو من تعليقات وبيّنت أنه في كلتا الحالتين أسلوب جزل رصين يلجأ إلى السجع أحياناً ولكنه لا يغرق فيه ، أما من ناحية مادته فهو يفتقر إلى الوحدة الموضوعية فيها شأن عدد كبير من الكتب التي ألفت في فنه . وقد عقدت موازنة سريعة بينه وبين عدد من هذه الكتب كأمالي القالي وكامل المبرد والبصائر والذخائر لأبي حيان ، وبينت ما يمتاز كتابنا عنهـــا .

النقول التي نقلت عنه :

على أنه مما يدل على أصالة كتاب المعافى وأهميته اعتناء العلماء به ونقلهم عنه ، وقد تكشف لي مثلاً أن السراج الوراق قد نقل في كتابه « مصارع العشاق » كل ما أورده المعافى في كتابه من قصص العشق ، وهي شيء كثير ، كما أن الخطيب البغدادي نقل عن المعافى في مائة وثمانية وعشرين موضعاً في كتابه تاريخ بغداد ، وذلك غير النقول التي نقلها عنه في كتبه الأخرى مثل « تقييد العلم » و « الكفاية » و « الفقيه والمتفقـــه » ، وفعل مثل ذلك الحافظ ابن عساكر في كتابه تاريخ مدينة دمشق ، وابن حجر العسقلاني في الإصابة ، وابن خلكان في وفيات الأعيان ، وابن حجة الحموي في ثمرات الأوراق ، والأبشيهي في المستطرف ، **والكتب المتقدمة تنقل عنه بالعَزْو إليه غالباً** ، أما المتأخرة فلا تعزو إليه ولكن يدل على نقلها أن النص المنقول يكون هو هو كما ورد عن المعافى .

وفي هذا ما يدل على تأثيره في ثقافتنا العربية واعتبارها له منهلاً لا غنى عنه في إمدادها بالأخبار عن تلك الفترة المتقدمة .

تحقيق الكتاب :

وأخيراً كان تحقيق الكتاب ، ولقد بدأت العمل فيه بجمع كل ما

استطعت جمعه من نُسخه ، وفحصتها فحصاً دقيقاً لمعرفة قيمتها العلمية ، ولقد جمعت لذلك ست نسخ مخطوطة من الكتاب ، من بينها نسخة واحدة كاملة ، وهي لحسن الحظ أقدم النسخ وأصحها ، إذ كتبت سنة ٦٢٩هـ ثم قوبلت على أصلين مخطوطين من قِبَلِ عالم جليل هو العلامة ابن الفُوَطي قيّم المكتبة المستنصرية ، كما قُرئت وصحّحت في مجالس ضمت عدداً من العلماء من بينهم ابن الفوطي على الشيخ الثقة المسند أبي الفرج عبد الرحمن بن عبد اللطيف المقرئ البزاز بسنده إلى المؤلف .

إلا أن هذه النسخة قد شابها بعضُ العيوب بفعل الزمن فانطمست بعض ألفاظها ، فضلاً عن أن ناسخها قد كتبها بخط بالغ الدقة جعل من قراءتها ضرباً من مجاهدة النفس ومغالبة الصبر ، ولقد جعلت هذه النسخة أمّاً بالرغم من ذلك ، وقمت بمقابلتها على النسخ الأخرى لإيضاح ما خفي بيانه ، وقراءة ما عَسُرت قراءته ، وأبنت عن ذلك في الهوامش .

أما التحقيق ، فقد بذلت فيه غاية الجهد ، وقمت في ذلك بتخريج الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ، والتعريف بالأعلام الواردة في الأخبار ، ووضع عناوين لها ثم التعليق عليها بما فيه زيادة إيضاح أو إكمال نقص أو تصحيح وهم ، كما قمت بتخريج المسائل النحوية واللغوية والصرفية والبلاغية وغيرها من مظانها بما فيه زيادة إفادة للقارئ ، وتشويق له وحث على القراءة . كل ذلك بما لا يخرج عن دائرة النص أو يجاوز طبيعته .

هذا وإنني أدعو الله أن يجعل عملي خالصاً لوجهه بمنه وفضله ، وما توفيقي إلا بالله هو حسبي ونعم الوكيل .

الفَصْل الأول

عصر المعافى

الحالة السياسية ـ الحالة العلمية عموماً وفي بغداد خصوصاً ـ أشهر العلماء ومؤلفاتهم .

نبذة عن الحالة السياسية :

عاش المعافى بن زكريا النهرواني حياته كلها في القرن الرابع الهجري فهو قد ولد مع مطلعه عام ٣٠٣ أو ٣٠٥ هـ ، وبقي فيه نحو سبعة أو خمسة وثمانين عاماً حتى سنة ٣٩٠ هـ [1] .

وفي هذا القرن بدأ الضعف يدب في جسد الخلافة العباسية في بغداد منذ أن ازداد نفوذ الأتراك في عهد المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ) حتى وصل بهم الأمر إلى حد قتل هذه الخليفة وتولية ابنه المنتصر ، ولم تظفر الدولة

(١) في هذه الفترة تولى الخلافة المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠) ، والقاهر (٣٢٠ - ٣٢٢) والراضي (٣٢٢ - ٣٢٩) ، والمتقي (٣٢٩ - ٣٣٣) ، والمستكفي (٣٣٣ - ٣٣٨) ، والمطيع (٣٣٨ - ٣٦٣)، والطائع (٣٦٣ - ٣٨١) والقادر بالله (٣٨١ - ٤٢٢) .

بعد ذلك بالاستقرار بسبب عسف أولئك الأتراك ، وتوليتهم من شاءوا من الخلفاء وعزلهم من شاءوا [1] ، حتى إنه في خلال مائة عام منذ تولية المتوكل حتى دخول بني بويه بغداد سنة ٣٣٤ ﻫ ، تولى الخلافة أربعة عشر خليفة غير واحد تولى الخلافة يوماً وليلة هو عبد الله بن المعتز [2] ، ولم يكن لهم جميعاً من الخلافة إلا اسمُها .

وفي عهد القادر بالله (٣٨١ – ٤٢٢ ﻫ) استطاع الخلفاء العباسيون التأكيد فقط على نفوذهم الديني وتقوية صلتهم بالرعية ، وقد عرف القادر بالله بالورع والديانة وحسن الاعتقاد، حتى إنه ألف كتاباً في العقائد على مذهب أهل السنة وكان يقرأ كل جمعة في جامع المهدي ببغداد محاولاً بذلك استعادة هيبة الخلافة ، لكن النفوذ الفعلي ظل بيد الأمراء البويهيين الذين عرف بعضهم بالعدل والقيام على تدبير المملكة كعضد الدولة بن بويه (المتوفى ٣٧٢) فقد طهر السبل من اللصوص وأمر بعمارة منازل بغداد وأسواقها ، وكان يحب العلم والعلماء، ويجري الجرايات على الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين والنحاة والشعراء وغيرهم من العلماء ، وعرف معظمهم وبخاصة من تولى بعده بالظلم والعسف والحصول على المال من أي طريق ، الأمر الذي جعل نفوس الناس تفيض بالحسرة والأسى ، وبخاصة الأدباء والعلماء الذين قاسوا لفرط حساسيتهم أكثر من غيرهم ، كما نراه فيما سجله أبو حيان التوحيدي في كتبه من شكاوى، وكما نراه في بعض ما سجله المعافى في كتابه هنا من أنات .

(١) تاريخ الاسلام السياسي لحسن ابراهيم حسن ٣/٦ ، ومقدمة كتاب أبي الفتح البستي ، حياته وشعره .

(٢) جدول تسلسل الخلفاء العباسيين بالمرجع السابق ٣/٣ .

الحالة العلمية في الدولة

الاسلامية بصفة عامة ، وفي بغداد بصفة خاصة

بالرغم من تفكك الدولة وسوء الأحوال السياسية في العالم الإسلامي في ذلك العصر ، وبالرغم من سوء الأحوال الاجتماعية والاقتصادية كذلك فلقد كان هناك رقي وازدهار في الحياة العقلية والفكرية .

وذلك لأن الحياة العقلية التي أرسى العلماء قواعدها في القرنين الثاني والثالث لم يحل دون إتمام بنائها وتعليته شامخاً تفرق الخلافة العباسية إلى دويلات ذات حواجز سياسية برغم عدم إنكارنا لتأثير تلك الحواجز إلى حد ما ، وذلك لأن تلك الدويلات التي استقلت عن الخلافة أخذت تتشبه بها في تشجيع العلماء والأدباء واجتذابهم إلى حواضرها بالعطايا والهبات ، وبعد أن كانت بغداد وحدها مركزاً أصبحت هناك مراكز متعددة في كل دولة إسلامية ، ومن أهمها :

١ ـ الدولة البويهية وحواضرها الثلاث في **شيراز والري أو أصبهان وبغداد** ولقد كانت هذه الدولة حريصة على أن يكون وزراؤها من كبار الأدباء فوَزَرَ لها ابنُ العميد والصاحب بن عباد والوزير المهلبي وابن سعدان ممن كانت مجالسهم كعبةً للعلماء والأدباء في شتى البقاع .

٢ – الدولة السامانية في بخارى : وكانت بخارى توصف بأنها مثابة المجد ، وكعبة الملك ، ومجمع أفراد الزمان ، ومطلع نجوم أدباء الأرض ، وموسم فضلاء الدهر [١] ، ويذكر الثعالبي في اليتيمة عدداً من أفاضل غربائها من العلماء والأدباء الذين كانوا يعيشون في رحاب السامانيين .

٣ – طبرستان ، وكان فيها بقايا الأسرة الزيارية التي قضى عليها البويهيون ومن أشهر ملوكها في ذلك الوقت شمس المعالي قابوس بن وشمكير (٣٦٦ – ٤٠٣ هـ) الذي كان هو نفسه عالماً أديباً جمعت أقواله ورسائله في الكتاب المعروف باسم كمال البلاغة [١] .

٤ – خوارزم ، التي كانت تحكمها الأسرة المعروفة باسم « مأمون » ومن أعرق ملوكها مأمون الثاني بن مأمون (٣٩٠ – ٤٠٧ هـ) ، وكان يعيش في رحابه جماعة من أعظم العلماء في ذلك العصر كابن سينا وأبي سهل المسيحي وأبي الريحان [٣] البيروني وغيرهم .

٥ – حلب والجزيرة الفراتية ، وكان يحكمها بنو حمدان وكان أعظمهم سيف الدولة بن حمدان ، الذي عاش في كنفه مجموعة من ألمع أدباء ذلك العصر وشعرائه ، منهم ابن خالويه وأبو الطيب اللغوي والخالديان ، ومن الشعراء أبو الطيب المتنبي والسري الرفاء وأبو بكر الصنوبري وغيرهم .

٦ – مصر ، وكانت تحت حكم الأخشيديين ثم الفاطميين ، ومن علمائها في القرن الرابع أبو جعفر النحاس ، وابن ولاّد ، وعلي بن الحسين

---

(١) أنظر يتيمة الدهر ٩٥/٤ .
(٢) تاريخ الأدب العربي في ايران ١١٩/١ .
(٣) المصدر السابق ١١٨/١ .
(٤) التاريخ اليميني ٣٧٥/١ .

الرؤاسي كراع النمل ، وأبو إسحاق النجيرمي ، ومن الشعراء ابن طباطبا العلوي ، وابن هانىء الأندلسي ، وابن وكيع التنيسي ، وأبو الحسن التهامي .

الحالة العلمية في بغداد وأشهر العلماء فيها :

أما بغداد فبالرغم مما وصل إليه حال الخلفاء فيها، فإنها مع ذلك لم تفقد مكانتها العلمية أمام العواصم الأخرى التي حاولت أن تزاحمها على هذه المكانة ، فنحن نراها في القرن الرابع ما تزال تزخر بالعلماء الأعلام ، الذين لم يكن أحدهم يحلم بأن ينال من الخليفة عشر ما كان يمنحه المهديُّ أو الرشيد لعالم كالأصمعي أو شاعر كأبي العتاهية ، مدبّرين أمر معيشتهم بما كان يحصل عليه بعضهم من وظائف القضاء أو التدريس أو من الاشتغال بحرفة نسخ الكتب وغالباً ما كان معظمهم يعيش في فقر ولا يحصل من عيشه إلا على الكفاف [1] .

* * *

هل يعني ذلك أنه لا تأثير لتشجيع السلطة في إنتاج العلماء ؟ الواقع أنه لا يمكن إنكار هذا التأثير ، فلا بد للمرء من أن يرى صدى عمله منعكساً على الآخرين بصورة من صور التشجيع ، ولما لم يكن هذا التشجيع موجوداً ، فلا بد إذن أن يكون هناك من الأسباب والعوامل ما جعل الحالة العلمية مزدهرة برغم كل العوائق والمثبطات .

ويمكننا أن نقول إنه من بين هذه الأسباب قوة الدفع العلمية طوال القرنين الثاني والثالث ، فقد كانت قوة جارفة دفعت تيار الحضارة في القرن الثاني بكل مجالاتها الروحية والعلمية والمادية دفعاً ، سواء ساعدته السلطة أم لم تساعده .

---

(١) انظر الفصل الأول من كتاب أبي الفتح البستي ، حياته وشعره .

يضاف إلى ذلك أن العقيدة الدينية كانت راسخة قوية في نفوس العلماء، الأمر الذي جعلهم يعدّون خدمة العلم ضرورة محتمة يرجون ثوابها من الله سبحانه وتعالى، ويستصغرون دونه أي جزاء آخر ، ولعل خير مثال على ذلك – والأمثلة لا تحصى – أن أبا عبد الله الحسن بن حميد البغدادي الحنبلي (٤٠١ هـ) كان يقوم بالتدريس ثم ينسخ بيده وريقات من أجره على ذلك ، وقد ناظر أبا حامد الأسفراييني في وجوب الصيام ليلة الغمام في دار القادر بالله ، بحيث يسمع الخليفة الكلام ، فخرجت الجائزة السنية له من أمير المؤمنين ، ولكنه ردّها مع حاجته الماسّة إلى بعضها فضلاً عن جميعها ، تعففاً وتنزهاً [1] .

* * *

وكان في بغداد في القرن الرابع عدد جم من العلماء في كل فن وإذا كان ابن قتيبة قد قال : « من أراد أن يكون عالماً فيلقصد إلى فنٍ واحد من العلم ، ومن أراد أن يكون أديباً فليأخذ من كل فَنّ بطرف » فإن ذلك لا يصدق على علماء القرن الرابع الذين كان معظمهم يجيد الفنون كلها ولا يقتصر على طرف منها ، ويستطيع القارئ أن يدرك ذلك دون التذكير به فيما سوف نذكر من علماء بغداد وعلومهم التي اشتهروا بها :

فمن علماء التفسير الإمام المجتهد أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٦ هـ) صاحب التفسير الشهير « جامع البيان عن تفسير آي القرآن » .

وأبو زيد البلخي أحمد بن سهل (٣٢٢ هـ) وكان فاضلاً في علوم كثيرة يسلك طريق الفلاسفة ، وله من كتب التفسير : « نظم القرآن » ،

---

(١) طبقات الحنابلة ٣٥٩ .

و « غريب القرآن » [1] وكتاب في تفسير سورة الفاتحة .

وأبو الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٥ هـ) الذي صنف تفسيراً للقرآن بلغ من قيمته أن سُئل الصاحب بن عباد يوماً لم لا يصنف تفسيراً للقرآن ! فقال : وهل ترك لنا علي بن عيسى شيئاً [2] ؟

ومن المحدثين يبرز كل من : أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (٣٨٥ هـ) صاحب كتاب « السنن » .

والحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله بن محمد (٤٠٤ هـ) صاحب « المستدرك على الصحيحين » وهما قد ألفا كتابيهما لاعتقادهما أن كثيراً من الحديث الصحيح قد فات جامعيه الأولين [3] .

والحسين بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي (٣٦٠ هـ) صاحب « المحدث الفاصل بين الراوي والواعي » [4] في علم دراية الحديث .

وأبو بشر محمد بن أحمد الدولابي (٣٢٠ هـ) صاحب كتاب « الكنى والأسماء » [5] .

والقاضي أبو عبد الله الحسن بن إسماعيل المحاملي الضَّبِّي (٣٣٠هـ) صاحب « الأمالي في الحديث » [6] .

وكان من برز في التاريخ : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، صاحب كتاب « أخبار الأمم والملوك » ، والمعروف بتاريخ الطبري .

---

(١) الفهرست ١٣٨ ، ومعجم الأدباء ١٤٨/١ .
(٢) طبقات المفسرين للسيوطي ٣٨ .
(٣) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ٣٣٩/١ .
(٤) طبع هذا الكتاب بتحقيق محمد عجاج الخطيب في دمشق سنة ١٩٧٠ .
(٥) نشر في حيدر أباد بالهند سنة ١٣٢٢ هـ .
(٦) توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٢٧٣ حديث .

وأبو بكر محمد بن يحيى الصولي الشطرنجي (٣٣٥ هـ) صاحب كتاب « الأوراق في أخبار بني العباس وأشعارهم »[١] .

وأبو بكر بن محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الملقب بوكيع (نحو ٣٣٠ هـ) وله كتاب « أخبار القضاة » . طبع

وأبو الفرج الأصبهاني علي بن الحسين بن محمد القرشي (٣٥٦ هـ) صاحب « الأغاني » و « مقاتل الطالبيين »[٢] .

وابن النديم محمد بن إسحاق صاحب « الفهرست » الذي بدأه سنة ٣٧٧ هـ .

وفي الفقه ، برز في فقه الحنفية : أبو الحسن عبد الله بن الحسن الكرخي (٣٤٠ هـ) رأس الحنفية في زمانه ، وله رسالة في الأصول[٣] .

وأبو الحسين أحمد بن محمد القدوري البغدادي (٤٢٨ هـ) صاحب مختصر القدوري الشهير الذي لا يزال يدرس عند الحنفية إلى الآن[٤] .

ومن فقهاء الشافعية : أبو الحسن أحمد بن محمد بن القطان (٣٥٩ هـ) وكان أشهر فقهاء بغداد ، وله كتاب « الأحكام لسياق آيات النبي عليه السلام »[٥] .

وأبو بكر محمد بن أحمد بن إسماعيل الشاشي القفال (٣٦٥ هـ) ، وله كتاب « الأصول »[٦] .

---

(١) نشرت منه بعض القطع وسيأتي الحديث عنه مفصلا فيما بعد .
(٢) نشره الأستاذ سيد صقر بمكتبة الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٤٨ م .
(٣) نشرت بالقاهرة مع كتاب « تأسيس النظر للدبوسي » .
(٤) انظر تاريخ بغداد ٣٧٧/٤ ، الجواهر المضية ٩٣/١ وقد طبع الكتاب في بومباي ولكنهو واستامبول في السنوات : ١٣٠٣ هـ ، ١٨٧٦ م ، ١٣٠٩ هـ .
(٥) لم يطبع هذا الكتاب ويوجد مخطوطاً في مكتبة راغب باستانبول برقم ٩٧١ تفسير .
(٦) طبع في لكنهو ١٢٧٨ هـ ، وفي دهلي ١٣٠٣ .

وأبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢ هـ) صاحب « الخصائص » و « سر صناعة الاعراب »[١] .

ومن الأدباء والنقاد :

أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق الوشاء (٣٢٤ هـ) وكان تلميذ المبرد وثعلب ، كاتباً يمثل الأديب الأنيق ، ومن كتبه « الموشى في الظرف والظرفاء »[٢] .

وأبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني (٣٨٤ هـ) ومن كتبه « الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء » ، و « معجم الشعراء »[٣] .

وأبو علي محمد بن الحسين بن المظفر الحاتمي البغدادي (٣٨٨ هـ) ومن كتبه « الرسالة الحاتمية » ، و « حلية المحاضرة في صناعة الشعر »[٤] .

وأبو علي الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري (٣٨٢ هـ) ومن كتبه « المصون في الأدب »[٥] و « شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف »[٦] .

---

(١) نشر الأول بتحقيق محمد علي النجار بالقاهرة ١٩٥٢ ، ونشر الثاني بتحقيق مصطفى السقا وآخرين سنة ١٩٤٨ .

(٢) نشر مرتين في القاهرة وبيروت .

(٣) طبعا أكثر من مرة .

(٤) طبعت الرسالة الحاتمية وهي في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره ، مع ذكر حكم أرسطو التي استخدمها المتنبي – طبعت عدة مرات ، أما حلية المحاضرة فكانت موضوعاً لرسالة دكتوراه للأستاذ محمد الكتاني قدمت إلى كلية الآداب بجامعة القاهرة منذ خمس سنوات ، وقد طبعت مؤخراً بالمغرب .

(٥) طبع في الكويت بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، سنة ١٩٦٢ .

(٦) طبع في القاهرة بتحقيق الأستاذ عبد العزيز أحمد .

وأبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (٣٩٥ هـ) ، ومن كتبه « الصناعتين » وديوان المعاني وغيرهما .

هؤلاء هم العلماء الذين عاصرهم المعافَى بن زكريا ، ويلاحظ أنهم جميعاً من أعلام العلماء الذين أثروا الثقافة العربية ، وما زالت كتبهم من العيون الثرة التي ينهل منها الباحثون والعلماء حتّى يومنا هذا .

• • •

ومن فقهاء الحنابلة : عبد الله بن محمد بن حمدان العكبري المعروف بابن بطة (٣٨٧ هـ) وله كتاب « الإبانة عن أصول الديانة »[١] .

ومن النحاة ، من مدرسة البصرة : أبو اسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (٣١٦ هـ) وله من الكتب : « إعراب القرآن وتبيين معانيه » و « سر النحو »[٢] .

وأبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (٣٣٧ هـ) ، وله كتاب « الجمل في النحو »[٣] .

وأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، وكان من العلماء الشعراء (٣٢١هـ) ، وله من الكتب « الجمهرة في اللغة » ، و « المجتني » وهو[٤] يشتمل على أقوال الرسول ﷺ وخلفائه إلى الحسن بن علي .

وأبو بكر محمد بن السري بن السراج اللغوي البغدادي (٣٦٦ هـ) وله كتاب « الأصول في النحو »[٥] .

وأبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه الفسوي (٣٤٧ هـ) ، وله « الهداية في النحو »[٦] .

وأبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (٣٦٨ هـ) وله

---

(١) انظر طبقات الحنابلة ٣٤٦ ، ويوجد الكتاب مخطوطاً في مكتبة رامبور بالهند .
(٢) يعد الكتاب الأول رسالة دكتوراه في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وطبع الثاني باسم « ما ينصرف وما لا ينصرف » بتحقيق هدى قراعة بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة .
(٣) نشر بتحقيق محمد بن شنب بالجزائر سنة ١٩٢٧ .
(٤) طبعت الجمهرة في ثلاثة أجزاء بالهند سنة ١٣٤٥ هـ ، ونشر المجتني في حيدر أباد ١٣٤٢ هـ .
(٥) طبع عام ١٩٧٥ في النجف بتحقيق « عبد الحسين الفتلي » .
(٦) طبع في طهران سنة ١٢٩٨ .

« شرح كتاب سيبويه » و « طبقات [1] النحويين البصريين » [2] .

وأبو الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٤ هـ) وله : « النكت في مجاز القرآن » ، و « توجيه اعراب أبيات ملغزة الاعراب » [3] .

أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، وهو حافظ متقن للغة والحديث والتفسير (٣٢٨ هـ) ، وبقي من كتبه « الأضداد » و « شرح المفضليات » و « الإيضاح في الوقف والابتداء » [4] .

وأبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد المطرز غلام ثعلب ، ومن كتبه « المداخل والزيادات » [5] ، وكتاب « العشرات » .

وأبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان المهلبي الأزدي الملقب نفطويه (٣٢٣ هـ) وله من الكتب : كتاب المصادر وكتاب القوافي وغيرهما [6] .

وأبو عبد الله الحسن بن أحمد بن خالويه (٣٧٠ هـ) ، ومن كتبه كتاب « ليس في كلام العرب » [7] .

وأبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (٣٨١ هـ) صاحب « الأضداد » و « الإبدال » [8] .

---

(١) يطبع هذا الكتاب الآن في مطبعة دار الكتب المصرية بتحقيق لفيف من الأساتذة .
(٢) نشر في الجزائر بتحقيق كرنكو سنة ١٩٣٥ .
(٣) نشر الكتاب الأول في دهلي سنة ١٩٣٤ ، ونشر الثاني في دمشق سنة ١٩٥٧ .
(٤) نشر الأضداد في الكويت ١٩٦٠ ، وشرح المفضليات في ليدن ١٩١٢ ، والأخير في دمشق ١٩٧٢ .
(٥) نشره الميمني بعنوان « المداخلات » .
(٦) بغية الوعاة ١٨٧ ، وانظر نفطويه النحوي ودوره في الكتابة والتاريخ ١٢ .
(٧) نشره الشنقيطي في القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ ، ثم نشر بعد ذلك ضمن كتاب الطرف البهية ١٣٣٠ .
(٨) نشرهما عز الدين التنوخي في المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٦٤ .

الفَصْل الثَاني

المعافى في عصره [1]

نسبـــه :

هو أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد بن حماد النهرواني الجريري ، كان أبوه زكريا بن يحيى يعرف بابن طرارة ، من العلماء ، حدث عن أحمد بن علي البربهاري وأحمد بن يحيى الحلواني ومحمد بن عثمان ابن أبي شيبة وأحمد بن محمد بن منصور الحاسب .

أما مولده فقد كان يوم الخميس لسبع خلون من رجب سنة ٣٠٥ هـ ، وقيل : سنة ٣٠٣ هـ .

---

(١) ترجم له في تاريخ بغداد ٢٣٠/١٣ ، ٢٣١ ، تذكرة الحفاظ ٢٠٣/٢ ، ٢٠٤ ، الأنساب الورقة ١٢٩ ، إنباه الرواة ٢٩٦/٣ ، بغية الوعاة ٢٩٣/٢ ، ٢٩٤ ، البداية والنهاية ٢٢٨/١١ ، تاريخ ابن الأثير ٣٠٧/٧ ، غاية النهاية ٣٠٢/٢ ، الفهرست لابن النديم ٢٣٦ ، عيون التواريخ وفيات (٣٩٠) ، معجم الأدباء ١٥٠/١٩ – ١٥٤ ، المنتظم لابن الجوزي ٢١٣/٧ ، ٢١٤ ، النجوم الزاهرة ٢٠١/٤ ، ٢٠٢ ، الأعلام للزركلي ١٦٩/٨ ، معجم المؤلفين لكحالة ٣١٢/١٢ ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣١٨/٣ من الترجمة العربية .

نسبته :

ينتسب المعافى إلى النهروان ، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي ، حدها الأعلى متصل ببغداد ، وفيها عدة بلاد متوسطة منها اسكاف وجرجرايا والصافية ودير قنى وغير ذلك ، يسقيها نهر النهروان ، وهو نهر عظيم كان ينحدر موازياً لنهر دجلة ، وقد اندرس منذ أمد بعيد ، ولا يزال أثره يدل على عظمته ، والمسافر القاصد إيران من بغداد يعبره عند اقترابه من بعقوبة .

ويذكر ياقوت أن النهروان كانت بلاداً عامرة بالخيرات ، كان عليها عام ٣٢٦ هـ لديوان خراج السلطان ألف ألف ومائتا ألف دينار ، ولكنها منذ أيام السلاجقة — أي في القرن الخامس الهجري خربت مدنها وقراها وذلك بسبب اختلاف السلاطين وقتال بعضهم بعضاً ، وكان كل من ملك لا يحتفل بالعمارة بل كان قصده أن يحوصل ويطير [١] .

وينسب إلى النهروان جماعة من أهل العلم والأدب ، منهم أبو أيوب أحمد بن عبد الصمد النهرواني كان محدثاً ثقة يروى عن إسماعيل بن قيس وعن يحيى الأنصاري ، وأبو الحسين أحمد بن عمر بن روح النهرواني تلميذ القاضي أبي الفرج المعافى ، وكان فاضلاً صدوقاً ديناً حسن المذاكرة مليح المحاضرة ، وأبو داود سليمان بن توبة بن زياد النهرواني [٢] ، ومحمد ابن جعفر بن سليمان بن نوح النهرواني [٣] ، وأبو حكيم إبراهيم بن دينار بن أحمد بن الحسين بن حامد بن إبراهيم النهرواني البغدادي الفقيه الحنبلي وهو شيخ صالح نزل باب الأزج وله هناك مدرسة منسوبة إليه ، وكان حسن المعرفة بالفقه والمناظرة تخرج به جماعة وانتفعوا به لخيره وصلاحه .

---

(١) معجم البلدان ٨٤٩/٤ — ٨٥١ .

(٢) ، (٣) الأنساب الورقة ١٢٩ .

ثمة نهروان أخرى غير نهروان العراق ، هي نهروان الغرب ذكرها القاضي أبو الفرج على سبيل التعجب من وجودها في قصة غريبة حدثت له فهو يقول : « حججت سنة فكنت بمنى أيام التشريق فسمعت منادياً ينادي « يا أبا الفرج ، فقلت في نفسي : لعله يريدني ، ثم قلت : في الناس خلق كثير ممن يكنى أبا الفرج فلعله يريد غيري ، فلم أجبه ، فلما رأى أن أحداً لا يجيبه ، نادى : يا أبا الفرج المعافى ، فهممت أن أجيبه ، ثم قلت : يتفق من يكون اسمه المعافى وكنيته أبا الفرج ، فلم أجبه ، فرجع ونادى : يا أبا الفرج المعافى بن زكريا النهرواني ، فقلت : لم يبق شك في مناداته إياي ، إذ ذكر اسمي وكنيتي واسم أبي وما أنسب إليه ، فقلت له : هأنذا ما تريد ؟ فقال : ومن أنت ؟ فقلت : أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني ، قال : فلعلك من نهروان الشرق ؟ قلت نعم ، قال : نحن نريد نهروان الغرب ؟ فعجبت من اتفاق الاسم والكنية واسم الأب وما أنسب إليه ! وعلمت أن بالمغرب موضعاً يعرف بالنهروان غير نهروان العراق [١] .

نشأته وشيوخه :

إن نشأة المعافى بن زكريا في كنف والد من المشتغلين بالعلم كان له أثره في توجيهه إلى طلب العلم والحرص عليه وتتبعه ، وهي السمة البارزة في حياته ونشأته ، فالمتتبع لحياة المعافى العلمية يَدْهَش لهذا العدد الجم من العلماء الذين تتلمذ عليهم أو أخذ عنهم .

وكانت بغداد في القرن الرابع مليئة بالمكتبات العامة ودكاكين الوراقين وفي الوقت الذي كان فيه بعض العلماء لا يجد غضاضة في أن يأخذ علمه من الكتب كأبي الفرج الأصبهاني مثلاً [٢] ، كان المعافى بن زكريا ينصب في

(١) معجم البلدان ٤/٨٥٠ .
(٢) تاريخ بغداد ١١/٣٩٩ .

ملاقاة العلماء والأخذ عنهم شفاهاً .

ولقد بدأ المعافى حياته العلمية مبكراً ، فنحن نراه في كتابه الذي بين أيدينا يسجل تواريخ مروياته للحديث ، وأول تاريخ مسجل هو عام ٣١٤ هـ (١) أي أنه بدأ يحضر مجالس الحديث وهو في التاسعة أو الحادية عشرة من عمره ، وظل مواظباً على أخذ العلم دؤباً في تسجيله طيلة حياته ، حتى إننا نراه يأخذ عن أقرانه ونظرائه من العلماء كما سنرى في ثبت من روى عنهم .

ويمكننا أن نقسم العلماء الذين روى عنهم المعافى إلى ثلاثة أقسام :

الأول : من ذكرتهم كتب التراجم في أثناء ترجمتها له .

الثاني : علماء بغداد أو الوافدين عليها الذين ترجم لهم الخطيب البغدادي في كتابه « تاريخ بغداد » وذكر من رووا عنهم ومن بينهم المعافى .

الثالث : العلماء الذين روى عنهم المعافى في كتابه هذا الذين بين أيدينا ولم يرد في القسمين السالفين .

هذا وسوف نتحدث هنا عن القسمين الأولين ، ونرجىء الحديث عن القسم الثالث إلى حين التحدُّث عن مصادر الكتاب لكي نتحدث عن طبيعة المادة التي أخذها المعافى عن كل عالم وضمنها كتابه .

أما القسم الأول فتذكر المراجع أنه أخذ عن :

١ – إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي المهلبي ، أبي عبد الله المعروف بنفطويه (٢) ، وسمع من :

---

(١) الجليس والأنيس الورقة ١٣٢ .

(٢) كان عالماً بالعربية واللغة والحديث ، حافظاً للسير وأيام الناس والتواريخ وصنف كتباً كثيرة ، توفي سنة ٣٢٣ هـ ، انظر ترجمته في معجم الأدباء ١/٣٠٧ ، تاريخ بغداد ٦/١٥٩ ، ابن النديم ٨١ .

١ ــ محمد بن أحمد بن أسد الحافظ المعروف بابن البستنبان (٢٧٩/١) .

٢ ــ محمد بن إسحاق بن محمد بن عبد الله ، أبو جعفر الهروي . (٢٥٥/١) .

٣ ــ محمد بن جعفر بن مسكويه ، أبو العباس الرازي . (١٣٧/٢) .

٤ ــ محمد بن جعفر بن سليمان بن نوح النهرواني . (١٣٨/٢) .

٥ ــ محمد بن حمدان بن بغداذ الصيدناني (٢٨٧/٢) .

٦ ــ محمد بن عمر بن حفص السدوسي (٢٤/٣) .

٧ ــ محمد بن عمر بن حفص بن الحكم ، أبو بكر الثغري ويعرف بالقبلي (٢٤/٣) .

٨ ــ محمد بن الفتح القلانسي (١٦٧/٣) .

٩ ــ محمد بن محمد بن يزيد المقرئ النهرواني (٣١٦/٣) .

١٠ ــ محمد بن يحيى بن هارون ، أبو جعفر الإسكافي (٤٢٦/٣) .

١١ ــ أحمد بن جعفر بن محمد بن سهل الخرائطي . (٦٢/٤) .

١٢ ــ أحمد بن جعفر المهندس النيسابوري (٧٠/٤) .

١٣ ــ أحمد بن الحسن بن منصور السامح (٨٩/٤) .

١٤ ــ أحمد بن الحسن بن أحمد بن الخليل النيسابوري (٦٠/٤) .

١٥ ــ أحمد بن عبد الله بن حمدويه ، أبو عبد الله النهرواني (٢٣٢/٤) .

١٦ ــ أحمد بن عبد الجبار بن إسحاق بن قيس ، أبو بكر الصوفي (٢٦٥/٤) .

١٧ ــ أحمد بن محمد بن أحمد بن رامين الخراساني (٣٦٤/٤) .

١٨ ــ أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي الرجال الصالحي (٣٨٥/٤) .

١٩ ــ أحمد بن محمد بن عصام الترمذي (٧٦/٥) .

٢٠ ــ أحمد بن محمد بن سليمان بن الحارث بن عبد الرحمن ، أبو ذر الأزدي المعروف بابن الباغندي . (٨٦/٥) .

٢١ ــ أحمد بن محمد بن يونس بن مسعدة بن خباب ــ وقيل / جناب ــ أبو العباس الفزاري الأصبهاني . (١٢٣/٥) .

٢٢ ــ أحمد بن موسى بن إسحاق بن موسى ، أبو عبد الله الأنصاري (١٤٤/٥) .

٢٣ ــ أحمد بن محمد بن هاشم ، أبو العباس الكناني الكوفي ، يعرف بالفيدي وبالطريقي . (١٩٩/٥) .

٢٤ ــ أحمد بن سليمان بن محمد ، أبو جعفر الباهلي . (٣٠٣/٥) .

٢٥ ــ إبراهيم بن دارم بن أحمد بن الحسين بن عبد الله بن المغيرة بن عبيد الله أبو إسحاق الدارمي ، ويعرف بنهشل النهشلي (٧٢/٦) .

٢٦ ــ إبراهيم بن أحمد بن عبد الله ، أبو اسحاق الرازي ، قاضي قزوين (١٠/٦) .

٢٧ ــ إبراهيم بن سليمان بن حمويه الدهان ، أبو إسحاق المـــروزي . (٨٨/٦) .

٢٨ ــ إبراهيم بن الفضل بن حيان الحلواني ، قاضي سر مـــن رأى (١٤٠/٦) .

٢٩ ــ إسحاق بن موسى ، أبو عيسى الرملي (٣٩٥/٦) .

٣٠ ــ جعفر بن محمد بن عبدويه ، أبو عبد الله المعروف بالبرائي .(٢٢٠/٧).

٣١ ــ الحسن بن سعيد البزدوي (٣٢٦/٧) .

٣٢ ــ الحسن بن علي بن عبيد ، أبو محمد الخلال المعروف بابن الكوسج (٣٨٦/٧) .

٣٣ ــ سهل بن أحمد بن الفضل ، أبو حميد المعروف بالمكي (١٢٠/٩) .

٣٤ ــ طلحة بن محمد بن أبي إسرائيل ، أبو محمد الجوهري (٣٤٩/٩) .

٣٥ ــ عبد الله بن محمد بن إسحاق ، أبو القاسم المعروف بحامض رأسه . (١٢٤/١٠) .

٢ ـ أبي القاسم البغوي (١) .

٣ ـ وأبي حامد محمد بن هارون الحضرمي (٢) .

٤ ـ وأبي بكر بن أبي داود (٣) .

٥ ـ وأبي سعيد العدوي (٤) .

٦ ـ ويحيى بن صاعد (٥) .

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي ، كان محدث العراق في عصره ، عمر العمر الطويل حتى رحل الناس إليه ، وكتب عنه الأجداد والأحفاد والآباء والأولاد ، وكان ثقة مكثراً ، صنف المعجم الكبير للصحابة ، توفي سنة ٣١٧ هـ ، انظر الأنساب ٨٦ .

(٢) المعروف بالبعراني ، محدث ثقة ، سمع من محمد بن علي الجهضمي والوليد بن شجاع السكوني وأبا مسلم الواقدي وغيرهم، روى عنه محمد بن إسماعيل الوراق وأبو بكر بن شاذان وأبو الحسن الدارقطني ، ولد سنة ٢٢٥ هـ ، وتوفي عام ٣٢١ ، انظر تاريخ بغداد ٣/٣٥٨ .

(٣) هو أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، من أهل العلم والفقه والإتقان ، وكان فهماً من كبار الحفاظ ، توفي عن ست وثمانين سنة عام ٣١٦ هـ ، تاريخ بغداد ٩/٤٦٤ ، ميزان الاعتدال ٢/٤٣٣ .

(٤) هو الحسن بن زكريا بن صالح بن عاصم بن زفر أبو سعيد العدوي البصري . سكن بغداد وحدث بها عن جملة من الشيوخ ، وروى عنه الدارقطني ، ولكنه عرف بوضعه للحديث ، ولد سنة ٢١٠ هـ ، وعمر حتى سنة ٣١٩ ، انظر تاريخ بغداد ٦/٢١٢ .

(٥) هو يحيى بن محمد بن صاعد ، أبو محمد ، مولى أبي جعفر المنصور ، ولد سنة ٢٢٨ هـ ، ورحل في طلب الحديث إلى البلاد وكتب وحفظ ، سمع أحمد بن منيع ، وبندار ، ومحمد ابن المثنى ، والبخاري وخلقاً كثيراً ، وروى عنه البغوي والجعابي وابن المظفر والدارقطني ، وكان ثقة مأموناً من كبار حفاظ الحديث ، توفي سنة ٣١٧ هـ ، تذكرة الحفاظ ٢/٧٧٦ ، طبقات الحفاظ ٣٢٥ .

٧ – وأبي عبد الله المحاملي [١] .

وقرأ على :

٨ – ابن شنبوذ [٢] .

٩ – وأبي مزاحم الخاقاني [٣] .

١٠ – وأبي عيسى بكار [٤] .

وهؤلاء هم جملة الشيوخ الذين ذكرتهم مصادر ترجمته .

أما القسم الثاني من شيوخه الذين روى عنهم فهم الذين ذكرهم الخطيب البغدادي في تاريخه ، وهم جملة وافرة من العلماء ، وسوف نذكرهم هنا وإلى جانب كل منهم مكان وروده في تاريخ بغداد ، وهم :

---

(١) نسبة إلى المحامل التي يحمل فيها الناس على الجمال إلى مكة ، وهو بيت كبير في بغداد لجماعة من أهل العلم والحديث ، منهم أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي ، كان فاضلا صدوقاً ديناً ثقة ، ولي قضاء الكوفة ، وكان يحضر مجلس إملائه عشرة آلاف رجل ، توفي سنة ٣٣٠ ، انظر تاريخ بغداد ١٩/٨ ، تذكرة الحفاظ ٨٢٤/٣ ، طبقات الحفاظ ٣٤٣ .

(٢) هو محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ ، الإمام أبو الحسن البغدادي ، شيخ الإقراء بالعراق ، أحد من جال في البلاد في طلب القراءات ، مع الثقة والخير والصلاح والعلم ، أخذ القراءة عرضاً عن إبراهيم الحربي ، وقرأ على أبي إسحاق والفضل ابني مخلد وغيرهم ، وكان يقرأ بالشواذ ، وضربه الوزير ابن مقلة لذلك واستتابه ، توفي سنة ٣٢٧ هـ ، انظر غاية النهاية ٥٦/٢ .

(٣) هو موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، أبو مزاحم الخاقاني البغدادي ، إمام مقرىء مجود محدث أصيل ثقة ، أخذ القراءة عرضاً عن الحسن بن عبد الوهاب ومحمد بن الفرج ، كلاهما عن الدوري عن الكسائي ، وهو أول من صنف في التجويد ، توفي سنة ٣٢٤ هـ ، غاية النهاية ٣٥/٢ .

(٤) بكار بن أحمد بن بكار ، أبو عيسى البغدادي ، مقرئ ثقة مشهور ، قرأ على الحسن بن الحسن الصواف وأحمد بن يعقوب وابن مجاهد ، وقرأ عليه جمع كبير من الشيوخ ، غاية النهاية ١٧٧/١ .

٣٦ ـ عبد الرحمن بن عثمان الشهوري ، أبو الحسن (٢٩٠/١٠) .

٣٧ ـ عبيد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله ، أبو القاسم الأزدي النحوي . (٣٥٨/١٠) .

٣٨ ـ علي بن سليمان بن الفضل ، أبو الحسن الأخفش النحوي ، سمع أبوي العباس ثعلباً والمبرد وفضلاً اليزيدي ، وأبا العيناء الضرير وروى عنه علي بن هارون القرميسيني ، وأبو عبيد الله المرزباني والمعافى بن زكريا ، توفي عام ٣١٥ هـ . (٤٣٣/١٢) .

٣٩ ـ الفضل بن محمد بن الحسين ، أبو عيسى الخُزامي ، حدث عن الفتح ابن شخرف وأبي قلابة الرقاشي وروى عنه المعافى .(٣٨٧/١٢) .

٤٠ ـ الفضل بن عبد الله بن مرزوق ، أبو الربيع النهرواني ، حدث عن إسماعيل بن إسحاق القاضي ، وروى عنه المعافى . (٣٧٨/١٢) .

ويلاحظ على هذه القائمة الطويلة التي استخلصناها من استقرائنا لتاريخ بغداد أنها تضمنت عدداً كبيراً من العلماء وهي تبين إلى أي حد بلغ حرص المعافى على ملاقاة العلماء والجهد الذي بذله في ذلك .

كما يلاحظ أن كثرة من هؤلاء العلماء كانوا ممن وفدوا على بغداد من مختلف الحواضر الإسلامية فبعضهم كان من نيسابور وبعضهم من قزوين وبعضهم من الرَّي أو مرو أو خراسان ، وذلك كما يتضح من نسبتهم ، ولعل حرصه على ملاقاتهم أنه لم تؤثر له رحلة إلى تلك البلدان لطلب العلم كما كان يفعل الكثير من علماء عصره ، وكل ما ذكره هو عن تنقلاته لم يتعد حدود العراق وبلدانه مثل : النهروان ، بغداد ، سر من رأى ، البصرة ، ثم مكة والمدينة وهو في رحلة الحج .

نعم ثمة إشارة تفيد أنه ذهب إلى الرَّي وافداً على الصاحب بن عباد ولكن لم تكن هذه الرحلة لطلب العلم ، كما سوف نبيّن فيما بعد .

ثقافته ومكانته العلمية :

لا جدال في أن رجلاً مجتهداً يلقى كل هذا القدر من الشيوخ لا بد أن يصبح ذا ثقافة واسعة ، ويكفي أن نعلم أن ما ذكره الخطيب البغدادي من شيوخه يمثل بالدرجة الأولى علماء الحديث فقط ، وهو أيضاً لم يذكرهم كلهم بل ذكر ما عثر عليه منهم في مراجعه ، بدليل أن المعافى صدّر كل مجلس من مجالسه المائة بحديث رواه عن أحد شيوخه ، وبعض هؤلاء لم يرد فيما ذكره الخطيب من شيوخ ، فإذا كان هؤلاء هم شيوخه في الحديث فقط فكم كان يبلغ عدد الشيوخ الذين أخذ عنهم الفنون الأخرى .

ثمة قصة يذكرها أحمد بن عمر بن روح النهرواني أحد تلامذة المعافى تدل على غزارة علم أستاذه إذ يقول : « إن المعافى حضر في دار بعض الرؤساء وكان هناك جماعة من أهل العلم ، فقالوا : في أي نوع من العلم نتذاكر ؟ فقال المعافى للرئيس صاحب الدار : إن خزانتك جمعت أنواع العلوم وأصناف الأدب ، فإن رأيت أن تبعث الغلام إليها يضرب بيده إلى أي كتاب منها فيحمله إليك ، ثم تفتحه فتنظر في أي علم هو فنتذاكر ونتجارى فيه » .

ثم يقول أحمد بن عمر بن روح : وهذا يدل على أن المعافى كان له أنسةٌ بسائر العلوم (١) .

ويتفق كذلك كل من عاصره على وصفه بأسمى درجات العلم والفضل ، يقول عنه تلميذه أبو حيان التوحيدي : « كان غزير العلم ، واسع الأدب ، مشهور الفضل ، عارفاً بصنوف العلوم ولا سيما علم الأثر والأخبار ، وسير العرب وأيامها » (٢) .

---

(١) معجم الأدباء ١٩/١٥٢ .

(٢) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

ويصفه ابن النديم بقوله : « أوحد عصره في مذهب أبي جعفر الطبري وحفظ كتبه ، ومع ذلك متفنن في علوم كثيرة مضطلع بها ، مشار إليه فيها ، في نهاية الذكاء وحسن الحفظ ، وسرعة الخاطر في الجوابات » (١) .

وكان أبو محمد الباني (٢) يقول : « إذا حضر المعافى فقد حضرت العلوم كلها » ، وكان يقول « لو أن رجلاً أوصى بثلث ماله لأعلم الناس لوجب أن يدفع إلى المعافى » (٣) .

ويقول الخطيب البغدادي : « سألت البرقاني (٤) عنه — أي عن المعافى — فقال : « كان أعلم الناس وكان ثقة » (٥) .

ولقد كان المعافى يتمتع بين علماء عصره بمكانة كبيرة واحترام عظيم ، ونتيجة لهذا فقد كان يَحْدُثُ حين يَفِدُ عالم جليل إلى بغداد أن يستدعي علماؤها من ذوي الفضل للاحتفاء بالضيف وتكريمه والاستماع إليه ، وكان المعافى من بين هؤلاء الذين يُستدعون في هذه المناسبات ، ويذكر القاضي أبو الطيب الطبري قصة في هذا الصدد ، فيقول : « إن أبا سعد الإسماعيلي (٦) ورد بغداد حاجاً سنة خمس وثمانين وثلثمائة فلم يُقض له

---

(١) الفهرست ٣٢٨ .

(٢) هو عبد الله بن محمد البخاري الباني نسبة إلى بان قرية من قرى خوارزم ، وفي تاريخ بغداد « الباقي » تحريف ، وكان الباني فقيهاً على مذهب الشافعي ، وله معرفة بالنحو والأدب ، مع عارضة وفصاحة ، حاضر البديهة يقول الشعر المطبوع من غير كلفة ، توفي عام ٣٩٨ ، انظر تاريخ بغداد ١٠/١٣٩ ، إنباه الرواة ٢/١٣٢ .

(٣) معجم الأدباء ١٩/١٥٢ ، ونزهة الألباء ٣٣٠ .

(٤) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي الشافعي البرقاني شيخ بغداد ، وكان كما يقول الخطيب ، ثقة ثبتاً ورعاً ، لم نر في شيوخنا أثبت منه ، عارفاً بالفقه كثير الحديث ، صنف وخرج على الصحيحين ، توفي عام ٤٢٥ هـ ، تاريخ بغداد ٤/٣٧٣ .

(٥) تاريخ بغداد ١٣/٢٣٠ .

(٦) هو إسماعيل بن أحمد أبو سعد الجرجاني المعروف بالإسماعيلي ، ورد بغداد غير مرة وآخر مرة كانت في حياة أبي الحسن الدارقطني، حدث عن أبيه أبي بكر الإسماعيلي =

الخروج ، فأقام سنة حتى حج من قابل ، وحدّث ببغداد وعقد له الفقهاءُ مجلسين ، تولى أحدهما أبو حامد الاسفراييني وتولى الآخر أبو محمد الباني ، فبعث الباني إلى القاضي أبي الفرج المعافى بن زكريا وبابنه أبي الفضل يسأله حضور المجلس ، وكتب إليه بهذين البيتين :

إذا أكرم القاضي الجليلُ وليّهُ ... وصاحبَهُ ألفاه للشكر موضعاً
ولي حاجة يأتي بُنَيٌّ بذكرها ... ويسألُهُ فيها التطوّلَ أجمعا

فأجابه القاضي أبو الفرج :

دعا الشيخُ مِطواعاً سميعاً لأمره ... يواتيه باعاً حيث يرسم إصبعا
وهأنا غادٍ في غدٍ نحو داره ... أبادرُ ما قد حدّهُ لي مسرعا

على أنه يجب القول أنه إذا كان هناك من يعرف للمعافى قدره ومكانته ، فلا بد أن يكون هناك من ينفس عليه هذه المكانة ويحسده عليها ، ولهذا نراه في بعض شعره يقول :

ألا قل لمن كان لي حاسداً ... أتدري على من أسأتَ الأدب
أسأتَ على اللهِ في حكمه ... إذا لم ترض لي ما وهب (1)

شهرته بالجريري :

اشتهر القاضي أبو الفرج بهذه النسبة اشتهاراً كبيراً حتى صارت علماً عليه وسمة بارزة من سمات جوانبه العلمية وهي الفقه .

= وعن أبي العباس الأصم النيسابوري ، ومحمد بن أحمد بن حفص الدنيوري ، ومحمد بن علي بن دحيم الكوفي ، وكان ثقة فاضلا فقيهاً على مذهب الشافعي ، وكان سخياً جواداً ، مفضلا في ولده وأهل بيته على أهل العلم والرياسة في بغداد ، توفي سنة ٣٩٦ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٣٠٩/٦ ، ٣١٠ .

(1) معجم الأدباء ١٥٣/١٩ .

ذلك لأن هذه النسبة هي نسبة إلى أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المفسر والمؤرخ الأشهر الذي كان بالإضافة إلى ذلك ذا مذهب فقهي اجتهد في استنباطه وإقامته ، واتبع مذهبه هذا عدد من علماء عصره وبعد عصره ، ويذكر بروكلمان أن مذهب أبي جعفر وجد من يناصره في القرن الرابع الهجري في شخص القاضي المعافى بن زكريا [1] ، فقد ناصره وحامى عنه وألف كتباً كثيرة في شرحه حتّى اشتهر بهذه النسبة المشار إليها ، وكان يفخر بها ويعدّ الإمام الطبري شيخه الكبير الذي يكنُّ له الكثير من التقدير والإجلال .

ولكن هل كان الطبريّ شيخه المباشر ، الواقع لا ، إذ أننا نعلم أن المعافى ولد عام ٣٠٣ أو ٣٠٥ والإمام الطبري توفي سنة ٣١٠ هـ ، فلا يمكن أن يكون قد سمع من شيخه شيئاً وهو في سن الخامسة أو السابعة ، ومع ذلك فإننا نراه يعتنق مذهبه ويصبح المرجع الأول فيه في عصره .

ولقد احتفظ لنا المعافى بترجمة لشيخه ، كما احتفظ لنا بأسماء من اتبعوا مذهبه ، ونقل ذلك ابن النديم في الفهرست ، فهو يروى قول المعافى عن الطبري « هو علامة وقته وإمام عصره ، قرأ الفقه على الإمام داود الظاهري ، وأخذ فقه الشافعي عن الربيع بن سليمان بمصر والحسن بن محمد الزعفراني ببغداد ، وفقه مالك عن يونس بن عبد الأعلى وبني الحكم محمد وعبد الرحمن وسعد وابن أبي وهب ، وأخذ فقه أهل العراق عن أبي مقاتل بالري ، وأدرك الأسانيد العالية بمصر والشام والعراق والبصرة والري ، وكان متفنناً في جميع العلوم » [2] .

ولقد ألّف الطبري في فقهه كتباً ، منها : كتاب اللطيف في الفقه ، والخفيف ، والشروط الكبير ، والشروط الصغير ، وأدب القاضي ،

---

(١) تاريخ الأدب العربي ٣١٨/٣ .
(٢) الفهرست ٢٤٨ .

وكتب : الطهارة ، والصلاة ، والزكاة وغيرها .

وتبع الطبري وتفقه على مذهبه عدد من العلماء ذكرهم المعافى ، ومنهـــم :

علي بن عبد العزيز الدولابي ، وأبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أبي الثلج الكاتب ، وأبو الحسن أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم المتكلم ، وأبو الحسن الدقيقي الحلواني الطبري ، وأبو الحسين بن يونس المتكلم ، وأبو بكر أحمد بن كامل بن شجرة ، وأبو إسحاق إبراهيم ابن حبيب السقطي الطبري ، وأبو مسلم الكجي ، ينتمي إلى أبي جعفر في الفقه ، وهو في سنه .

ولكل واحد من هؤلاء مؤلفات في فقه أبي جعفر ، ذكرها المعافى بالتفصيل ونقلها عنه ابن النديم في الفهرست .

إلا أن هؤلاء جميعاً لم يشتهر أحد منهم بانتمائه إلى مذهب ابن جرير كشهرة القاضي أبي الفرج المعافى ، ولا ندري السبب في ذلك : هل كان والده جريري المذهب فاقتفى أثره ؟ أو أن المعافى وقد وصل إلى ما وصل إليه في العلم رأى في هذا المذهب ما يرجحه عنه فاختاره على غيره ، أو هو شدة الإخلاص لهذا المذهب ، والدعوة إليه ومحاولة نشره .

وللأسف لا نملك الإجابة اليقينية عن ذلك فنحن لا نعرف شيئاً عن مذهب والده ، كما أننا لا نملك المراجع التي يمكن أن تجيبنا عن التساؤل الثاني إذ أن كل ما كتب عن المذهب الجريري سواء صدر عن صاحب المذهب نفسه أو أحد تلامذته ضاع مع ما ضاع من تراثنا الاسلامي ، وربما كان السبب في ضياعها هو اندثار المذهب نفسه مع ما اندثر من المذاهب الفقهية الأخرى التي كانت من الكثرة بحيث يذكر الإمام الطبري نفسه أنها بلغت في عصره نحواً من خمسمائة مذهب ، فلم يعن أحد بحفظ كتب المذهب أو انتساخها جيلاً بعد جيل .

وهكذا ضاع هذا المذهب جملة ولم يبق منه إلا تفاصيلُ قليلة قد يعثر عليها الباحث بعد التتبع في التفسير الكبير للقرآن الذي ألفه الإمام الطبري ، والمسمى « جامع البيان عن تأويل آي القرآن » .

مؤلفــاته :

كان القاضي أبو الفرج مكثراً من التأليف في الفنون العلمية الكثيرة التي كان يجيدها من تفسير وقراءات وحديث وفقه بالإضافة إلى علوم العربية والأدب .

ولقد ذكرت كتب التراجم عدداً من مؤلفاته معتمدة على ما ذكره ابن النديم منها ، والواقع أن ابن النديم ذكر له عشرين مؤلفاً ما بين كتاب ورسالة ، ولكن ذلك ليس كل ما ألفه المعافى من كتب ، فابن النديم يروى عن المعافى قوله له : « إن له نيفاً وخمسين رسالة » [1] .

ونحن نعتقد أن تلك الرسائل شيء غير الكتب التي ألفها ، ونعتقد أن المعافى كان يعنى ذلك أيضاً فهو لا يمكن أن يعدّ كتابه الضخم في تفسير القرآن والذي يتكون من ست مجلدات [2] رسالة ، كما لا يمكن أن نَعدّ نحن كتابه هذا الذي بين أيدينا رسالة ، وعلى ذلك فقد كان للمعافى نيف وخمسون رسالة غير كتبه الكبيرة الأخرى .

ولقد سجل ابن النديم عشرين مؤلفاً للمعافى كما ذكرنا ، وأورد المعافى عدة مؤلفات له خلال كتابه الذين ندرسه استخلصناها منه ، وها نحن أولاء نوردهما كما يلي :

---

(١) الفهرست ٣٤٨ .
(٢) انظر طبقات المفسرين للداوودي ٣٢٤ .

(أ) الكتب التي ذكرها ابن النديم :

١ — كتاب التحرير والمنقر في أصول الفقه .
٢ — كتاب الحدود والعقود في أصول الفقه أيضاً .
٣ — كتاب المرشد في الفقه .
٤ — شرح كتاب المرشد .
٥ — كتاب المحاضر والسجلات .
٦ — شرح كتاب الخفيف للطبري .
٧ — كتاب الشافي في مسح الرجلين .
٨ — كتاب الشروط .
٩ — أجوبة الجامع الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني .
١٠ — الرد على الكوفي في مسائل .
١١ — الرد على أبي يحيى البلخي في اقتراض الإماء .
١٢ — كتاب الرد على داود بن علي .
١٣ — رسالة إلى العنبري القاضي في مسائل الوصايا .
١٤ — كتاب في تأويل القرآن [٢] .
١٥ — الرسالة في واو عمرو .
١٦ — القراءات .
١٧ — المحاورة في العربية .
١٨ — شرح كتاب الجرمي .
١٩ — رسالة عمرو .
٢٠ — الجليس والأنيس .

---

(١) الفهرست ٣٢٩ .
(٢) اسمه « البيان الموجز في علم القرآن المعجز » كما يذكره المؤلف مراراً

ب ـ الكتب التي ذكرها المؤلف لنفسه في كتابه هذا :

١ ـ كتاب في علل القراءات وبيان وجوهها [١] .

٢ ـ أخبار قس بن ساعدة وأقاصيصه [٢] .

٣ ـ سيرة الوليد بن يزيد وأخباره وشعره [٣] .

٥ ـ رسالة في الرد على الصولي في تخطئته للإمام الطبري في همز كلمة التناوش ، وتتضمن بيان خطأ الصولي وتصحيفه وتعاطيه ما لا يحسنه في مواضع من تأليفه [٥] .

٦ ـ رسالة في التلبية ، وهي تحوي تفسير معانيها ، وما اتفق عليه واختلف فيه منها من جهة النحو والإعراب وأبواب الفقه ، وسببها ومجاريها في الحج والعمرة [٦] .

٧ ـ رسالة في بيان رجحان ما في القرآن من البلاغة على الشعر [٧] .

ثم هو يشير بعد ذلك إلى كتب له ولا يسميها ، كقوله :

وشرح ذلك مبسوط في كتبنا في النحو وعلوم القرآن ، أو يقول : كما ذكرنا ذلك في كتبنا المؤلفة في علل التأويل والتلاوة ، وكتبنا المؤلفة في

---

(١) ليس هذا هو الكتاب الذي ذكره ابن النديم باسم القراءات ، فالمؤلف يذكر هذا ثم يذكر بعده هذا ، ونص عبارته : « وفي كتابنا في القراءات ، وفي كتابنا في عللها وتفصيل وجوهها ، انظر الجليس والأنيس ورقة ٣٤ .

(٢) الجليس ورقة ٦٣ .

(٢) الجليس ورقة ٦٣ .

(٣) وهو يذكره بقوله : وقد كنت سمعت سيرته وأخباره وشعره ورددت على ما فيه من إلحاد وفسق بأشعار أخرى قصدت بها وجه الله تعالى ، انظر الجليس ورقة ١٠٩ .

(٤) الجليس والأنيس ورقة ١١٢ .

(٥) المصدر نفسه ورقة ١١٣ .

(٦) المصدر نفسه ورقة ١١٦ .

(٧) المصدر نفسه ورقة ١٣٤ .

حروف القرآن وتأويله (١) ، ولا ندري إن كان يعني بها الكتب السالفة أم كان يعني غيرها ، فقد ضاعت كل هذه الذخيرة مع ما ضاع من ذخائر تراثنا الإسلامي ، ولم يبق من مؤلفات القاضي المعافى إلا كتابه الذي بين أيدينا ، والذي كان القدر به رحيماً فأبعده عن أيدي العبث والضياع ، وكفل له من ينسخه ويحفظه جيلاً بعد جيل ، حتى تتاح لنا فرصة لإلقاء نظرة على إنتاج ذلك العالم المجتهد .

تلامـــذته : —

لقد اتضح من الصورة التي حاولنا توضيحها للقاضي المعافى أنه رجل منقطع إلى العلم بكليته ، يبذل جهده في تلقي العلم والسعي إلى العلماء والأخذ عنهم سواء كانوا من علماء بلده أم من الوافدين عليها دون كلل، كما كان يبذل جهده في تسجيل ما أخذه وما تهديه إليه قريحته من فنون العلم في مؤلفات كثيرة عددنا ما استطعنـــا العثور عليه منها في الصفحات السالفة ، كذلك لم يؤثر عن القاضي المعافى حدة في الطبع ولا سوء في الخلق، **ونتيجة لهذه المكانة العلمية الممتازة التي عرف بها ، والخلق الدمث الذي اشتهر به ، أن كثر تلاميذه** والقارئون عليه والرواة عنه، وهؤلاء ذكرت بعضهم كتب التراجم التي ترجمت له ، وبعضهم الآخر ذكره الخطيب البغدادي عرضاً أثناء ترجمته لهم في تاريخ بغداد — كما هو الحال في شيوخـــه .

أما من ذكرتهم كتب التراجم فهم :

من قرءوا عليه :

---

(١) انظر مثلا ورقة ٧٤ ب .

١ ــ عبد الوهاب بن علي الملجمي [١] .

٢ ــ محمد بن عمر النهاوندي [٢] .

٣ ــ أحمد بن مسرور [٣] .

٤ ــ أبو العلاء الواسطي [٤] .

وروى عنه جماعة منهم :

١ ــ القاضي أبو الطيب الطبري [٥] .

٢ ــ أبو القاسم الأزهري [٦] .

---

(١) انظر طبقات المفسرين ٢/٣٢٤ ، تذكرة الحفاظ ٣/١٠١٠ ، وهو عبد الوهاب بن علي ابن الحسن أبو ثعلب الملجمي المؤدب ، مقرئ عارف إمام معروف زاهد أخذ القراءات عن المعافى بن زكريا ، وقرأ عليه ثابت بن بندار وأبو طاهر بن سوار ، وقال عنه الخطيب ، هو الإمام الحافظ الثقة الزاهد ، قرأت عليه سنة ٤٣٥ هـ ، انظر غاية النهاية ١/٤٧٩ .

(٢) ذكره في غاية النهاية ٢/٢١٧ بقوله : أخذ القراءة عنه عرضاً الحسن بن سعيد المطوعي .

(٣) أحمد بن مسرور بن عبد الوهاب ، أبو نصر الخباز البغدادي ، شيخ جليل مشهور ، قرأ على منصور بن محمد بن منصور صاحب ابن مجاهد ، وعلي بن أحمد الحمامي ، وعلي بن إسماعيل القطان ، وإبراهيم بن أحمد الطبري والمعافى بن زكريا ، له كتاب المفيد في القراءات ، توفي سنة ٤٤٢ هـ ، غاية النهاية ١/١٣٧ .

(٤) هو محمد بن علي بن أحمد بن يعقوب ، أبو العلاء الواسطي القاضي ، نزيل بغداد ، إمام محقق وأستاذ متقن ، متبحر في القراءات ، صنف وجمع وتفنن ، وولي قضاء الحريم الظاهري ، وانتهت إليه رياسة الإقراء بالعراق ، ولد سنة ٣٤٩ وتوفي سنة ٤٣١ هـ ، غاية النهاية ٣/١٩٩ .

(٥) هو عبد الله بن طاهر بن عبد الله بن طاهر القاضي الشافعي أحد الأعلام ، روى عن أبي أحمد الغطريفي وجماعة ، وتفقه بنيسابور على أبي الحسن الماسرجسي وسكن بغداد وعمر مائة وسنتين ، وكان عارفاً بالأصول والفروع محققاً صحيح المذهب ، توفي سنة ٤٥٠ هـ ، شذرات الذهب ٣/٢٨٤ .

(٦) هو عبيد الله بن أحمد بن عثمان البغدادي الصيرفي ، الحافظ ، كتب الكثير ، وعني الحديث وروى عن القطيعي وطبقته ، توفي سنة ٤٣٥ هـ ، عن ثمانين عاماً ، شذرات الذهب ٣/٢٥٥ .

٣ ـ أحمد بن علي الثوري [1] .

وأما من ذكرهم الخطيب البغدادي ، فنحن نوردهم هنا مع شيء من التعريف الذي ذكره الخطيب بهم ، وذكر مكان ورودهم في تاريخ بغداد ، وهـم :

١ ــ أحمد بن عمر بن روح بن علي ، أبو الحسين النهرواني ، سمع أبا حفص بن الزيات والحسين بن محمد بن عبيد العسكري ، والحسن بن جعفر الحرقي ، وأبا الحسن الدارقطني ، قال عنه الخطيب : كتبت عنه بالنهروان وببغداد ، وكان صدوقاً حسن المذاكرة مليح المحاضرة ، توفي عام ٤٤٥ هـ (بغداد ٢٩٦/٤) .

٢ ــ محمد بن الحسين بن محمد بن الحسن بن علي بن بكران ، أبو علي الجازري ، من أهل النهروان ، سكن بغداد ، وذكره الخطيب بقوله : كتبت عنه ، وكان صدوقاً ، توفي عام ٤٥٣ هـ ، (بغداد ٢٥٥/٢) .

٣ ــ أحمد بن سليمان بن علي بن عمران ، أبو بكر المقرئ الواسطي ، قدم بغداد في حداثته فسمع من علي بن عمر السكري وأبي الحسن الدارقطني وأبي طاهر المخلص ، وسكن بغداد وحدث بها ، وكان صدوقاً ، توفي عام ٤٣٢ هـ ، (بغداد ١٨٠/٤) .

٤ ــ محمد بن محمد بن علي بن عبد الله ، أبو الحسين الشروطي ، حدث عن جملة من الشيوخ ، منهم أبي القاسم بن حبابة ، وعيسى بن علي الوزير ، والمعافى ، ومسكنه بالجانب الشرقي ناحية الرصافة . ثم انتقل بأخرة فسكن الكوفة ، توفي عام ٤٤٥ هـ ، (بغداد ٢٣٨/٣) .

---

(١) هو أبو الحسين الثوري أحمد بن علي البغدادي المحتسب ، روى عن ابن لؤلؤ وطبقته ، وكان ثقة صاحب حديث ، توفي سنة ٤٤٣ هـ ، شذرات الذهب ٢٦٨/٣ .

٥ ــ أحمد بن محمد بن أحمد بن علي ، أبو منصور الصيرفي ، المعروف بابن النرسي ، سمع أبا عمر بن حيويه وأبا الحسن الدارقطني ، وعلي بن عمر الحربي ، والمعافى ، قال الخطيب : كتبت عنه وكان سماعه صحيحاً ، (بغداد ٤/٣٧٩) .

٦ ــ أحمد بن علي بن الحسين بن محمد بن موسى ، أبو الحسين المحتسب ، المعروف بابن التوزي ، سمع أبا الحسين بن لؤلؤ الوراق ، ومحمد بن المظفر ، وأبا بكر بن شاذان ، وأبا الفضل الزهري ، وأبا حفص بن شاهين ، والمعافى ، قال الخطيب : وكان صدوقاً كثير الكتاب مديماً لحضور المجالس والسماع معنا ، ولد سنة ٣٦٤ هـ ، وتوفي ٤٤٢ هـ ، (بغداد ٤/٣٢٤) .

٧ ــ أبو حنيفة عبد الوهاب بن علي بن الحسن المؤدب ، من أهل الجانب الشرقي . كان يسكن بدرب أم حكيم ، وحدث عن المعافى ، وكان صدوقاً ، أحد حفاظ القرآن ، عارفاً بالقراءات ، عالماً بالفرائض ، حافظاً لظاهر فقه الشافعي ، ولد سنة ٣٦٣ وتوفي ٤٣٩ هـ (بغداد ١١/٣٣) .

٨ ــ علي بن محمد بن عبد الواحد بن إسماعيل ، أبو الحسن البزاز البلدي ، سمع المعافى بن زكريا الجريري ، وقال الخطيب : كتبت عنه وكان صدوقاً ينزل درب سليم ، ولد في بغداد سنة ٣٧٣ وتوفي سنة ٤٤٧هـ، (بغداد ١٢/١٠٢) .

٩ ــ علي بن عمر بن أحمد بن إبراهيم ، أبو الحسن البرمكي ، سمع أبا القاسم بن حبابة ، ويوسف بن عمر القواس ، ومحمد بن عبد الله ابن أخي ميمي ، والمعافى بنّ زكريا ، وأبا محمد بن الحارس ، قال الخطيب : كتبت عنه ، وكان ثقة يتفقه ، ولد سنة ٣٧٣ ، وتوفي ٤٥٠ هـ ، (بغداد ١٢/٤٣) .

١٠ – علي بن الحسن بن محمد بن عبد الله بن عمر ، أبو الفرج النهرواني ، خطيب الجامع بها ، سمع أبا اسحاق المزكي ، وأحمد بن نصر الذراع ، والمعافى بن زكريا الجريري ، سمعت منه بالنهروان في رحلتي إلى نيسابور ، وذلك سنة خمس عشرة وأربعمائة ، وكان لا بأس به ، توفي سنة ٤٢٥ هـ (بغداد ١١/٣٩٠) .

١١ – علي بن عمر بن أحمد بن ابراهيم ، أبو الحسن البرمكي ، وهو أخو ابراهيم وأحمد ، وكان الأصغر ، سمع أبا القاسم بن حبابة ويوسف ابن عمر القواس ، وعبد الله بن أخي ميمي ، والمعافى بن زكريا ، وأبا محمد بن الجراري الكاتب ، وأبا الحسين بن سمعون ، كتبت عنه وكان ثقة ، ولد سنة ٣٧٣ وتوفي سنة ٤٥٠ هـ (بغداد ١٢/٤٣ ، ٤٤) .

١٢ – الشريف الرضى ، وقد ذكر أنه أخذ عنه القراءة برواية ابن كثير ، ولم يأخذ عليه فناً آخر غير القراءات (١) .

القضاء بباب الطاق :

بصرف النظر عن التدريس للطلبة الذي كان يقوم به المعافى ، والذي لا يمكن أن يعدّ وظيفة ثابتة تدرّ على صاحبها شيئاً ، أو أن يعدّ وظيفة على الإطلاق ، فإن المعافى لم يتول من الوظائف العامة إلا منصب القضاء بباب الطاق .

وباب الطاق محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي ، كان بها طاق أسماء ، بين الرصافة ونهر المعلى ، منسوب إلى أسماء بنت المنصور وكان طاقاً عظيماً في دارها التي صارت لعلي بن جهشيار صاحب الموفق الناصر لدين الله أقطعه

(١) الشريف الرضي ، حياته ودراسة شعره ، ٢٧٣ .

إياها الموفق ، وعند هذا الطاق كان مجلس الشعراء أيام الرشيد [1] .

ولقد تولى المعافى هذا المنصب نيابة عن القاضي أبي بكر بن صير ، الذي لم نوفق في العثور على ترجمة له ، كما أننا لم نستطع تبعاً لذلك أن نعرف متى تولى المعافى القضاء نيابة عنه ، ولا كم بقي في منصبه ؟ وكل ما نعرفه أنه منذ أن تولى هذا المنصب لزمه لقب (القاضي) حتى آخر عمـــره .

حياته الخاصة :

لا نكاد نعرف من أمر حياة القاضي أبو الفرج الخاصة إلا اللمم ، ففيما يتعلق بأسرته فنحن نعرف منها شخصين اثنين : أباه زكريا بن يحيى المعروف بابن طرارة الذي كان يشتغل بالعلم وسوف نتحدث عن جانبه العلمي هذا فيما بعد ، ولكن ما يهمنا هنا أنه على الأغلب كان من مستوري الحال فلم يُورِّث ابنه مالاً ولا متاعاً ، وتدل النصوص التي نقلها ابنه عنه أنه كان يميل إلى الزهد والتصوف عقيدة وعملاً .

أما الفرد الثاني من أسرته فهي ابنة له ماتت صغيرة فبكاها [2] ، وما عدا هذه المعلومات الضئيلة عن أسرته ثمة معلومات ضئيلة أخرى عن حياته المعيشية الضيقة احتفظ لنا بها أبو حيان التوحيدي الذي كان هو الآخر يشكو مُرَّ الشكوى من قسوة الحياة وعنتها به ، حتى اشتهر أمره بذلك شهرة مستفيضة .

ويذكر أبو حيان قصة تفيد أن المعافى قصد الرّي منتجعاً حضرة الصاحب بن عباد ، ويبدو أن ذلك كان بعد أن بلغ درجة من العلم تؤهله

---

(١) معجم البلدان : ١/٢٧٥ ، ٢/٣٦٠ .
(٢) أنظر الجليس والأنيس ورقة ١٧٥ ب .

إلى الورود على ذلك الوزير الخطير ، فلعله أن يحظى عنده بمرتبة كريمة أو منصب رفيع ، ولكنه لم ينل شيئاً مما كان يتمنى ، بل إنه على العكس من ذلك تماماً وجد معاملة وحشية تتنافى مع الانسانية فضلاً عن كرامة العلم، وهي قصة — إن صحت وفي ذلك شك — تدل على ما كان يلقاه العلماء على أبواب الملوك والولاة في ذلك العصر من مهانة ، ومن صعوبة في الوصول إليهم ، وأن من كان يصل إلى الحظوة عندهم هم قلة قليلة كان يسعدها الحظ أحياناً بأن تصل إلى رضاً منهم لا يكاد يدوم ، ونعود إلى ما أورده التوحيدي عما حدث للمعافى من الصاحب، فهو يقول :

« كان ابن عباد [1] شديد السفه عجيب المناقضة ، سريع التحول من هيئة إلى هيئة ، مستقبلاً للأحرار بكل فرية وفاحشة ، كان يقول للإنسان الذي قد قدم عليه من أهل العلم : تقدم يا أخي ! وتكلم واستأنس ، واقترح ، وانبسط ، ولا ترع ، واحسبني في جوف مرقعة ، ولا يهولك هذا الحشم والخدم ، وهذه الغاشية والحاشية ، وهذه المرتبة والمسطبة ، وهذا الطاق والرواق ، وهذه المجالس والطنافس ، فإن سلطان العلم فوق سلطان الولاية ، وشرف العلم أعلى من شرف المال فليفرخ روعك ، ولينعم بالك ، وقل ما شئت ، وانصر ما أردت ، فلست تجد عندنا إلا الإنصاف والإسعاف ، والإتحاف والإطراف ، والمقاربة والمواهبة ، والمؤانسة والمقابسة .

وعلى هذا التنزيل ، ومن كان يحفظ ما يهذي به في هذا وغيره ؟

حتى إذا استقى ما عند ذلك الإنسان بهذه الزخارف والحيل ، وسال الرجل معه في حدوره على مذهب الثقة ، وركب في مناظرته وردعه ، وحاجّه وراجعه ، وضاجعه وشاكعه ، ووضع يده على النكتة الفاصلة

(١) الخبر التالي في أخلاق الوزيرين ١١١ — ١١٢ .

والأمر القاطع ، تنمر له ، وتنغّر عليه ، واستحصد غضباً ، وتلظّى لهباً ؛ وقال بعد وثبتين أو ثلاث : يا غلام ! خذ بيد هذا الكلب إلى الحبس ، وضعه فيه بعد أن تصبّ على كاهله وظهره وجنبيه خمس مائة عصا ، فإنه معاند ضد ، يحتاج إلى أن يشدّ بالقد ، ساقط هابط ، كاب نباح ، متعجرف وقاح ، أعجبه صبري ، وغرّه حلمي ، ولقد أخلف ظني ، وعدت على نفسي منه بالتوبيخ ، وما خلق الله العصا باطلاً ، ولا ترك خلقه هاملاً .

فيقام ذلك البائس على هذه الحال التي تسمع ، على أن مسموعك دون مشاهدتك لو شاهدت ، ومن لم يحضر ذلك المجلس لم ير منظراً رفيعاً ولا رجلاً رقيعاً ، **قد عامل بها وصفت الحريري غلام بن طرارة والجامدي الشاعر الوارد عليه من البصرة ، وأبا زيد الكلابي وغيرهم .**

ولا شك أن نفس المعافى ذهبت حسرات بعد أن حدث له ما حدث ، ولعله في هذا المقام قال أبياته تلك يندم بها على تلك الرحلة :

أأقتبس الضيـــاء من الضبـــاب	وألتمس الشراب من السراب
أريد من الزمـــان النذل بـذلاً	وأريا من جنى سلع وصـــاب
أرجِّي أن ألاقي لاشتيـــــــاقي	سراة الناس في زمن الكلاب (١)

إلا أنه لم يُشر قط في كتابه هذا إلى تلك الرحلة ، ولا تحدث بكلمة عن الوزير ابن عباد . وكأنه بذلك يريد أن يسدل ستار النسيان على ذكرى مؤلمة ما كان يحب لها أن تتردد وتنتشر .

* * *

وربما تحسنت حال أبي الفرج المعافى في أثناء توليه منصب القضاء ، ولكن يبدو أن ذلك كان لفترة قصيرة من حياته ، فنحن نراه في شيخوخته

---

(١) مقدمة الجليس والأنيس .

يشكو مرّ الشكوى مما آلت إليه حاله ، موجهاً اللوم إلى انقلاب الأمور وفساد الزمان ، فيقول في مقدمة كتابه : « وقد تجشمت إملاء هذا الكتاب على ما خلفت ورائي من طول السنين ، حصلت فيه من عشر التسعين ، مع ترادف الهموم وتكاثف الغموم ، ومشاهدة ما لا أزال مرتمضاً به ، وممتعضاً منه لفساد الزمان وانتكاسه ، وعجيب تقلبه وانعكاسه ، واختلاله وارتكاسه ، ورفعه الطغام الوضعاء ، فقد أحل الأرذال محل الأفاضل ، وأعطى السفيه الأخرق حظ النبيه العاقل ، وصرف نصيب العالم إلى الجاهل ، وصير الناقص مكان الوافر الكامل ، والراجح الفاضل ، وقدم على العلم المبرز الغفل الخامل .

ثم يقول : « فلما وصفنا جنحنا إلى الصبر ، واستصحبنا الحمول ، رجاء إنعام الله بالإعانة والنصر »[1] .

وهكذا لم يجد أبو الفرج المعافى بدّاً من أن ينكمش على نفسه صابراً محتسباً ، ويبدو أنه كان يعمل في فترات من حياته بالنسخ شأنَ كثير من العلماء الأجلاء في ذلك العصر ، وهي حرفة مرهقة كان أبو حيان التوحيدي يصفها بأنها « مهنة فيها ذهاب العمر والبصر » فجدواها قليل وعائدها تافه ، وهو يعبر عن حالته التعسة بهذه الأبيات :

يــا محنــة الله كُفّــي	إن لم تَكُفّي فخِفّي
قــد آن أن تَرْحمينــا	من طُول هذا التَشَفّي
طلبــتُ حظّــاً لنفسي	فقيــل لي قــد تُوُفّي
فــلا علوميَ تُجْــدِي	ولا صناعــةُ كَفّي

ويحتفظ أبو حيان التوحيدي بصورة مؤثرة لحال شيخه إذ يقول : « رأيته في جامع الرصافة وقد نام مستدبر الشمس في يومٍ شاتٍ وبه من آثار

(١) مقدمة الجليس والأنيس .

الفقر والبؤس أمر عظيم ، مع غزارة علمه ، واتساع أدبه ، وفضله المشهور فقلت له : صبراً أيها الشيخ فإنك بمرأى من الله ومسمع ، فقال : ما لا بد منه في الدنيا فليس منه بد »[1] .

على أننا مع ذلك نلاحظ أن المعافى كان أبيَّ النفس ، وشكاواه التي أوردناها من قبل كانت تحمل طابعاً عاماً يعبر به عما يشكو منه جل العلماء في عصره ، وأبياته التي كان يسوقها في هذا المعنى أقرب إلى حديث النفس منها إلى رفع الصوت لطلب العون .

ولذا فإن الصورة التي أجمل بها المؤرخون حال المعافى بن زكريا العامة ، كانت تتلخص في أنه « كان قليل الشيء متعففاً »[2] .

* * *

(١) انظر معجم الأدباء ١٩/١٥٤ .
(٢) معجم الأدباء : ١٩/١٥٧ .

الفَصْل الثَالِث

المعافى الأديب
ودراسة كتابه

جوانب المعافى المتعددة ، واهتمامه بالأدب :

لقد قامت شهرة المعافى بن زكريا على أنه من كبار الفقهاء في عصره وهو يعد المرجع الأول في فقه ابن جرير الطبري ، وله باع في علوم القرآن من قراءات وتفسير ، وكذلك في العلوم اللسانية من نحو وصرف ولغة ، وله في كل ذلك مؤلفات أوردنا ذكرها ، ولا شك أنه كان من علماء الحديث الثقات ، فبذلك وصفه البرقاني حين سأله عنه الخطيب البغدادي كما ذكرنا ، ونحن وإن كنا لم نر في مؤلفاته ما هو خاص بالحديث . فإن ما أورده الخطيب البغدادي من شيوخه الكثر فيه دليل على ذلك ، فربما كانت كتبه الخاصة بالحديث من بين الكتب العديدة التي ألفها ولم يشر إليها من ترجموا له ، أو ربما اكتفى المعافى باستخدام المادة الحديثية الهائلة التي حصلها فيما ألفه من كتب في الفقه والتفسير والقراءات وغيرها ، واذن فقد ألف فيه بطريقة تطبيقية على الأقل إن لم يكن قد ألف فيه بطريقة الجمع والتبويب المعروفة .

تبقى من دائرة العلوم التي كان يجيدها المعافى فن الأدب ، ولقد

رأى — وهو في سن عالية — أن يكمل هذه الدائرة ، فألف كتابه هذا « الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي » ، والذي يختصر اسمه الطويل هذا إلى : « الجليس والأنيس » .

* * *

ولقد أتت فكرة تأليف هذا الكتاب للمعافى في فترة ما من حياته كان فيها فريسة لظروف نفسية سيئة ، احتاج فيها إلى من يخفف عنه شيئاً من لأوائها فلم يتفق له أن يظفر بما يأمل ، فخطرت له فكرة تأليف كتاب يخفف به عن نفسه ، وعمن يقع فريسة لمثل ما وقع فيه من هموم الحياة وأحزانها ، وهو يقول في ذلك : « اكتنفتني هموم وأحزان ، ولوعات وأشجان ، وفنون شتى من حوادث الزمان ، وما قد فشا في الناس من التظالم والتحاسد ، والتقاطع والتباعد ، وأن ما هو أولى بهم من الأنس للمجانسة ، قد فارقوه إلى الاستيحاش للمنافسة ، وحصلت على الاستئناس بالوحدة والخلوة ، ثم تطلعت إلى جليس طمعاً في أنس وسلوة ، فأعوزني ذو لب عاقل ، واتفق لي كل غبي جاهل ، فلاح لي أن أنشىء كتاباً أضمنه أنواعاً من الجد الذي يستفاد ويعتمد عليه ، ومن الهزل في أثنائه ما يسر استماعه ويستراح اليه (١) .

هل قام المعافى بتأليف كتابه هذا عندما خطرت بباله فكرته ؟ الواقع لا ، فثمة أمور قاهرة من أمور الزمان حالت بينه وبين ذلك ، وهو يقول في هذا : « ثم إن طوارق الزمان وموانعه ، وأحداثه وفجائعه ، وعوائقه وقواطعه ، وأهواله وفظائعه ، حالت بيني وبين ما آثرته ، ونفسي على هذا متعلقة به ومؤثرة له ومنازعة إليه إلى حيث انتهينا » (٢) ...

كم من الوقت مضى بين طروء فكرة الكتاب على باله وبين البدء فيه ؟ لا ندري ، وكل ما نعرفه أنه وهو في عشر التسعين بدأ بتنفيذ فكرة

---

(١) انظر مقدمة الجليس والأنيس .

(٢) المرجع السابق .

الكتاب الذي تخيله ، وأن الذي ساعده على ذلك كما يقول هو : « أن بعض أصحابنا يكتبه عني املاء في الوقت بعد الوقت » [1] .

ولم يذكر لنا المعافى من هو صاحبه هذا أو أصحابه الذين يكتبون عنه في الوقت بعد الوقت ، والواقع أنه لم يكن واحداً كما يدل عليه ظاهر لفظه ، بل كانوا خمسة ، وقد استطعنا أن نستنتج هذا من كتاب « تاريخ بغداد » أيضاً .

ذلك أن الخطيب البغدادي نقل نصوصاً كثيرة مما ورد في كتاب المعافى رواية عن شيوخه الذين هم في الوقت نفسه تلامذة المعافى ، وقد قمنا بإحصائهم لنعرف روايات الكتاب المتعددة ، وقد ظهر لنا أنها خمس روايات عن خمسة من تلامذة المعافى ، هم :

١ ـــ أحمد بن عمر بن روح النهرواني .

٢ ـــ القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري .

٣ ـــ أبو علي محمد بن الحسين الجازري .

٤ ـــ أبو القاسم عبيد الله بن أحمد الأزهري .

٥ ـــ أبو حنيفة عبد الوهاب بن علي الملجمي المؤدب .

وبعد أن يشير المعافى إلى إملائه الكتاب تلك الإشارة العابرة التي أوضحناها ، فإنه يشير كذلك بصفة عامة إلى موضوع الكتاب وما قرر أن يضمنه إياه بقوله : « فلاح لي أن أنشيء كتاباً أضمنه أنواعاً من الجد الذي يستفاد ويعتمد عليه ،ومن الهزل في أثنائه ما يسر استماعه ويستراح إليه ، فإن اختلاف الأنواع يسهل النظر فيها ، وينشط الوقوف عليها ، ويوفر الاستمتاع بها ، وأن أضمنه علوماً غزيرة وآداباً كثيرة » ...

ثم يقول في موضع آخر من مقدمته : « ... وأودعته كثيراً من فنون العلوم والآداب ، **على غير حصر بفصول وأبواب** ، وضمنته كثيراً من محاسن الكلام وجواهره ، وملحه ونوادره ، وذكرت فيـــه أصولاً من

(١) المرجع السابق .

العلم ، اتبعتها شرح ما يتشعب منها ويتصل بها بحسب ما يحضر في الحال ، مما يؤمن معه الملال » ....

والملاحظ أن تلك الكلمات التي عبر بها المعافى عن موضوع كتابه ، تعد كلمات تقليدية نراها تقريباً في كل الكتب التي ألفت في هذا الفن منذ عهد الجاحظ مروراً بابن قتيبة في عيون الأخبار إلى أبي حيان التوحيدي في البصائر والذخائر إلى أبي علي القالي في أماليه .

ومع ذلك فلا شك أن كل كتاب من هذه الكتب يعكس ثقافة صاحبه ومزاجه الشخصي الأمر الذي يجعل لكل منها طابعاً خاصاً به ، على حدّ قول ابن حزم في كامل المبرد وأمالي القالي : « كتاب نوادر أبي علي مبار لكتاب الكامل الذي جمعه المبرد ، ولئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخبراً ، فإن كتاب أبي علي أكثر لغة وشعراً .. [1] أي أنهما وإن اتفقا موضوعاً فإن لكل منهما ميزة خاصة ، ويمكننا القول بشأن كتاب المعافى أنه جمع مميزات الكتابين السالفين ومميزات أخرى سوف نعرض لها بالتفصيل فيما يلي من هذه الدراسة .

ثم يتطرق المعافى في مقدمته إلى الحديث عن الكتب التي تشبه كتابه في موضوعاتها ، والتي يمكن أن نطلق عليها اسم « **كتب أدب السمر والثقافة العامة** » ، فيشير إلى أسماء عدد منها مما ألف في عصره أو قبل زمانه بقليل ، **ويعنى بتبيين منهج أصحابها في مؤلفاتهم** ، ثم يقصد إلى كتابين منهما بالذات ، هما « الكامل » لأبي العباس المبرد ، و « الأنواع » لأبي بكر الصولي ، فينقدهما نقداً قاسياً مبيناً أن كتابه أحق منهما بالكمال في ميدان التأليف في هذا الفن .

وقبل أن نسترسل معه في حديثه ، يهمنا أن نفصل ما أجمل المؤلف بشأن الكتب المؤلفة في هذا الفن وأن نتحدث بإيجاز عن نشأته وتطوره حتى وصل إلى عصر المؤلف .

---

(١) انظر مقدمة أمالي القالي ع .

أدب السمر وكتب الثقافة العامة

أما عن نشأته فإن الإنسان من قديم يهفو بطبيعته إلى سماع القصص والأسمار ، ويشغف بما يصل إلى أذنيـــه من أخبار ، فهي تبعث في نفسه المتعة وتثير فيها شتى الأحاسيس من إعجاب بالبطولة والسمو والأريحية وبغض للجبن والدناءة والخسة .

وفي الجاهلية لم يكن الشاعر وحده هو الذي تهفو إلى سماعه الآذان وترنو إليه الأعين ، **بل كان القاص أيضاً يقوم مقاماً مهماً إلى جانب الشعر في** سمر الليل ، بين مضارب الخيام لقبائل البدو المتنقلة ، وفي مجالس أهل القرى والحضر .

وكان القُصَّاص يستمدون قصصهم تارة من الأساطير ، والخرافات السائدة المتنقلة بين الأمم ، وتارة أخرى من الأخبار والأحاديث الخرافيـة والتاريخية المأثورة عن العرب أنفسهم وعمن جاورهم [1] .

---

(١) انظر كثيراً من هذا القصص في كتاب مجمع الأمثال للميداني ، وكتاب المعمرين والوصايا لأبي حاتم السجستاني ، وكتاب الأغاني للأصفهاني من قصة المنخل اليشكري والمتجردة زوج النعمان وغيرها من القصص .

وفي صدر الدعوة إلى الإسلام كان النبي ﷺ حينما يعظ قومه بقراءة ما نزل من القرآن الكريم خاصاً بالأمم السالفة ، وما حدث فيهم من عِبَر كي يستميلهم إلى الإسلام ، كان أحد كفار قريش وهو النضر بن الحارث وكان طبيباً ورحّالة إلى فارس والحيرة كثيراً ما يعارض النبي ﷺ بحكاية أقاصيص من أساطير بطولة الفرس وقصة رستم واسفنديار [1] .

وكانت أيام العرب وغاراتهم في الجاهلية ، كما كانت « الأمثال » وما وراءها من قصص وطرائف تستهوي الأفئدة وتستميل القلوب ، ويبدو أنه كانت هناك مجاميع مدونة لهذه الأمثال ، فإن بشر بن أبي خازم الأسدي كان يقول :

وجدنا في كتـــاب بني تمـيم أحق الخيل بالركض المعار [2]

* * *

وفي عهد الخلفاء الراشدين طغَت حروب الردة وأخبار الفتوح الإسلامية والأحداث الجليلة التي وقعت في عهد عثمان وبين علي ومعاوية على كل ما عداها من أخبار وأسمار ، وإن لم يخل الأمر من بعض القصاص كما نعرف من أمر تميم الداري واستئذانه أمير المؤمنين عمر في أن يذكر الناس من مسجد الرسول فإذن له ، وكان يعتمد في قصصه على الحكايات عن الأمم السالفة وعلى بعض الأساطير ، ولا يتقيد فيها بالصدق بقدر ما يهدف إلى التأثير على النفوس ترغيباً أو ترهيباً .

وقد كثر القصاص بعد ذلك واشتهر منهم اثنان ، هما وهب بن منبه وهو فارسي وكعب الأحبار وهو يهودي من اليمن ، وقد أكثر القصاص من الكذب حتى اضطر أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه إلى طردهم من

---

(١) انظر سيرة ابن هشام : ٢٠١/١ .

(٢) ديوانه : ٧٨ .

المسجد ، ولم يستثن منهم إلا الحسن البصري الذي كان قصاصاً يعتمد على التذكير بالآخرة ويستخرج ذلك من أحاديث الرسول وما حوله من أحداث .

وعندما استقرت الأمور في عهد معاوية فإن قصصاً آخر قد نبع من البيئة المترفة من أبناء المهاجرين والأنصار الذين أغدق عليهم معاوية الأموال كي يبعدهم عن أمور السياسة ، فكان أن انصرف اهتمامهم في سمرهم إلى قصص الحب والغرام ، وساعد على هذا عدد من شعراء الغزل كعمر بن أبي ربيعة والعرجي وكُثيِّر عزة وجميل بثينة وغيرهم ، فتدوولت قصص الحب العذري التي دون الكثير منها فيما بعد في كتاب « الأغاني » والزهرة ومصارع العشاق وغيرها .

وفي العصر الأموي أيضاً انتشرت بكثرة قصص أيام العرب ووقائعها نظراً لما أثاره منها جرير والفرزدق في نقائضهما ، وأخذت كل قبيلة تستثير ذاكرة شيوخها لقص ما يعرفونه عن وقائع القبيلة ومفاخرها الغابرة .

وفي آخر هذا العصر حدث أول تدوين لنوع خاص من أدب السمر ، فقد قام عبد الله بن المقفع المتوفى (١٤٢ هـ) بترجمة كتاب « كليلة ودمنة » — من الفارسية إلى العربية ، وقد لقي الكتاب رواجاً وسعة انتشار دعاه إلى ترجمة كتب أخرى ، وتأليف عدد آخر [١] .

* * *

(١) ترجم ابن المقفع بالاضافة إلى كليلة ودمنة الكتب التالية : سير ملوك العجم (خداى نامه) ، وكتاب الآئين نامه (آئين نامه) وهو نوع من الكتب المختصرة في نظام الدولة ، وكتاب التاج وكتاب مزدك ، كما صنف عدة كتب منها : الأدب الكبير والأدب الصغير ورسالة الصحابة وحكم ابن المقفع ، وكل هذه الكتب نشرت ، انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٩٦/٣ — ١٠٠ .

ثم تألق اسم أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) الذي امتاز بتنوع ثقافته وكثرة مصنفاته ، وأنتجت قريحته دائرة معارف عامة في الأدب وعلم الكلام والتاريخ والجغرافية وغيرها من ألوان الثقافة السائدة في عصره . وخلف لنا من خلال كتابه **البخلاء** مجموعة من الحكايات التي تمتاز بالواقعية والسخرية ، وتحفل بالمتعة والنقد والجمال .

وكما اشتهر في هذا القرن عدد آخر من المؤلفين الذين صنفوا في أدب السمر ، منهم أبو بكر بن أبي الدنيا (ت ٢٨١ هـ) ، الذي ألف كتباً كثيرة في العلم والزهد والرقائق ، وألف في أدب السمر كتابه « **الفرج بعد الشدة** »[١] .

وفي أحوال الحمقى والمغفلين وأقوالهم وأفعالهم ، صنف أبو العيناء الإخباري (أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمي) المتوفى (٢٨٣ هـ) أول كتاب في ذلك .

وفي القرن الرابع اعتنى بعض المحدثين بجمع النوادر والحكايات ، ومن هؤلاء أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت ٣١٠ هـ) الذي ألف كتاب « **المجالسة وجواهر العلم** »[٢] ، وهو يشتمل على أحاديث وقصص ومقامات في ٤٧ باباً .

كما اعتنى بعضهم بتصنيف كتب في مدح الشيء وذمه ، ومن هؤلاء إبراهيم بن محمد البيهقي ، وكان من أصحاب عبد الله بن المعتز ، وقد صنف البيهقي في خلافة المقتدر (٢٩٥ — ٣٢٠ هـ) كتابه المحاسن

---

(١) طبع هذا الكتاب في الهند مرتين ، وطبع في القاهرة دون تاريخ ، انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١٢٩/٣ .

(٢) لم يطبع هذا الكتاب بعد ، وتوجد نسخه المخطوطة في القاهرة وباريس والظاهرية ، المرجع السابق ١٣٥/٣ .

والمساوئ [1] ، كما ينسب كتاب للجاحظ في هذا الغرض نفسه .

* * *

واعتنى بعضهم بجمع أشعار المحبين ووصف أحوالهم ، ومن هؤلاء : أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصفهاني الظاهري (ت ٢٦٧هـ)، وهو ابن الإمام داود بن علي مؤسس المذهب الظاهريّ في الفقه ، وقد ألف كتابه « **الزهرة** » [2] وهو اختيارات شعرية تربطها نصوص منثورة وعناوين مسجوعة موزعة على مائة باب ، خصصت الخمسون الأولى منها للحب العذري العفيف ، وفي كل باب منها مائة بيت من الشعر أريد بها تصوير جميع نماذج الشعر التي قيلت في هذا الغرض .

كما صنف أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي السامري (ت ٣٢٥ هـ) كتاب « **اعتلال القلوب في أحاديث المحبة والمحبين** » [3] .

* * *

وكانت **أخبار عقلاء المجانين** وطرائفهم مما يسامر به ، فألف فيها كل من أبو بكر محمد بن مزيد النحوي الاخباري المعروف بابن أبي الأزهر (ت ٣٢٥ هـ) ، والحسن بن محمد بن الحسين بن حبيب النيسابوري (ت ٤٠٦ هـ) كتاباً ، ويتضمن كلاهما نوادر وأشعاراً وأخباراً عن الحمقى والمجانين من الذكور والإناث [4] .

---

(١) طبع أكثر من مرة .

(٢) نشر القسم الأول منه بتحقيق نيكل وابراهيم طوقان في شيكاغو ١٩٣٢ م ، وطبع القسم الثاني سنة ١٩٧٨ في بغداد .

(٣) يوجد مخطوطاً في القاهرة ثاني برقم ١٦/٣ ، ويوجد الجزء الثاني في جوتا ٦٢٧ ، انظر بروكلمان ١٣٨/٣ .

(٤) كلا الكتابين يسمى عقلاء المجانين ، ويوجد كتاب ابن أبي الأزهر مخطوطاً في مكتبة الاسكوريال ثاني ٤٨٢ ، وطبع كتاب النيسابوري في القاهرة ، انظر االمرجع السابق .

ويجب أن نذكر هنا واحداً من أكبر من كتبوا في أدب السمر وهو القاضي أبو علي المحسن بن علي بن محمد التنوخي (٣٢٩ – ٣٨٤ هـ) .

وله من الكتب : كتاب « الفرج بعد الشدة »[1] ، وهو مجموعة من الأخبار والنوادر على مثال كتاب ابن أبي الدنيا السالف الذكر ، ويعد من أحسن الكتب في أدب السمر فهو يعرض لنا صوراً مما كان يلقاه الناس من المشقة والمعاناة حتى يخيم اليأس على النفوس ثم يأتي الفرج أو روح العدل الذي يأخذ بيد المظلومين إلى الخاتمة السعيدة ، ثم كتاب « المستجاد من فعلات الأجواد »[2] ، ثم كتابه المهم الذي بدأه عام ٣٦٠ وأتمه بعد عشرين عاماً ، وهو كتاب « نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »[3] ، وقد ضمنه أخباراً وقصصاً رواها مشافهة واشترط فيها ألا يكون قد تضمنها كتاب قبلـــه .

* * *

وثمة كتابان تجدر الإشارة إليهما ، وأولهما هو كتاب المكافأة لأحمد بن يوسف بن إبراهيم المعروف بابن الداية أحد كتاب الدولة الطولونية بمصر ، ويتضمن إحدى وسبعين قصة تتوزع إلى ثلاثة أقسام :

الأول في إحدى وثلاثين قصة تدور حول غرض واحد هو حسن الصنيع بالمكافأة على الجميل بالجميل .

والثاني : في إحدى وعشرين قصة تدور حول مكافأة القبيح بالقبيح ، وفيه تحذير من سوء العاقبة والمجازاة بالشر .

والثالث ويشتمل على تسع عشرة قصة ، ويدور حول من وقع في شك

---

(١) طبع في القاهرة سنة ١٩٥٥ م .

(٢) طبع في دمشق بتحقيق محمد كرد علي سنة ١٩٤٦ م .

(٣) طبعت منه حتى هذه السنة ثمانية أجزاء بتحقيق وجمع عبود الشالجي المحامي في بيروت .

ثم خلص منها ، وكان عرضة لضياع ماله أو فقدان نفسه ، فرد إليه ماله ووهبت له نفسه .

وثاني الكتابين هو كتاب الديارات لأبي الحسن علي بن محمد الشابشتي (ت ٣٨٨ هـ) ، ويعرض فيه للأديرة الموجـودة بمصر والشام والعراق لا باعتبارها أماكن للعبادة والتبتل ، بل منازل للذة والمتعة ، تغشاها الطبقة العليا وتستمتع بما فيها من قيان وغلمان ورقص وشراب .

وهو يصور بعبارة جزلة حياة علية القوم في أيامه وما يتصل بهم من أمور الطعام واللباس وأسلوب العيش .

* * *

على أننا نحب أن نقول إن هذه الكتب التي أسلفنا ذكرها لم تكن وحدها المتضمنة لأدب السمر وإن كانت قد ألفت خصيصاً فيه ، بل كانت هناك كتب كثيرة أخرى تتضمن مادة غزيرة من أدب السمر ، **ومنها كتب في التفسير والحديث واللغة والمجاميع الشعرية ودواوين** الشعراء وكتب التاريخ والجغرافيا والرحلات ، فقد كان علماء هذه الفنون يلجئون إلى سوق بعض القصص الطريف للتخفيف من جفاف المادة التي تتضمنها كتبهم ، وعلى سبيل المثال فإن كتب التفسير كانت تتضمن فضلاً عن القصص التي كانت السبب في نزول الآيات– بعض الإسرائيليات وبعض القصص عن الصحابة وتأثير الآيات الكريمة في نفوسهم .

والأحاديث الشريفة نفسها كانت مادة للسمر أحياناً وذلك بجمع الأحاديث ذات الموضوع الواحد في كتاب ، كما فعل أبو بكر بن سهل الخرائطي في كتابه : « مكارم الأخلاق ومعاليها » [١] ، و « مساوىء

(١) نشر بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ .

الأخلاق ومذمومها»[1] ، وكما فعل الخطيب البغدادي في كتابيه « البخلاء » [2] و « التطفيل » [3] ، فمادة هذه الكتب حديثيّة بالدرجة الأولى، وإن كانت قد اختيرت موضوعاتها لتبعث المتعة والتسلية أو العظة والتأسي في النفوس .

* * *

أما اللغة فقد كانت أحوج إلى تطرية جفاف مادتها بمثل هذا القصص أكثر من أي مادة أخرى ، فلجأ علماؤها إلى قصص أعراب البادية ينهلون من معينها ، ويعلمون تلاميذهم ألفاظ اللغة الواردة خلال هذه القصص ، ونحن نرى ذلك واضحاً في كتب أبي زيد الأنصاري والأصمعي وثعلب والمبرد وابن الأنباري وابن دريد وغيرهم .

وكذلك التاريخ — برغم أنه بطبيعته مادة سمرية تستهوي النفوس أحداثه ووقائعه — فإن المؤرخين عنوا إلى جانب الأحداث التاريخية الصرفة بتسجيل بعض الأقاصيص الهامشية الغريبة التي تتصل بتلك الأحداث من قريب أو بعيد ، وذلك لإشباع حاجة النفوس المتطلعة دوماً إلى المزيد من الغرائب والطرائف .

ونحب أن نذكر أنه كان على العلماء في القرن الرابع على الخصوص أن يحيطوا بمختلف المعارف والفنون ، فإن من كان منهم ينتجع حضرة الملوك والسلاطين ويجلس في مجالسهم مع غيره من العلماء كان عليه أن يشارك بعلمه في القضايا العلمية التي تعرض ، وأن يكون حاضر البديهة فيجيب في بعض الأحيان عن أسئلة غير متوقعة ، وأن يكون مع ذلك عارفاً

---

(١) يوجد مخطوطاً في الاسكوريال ثاني ٢/٧٨٣ .
(٢) نشر في بغداد سنة ١٩٦٨ م .
(٣) نشر في دمشق سنة ١٣٤٦ ﻫ .

ببعض الطرائف والملح التي تناسب المقام ، فإن اجتمع فيه كل ذلك فحري أن يظفر بمكانة لدى الأمير وأن ينال من عطاياه ، وقديماً قال الأصمعي : « وَصَلْتُ بالغريب ونلت بالملح » .

وفيما عدا ذلك فإن هذه الملح بما تتضمنه من أخبار وحكايات وأشعار كانت تلطف مجالسهم الخاصة وتروح عن نفوسهم ونفوس تلاميذهم ، كما كانت تشبع حاجة نفسية واجتماعية عند طائفة من الناس لا تقبل على اللهو الحرام ، ولا ترغب في تسلية أو متعة تخالف الشرع .

ونتيجة لهذا فقد كثر التأليف في هذا النوع من الكتب ، وظهر في القرن الرابع نوع آخر منه يتناسب مع الثقافة الواسعة التي امتاز بها هذا القرن ، فهو يجمع بين المتعة والتسلية وبين الثقافة والمعرفة . كما نرى في أمالي القالي والعقد الفريد لابن عبد ربه ، والفصوص لصاعد البغدادي ، « والجليس الصالح الكافي » للمعافى بن زكريا النهرواني ، وغير ذلك من الكتـــب .

منهج المعافى في تأليف الكتاب :

قبل أن يبين المعافى منهجه في تأليف كتابه ، قام بذكر بعض الكتب المماثلة لكتابه ومنهج أصحابها في التأليف ، ثم ذكر خطته التي ارتضاها بعد ذلك ، فيقول : « وقد صنف ــ في نحو هذا الكتاب ــ جماعةٌ من أهل العلم والأدب كتباً على أنحاء مختلفة ، فمنهم من جعل جملة كتابه جامعة لكتب مكتتبة ، ومنهم من جعله أبواباً مبوبة وأفرد أبوابه بفصول مميزة ، ومعان خاصة غير ممتزجة ، وسمى بعض هؤلاء ما ألفه : « الجواهر » وبعضهم « زاد المسافر » ، وبعضهم « الزهرة » ، وبعضهم « أنس الوحدة » في أشباه لهذه السمات عدة »[1] ....

---

(١) مقدمة الجليس والأنيس .

ثم يقول : « وصنف قوم كتباً في هذا الباب تشتمل على فقر من الآداب والفوائد ، منثورة غير مبوبة ، ومخلوطة غير مقيدة ، بفصول متميزة ولا أبواب متخيرة »[1] ...

وهو قد اختار الطريقة الأخيرة لتأليف كتابه ، فهو يقول : « وأودعته كثيراً من فنون العلوم والآداب ، على غير حصر بفصول وأبواب » .

وهذه الطريقة بطبيعة الحال لا تستلزم ضم المثيل من الأخبار إلى مثيله ، بحيث يجمع ما قيل في الشجاعة مثلاً من أخبار وأشعار وأمثال كلها تحت باب واحد يسمى باب الشجاعة ، لا ، بل تنثال الأخبار التي ترد على ذاكرة المؤلف دون ما رابط يجمع بينها فيسجلها في كتابه ، أو يلقيها إلى سامعيه ويكتبها تلامذته .

غاية ما في الأمر أن المعافى سمى كل مجموعة مناسبة من تلك الأخبار من حيث المقدار مجلساً ، وهو يكفي عادة لسمر ليلة واحدة .

وقد قسم الكتاب إلى مائة مجلس ، التزم أن يبدأ كل منها بحديث نبوي شريف ، يفسره بعد إيراده بما يبين فيه مدلوله والعبرة التي تؤخذ منه .

ثم يأتي بعد ذلك بشتى الأخبار والطرائف التاريخية والأدبية ، وهذه الأخيرة في الأغلب الأعم ـ حتى ليظن أن ذلك مقصود قصداً تشتمل على بعض القضايا النحوية أو البلاغية أو الألفاظ اللغوية التي يستطرد منها إلى شرحها وبيان آراء العلماء فيها ، ورأيه هو فيها إن كانت له وجهة نظر خـــاصة .

وهو في كل ذلك لا ينسى أن يستشهد بالشعر ، وليس لديه شعراء مفضلون ، فهو يستشهد بشعر الجاهليين والإسلاميين والأمويـــين والعباسيين، ولكنه قلما ينسب هذا الشعر إلى قائليه ، بل يكتفي في هذا بالعبارة التقليدية (قال الشاعر) ، إلا ما كان من شعر الأعشى الذي كان

على ما يبدو يحفظ ديوانه ولهذا فقد كان ينسبه .

ثم يختم المؤلف المجلس عادة بحكاية طريفة لا يعلق عليها كعادته ، أو ببيتين من الشعر الحكيم لا يتدخل فيهما بالتفسير ، ويكون المقصود من ذلك التخفيف من جفاف المناقشات اللغوية أو غيرها التي جرت خلال المجلس .

نقد المؤلف لكتاب الكامل :

ثمة شيء آخر مهم جداً يلفت نظر القارئ لأول وهلة في كتاب المعافى ، وهو حرص المؤلف على ذكر السند في كل ما يرويه في كتابه من أخبار مهما صغر الخبر الذي يسوقه ، وهو يفخر بما التزمه من ذلك على كتاب الكامل لأبي العباس المبرد [1] الذي لم يلتزم بشيء من ذلك فيما أورده في كتابه من أخبار ، والمعافى يقول في ذلك : « وعمل أبو العباس محمد بن يزيد النحوي كتابه الذي سماه « الكامل » وضمنه أخباراً وقصصاً لا إسناد لكثير منها ، وأودعه من اشتقاق اللغة وشرحها وبيان أسرارها وفقهها ما يأتي مثله به لسعة علمه وقوة فهمه ولطيف فكرته ، وصفاء قريحته ، ومن جلي النحو والإعراب وغوامضهما ما يقل وجود من يسد فيه مسده ،

---

(١) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي المعروف بالمبرد ، شيخ أهل النحو والعربية وإليه انتهى علمها في عصره ، وكان حسن المحاضرة مليح الأخبار كثير النوادر ، إلا أنه كان قليل الإسناد في أخباره ، وفي ذلك يقول نفطويه : ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد منه ومن أبي العباس بن الفرات .

من مؤلفات المبرد: الفاضل والمقتضب والكامل، وهو من أعظم كتب الأدب في العربية ، وفيه يقول ابن خلدون : « سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين ، وهي : كتاب الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبي علي القالي ، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها » ، توفي المبرد عام ٢٨٥ هـ ، انظر ترجمته في أخبار النحويين البصريين ٩٦ — ١٠٨ ، بغية الوعاة ١/٢٦٥ ، طبقات القراء ٢/٢٨٠ ، مراتب النحويين ٨٣ ، طبقات ابن قاضي شهبة الورقة ٦٣ — ٦٥ .

إلا أن كتابه هذا مقصر عما وسمه به ، واختاره من ترجمته ، وغير لائق به ما آثره من تسميته ، فحطه بهذا عن منزلة لولا ما صنعه — كانت حاصلة له ، فسبحان الله ما أبين انتفاء هذا الكتاب عن نسبه ، وأشد منافاته للقبـــه » .

وينقد الصولي في كتابين له :

وعلى حين ينتقد المبرد لعدم إسناده أخباره ، وتسميته مع ذلك كتابــه بالكامل وهو محق في نقده هذا ، ينتقد الصولي في كتابيه « الأنواع » ، والنوادر وهما كتابان لم يصلا إلينا ، أما الأنواع فهو ينقده من ناحية أن الصولي جعله أبواباً مبوبة إلا أنها غير مستوفاة ، أما الثاني فهو لم ينقده بل نقل نقد أحد الشعراء له ، وهو يقول في ذلك : « وأنشأ الصولي كتاباً سماه الأنواع ، مبوباً أبواباً شتى غير مستوفاة ، وأتى فيه بأشياء مستحسنة على ما ضم إليه من أمور مستهجنة ، وصنف أيضاً كتاباً سماه « النوادر » وهجاه بعض الشعراء بما كرهت حكايته » ....

ولقد كان المعافى قاسياً على الصولي ، وقد يرجع هذا إلى أن الصولي كان مقرباً إلى الخلفاء حظيّاً عندهم ، فقد نادم ثلاثة منهم كما نعرف ، وكان مؤدباً لأحدهم وهو الراضي ، وربما كانت لمواهبه الأخرى في المنادمة واللعب بالشطرنج دَخْلٌ في حظوته عند الخلفاء ، أما علمه فربما كان لا يفوق غيره فيه ، ومن هنا فقد كان ينفس عليه بعضهم مكانته التي وصل إليها ، وما يغدق عليه من منح ، في الوقت الذي لا يظفرون هم من ذلك بطائل ، ولكنه بالتأكيد لا يستحق هذا النقد القاسي فقد كان الرجل مجتهداً ومخلصاً في تأليف كتبه كما نراه في كتابيه الأوراق وأخبـــار أبي تمام .

وعلى أي حال فقد راعى المعافى ألا يقع فيما وقع فيه المبرد من عدم ذكر السند ، وهذا واضح ، ولا ما وقع فيه الصولي من جعل كتابه أبواباً وعدم

استيفاء موضوعاتها ، وهذا أمر يصعب الحكم فيه ، فليس أمامنا كتاب الأنواع حتى نحكم له أو عليه ، وكتاب المعافى الذي بين أيدينا ليس مبوباً أبواباً حتى نرى هل هي مستوفاة أو غير مستوفاة ، ولكن رغم ذلك فإنه يمكننا القول أن المعافى استفرغ جهده في بناء كتابه ، وأن القارئ يستطيع أن يرى فيه كل ما يمكن وضعه في مثل هذه الكتب من ثقافة ومعرفة تسليه وتفيـــده .

ويقول المعافى في ذلك : « ... ومن وقف على ما أتيت به من هذا ، علم أن كتابنا أحق بأن يوصف بالكمال والاستيفاء ، والتمام والاستقصاء ، وصدق وسمه بالجليس والأنيس ، فإن الكتاب إذا حوى ما وصفنا من الحكمة وأنواع الفائدة ، كان لمقتنيه والناظر فيه بمنزلة جليس كامل ، وأنيس فاضل ، وصاحب أمين عاقل » .

* * *

دراسة الكتاب

السند وقيمته في الكتاب :

رأينا فيما سبق كيف أن المعافى كان حريصاً على أن يروي أخباره كلها مسندة إلى قائليها ، وكيف أنه نقد المبرد في كتابه الكامل لعدم ذكره الأسانيد بين يدي كل خبر يرويه .

وهذا يجرنا إلى التساؤل عن قيمة هذا الذي فعله المعافى في كتابه ، وعن الفائدة التي يمكن أن تستفاد من ذكره للأسانيد وحرصه عليها .

والواقع أن السند كانت له قيمة كبيرة لدى أصحاب الحديث ، فهم بوساطته كانوا يكتشفون زيف الحديث المروى عن رسول الله ﷺ أو صحته ، وقد نشأ من ذلك علم واسع هو علم الرجال وجرحهم أو تعديلهم ، ولهم في ذلك كلمات مأثورة تدل على شدة اهتمامهم به ، كقولهم : « الإسناد قيد الحديث » ، وقولهم : « الحديث بغير إسناد كالجمل بلا زمام أو خطام » [1] ، وقول عبد الله بن المبارك : « الإسناد من الدين ، لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء » [2] .

---

(١) محاضرات الأدباء : ١/١٥ .

(٢) الالماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ١٩٤ .

ونتيجة لهذا الاهتمام بالأسانيد ، لم يقتصر إثباته على مادة الحديث النبوي وحدها بل تعداها إلى غيرها من المواد كالتاريخ والأنساب والأخبار واللغة وغيرها ، ويتضح هذا جلياً في كتب العلماء المتقدمين من أمثال ابن إسحاق والطبري وأبي العباس ثعلب وغيرهم ، ولم يكن هذا أمراً يتكلفونه فمعظمهم كانوا من رواة الحديث ، وقد درجوا على إسناده فيما رووه منه .

على أن بعض العلماء أخذوا يتخففون فيه فيما يروونه، ويروى عن الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال – وقد سأله رجل عن إسناد حديث ، « وما تصنع به ؟ وقد نالتك عظمة وقامت عليك حجته » (١) .

ويروى أن رجلاً قال لرجل : كتبت حديثاً بغير إسناد؟ فقال : إني أريده للعمل لا للتسوق والتجمل (٢) .

فإذا كان العلماء قد بدءوا يتخففون منه في الحديث النبوي ، فإن تخففهم منه في غيره من العلوم كان أبين وأوضح لإحساسهم بأن أهميته بالنسبة لها ثانوية لا ترقى إلى مستوى أهميته في الحديث الذي تترتب عليه الأحكام ويقضي به بين الناس .

ولهذا ليس غريباً أن نرى عالماً كبيراً كالمبرد يتركه في كتابه الكامل وهو في معظمه كتاب نحو وأدب وأخبار ، وكأنه يتفق مع ذلك الرجل الذي سئل عن إسناد شعر ، فقال : والله ما تركت الحديث إلاّ بُغْضاً للإسناد ، وأنت تسألينه في الأشعار (٣) .

وحقاً ، ربما كان الإسناد شيئاً بغيضاً لدى معظم القارئين، الذين لا يرون فيه إلا شيئاً مكرراً ، وإلا أسماء لا مدلول لها لديهم ، ولكنه عند

---

(١) ، (٢) محاضرات الأدباء ١/١٥ .

(٣) المرجع السابق .

العلماء له كل الدلالة، فقد كانوا — كما أسلفنا — يكتشفون به زيف الحديث من صحيحه، وليس ذلك مقصوراً على علم الحديث فقط بل كذلك الأخبار التاريخية والأنساب واللغة وغيرها.

كما أن هذه الأسانيد بالغة الأهمية لدى الدارسين لكتب التراث العربي فهي تكشف لهم عن شيوخ المؤلف للكتاب، وعن المادة التي استقاها من كل منهم وهل كانت هذه المادة مدونة في كتاب له؟ وما هو هذا الكتاب؟ أي أنها في حقيقة الأمر تعد كشفاً عن مراجع المؤلف ومصادره التي اعتمد عليها في تأليف كتابه، فهي كالمراجع التي يدونها المؤلف المعاصر في هوامشه، ويثبتها في آخر كتابه إلا أنها مدونة بطريقة أخرى تتفق وطريقة عصره.

ولا جدال في أن طريقة إثبات السند تعد بهذه المثابة طريقة علمية سليمة تماماً، تعطي كل ذي حق حقه، فهي تكشف عن المادة التي استقاها المؤلف من غيره، كما أنها في الوقت نفسه تكشف عن جهده هو في المواد التي أضافها من عنده ولم يستمدها من أحد.

وعلى هذا فإن كتاب المعافى الذي بين أيدينا بأسانيده التي قد تبعث الملل في نفس القارئ العادي، تعدّ من الوجهة العلمية أحق من كتاب المبرد باسم الكامل، وذلك بصرف النظر عما يمكن أن يقال من أن المبرد كان ثقة فلا يحتاج إلى إثبات سند ما يرويه، وذلك لأن هناك فرقاً بين مَنْ يسوق لك مادة لا تدري إن كان له فضل تأليفها أو لغيره، وبين مَن تدفعه الأمانة إلى إثبات أن هذا الجهد ليس جهده وحده بل شاركه فيه علماء آخـــرون.

ولقد أتاحت لنا طريقته هذه أن نقوم بدراسة مواد الكتاب، وسوف نتحدث بمشيئة الله — فيما يلي — عن أمرين:

الأول : المواد التي أسندها المعافى الى شيوخه.

الثاني : المواد التي أضافها من عنده، ولم يسندها.

المواد التي أسندها المعافى إلى شيوخه :

إن المواد التي أسندها المعافى بن زكريا إلى شيوخه في كتابه هذا شديدة التنوع ، فهي تتناول أول ما تتناول الأحاديث النبوية الشريفة التي يبدأ بها مجالسه ، وهي تبلغ مائة حديث بعدد المجالس التي تضمنها الكتاب . هذا غير ما يرد منها أثناء المجالس .

وبطبيعة الحال ، كان هناك نحو مائة راو لهذه الأحاديث من شيوخ المعافى ، وهم نحو مائة لأنه قلما كان يورد حديثين لراو واحد ، ولقد ذكرنا عدداً منهم ضمن شيوخ المعافى فيما سبق .

ويتضح لنا من طبيعة هذه الأحاديث أنها من أحاديث الفضائل التي تحض على خلال المروءة وخصال الخير ، في مجتمع كان الكثير من أفراده يعانون من قسوة الحياة ، ويتردون في مهاوي الفقر ، ولقد قمنا بضبطها وتخريجها من أمهات كتب الحديث ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً مما يراه القارئ مثبتاً في هوامش التحقيق .

وثمة ملاحظة جديرة بالنظر هنا ، وهي أن المعافى كان يثبت في روايته للأحاديث النبوية تاريخ سماعه للحديث فيقول مثلاً : حدثنا أحمد بن إسحاق بن بهلول إملاء في يوم الاثنين لخمس ليال بقين من شعبان سنة ست عشرة وثلثمائة قال ... الخ . وهذه التواريخ التي أثبتها تمتد من سنة ٣١٤ إلى ٣٢٩ هـ ، وقد استنتج من هذا الدكتور ألبرت ديتريش أن المؤلف استمد مادة كتابه مما حفظه أو تعلمه وهو صغير بين سن التاسعة وسن الرابعة والعشرين وهو استنتاج خاطئ من وجوه منها :

١ — أن النضج العلمي الذي يلمسه القارئ في مختلف المواد التي أوردها المؤلف لا يمكن أن يكون من استيعاب شاب في مثل هذه السن أو فهمـــه .

٢ ــ أن المعافى وهو يملي كتابه وهو في عشر التسعين لا يمكن أن يكون قد استبعد من ذاكرته كل ما عرفه في ذلك العمر الطويل واقتصر على ما عرفه حتى سن الرابعة والعشرين فحسب ، وكأن كل ما تعلمه أو سمعه بعد ذلك لا شيء فيه يستحق الاثبات .

٣ ــ أن الكتاب يحتوي على حادثة وقعت في عهد القادر بالله [١] ، وهذا الخليفة تولى من سنة ٣٨١ إلى ٤٢٢ هـ الأمر الذي يثبت خطأ ما زعمه ديتريش ويؤكد أنه لم يطلع إلا اطلاعاً سطحياً على أول كل مجلس في الكتاب وهو ما ورد فيه تاريخ رواية الحديث ، ولم يتعمق في داخل الكتاب ، وإلا لما زعم هذا الزعم .

وعن غير الحديث فإن المادة الرئيسية التي نقلها المعافى عن شيوخه مادة في معظمها **تاريخية أدبية** ، أي أنها مادة أدبية ذات إطار تاريخي قصصي ، وليست مادة مجردة كالوصف أو الحكمة مثلاً ، وهي مع ذلك لا تتعرض للوقائع التاريخية أو الأحداث السياسية فإذا ما وردت بعض الأخبار عن خليفة ما فلا بد أن يكون ذلك الخبر متعلقاً بطرفة حدثت بينه وبين أحد الأدباء أو قصيدة مدحه بها بعض الشعراء أو فائدة ذكرها في مجلسه بعض العلماء .

ثم تأتي بعد ذلك مجالس العلماء ومطارحات الأدباء ومسائل الفقهاء ونوادر القضاة ، وما كان يقع في مجالسهم من طرائف أو مفارقات .

ثم أحوال الزهاد والصوفية ومجاهداتهم الروحية وما قالوه من كلمات مأثورة أو أشعار .

ثم قصص العشاق وأحوالهم ومصارعهم .

---

(١) انظر المجلس الثامن والثلاثين من الكتاب .

كما تنال قصص الحمقى والمغفلين ، وأخبار عقلاء المجانين جانباً من الكتـــاب .

وهذه المادة الغزيزة التي ضمنها المعافى كتابه ، كانت مدونة في كتب مؤلفيها ، ولكن المعافى لم يأخذ من هذه الكتب بل سمعها سماعاً من مؤلفيها ، ولم يشر قط إلى كتبهم التي ضمنوها تلك المواد .

وسوف نقوم فيما يلي بذكر هؤلاء الشيوخ والتعريف بهم ، ثم المادة التي أخذها عنهم المؤلف محاولين معرفة مصدرها من بين مؤلفاتهم :

أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٥ ﻫ) :

ولد ببغداد ونشأ بها ، وكان إخبارياً أديباً ، كاتباً نديماً للخلفاء ، قال عنه الخطيب البغدادي : « كان أحد العلماء بفنون الآداب حسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء ، وكان واسع الرواية حسن الحفظ للآداب حاذقاً بتصنيف الكتب ووضع الأشياء منها مواضعها ، ونادم عدة من الخلفاء ، وصنع أخبارهم وسيرهم وجمع أشعارهم ، ودوّن أخبار من تقدم ومن تأخر من الشعراء والوزراء والكتاب والرؤساء » (١) .

وقد صنف الصولي كتباً كثيرة ، عد له ابن النديم وياقوت (٢) نحو ثلاثين مصنفاً منها ، معظمها في جمع دواوين الشعراء المحدثين وأخبارهم ، وبعضها في التاريخ والأخبار ، وأهم هذه الكتب كتابه : « الأوراق في أخبار آل العباس وأشعارهم » ، ومعظمه مفقود ، وقد وصل إلينا منه القسم الأخير ، وطبع بعنوان « أخبار الراضي والمتقي » (٣) وينتهي إلى سنة

---

(١) تاريخ بغداد ٤٢٧/٣ – ٤٣١ .
(٢) الفهرست ١٥٠ ، ١٥١ ، ومعجم الأدباء ١٣١/٣ ، ٣٢٠/٥ .
(٣) نشره هوارث دن ، لندن ١٩٣٥ .

سنة ٣٣٣ هـ ، حيث ينتهي آخر ما سطره من هذا الكتاب ، كما وصل إلينا منه كتاب « أخبار الشعراء » [١] ، وكتاب « أشعار أولاد الخلفاء » [٢] ، كما وصلت إلينا منه أقسام أخرى متنوعة ، تتعلق بأخبار إبراهيم بن المهدي وأخته علية وأشعارهما وأخبار ابن المعتز وأخبار الحلاج وأخبار أبان اللاحقي ، ومنه قطعة في لينغراد تتعلق بعصر المعتمد . وقطعة أخرى تتناول خلافة كل من المعتضد والمكتفي والمقتدر ، كما توجد منه قطعة في مكتبة الأزهر تحت رقم ٧٠٨٣ أدب تقع في ١٨٦ ورقة تبدأ من خلال سنة ٢٩٥ هـ إلى خلال سنة ٣١٨ هـ [٣] .

وله غير ذلك من الكتب : كتاب أخبار الوزراء . وأخبار القرامطة . وأخبار ابن هرمة ، وأخبار أبي تمام ، وأخبار أبي عمرو بن العلاء ، وأخبار إسحاق الموصلي ، وأخبار السيد الحميري الشاعر ، وأدب الكاتب . وكتاب الأنواع ، وكتاب العبادلة ، وكتاب الغرر ، وكتاب الورقة وغيرها [٤] .

ولقد روى المعافى عن الصولي في كتابه هنا عدداً من النصوص التاريخية والأدبية يبلغ الأربعين ، وهي تروي أخباراً عن الخلفاء والولاة والوزراء والأدباء والشعراء وغيرهم من العصرين الأموي والعباسي .

ويتضح من تلك النصوص أنها مروية من كتبه ، فقد عرف عن الصولي أنه لم يمل شيئاً من حفظه قط حتى هجاه بعض الشعراء بذلك [٥] ؛ ومن المقطوع به أن الأخبار التي رواها عن الخلفاء هي من كتاب « الأوراق

---

(١) نشره أيضاً هوارث دن ، لندن ١٩٣٦ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) أنظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٥٢/٣ ، ٥٣ .
(٤) الفهرست ١٥١ ، معجم الأدباء ١١١/١٩ – ١١٣ .
(٥) أنظر معجم الأدباء ٣٠٨/١٨ .

في أخبار آل العباس وأشعارهم » ، وهي تبدأ هنا بأخبار السفاح حتى المعتز أي أنها من القطعة التي لم تصل إلينا من الكتاب .

أما الأخبار الأخرى عن الشعراء والأدباء ، فلم نعثر على شيء منها في كتابه المطبوع باسم « أخبار الشعراء » الذي أشرنا إليه آنفاً ، والواقع أن ذلك الكتاب كان من حقه أن يسمى بأخبار الشعراء المحدثين لأنه يتضمن أخبار أولئك الذين عاصرهم الصولي منهم ، ولم يورد المعافى من أخبارهم شيئاً ، أما بقية الأخبار فهي من كتبه المفقودة التي يصعب القطع بنسبة الأخبار إليها .

ولنا تعقيب صغير بعد هذه الروايات الكثيرة التي رواها عن الصولي يجعلنا نتساءل : فيم اذن كان نقده للصولي وعدم إعجابه بمؤلفاته وهو يروى أو ينقل عنه تلك النقول ! أليس من المؤكد أن أخبار الصولي على درجة كبيرة من الأهمية والصحة بحيث لا يجد المؤلف مفراً من النقل عنه ؟ اللهم نعم ، وإلا لكان قد أضرب عن ذكر شيء من مروياته في كتابه هذا ، إلا أن يكون المؤلف قد قصد بنقده آنفاً أن ينقد طريقة تأليفه لكتبه ، وهو شيء لا أهمية له في جانب حرصه على جمع مادته وصحتها .

أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) [١] :

كان من أعلم الناس وأفضلهم في النحو والأدب وأكثرهم حفظاً للغة ، أخذ عن أبي العباس ثعلب ، وكان ثقة صدوقاً فاضلاً ديناً خيراً من أهل السنة حسن الطريقة ، وألف كتباً كثيرة في النحو وعلوم القرآن ، والحديث ، واللغة ، والنحو ، والأدب ، منها : كتاب الأضداد [٢] ، والزاهر في معاني كلمات الناس ، والألفات ، وشرح المفضليات [٣] ، وشرح

(١) ترجمته في تاريخ بغداد ١٨١/٣ – ١٨٦ ، الفهرست ٧٥ ، معجم الأدباء ٣٠٦/١٨ – ٣١٣ ، بغية الوعاة ٢٢٢/١ – ٢٢٤ ، نزهة الألباء ٣٦٤ .

(٢) نشر ثلاث مرات ، آخرها بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم في الكويت سنة ١٩٦١ .

(٣) نشره لايل في ليدن سنة ١٩٢٤ .

المعلقات [1] ، والأمالي [2] ، والأمثال .

وقد روى عنه المعافى كثيراً من أخبار الشعراء في الجاهلية والإسلام ، ثم أخبار الشعراء مع الخلفاء والولاة وذكر بعض أشعارهم ، وما قيل في نقدها ، وكذلك أخبار الشعراء والنحاة واللغويين ، وتخلل بعضها الشعر ، كما تتناول قصص المروءة والكرم ، في مختلف العصور حتى عصره ، ويبلغ عدد الأخبار التي رواها عنه أكثر من خمسين خبراً .

ويلاحظ على النصوص التي رواها المعافى عن ابن الأنباري أنها حوت قصصاً كثيرة عن بني أمية بعكس الصولي الذي أكثر من أخبار بني العباس ، وذلك لأن ابن الأنباري كانت معظم أخباره مستقاة من الكتب ، أما الصولي فقد كان مختصاً بعدد من الخلفاء العباسيين ونادم ثلاثة منهم كما ذكرنا ، ولهذا فقد اهتم بتسجيل ما سمعه أو شاهده بنفسه من أخبارهم .

كما يلاحظ أن فيها شيئاً من الترتيب في المعلومات والصنعة في التأليف كما في خبر الغضبان بن القبعثري مع الحجاج ، وقد أشرنا إلى ذلك في تحقيقنا لهذا الخبر في الكتاب .

وكذلك فإن فيها شيئاً من الإغراب كما في قصة سوار والأعمى وخبر مقتل عمرو ذي الكلب الهذلي .

أما المصدر الذي حوى هذه المعلومات من بين كتب ابن الأنباري ، فيحتمل أنه كتابه الأمالي المفقود ، ذلك لأنه ليس من بين كتب ابن الأنباري المطبوعة ما يحتوي على مثل هذه الطرائف ، فكلها في موضوعات

---

(١) لم يطبع هذا الشرح ، وتوجد منه أكثر من نسخة مخطوطة في استامبول ، انظر بروكلمان ٦٩/١ .

(٢) يذكر الأستاذ الزركلي أنه رأى قطعة من هذا الكتاب كانت محفوظة في المدرسة النظامية ، انظر الأعلام ٢٢٧/٧ .

محددة من النحو أو اللغة أو الشروح كما يتضح من عناوينها التي سبق أن أشرنا إليها .

يبقى بعد ذلك أن نذكر أن المعافى قد سجل حقيقة مشتهرة لدى العلماء عن ابن الأنباري [١] ، **وهي أنه كان رغم موهبته النادرة وذاكرته الواعية في الحفظ كان ينسى أحياناً ما يحفظ ، ولم يفت المعافى أن يصحح له ما بعض ما وقع فيه من سهو في أحد أخباره ، فهو يروى عنه أنه قال [٢] :**

إن هناك حروفاً فسرت في الحديث بما لا يعرف إلا فيه ومنها : « من اطلع في صير باب ففقئت عينه فهي هدر » ، ومنها « أن سالم بن عبدالله رأى رجلاً معه صير فذاق منه ، وقال : كيف تبيعه » ، فالصير الأول : للشق ، والثاني : الصحناة [٣] .... ألخ .

ويقول القاضي تعقيباً على ذلك : جعل أبو بكر بن الأنباري الصير مما لا يعرف تفسيره إلا في الحديث الذي جاء تفسيره فيه ، فذكر هذا أبو بكر على سعة حفظه وإتقانه وضبطه ، وكان يذهب عليه في الوقت بعد الوقت أشياء ظاهرة معلومة وينكرها مع اشتهارها ، على أننا لم نر فيمن يشار إليه بحفظ الآداب والروايات أحسن منه حفظاً ، ولكنه بَشَرٌ يجري عليه من السهو والنسيان ما لا يعرى عن مثله الإنسان ، والصير معروف مشهور ، فأما الصير الذي في حديث الاطلاع ففسر بأنه الشق فقد أصاب مفسره المعنى أوقاربه ، وأما الصحناة فتسميتها صيراً مما يعرفه أهل العلم ، وقد ذكره قوم من أهل الفقه وغيرهم وأصل الصير الذي بدأنا ذكره عندي الحد ، وقد جاء في الشعر بما يشهد بهذا ويدل عليه ، قال زهير :

وقد كنت من سلمى سنين ثمانيا على صير أمرٍ ما يُمِرُّ وما يحلو

(١) انظر نزهة الألباء ٢٧٤ .
(٢) انظر الجليس والأنيس ورقة ٢٤٨ أ .
(٣) الصحناة أو الصحناء بكسر الصاد وفتحها : إدام يتخذ من صغار السمك المملح .

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١ هـ) :

من أئمة اللغة والأدب ، مع شاعرية فريدة ، وكانوا يقولون عنه : ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء ، ولد بالبصرة في خلافة المعتصم سنة ٢٢٣هـ ، وأقام بعمان اثني عشر عاماً ثم عاد إلى بغداد ، وطلب علم النحو ، وأخذ عن أبي حاتم السجستاني وأبي الفضل الرياشي ، وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي .

ثم رحل إلى نواحي فارس فقلده آل ميكال ديوان فارس ، ومدحهم بقصيدته المقصورة ، ثم عاد إلى بغداد واتصل بالخليفة المقتدر فأجرى عليه خمسين ديناراً شهرياً .

وكان ابن دريد من أكابر علماء العربية ، مقدماً في اللغة وأنساب العرب وأشعارهم ، أخذ عنه أبو سعيد السيرافي ، وأبو عبيد الله المرزباني [١] .

وله من الكتب : الجمهرة في اللغة ، والاشتقاق ، والمجتني ، والملاحن ، والأنواء ، والوشاح ، وكلها مطبوعة عدا الأخير [٢] .

ومن الكتب المفقودة : الأمالي ، وزوار العرب ، والخيل الكبير ، والخيل الصغير ، والمقتنى وغير ذلك [٢] .

ولقد اشتهر ابن دريد بقصصه الضاربة في بطون القدم من أمثال أخبار ملوك العرب الأقدمين من اليمن ورؤساء قبائلهم ، كما اهتم بما روى عن الأعراب من الحكمة والشعر .

وقد روى عنه المعافى كثيراً من هذه الأخبار التاريخية والأدبية .

---

(١) انظر ترجمته في المحمدين من الشعراء ١٣٠ ، وإنباه الرواة ٩٢/٣ — ١٠٠ ، وبغية الوعاة ٧٦/١ — ٨١ ، وتاريخ بغداد ١٩٥/٢ — ١٩٧ . وطبقات المفسرين ١١٨/٢ ، ومعجم الأدباء ١٢٧/١٨ — ١٤٣ ، نزهة الألباء ٢٥٦ .

ويلاحظ على هذه الأخبار كما ذكرنا من قبل أن جزءاً منها عن ملوك اليمن الأقدمين الذين لم يحفظ لهم التاريخ شيئاً من أخبارهم ، وكان ابن دريد من أصل يمني ، فربما كان يريد أن يعلي من شأن هؤلاء بما أسبغ عليهم من بطولة وبما أنطقهم به من حكمة ، كما أنه من الملاحظ أن جزءاً كبيراً منها يتعلق بالعصر الأموي وبخاصة أخبار الحجاج بن يوسف الذي كانت شخصيته بما عرف عنها من قسوة وعنف مثاراً للكثير من الحكايات ، .

أما المصدر الذي نقل عنه هذه الأخبار من كتب ابن دريد،ورواها عنه المعافى فمن الصعب تحديده ، إذ لم ترد في شي من كتبه التي بين أيدينا إذ أن معظمها في اللغة والأنساب وهذا ما لم يهتم به المعافى في كتابه هنا ، ولقد عثرت على خبرين فحسب من أخبار الحجاج في مخطوطة صغيرة مجهولة المؤلف تسمى « أخبار أبي بكر بن دريد » [1] واضح فيها أنها جزء من كتاب كبير ، فربما كانت الأخبار الباقية منها أو من كتبه المفقودة وبخاصة كتاب الأمالي ، وربما كانت من الأخبار التي لم يضمنها كتبه .

ويميل الدكتور زكي مبارك إلى القول بأن ابن دريد كان يضع هذه الأخبار وبخاصة ما كان يتعلق منها بأخبار ملوك اليمن ومشايخ قبائلها الأقدمين ، وأنه لم يكن يمليها من حفظه ولم يكن يضمنها شيئاً من كتبه ، وينقل لتأكيد رأيه ما ذكره ياقوت نقلاً عن خط أبي علي المحسن التنوخي أنه سأل القاضي أبا سعيد السيرافي رحمه الله عن الأخبار التي يرويها عن ابن دريد ، وكنت أقرؤها عليه أكان يمليها من حفظه ؟ فقال : لا ، كانت تجمع من كتبه وغيرها ثم تقرأ عليه . وسألت أبا عبد الله محمد بن عمران المرزباني رحمه الله عن ذلك ، فقال : لم يكن يمليها من كتاب ولا حفظ ، ولكن كان يكتبها ثم يخرجها إلينا بخطه فإذا كتبناها خرق ما كانت فيه [2] .

---

(١) توجد نسخة منها مصورة بالميكروفيلم ، تحت رقم ٧ أدب في معهد المخطوطات .
(٢) النثر الفني في القرن الرابع ٢/٣٠٤ .

كما يستند في توهينه على روايته عن ابن الكلبي في كثير من أخباره ، ونحن نخالف الدكتور زكي مبارك فيما ذهب إليه ، فليس فيما ذكره كل من السيرافي والمرزباني دليل على أن ابن دريد كان يضع أخباره أو يختلقها ، فسواء أملى هذه الأخبار من حفظه أم أملاها من ورقات معه ثم خرّقها فليس يعني ذلك أنه اختلقها ، كما أن روايته عن ابن الكلبي ليست دليلاً على وضعه ، فابن الكلبي برغم ما اتّهمه به البعض من ضعف في أحاديثه ليس ضعيفاً كما يرى هذا البعض ، فقد كان الرجل محقاً ثبتاً وكان يحاول أن يعتمد في كتاباته التاريخية على النقوش الموجودة في الآثار القديمة . كما أثبت البحث الحديث صحة كثير من رواياته [١] .

أبو علي الحسين بن القاسم الكوكبي (ت ٣٢٧ هـ) :

وصفه الخطيب البغدادي بقوله : كان صاحب أخبار وآداب ، وما علمت من حاله إلاّ خيراً [٢] .

وقد ألف الكوكبي كتاباً كبيراً في الأخبار لم تبق منه إلاّ قطعة صغيرة في تسع ورقات في المكتبة الظاهرية في دمشق [٣] .

ونحن نرى المعافى هنا ينقل عنه كثيراً من الأخبار التي تتناول الخلفاء والأمراء ورجال الدولة ، كما تتناول الأدباء والشعراء واللغويين وحكاياتهم مع الخلفاء أو مع بعضهم البعض ، وقد تضمنت هذه الأخبار نماذج من الأشعار والأقوال البليغة مما يعكس اهتمام الكوكبي بصفة خاصة بالأخبار والآداب .

---

(١) انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣٠/٣ – ٣٣ .
(٢) تاريخ بغداد ٣١٦/٨ – ٣٢٢ .
(٣) انظر تاريخ التراث العربي لسزكين ٤٤٦/١ ، وقد ذكر أنها توجد في مجموع رقم ٤/١١٠ قسم ٩ .

هذا هو مجمل ما ساقه القاضي المعافى رواية عن الكوكبي ، ويتضح من الروايات أن الكوكبي كان له اهتمام كبير ومتنوع بأدب السمر ، ومن المحتمل أن تكون كل تلك القصص مضمنة في كتابه « الأخبار » الذين أشرنا إليه ، أو أن تكون له عدة كتب يتضمن كلاً منها نوعاً من القصص كأخبار الشعراء أو أخبار العشاق مثلاً ، وهذا ما لم يذكره المؤرخون ، الذين لم يوجهوا عناية خاصة إلى هذا الرجل ، ومن المؤكد أن ما نقله المعافى عنه هو أكبر مجموعة من الأخبار المروية عنه في أي مصدر أدبي أو تاريخي .

أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد المقرئ (ت ٣٥١ هـ) :

ذكره الخطيب البغدادي بقوله : « صاحب التصانيف في التفسير والقراءات ، روى عن أبي مسلم الكجي وطائفة ، وقرأ على أصحاب ابن ذكوان والبزي ، ورحل ما بين مصر وما وراء النهر ، وعاش خمسا وثمانين سنة » [١] .

وكانت للمقري عناية بالأدب ، حيث صنف فيه كتاب « الحمقى والحماقة » .

وقد روى عنه المعافى كثيراً من الأخبار التي تتعلق بأخبار القضاة وأقوالهم وطرائفهم ، ومن المحتمل أن يكون للمقري كتاب في أخبارهم ، ولكن لم يذكره المؤرخون .

أبو النضر العقيلي :

أحمد بن إبراهيم بن إسحاق بن سعيد بن الحارث العقيلي ، قال عنه الخطيب البغدادي أنه روى عن حماد بن إسحاق الموصلي ، ومحمد بن زكريا الغلابي ، ويعقوب بن نعيم الكاتب ، ومحمد بن إسحاق بن راهويه ، ثم

---

(١) تاريخ بغداد ٢/٦٤ .

قال : روى عنه المعافى .

وهذه المعلومات القليلة التي ساقها الخطيب عن العقيلي مأخوذة من تتبع الخطيب للمرويات التي ساقها المعافى هنا في كتابه الجليس عن العقيلي ، وذكر العقيلي للشيوخ التي رواها عنهم لا غير ، فلم يضف الخطيب شيئاً آخر من عنده للتعريف به .

هذا وقد روى عنه المعافى عدداً لا بأس به من الأخبار التاريخية والطرائف الأدبية من عهد الخلفاء الراشدين ومن العصرين الأموي والعباسي ، وعدداً من أخبار الولاة والقضاة .

محمد بن مزيد الخزاعي :

أبو بكر النحوي الإخباري ، المعروف بابن أبي الأزهر ، أخذ عن الزبير ابن بكار ، وكان كاتب أبي العباس المبرد ، واشتهر بأنه من غلاة الشيعة ، ولذا فقد قيل إنه يروي كثيراً من الأخبار المنكرة (١) .

ولم يبق من كتب ابن الأزهر إلاّ كتاب أخبار عقلاء المجانين (٢) .

وقد روى عنه المعافى عدداً من الأخبار الطريفة عن الخلفاء والأدباء والعلماء ، وتبدو في بعضها مسحة من التشيع .

زكريا بن يحيى النهرواني المعروف بابن طرارة :

والد المؤلف ، وقد سبق التعريف به في أسطر قليلة لا تتعدى ذكر من روى عنهم ومن رووا عنه (٣) ، والواقع أنه كان يمكن ألا نعرف عنه شيئاً

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/٤ .
(٢) انظر تاريخ بغداد ٢٨٨/٣ ، بغية الوعاه ١٠٤ .
(٣) توجد منه نسخة في مكتبة الاسكوريال برقم ٤٨٢ .
(٤) انظر صفحة ٢٤ فيما سبق .

قط لولا معرفتنا بولده ، صاحب هذا الكتاب . وقد روى المعافى عن والده عدداً من الأخبار التي يغلب عليها الطابع التهذيبي والحض على مكارم الأخلاق ، كما أنها تتضمن بعض الأخبار الأدبية ، وها نحن نجملها هنا فيما يلي :

حديث رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله بقوم خيراً أكثر فقهاءهم وقلل جهالهم .

الرسول ﷺ يشتري سراويل من السوق ، وأدبه في الشراء ، وتعليق المؤلف على ذلك .

عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يشتري أعراض المسلمين من الفرزدق حين كان والياً على المدينة .

الفضيل بن عياض يقول : لو أن لي دعوة مستجابة لدعوت بها للإمام ، فإن في صلاحه صلاح الدنيا .

أبيات من الشعر الحكيم مكتوبة على شاهد قبر .

بيتان من الشعر الحكيم في التعفف وعدم بذل الوجوه في طلب الفضل من القوت .

أبيات عليّ بن الجهم التي أولها : لعمرك ماكل التعطل ضائراً .

بيت شعر في ختام مجلس .

غار ينطبق على تسعة إخوة وما قالته أمهم من الشعر في رثائهم .

ومن الأخبار الطريفة والأدبية :

رجل شرب نبيذاً ولا يدري أطلق امرأته أم لا ، وآراء الفقهاء في ذلك .

من جود خالد بن عبد الله القسري وأدبه .

كتب رجل إلى يحيى بن خالد في حاجة فمطله إياها ، فأرسل إليه بيتي شعر فقضاها له .

خبر غريب عن وفاة ليلى الأخيلية .

حديث الشعبي وخروجه مع ابن الأشعث ، وتخلصه من الحجاج .

خبر وضاح اليمن .

أحمد بن العباس العسكري :

حدث عن عبد الله بن الحسن الهاشمي ، وأحمد بن الهيثم بن خالد البزاز ، وجعفر الصائغ ، وروى عنه أبو حفص عمر بن شاهين وأبو القاسم بن الثلاج وعبد الله بن عثمان الصفار [1] .

وقد احتفظ لنا المعافى بعدد من الأخبار التي رواها عنه ، وهي تمتاز بالطرافة والغرابة في بعض الأحيان ، ونحن نوجز بعضها فيما يلي :

حزن موسى عليه السلام في أن يخلفه على بني إسرائيل يوشع بن نون .

نص وصية أبي بكر رضي الله عنه بعهده إلى عمر بن الخطاب .

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعرف حق خالد بن الوليد ويعلنه في وفد من بني مخزوم .

محمد بن الحنفية يقف على قبر أخيه الحسن بن علي ويرثيه .

أبو الدرداء رضي الله عنه يسأل : هل قال شعراً قط ، فيقول بيتين ، ثم يقول : ليس الشعر من شأني .

ومن العصر الأموي والعباسي :

عبد الله بن جعفر يستمع للغناء ، فيحضره معاوية فلا يرى بذلك بأساً .

---

(١) تاريخ بغداد ٤/٣٣٠ .

هشام بن عبد الملك يعزل إبراهيم بن هشام المخزومي عن الحجاز، ورجل في مجلسه يسري عنه فيعطيه جائزة .

الحجاج يولي اعرابياً فينكسر عليه خراجه والمحاورة التي دارت بينهما.

كان أبو العباس السفاح يعجبه السمر ، وصف كامل لأحد مجالس سمره مع مجموعة من أهل اليمن .

خطبة فريدة للمنصور في يوم عرفة يصف فيها نفسه بالنسبة للرعية .

المنصور وأبو دلامة .

إسماعيل بن صالح بن علي يغري الرشيد بجعل ولاية العهد لأولاده الثلاثة الأمين ثم المأمون ثم القاسم فترسل إليه أم القاسم بعشرة آلاف درهم.

كان الرشيد يحب الوحدة فإذا ركب حماره عَادَلَهُ الفضل بن الربيع والأصمعي يسير قريباً منه بحيث يحادثه ، وإسحاق الموصلي يسير على دابة قريباً من الفضل ، وكان الأصمعي لا يحادث الرشيد شيئاً إلا سُرَّ به وأضحكه ، فحسده إسحاق وقال : أصيمع باهلي يستطيل .

عبيد الله بن محمد بن جعفر الأزدي :

ذكره الخطيب البغدادي بقوله : حدث عن محمد بن الجهم السمري كتاب معاني القرآن كما روى عن مسلم بن عيسى الصفـــار وأبي بكر بن أبي الدنيا ، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة ، قال : وحدثنا عنه أبو الحسن ابن رزقويه وذكر أنه سمع منه في سنة ٣٤٤ (١) .

ولقد روى عنه المعافى جملة من الأخبار معظمها في الزهد والرقائق ، إذ أن الأزدي رواها عن أبي بكر بن أبي الدنيا صاحب المؤلفات الكثيرة فيهما ، وها نحن نورد مجملاً لها فيما يأتي :

---

(١) تاريخ بغداد ١١٢/٦ .

خبر عن الإسكندر يمر على قرية ملكها سبعة من الملوك وبادوا ، ويجد من نسلهم واحداً يجلس في المقابر فيحاول أن يغريه بالعودة إلى الملك ولكنه يستهزي به وينصحه .

وخبر عنه وهو يفتح إحدى المدن فيعظه أحد أهلها فيستخلفه .

وخبر عنه وأحد الملوك يعظه بما رأى في الدنيا من تجارب وأعاجيب .

ثم عدد من خطب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه :

منها خطبة فيمن السابق اليوم وشرح غريبها .

وخطبة يعظ الناس فيها وهو يخُنَاصِره .

ثم وهو يرد المظالم فلا يعجب ذلك عبد الرحمن بن الحكم إبن هشام فيلاحيه فيرد عليه بعض ولد مروان .

محمد بن مخلد بن حفص العطار :

أبو عبد الله الدوري العطار ، كان أحد أهل الفهم موثوقاً به في العلم متسع الرواية ، مشهوراً بالديانة ، موصوفاً بالأمانة ، مذكوراً بالعبادة ، سمع أبا السائب سلم بن جنادة ويعقوب الدورقي والزبير بن بكار وسلم بن الحجاج وخلقا كثيراً نحوهم ، روى عنه أبو العباس بن عقدة ومحمد بن الحسن الآجري وإبن الجعابي وإبن حيويه والدارقطني والمرزباني ومن في طبقتهم وبعدهم ، وتوفي عن ثمانية وتسعين عاماً (١) .

ولقد روى عنه المعافى ، واختار مما رواه عنه عدداً من الأخبار التاريخية وأخبار العلماء والقضاة وأخبار العشاق ، وتتسم هذه الأخبار بالصفة التعليمية التهذيبية ، ونحن نورد بفصل فيما يلي :

---

(١) تاريخ بغداد ٢/٤٤ .

خبر حلف الفضول بتمامه .

خبر مقدم وكيع بن خلف وعبد الله بن إدريس وحفص بن غياث علي الرشيد وعرضه القضاء ، ورفض الأولان وقبول ابن غياث وما حدث من المناقشة بينهم بعد خروجهم .

نزاهة حفص بن غياث في القضاء .

المأمون يسأل محمد بن الحسن عن علة خلق الذباب فيقول : إنه لذلة الملوك .

المأمون يختبر الشافعي في كل شيء فيجده كاملاً ، فيختبره في شرب النبيذ فيشرب عشرين رطلاً ولا يتأثر ، وشك المؤلف في ذلك .

بعض ما كان يمتاز به الشيوخ من الزهد ، إسماعيل الديلمي اشتهى حلوى فمنع نفسه من تناولها ، وكان يذاكر بسبعين ألف حديث .

موكب زفاف عروس يمرّ بسعيد بن جبير ، فتداعبه مغنية ببيتي شعر .

حديث مؤرق العابد ومرور رجلين على صومعته فأكرمهما وطالبهما بألا يفشيا له سراً ، فكتم أحدهما وأفشى الآخر ، وما لقيه في ذلك من جزاء.

الحسن بن أحمد بن محمد بن سعيد الكلبي :

لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من مراجع .

وقد روى عنه المعافى عدداً من الأخبار معظمها عن العصر الأموي ، مما يرجح أن الكلبي كان له مؤلف عن هذا العصر ، وها نحن نورد مجملها فيما يلي :

علي رضي الله عنه يسأله أحد جنوده عن خروجهم إلى صِفّين وهل كان بقضاء الله ؟ وإجابته عنه .

كلمات حكيمة له رضي الله عنه .

الحسن بن علي رضي الله عنهما يكتب إلى زياد في أمر سعيد بن سرج مولى بن حبيب بن عبد شمس فير د رداً قبيحاً ، فيكتب إلى معاوية الذي يرسل إلى زياد بقضاء حاجة الحسن على الفور والإعتذار إليه .

عمرو بن العاص يحتجن خراج مصرَ ، فيعزله معاوية ويولي الأعور السلمي مكانه ، فيذهب إلى مصر فيسرق عمراً كتابه .

ابراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي (نفطويه) [1] :

كان عالماً بالحديث والعربية ، أخذ عن أبي العباس ثعلب وأبي العباس المبرد وسمع من محمد بن الجهم وأصحاب المدائني ، وصنف كتباً كثيرة منها : غريب القرآن ، والرد على الجهمية ، وكتاب التاريخ ، ومسألة سبحان وغير ذلك ، وكان ثقة ، توفي سنة ٣٢٣هـ .

وقد روى عنه المعافى عدداً من الأخبار ، معظمها من الأخبار الأدبية، وبعضه تاريخي طريف ، وهذا هو مجمل تلك الأخبار :

فمن الأخبار التاريخية :

ما حدث في حصار عثمان بينه وبين عليّ ، ثم بينه وبين ابن عباس رضي الله عنهم .

الحجاج بن يوسف يسأل رجلاً : أخارجي أنت ؟ ورد الرجل عليه بما جعله يطلق سراحه .

---

(١) انظر ترجمته في انباه الرواة ١/١٧٦ – ١٨٢ ، وبغية الرعاة ١/٤٢٨ ، طبقات القراء ١/٢٥ ، الفلاكة والمفلوكين ٩٥ ، معجم الأدباء ١/٢٥٤ ، نزهة الألباء ٣٦٠ ، نفطويه النحوي وآراؤه في التاريخ لأكرم العمري .

وخبر عن قتلَ المنصور لأبي مسلم الخراساني تفصيلاً .

ومن الأخبار الأدبية :

أبو جعفر المنصور ينصح ابنه المهدي بألا يجلس مجلساً إلاّ وفيه عالم يحدثه .

أبيات غزلية لإبراهيم بن المهدي ونفطويه ومحمد بن داود كلها في معنى هجر الحبيب وصدوده .

لم امتنع نصيب عن الهجاء في شعره ؟

اعتراف جرير بأفضلية الأخطل عليه في إحدى القصائد .

ابن أبي ربيعة يذهب إلى بثينة بدلاً من جميل فتصده .

عمارة بن عقيل يستمع إلى إحدى قصائد جده جرير في مهاجاة الفرزدق فيطرب ويقول : أكله كله .

عبد الباقي بن قانع :

أبو الحسين الحافظ ، طاف بالبلاد وكان يجمع الأحاديث ويمليها ، سمع من الحارث بن أبي أسامة وإبراهيم بن الهيثم البلدي وطبقتهما وصنف التصانيف وقال الدارقطني — وكان من تلاميذه — كان يخطيء أحياناً ويصر على خطئه ، وقد وثقه جماعة ، وتوفي عن ست وثمانين سنة عام ٣٥١هـ(١) ولم يبق من مؤلفاته إلاّ كتاب معجم الصحابة (٢) .

ولقد روى عنه المعافى عدداً من الأخبار المتنوعة والطرائف الأدبية ، مما يدل على أن ابن قانع كان له اهتمام بالأدب أيضاً ويحتمل أن له فيه بعض

---

(١) تاريخ بغداد ١١/٨٨ ، شذرات الذهب ٣/٨ .
(٢) تاريخ الأدب العربي ٣/٢٢٤ .

المصنفات التي لم تصل إلينا ، ونحن نورد فيما يلي مجملاً لما نقله عنه المعافى .

سعيد بن المسيب يقول عن عبد الملك بن مروان : لا تملئوا أعينكم من أئمة الجور ولا من أعوانهم إلاّ بإنكار قلوبكم كيلا تحبط أعمالكم الصالحة .

أبيات تمثل بها ابن الزبير منصرفه يوم الجمل .

المأمون يخرج ليلاً ليتفقد المطبق ، وعلى غير المعتاد لم يخرج معه أحد من الجند أو الحاشية فيلحق به نديم يسمى كلب الجنة وما دار بينهما .

محمد بن حفص الأنماطي يذكر أنه تغدى مع المأمون هو وجماعة فقدم ثلاثون لوناً من الطعام ، فكان يذكر مزايا كل صنف ومضاره فقال يحيى ابن أكثم كلمة سر بها المأمون .

المأمون كان يُسَيِّر أوانيه بالقطن ؟ ولا يسير هـــا بالذهب أو الفضة

علي بن الجهم ينظم العشرة المبشرين بالجنة شعراً حين سأله المتوكل عنهم ، وتعليق المؤلف على ذلك .

الأصمعي يضل الطريق في البادية فيصادف أعرابية فقدت ولدها فيحفظ ما قالت في ذلك .

يزداد بن عبد الرحمن بن يزداد المروزي :

أبو محمد الكاتب ، سمع أبا سعيد الأشبج ، ومحمد بن المثني العنزي روى عنه الدارقطني وابن شاهين ويوسف القواس أنه من جملة شيوخه الثقات [1] .

وقد روى عنه المعافى عدداً من الأخبار الطريفة نلخصها فيما يلي :

---

(١) انظر تاريخ بغداد ٣٥٥/١٤ .

قول الرسول صلوات الله عليه : « ما أحد من فرسان العرب كنت أحب أن أراه ما خلا عنترة » .

شعر يزعم صاحبه أن عنترة فقئت عينه ، ورد أحد بني عبس على ذلك، وبعض ما ورد في عنترة من آثار .

أتى شاعر النبي ﷺ فمدحه ، فقال : اقطعوا عني لسانه .

سئل الأعمش عن حديث فامتنع منه ، فما زالوا به حتّى استخرجوه منه ، فضرب مثلاً بالقفاف الذي يسرق الدراهم بين يديه وهو يزنها .

خبر معاوية حين تلقى عمر رضي الله عنهما في موكب ثقيل في زيارته للشام .

المغيرة بن شعبة يزيد في عطاء أحد الجند ، لأن أباه كان له صديقاً .

عمر بن الحسن الشيباني (ت ٣٣٩ هـ) :

أبو الحسين المعروف بابن الأشناني ، كان يتولى القضاء بنواحي الشام ، ثم وليه ببغداد ثلاثة أيام فحسب ، وكان رجلاً من جلة الناس ، ومن أصحاب الحديث المعدودين ، وأحد الحفاظ له ، حسن المذاكرة بالأخبار[1] .

وقد روى عنه المعافى عدداً من الأخبار التي يغلب عليها طابع الزهد والعظة والرقائق ، وهذا مجمل لبعضها :

علي بن الحسين يقول : إني لأستحيي من الله عز وجل أن أدعو لأحد من إخواني بالجنة ثم أبخل عليه بالدنيا .

كلمة حكيمة عن الزهاد وإلى أي شي يفضي بهم الزهد .

قصة طويلة في امرأة أضرت من عدد من الناس ، وحدث أن وليت

(١) تاريخ بغداد ١١/٢٣٦ – ٢٣٩ :

الملك ، فماذا فعلت بمن أضروا بها .

وفد من الكوفة يفد على معن حين ولى أذربيجان ، وما دار بينه وبينهم ، ثم إكرامه لهم .

محمد بن أحمد الحكيمي (ت ٣٣٦ هـ) :

أبو عبد الله الكاتب ، أصله من بلخ ومنزله في درب الأعراب ببغداد ، سمع زكريا بن يحيى بن أسد المرزوي ، ومحمد بن عبد النور المقري ، ومحمد ابن إسحاق الصاغاني ، والعباس بن محمد الدوري ، وأحمد بن أبي خيثمة وغيرهم من هذه الطبقة ، سئل أبو بكر البرقاني عنه ، فقال : ثقة إلاّ أنه يروي مناكير ، قال الخطيب البغدادي : وقد اعتبرت حديثه فقلما رأيت فيه منكراً (١) .

وقد روى عنه المعافى عدداً من الأخبار التي يغلب عليها الطابع الأدبي والشعري وها نحن نورد بعضها فيما يلي .

الفرزدق يستمع إلى أبيات للفضل بن العباس اللهبي فتعجبه ويعقب عليها.

نجابة الفتح بن خاقان وهو صبي أمام المعتصم .

أبيات متفاضلة في المدح لعدد من الشعراء .

ينشد المؤلف بعض أبيات لأبي تمام ، وخبر للمؤلف مع أحد الرؤساء بسبب هذه الأبيات .

عبد الله بن منصور الحارثي :

لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من مراجع .

وقد نقل القاضي رواية عنه بعض النوادر والحكايات الطريفة من عدد

---

(١) تاريخ بغداد ٢/٢١٢ .

ن الأدباء والشعراء والظرفاء ، نورد مجملها فيما يلي :

رؤبة بن العجاج يذهب إلى النسابة البكري فيحدثه هذا عن آفة المروءة وأعداء العلم .

صالح بن حسان يسأل الشعراء في مجلسه عن أحسن ما قيل في امرأة خفرة ، وما قيل في الثريا ، ثم يذكر لهم أحسن ما قيل فيهما .

أبو حرملة الحلاق يحفظ من الشعر ما لا يحفظه سليمان بن وهب .

ابن أبي فنن يعتذر لأبي دلف عن عدم استطاعته الخروج إلى القتال بأبيات من الشعر فيعطيه فيها خمسمائة دينار .

اسماعيل بن يونس بن أبي اليسع (ت ٣٢٣ هـ) :

أبو إسحاق السبيعي ، ذكره الخطيب البغدادي بقوله : حدث عن إسحاق ابن أبي إسرائيل ، وعمرو بن علي الفلاس ، وعباس بن يزيد البحراني ، وأبي الفضل الرياشي ، وعمر بن شبة النميري ، روى عنه أبو طاهر بن أبي هاشم المقرئ ، والقاضي أبو الحسن الجراحي ، والدارقطني ، وابن الثلاج ، وكان ينزل دكان الأبناء ببغداد (١) .

ولقد روى عنه المعافى عدداً قليلاً من الأخبار مروية كلها عن الزبير ابن بكار ، وتتعلق بعصر بني أمية والزبيريين ، ومجملها كما يلي :

مصعب بن الزبير يتمثل ببيتي شعر عند هزيمته ، وخبر هذه الهزيمة .

زبيري يوقع ببعض الهاشميين عند الرشيد .

يزيد بن المهلب وكرمه .

---

(١) تاريخ بغداد ٦/٢٩٩ .

الحجاج يكتب إلى الوليد بن عبد الملك يبين فيها حجته بعسفه بآل المهلب، فيوافقه على رأيه .

أحمد بن كامل بن خلف الشجري (ت ٣٥٠ هـ) :

أبو بكر القاضي ، أحد أصحاب محمد بن جرير الطبري ، تقلد قضاء الكوفة من قبل أبي عمر محمد بن يوسف ، وكان من العلماء بالأحكام وعلوم القرآن والنحو الشعر وأيام الناس وتواريخ أصحاب الحديث ، وله مصنفات في أكثر ذلك ، قال منه ابن رزقويه : لم تر عيناي مثله [١] .

ولم يبق من كتب ابن كامل الاّ كتابه : أخبار القضاة الشعراء [٢]

ولقد كان أحمد بن كامل صديقاً للمعافى ويشترك معه في التمذهب بمذهب الجريري ، وقد روى عنه هنا عدة أخبار قليلة نورد مجملاً لها فيما يأتي :

قصة رمزية في أن العدل يعمر الممالك والجور يخربها ، فقد كان كسرى يمر على خباء امرأة فطلب منها أن تسقيه فقامت فحلبت بقرتها فدرت لبناً كثيراً فحدثته نفسه أن يفرض ضريبة على اللبن فجف ضرع البقرة .

خبر يزيد بن معاوية حين وصله قول ابن الزبير فيه : يزيد القرود ، شارب الخمر ، فجهز عشرين ألفاً لمحاربته .

أبو العيناء يذهب إلى أبي داود الحربي ليحدثه ، فيختبره وحين يجده كما ينبغي يقول له : لو حدثت أحداً لحدثتك .

أبيات لإبراهيم بن المهدي ، أولها :

---

(١) تاريخ بغداد ٤/٣٥٧ - ٣٥٩ .
(٢) تاريخ الأدب العربي ٣/٧٥ .

أنـــت امرؤ متجـــــن ولســــت بالغضبـــان

وما ورد في هذا المعنى من الشعر .

علي بن محمد بن الجهم (ت ٣٢٧ هـ) :

أبو طالب الكاتب ، سمع أبا موسى محمد بن المثني ، والحسن بن عرفة ، وعلي بن حرب ، وعباس بن عبد الله الترقفي ، وأحمد بن يحيى النرسي ، روى عنه محمد بن المعافر ، والدارقطني ، وابن شاهين ، ويوسف القواس وغيرهم ، وكان ثقة [(١)] .

وقد روى المعافى عنه عدداً لا بأس به من الأخبار السياسية والاجتماعية ، نورد مجملها فيما يلي :

عمر رضي الله عنه يعزل عدي بن نضلة وهو الوالي الوحيد من عشيرته لقوله شعراً في الخمر .

مناظرة ابن عباس للحرورية وإقناعه كثيراً منهم .

أحمد بن جعفر بن موسى (جحظة البرمكي) :

الأديب الإخباري ، صاحب الغناء والألحان والنوادر ، وكان فاضلاً صاحب فنون وأخبار وطرائف ، وكان من ظرفاء عصره ، وهو من ذرية البرامكة ، وله الكثير من الأشعار الرائقة ، توفي سنة ٣٢٤هـ [(٢)] .

وقد روى عنه المعافى ثلاثة أخبار ، أحدهما أدبي طريف ، والآخــران سيقا مساق العظة وهذا مجملها :

خالد الكاتب يطلب من علي بن الجهم أن يهب له بيت شعر .

---

(١) تاريخ بغداد ٧١/١٠ .

(٢) انظر شذرات الذهب ٣٠١/٣ ، تاريخ بغداد ٦٥/٤ — ٦٩ .

لما مات المعتضد كفن بثوبي قوهي قيمتهما ستة عشر قيراطاً .

جرد شعيب بن عجيف رجلاً ليضربه فبال من الخوف ، ثم دارت الأيام فبال الرجل على قبره ، وهو لا يدري .

* * *

وإلى جانب هؤلاء الشيوخ الذين روى عنهم المعافى عدداً قل أو كثر من الأخبار ، وتكلمنا عنهم تفصيلاً ، فثمة عدد كبير جداً من الشيوخ روى عنهم المعافى في كتابه هذا خبراً أو خبرين ، وكان بعضهم من مشاهير العلماء كمحمد بن الواحد الزاهد أبي عمر غلام ثعلب ، والحسين بن أحمد بن خالويه ، وهو ينعته بصديقنا ، وأبي جعفر أحمد بن إسحاق بن بهلول الأنباري ، والحسين بن المرزبان النحوي ، والحسين بن إسماعيل المحاملي ، وأحمد بن جعفر بن محمد الخواص .. وغيرهم .

أما غير المشاهير فهم عدد كثير جداً يطول بنا الأمر لو ذكرناهم في هذه الصفحات .

على أنه في كل الأحوال استخلص من كل ما رواه عنهم أحسن ما سمعه منهم ، وما كان يمتاز به كل واحد في فنه من تاريخ أو أدب أو فن أو علم ، وقام بتسجيله في كتابه مما يمكن أن يراه القارئ في كل صفحة من صفحاته .

المواد التي أضافها المعافى إلى مروياته :

لم يقتصر القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا في تأليف كتابه على تلك المادة الإخبارية التي ساقها عن شيوخه والتي أشرنا إلى مجملها فيما سبق ، بل أضاف إلى تلك المادة الغزيرة جهداً آخر يرتكز عليها ، وهو يتمثل في إضافات وتعليقات وتحقيقات على معظم تلك الأخبار ، وهذه الإضافات تتناول مختلف الفنون من تفسير وقراءات وحديث ومصطلح وفقه ، وذكر لأحوال اجتماعية وسياسية ، وإن امتازت أغلبيتها الساحقة بميزة غالبة هي

الاعتناء بالشرح اللغوي والإعراب والبلاغة والنقد .

وإن لدينا ــ كما نعلم ــ كتابين شهيرين في أدب السمر هما « الكامل لأبي العباس المبرد » ، « وكتاب الأمالي لأبي علي القالي » ، وهما من نفس نمط كتاب المعافى ، وإذا كان ابن حزم قد لخص مميزاتهما في عبارته الشهيرة : « كتاب نوادر أبي علي مبار لكتاب الكامل الذي جمعه المبرد ، ولئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخبراً ، فإن كتاب أبي علي أكثر لغة وشعراً » فإنه يمكننا أن نقول بعد عبارة ابن حزم إن كتاب أبي الفرج المعافى يجمع مميزاتهما معاً ، فهو يجمع بين دفتيه نحواً وأخباراً ، ولغة وشعراً بما يربو عليهما معاً ، ويبدو ذلك واضحاً من حيث الكم فهو أربعة أجزاء بها مائة مجلس طوال ثم هو يبدو واضحاً كذلك من حيث الكيف إذ نرى المؤلف يفيض فيضاً في شرح مسائل كتابه والاستطراد منها إلى مسائل أخرى تتعلق بها وتتفرع منها وتتم بها الفائدة ، ولنر مثلاً يوضح ما نقول من بين تعليقاته على بعض الأخبار ، يقول المعافى (١) :

حدثنا محمد بن مخلد بن حفص العطار ، قال : حدثنا حامد بن محمد بن الحكم بن عبد الرحمن أبو محمد ، قال : حدثنا كردان ، قال : قال لي إسماعيل الديلمي : اشتهيت حلوى وأبلغت شهوتها إلى ، فخرجت من المسجد بالليل لأبول فإذا جنبتي الطريق أخاوين حلوى فناديت : يا إسماعيل! هذا الذي اشتهيت وإن تركته خير لك ، فتركته .

قال ابن مخلد : وقد كتبت أنا عن كردان ، كان يكون في قنطرة بني زريق ، وقد رأيت إسماعيل الديلمي فكان ما شئت من رجل .

* التعليق على الخبر *

قال القاضي : إسماعيل الديلمي هذا من خيار المسلمين ، وحدثني بعض

(١) المجلس الثاني والسبعون ، ورقة ١٨٤ أ .

شيوخنا من أهل العلم أنه كان حافظاً للحديث كثير السماع ، وأنه كان يذاكر بسبعين ألف حديث .

قال القاضي رحمه الله : أخاوين حلوى ، يقال لما يجعل عليه الطعام قبل وضعه : خوان ، فإذا جعل الطعام عليه فهو مائدة ، فإذا رفع الطعام عنه عاد إلى تسميته خواناً .

وزعم بعضهم أن المائدة إنما تسمى بهذا الاسم إذا خف ما عليها من الطعام لأنها حينئذ تميد ، وزعم الفراء أنه بمنزلة المهدي رجع إذا كان فارغاً إلى اسمه الأول فيقال طبق ومتاع ، ومثله عنده الكأس ، تسمى كأساً إذا كان فيها الشراب ، فإذا أخذت منه رجعت إلى اسمها .

وقال بعض أهل اللغة : الخوان بالكسر : كلام العرب ، وهو خوان بالضم باللسان الفارسي ، ويروي لنا عن الفراء : الكسر والضم في الخوان من كلام العرب ، وجمعه أخاوين مثل سوار وأساوير ، ويجمع السوار أيضاً : أسورة وأساور وأساورة ، والهاء في أساورة عوض من الياء في أساوير ، وذكر نحو هذا عن سيبويه في زنديق وزنادقة وفرزان وفرازنة .

وقال الأخفش في قوله : ﴿فلولا ألقي عليه﴾ : أساورة — لأنه جمع السوار — وأسورة . قال : وقال بعضهم : أساورة ، فجعله جمعاً للأسورة فأراد أساوير — والله أعلم — يجعل الهاء عوضاً عن الياء التي في أساوير .

قال القاضي : وقد قال الله جل ذكره : ﴿وحلوا أساور من فضة﴾ ، وقال تعالى : ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ فأتى الجمع ها هنا على أساور .

وحكى ثعلب أن الفراء قال : أسورة جمع سوار ، وسوار الذي في اليد يضم ويكسر بلا ألف وجمعه أسورة ، ويجوز أن يكون أساورة جمع أسورة ، كما قيل في الأسقية أساق ، والأسوار والأسوار : الرامي ، وقد

قيل في سوار اليد أنه يجوز فيه أسوار وأسوار ، فيجوز على هذه اللغة أن تكون أساورة جمعه .

وقال الفراء في كتابه في المعاني : من قرأ أساورة جعل واحدها أسوار ، ومن قرأ أسورة فواحدها سوار ، وقد تكون الأساورة جمع أسورة ، كما يقال في جمع الأسقية : الأساقي ، وفي جمع الأكرع : الأكارع .

وقال بعض من شاهدناه من شيوخنا من النحويين في واحد أساور لغتان : ضم السين وكسرها ، وهو على القياس ، لأن جمع فعال وفعال : أفعلة ، فأما السوار بمعنى السوار وليس بصحيح في القياس فإن كانت لغة فهي شاذة ، ولا يكون جمعه أسورة ، لأن أفعالا لا تجمع على أفعلة ، وإنما الأسوار على أفعال فارسية معربة وهواسم الفارس بالفارسية وليس اسم الرامي كما زعم الفراء ، وجمعه أساوير وأساور بلا ياء ، وأساورة بالهاء عوضاً من الياء وليست أساورة مثل أساق لأن أساق لا هاء فيها فهي مثل أساور .

قال القاضي : وهذا القول أشبه القولين عندي بالصواب .

وهكذا نرى الاستطراد من شرح ومعنى الخوان والمائدة والكأس إلى جموع التكسير ، وتحقيق القول في أسورة وأساور ، إلى القراءات في قوله تعالى : (فلولا ألقى عليه أسورة) ، كل ذلك بطريق استقصاء الأقوال وبسطها ، ثم اختيار الوجه الأمثل فيها .

ثم لنر أيضاً هذه القطعة في نقد الشعر وتحقيقه ، وهي تتضمن رأي المؤلف في بعض علماء عصره من النقاد ، كما تبين رأيه في قضايا النقد التي يتعرض لها ، يقول :

« ونقد الشعر والتحقيق في معانيه من الصناعات التي أكثر المضطلعين بها قد عدموا وقد قلوا ، وقد كان بعض من يختلف إلى الأخذ عني والقراءة

على من أهل بعض الأطراف قد قرأ على شيئاً مما صنفه ابن السكيت [١] في هذا المعنى وابن قتيبة [٢]. ، وما ألف أبو الفرج قدامة الكاتب [٣] في نقد الشعر والكتاب المنسوب إلى أبي عثمان الأشنانداني [٤] وعلق عني صدراً صالحاً من الزيادة في ذلك وشرح مستغلقه ، وإيضاح مشكله ،وتفسير مجمله ، وتلخيص مهمله ، وخطيئة من أخطأ في تأويله ، ثم غاب عني فانقطعت عن التفرغ لتتبع ما بقي منه ، فقد وقع إلينا في هذا الباب فقر حسنة عن شيخي هذه الصناعة في زمانهما ، وهما أبو العباس النحويان أحمد بن يحيى ومحمد بن يزيد [٥] ، وكان محمد بن يحيى الصولي يتكلم كثيراً في هذا النوع ، ويدعى فيه دعاوى يدفعه عن التقدم فيها ظهور تأخره عنها ، وتفاحش خطئه فيما يورد منها ، وقد أخرج قوماً من هذا القبيل إعجابهم بأنفسهم وفساد نحلهم إلى تخطئة الفحول من الشعراء والجاهليين ومن بعدهم من المخضرمين ومن يليهم من الإسلاميين الذين قولهم حجة على من بعدهم

---

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت ، كان من أكابر علماء أهل اللغة ، أخذ عن أبي عمرو الشيباني والفراء وابن الأعرابي ، وأخذ عنه أبو سعيد السكري وأبو عكرمة الضبي ، له كتاب إصلاح المنطق في اللغة ، توفي سنة ٢٤٦ هـ ، ترجمته في إنباه الرواة ٨٣٦ ، معجم الأدباء ٢٠/٥٠ .

(٢) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، العالم الكبير والأديب المتفنن صاحب التصانيف المشهورة التي منها غريب القرآن ، وغريب الحديث ، وتأويل مشكل القرآن ، وأدب الكاتب وعيون الأخبار وغيرها ، توفي سنة ٢٧٦ هـ .

(٣) هو قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي ، كاتب من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة ، كان في أيام المكتفي بالله وأسلم على يده يضرب به المثل في في البلاغة ، له من الكتب : نقد الشعر وجواهر الألفاظ والخراج وغيرها ، توفي سنة ٣٣٧ هـ ، ترجمته في فهرست ابن النديم ١٣٠ ، ومعجم الأدباء ٦/٢٠٣ — ٢٠٥ ، والنجوم الزاهرة ٣/٢٩٧ .

(٤) هو سعيد بن هارون الأشنانداني ، نحوي لغوي ، أخذ عن أبي بكر بن دريد ، وله من التصانيف كتاب الأبيات ومعاني الشعر وغيرها ، توفي سنة ٢٨٨ هـ ، انظر ترجمته في معجم الأدباء ١١/٢٣٠ .

(٥) يعني بهما أحمد بن يحيى ثعلب ، ومحمد بن يزيد المبرد ، وقد مرت ترجمتهما .

ومن تأخر عنهم ، فأحسن حالاته في هذا الباب أن يكون تبعاً لهم ، فمن ذلك : أن لغدة الأصفهاني [١] أقدم على تخطئة الطبقة الأولى كامرئ القيس وزهير والنابغة والأعشى ومن يجري مجراهم ، فخطأهم فيما أصابوا فيه بتفاقم خطئه ، وتعاظم خطله ، وقد كنت أمليت على بعض من حضرني ما تبين فيه قصور معرفته ، وضعف بصيرته ، ثم رأيت أبا حنيفة أحمد بن داود الدينوري [٢] قد صمد لكتاب لغدة هذا فصنفه وأورد أشياء صحيحة تبين عن إغفاله وضعف تأمله ، ومع هذا فلسنا ننكر أن يخطىء الرئيس في علمه، والسابق في فهمه، فلا يضع ذلك من قدره ، ولا يحطه عن مرتبته ، إذ فوق كل ذي علم عليم، حتى ينتهي العلم إلى ربنا عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم .

وقد كان للمتوكل خادم يعرف بعرق ألاموت قد شدا أشياء من الأدب ، وحفظ صدراً من الشعر ، إلا أنه حل بقلبه من النقص ما حل بجسمه ، فظن أنه قد اضطلع بأفانين الأدب ، واطلع على بلاغات العرب ، فأخذ في نحو ما كان لغدة أخذ فيه ، ونسب امرئ القيس إلى ذهابه في بعض شعره عن صحة ترتيب نظمه ، ووصل الشكل بشكله ، وإلحاق المثل بمثله ، وحمل الفرع أصله ، وتوهم عليه هذا الباب من العيب ونعاه عليه ، وتكلف بإغفاله إصلاحه عند نفسه بخطأ أتى به من عنده ، وذكر هذا في بيتين من كلمة

---

(١) هو الحسن بن عبد الله، الملقب لغدة أو لكذة الأصفهاني ، كان في طبقة أبي حنيفة الدينوري ، ومشايخهما سواء ، وكانت بينهما مناقضات ، وخرج لغدة منذ صغره إلى العراق ، ثم صار أخيراً رأس علماء اللغة بأصفهان ، ترجمته في معجم الأدباء ٨١/٢ – ٨٤ ، بغية الوعاة ٢٢٢/١ .

(٢) كان متفنناً في علوم كثيرة ، منها اللغة والنحو والهندسة والحساب والهيئة ، وكان ثقة فيما يرويه ، له من الكتب : كتاب ما يلحق فيه العامة والشعر والشعراء ، وكتاب الفصاحة ، وكتاب الأنواء ، والرد على لغدة الأصفهاني ، والأخبار الطوال والنبات وغير ذلك ، توفي سنة ٢٨٢ هـ ، ترجمته في إنباه الرواة ٤١/١ – ٤٤ ، وبغية الوعاة ٣٠٦/١ ، والفهرست ٧٨ ، ومعجم الأدباء ٢٦/٥ – ٣٢ .

امرئ القيس التي أولها :

ألا انعم صباحاً أيها الطلل البالي
وهل يعمن من كان في العصر الخالي

والبيتـــان :

كأني لم أركب جواداً للـذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لخيلي كرى كرة بعد إجفال

فظن أن امرأ القيس قلب وجه الترتيب ، وعدل عن محجة التأليف ، وأتى بذكر الجواد في صدر البيت وقرن به بطن الكاعب ثم صدر البيت الثاني تشبيه الخمر ، وجعل عجزه في حثه الخيل على الكر ، وتوهم أن هذا مناف غير متشاكل ، ومتخالف غير متماثل ، وأن الوجه في هذا لو تنبه عليه هو أن يقول :

كأني لم أركب جواداً ولم أقل لخيلي كرى كرة بعد إجفـــال
ولم أسبـــأ الزق الروي للـذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

قال القاضي رحمه الله : ولو ثاب إلى هذا الخادم عازب لبه ، وفتح له القفل الضاغط عليه ، لتيقظ للوقوف على فساد توهمه ، ولتجلى له الخلل فيما آثره وقدمه ، ولعلم أن ترتيب امرئ القيس في هذين البيتين من أصح الترتيب وأحسنه ، وأوضح التأليف وأبينه ، وأنه متسق مستتب ، ومتفق متلئب ، ولاستفاد علماً جماً لما تبينه من اطراده وتلاؤمه ، وائتلافه وتقاومه ، وأنه من أحسن حكمة الشعر ، وقد قال رسول الله ﷺ : « إن من الشعر حكمة » وأنا مبين هذا بياناً كافياً ، وملخصه تلخيصاً مفيداً شافياً، إن شاء الله وبه التوفيق :

إن الجواد يركب لأغراض شتى ، منها المحاربة وشن الغارة وإدراك العدو الهارب ، وفوت الثائر الطالب ، وطلب الأوتار ، وأخذ الثأر ،

والتماس المعيشة ، وللرهان ، وزيارة الإخوان ، ومجاراة الأقران ، والسبق والنضال ، والتدريب بالفروسية والقتال ، والركض والرياضة ، والإسراع والمواشكة في الحاجة في لواحق هذه الأمور وتوابعها أو ما يقاربها ويضارعها كالمجازاة والمضاهاة والمباهاة ، وكانوا إذا كان لهم ذحل (١) يحرمون الخمر على أنفسهم حتى يثأروا ، فحينئذ يستحلونها ، قال امرؤ القيس .

حلت لي الخمـــر وكنت امــرأ عن شربها في شغل شاغل
فاليـــوم أسقى غـــير مستحقب إثماً من الله ولا واغـــل

ومنها القصد لضروب اللهو والمتعة، والنشاط والرتعة، والالتذاذ باختيال الجواد وقطعه الجدد ، والركوب الذي قصده امرؤ القيس بقوله : كأني لم أركب جواداً ، إنما عني به بعض ما فيه التذاذ ومتعة، ولهوورتعة، وقد أبان ذلك بقوله اللذة ، فكان من أليق ما يليه ويقرن به ما جانسه في التمتع واللهو ، إذ لم يكن ركوبه للغارة والغزو ، فلذلك قال : ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال ، ولو قال بعد قوله : كأني لم أركب جواداً للذة ما اقترحه وقاله الخادم وأشار به لكان قد أتى بجمع من القول غير متسق ، وبضرب من التأليف غير متفق ، ولم يقدم هذا الخادم على هذا الرأي الفائل ، والتوهم الباطل ، إلاّ بعد حذفه من قول امرئ القيس ما يكشف المعنى بإثباته ، ويزداد وضوحاً بإحضاره ، وذلك قوله للذة ، ولو لم يذكر اللذة لم يؤمن على مثل هذا الراد الشبهة ، وإن كانت من المتأمل الناظر ، والنحرير الماهر ، مأمونة لوجوب حسن الظن بامرئ القيس في نظمه ، ونسبته إلى وصل بعض كلامه ببعض بحسب ما يليق به ، وكيف وقد أوضح المعنى وأومى إليه ، وأفصح به ونص عليه .

وأما قوله : ولم أسبأ الزق الروي ، فأنه قد يسبأ زق الخمر للندامى

---

(١) الذحل : الثأر .

واللذة والارتياح والنشوة ، وقد يسبأ للبيع والتجارة ، ولإهدائه إلى ذوي المروءة ، ولتحريك الطبائع بشربه على ما يذكّر الأضغان ، ويهيج الحقد وطلب الوتر ، والجد في القيام بالثأر ، وتجرئة الجبان ، وبسط الجنان ، والسماحة في إدخال الشرف بالنفوس ، وبذل كل علق مضنة نفيس ، فأراد امرؤ القيس بما سبأه من الخمر هذه المعاني له وما أراد منها ، فكان اللائق بقوله : ولم أسبأ الزق الروي أن يكون عجز بيته هذا لا ما وصفه في قوله : ولم أقل لخيلي كري كرة بعد إجفال ، فأغفل هذا الخادم المقصوص والأبتر المنقوص ، هذا المعنى ، وأخذ من البيت الأول قوله : للذة فألحقها بالبيت الثاني فلم يتم له بها غير ما قدره ، وذهب عن فهمه ما رتبه امرؤ القيس وقرره .

وما ذكرنا من تقسيم المعاني التي وصفنا في سبأ الخمر أشهر في عرف الناس وكلام العرب من أن يحتاج إلى الاستشهاد عليه ، وقد قال الله : ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ ، وهذا معنى بين الصحة غير مشكل على ذي بصيرة ، قال حسان بن ثابت :

نوليها الملامة إن ألمّت ... إذا ما كان مَحْكٌ أو لحاءُ
ونشربها فتتركنا ملوكاً ... وأسداً ما يُنَهْنِهُنا اللّقاءُ

وقال الأعشى :

لعمرك إن الراح إن كنت سائلاً ... لمختلف عَشِيُّها وَغَدَاتُها
لنا من صحاها خُبْثُ نفس كآبة ... وذكرُ همومٍ ما تَغِبُّ أذاتُها
وعند العشيِّ طيبُ نفس ولذة ... ومال كثيرٌ عنده نشواتها

وقال المُتَنَخِّل :

ولقد شربت من المدا ... مة بالصغير وبالكبير

فإذا انتشيت فإنني ... رَبُّ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ
وإذا صحوت فإنني ... رَبُّ الشُّوَيْهَةِ والبَعِيرِ

وهذا كثير جداً ، وقول امرئ القيس : ولم أقل لخيلي كري ، أراد لفرسان خيلي ، كما قالت العرب : يا خيل الله اركبي وأبشري بالجنة ، أي : يا فرسان خيل الله ، وقال الله جل ثناؤه وقوله أصدق القول وأحسنه : (واسأل القرية) يعني أهلها ، وقال تعالى ذكره : (وأشربوا في قلوبهم العجل) في قول معظم أهل التأويل ، وذكر بعضهم : أنه سحل وألقى في اليم فشربوه ، والقول الأول أولى بالصواب ، لأنه لا يقال فيما شرب وحس من الماء وغيره قد أشربته في قلبي ، وإنما يقال : أشرب فلان حب فلان في قلبه وعداوته أو بغضه ، وذكرت أبياتاً غزلة لبعض المحدثين فأوردتها ها هنا لأني استحسنتها ، وفي بيت منها هذا المعنى وهي :

وقد كنت أرجو في غيابك سلوة ... ولم أدر أن الطيف إن غبت طالبي
ووالله لا ينكا محب بمثلها ... وإن كان مكروهاً فراق الحبايب
وأشرب قلبي حبها ومشى به ... تمشي حميا الكأس في رأس شارب
يدب هواها في عظامي ولحمها ... كما دب في الملسوع سم العقارب

أقول : وربما كان الرأي الذي بسطه المؤلف هنا في تعليقه على صحة بيتي امرئ القيس ، وإبطال حجة من قال بفسادهما مسبوقاً به ، فقد أشار إليه أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين [١] منسوباً إلى خاله أبي أحمد الحسن بن علي العسكري المتوفى سنة ٣٨٢ هـ ، كما أشار إليهما المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ حين اعترض سيف الدولة على بيتيه المعروفين :

وقفت وما في الموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضاء وثغرك باسم

---

(١) انظر صفحتي ١٥٠ ، ١٥١ .

فقال له : لو وضعت عجز كل منها للآخر لكان أصح وأنسب للمعنى ، فشرح له أن عجز كل منهما مناسب لصدره تماماً واستشهد ببيتي امرئ القيس ، في قصة معروفة [1] .

إلاّ أن بسط المؤلف لهذا الرأي وتوضيحه، وتعليقه عليه وشرحه لغوياً زيادة على ذلك ، لا يوجد في المراجع المماثلة التي تعرضت له ، وهكذا يمكن أن يقال في بقية المسائل التي ساقها في مختلف العلوم ، وهو ما يمتاز به كتاب المعافى عن الكتب الأخرى .

وهذه بعض الأمثلة الطريفة على ما طرقه من مسائل العلوم فيما يلي :

النحــو :

عالج فيه مع ذكر الشواهد ما يلي :

١ ـ حذف حرف الاستفهام في أول الكلام أو فيما عطف به عليه ، قال : منعه بعض محققي النحويين وأجازه بعضهم ، ثم القول في بيت عمر ابن أبي ربيعة :

ثم قالوا تحبها ؟ قلت : بهــــراً عدد الرمل والحصى والتّراب

٢ ـ تسكين الياء في كلمة باريها ، من قولهم :

أعط القوس باريها

وكان حقها النصب ، وأمثلة أخرى مما ورد من ذلك .

قول الراجز في رسول الله ﷺ :

إن سيم خسفاً وجهه تربدا

(١) انظر دراسات في النقد الأدبي لمحمد عبد المنعم خفاجي ، ص ١٤٨ وما بعدها .

وبيان أوجه الإعراب فيه .

٤ ـ إسكانَ عين الماضي ، وما جاء منه في الشعر .

٥ ـ تسكين العين في جمع المؤنث السالم .

٦ ـ عل ومتى تخفض .

٧ ـ تحريك آخر الأمر على نية نون التوكيد .

٨ ـ الإظهار في موضع الإضمار وحكمته .

٩ ـ الخلاف بين الكوفيين والبصريين في تأويل معنى قول الشاعر :

أعَدّها بالكف أن تميلا

وما ورد من مثل ذلك في القرآن والشعر .

١٠ ـ (هلم) حجازية وتميمية .

١١ الأسماء المؤنثة الثلاثية إذا كانت ساكنة الوسط مثل هند يجوز فيها الصرف وعدمه خلافاً للزجاج الذي لا يجيزه إلاّ في ضرورة الشعر .

١٢ ـ المفعول له يجوز إعرابه مفعولاً ثانياً لجعل عند بعضهم ، في قوله تعالى ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت﴾ .

١٣ ـ صرف الاسم بمعنى ، وعدم صرفه بمعنى آخر ، كقول الشاعر :

إن الثياب بآل هـــاشم زينـــة يزهو ويضعف حسنها في المجلس

لم يصرف هاشم هنا على إرادة القبيلة ، فلو أراد الحي أو الأب للزم الصرف وإلاّ لم يجز عند الخليل وسيبويه وجمهور البصريين ، لأن الشاعر له أن يصرف غير المنصرف في الشعر ولا يجوز له العكس ، وتفصيل القول في ذلك .

١٤ ــ لغة من يقرأ المضارع على الرفع بعد أن ولا ينصبه ، والشواهد على ذلك .

١٥ ــ إعراب ما يلي لولا من الضمير المتصل ، ورأي الكوفيين والبصريين فيه .

١٦ ــ عمل الصفة المشبهة باسم الفاعل، وتطبيق ذلك في قوله تعالى ﴿إنا مرسلو الناقة ﴾ ، وقوله جل شأنه ﴿ ولا الليل سابق النهار ﴾ .

١٧ ــ (نعم) ، وإعراب ما جاء منها في القرآن الكريم .

١٨ ــ قول ابن الزبير لإعرابي : إن وراكبها ، رداً على قوله : لعن الله ناقة حملتني إليك ، ومعنى أن هنا ، وتطبيق هذا المعنى على قوله تعالى ﴿إن هذان لساحران﴾ وبسط القول في ذلك بسطاً وافياً .

١٩ ــ الفصيح فيما كان في الجسد منه واحد أن يؤتى به على لفظ الجميع في تثنيته وجمعه ، كقوله تعالى ﴿إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما ﴾، واللغة الأخرى معروفة وهي تثنيته على لفظه ، كقول الهذلي : فتخالسا نفسيهما بعوابط .... ألخ .

هذه بعض قضايا النحو التي عالجها القاضي أبو الفرج، ويلاحظ أنها كلها مسائل حيوية، مما يحتاج إلى معرفته المتأدب والمتعلم، وهو يبسط القول فيها ما وسعه الجهد ، ويسوق آراء المدارس النحوية فيها دون ترجيح في غالب الأحيان ، إلاّ أنه مع ذلك قد يبدي رأياً خاصاً به كما فعل في مسألة التصغير الذي يقصد به التكبير أو التعظيم ، مثل قول لبيد :

دويهية تصفر منها الأنامل

فقد قيل إن دويهية هنا قصد بها تعظيمها ، وجعلها مثبتو الأضداد في اللغة من الأضداد ، ولكن المعافى له رأي آخر يقول فيه :

« ولي في هذا مذهب استخرجته بنظري وما علمت أن أحداً سبقني إليه ولا تقدمني فيه ، ولكن الله الذي يؤتي الحكمة من يشاء نبهني إليه .. »

وملخص هذا الرأي أن الصغير على صغره ، ولكنه أدى إلى عظيم من الأمر في نفعه أو ضرره ، وكل واحد من الأمرين الصغير والكبير على حقيقته في نفسه وخصوصيته في جنسه ، فالدويهية هنا صغيرة جرت أمراً كبيراً .

وبصرف النظر عن آرائه النحوية الخاصة ، أو ترجيحه لبعض الآراء التي يراها مناسبة ، فإنه قد حفظ لنا كثيراً من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، وترجيحه أحياناً لبعضها على ما أورده منها وخرجناه من كتب النحو في تحقيقنا للجزء الأول كما يراه القارئ في كثير من صفحاته .

اللغـــة

أما التعليقات والتحقيقات اللغوية فقد أكثر منها المؤلف إلى الحد الذي لا يكاد فيه خبر يخلو عن بعضها طال أم قصر ، كذلك فقد أبان في كثير من تعليقاته منها على خطأ العامة أو الخاصة في استعمال هذا التعبير أو ذاك ، وها نحن نورد أمثلة طريفة مما ذكره منها :

ـ يقال أهديت العروس هداء ، وهديت هداء ، وطرح الألف أكثر ، والتعليل لذلك .

ـ الفرق بين ختن الرجل وصهره ، وما ورد في ذلك من الآثار .

ـ الفارك لفظ يطلق على المرأة فحسب ، ويقال للرجل : صلفت عنده ولا يقال له فارك ، وجمع الفارك وما ورد فيه من الشعر .

ـ يفيء الظل : يرجع قبل الزوال ، ولا يقال له حينئذ فيء وإنما يقال له ذلك بعد الزوال لرجوعه . والفيء : ما رد له على المؤمنين من مال المشركين .

ـ الفرق بين المطايب والأطايب .

ـ معنى السوقة والفرق بينهم وبين السفلة .

ـ الفرق بين الشواة والسراة ، وتصحيف أبي عمرو بن العلاء كلمة شواته في بيت الأعشى :

قـــالت قتيـــة مالـــه قد جللت شيباً شواتـــه

إلى سراته ، ثم عدوله عن ذلك .

ـ الفرق في المعنى بين يستأديه ويستعديه .

ـ معنى الغنيمة الباردة .

ـ الأعضب ، وما ورد فيه من اللغة والفقه .

ـ معنى الصافن والماهن ، وبعض الشواهد عليهما من القرآن والشعر .

ـ شرح مادة حال لغوياً .

ـ الفرق بين السرف والإسراف ، والشواهد على ذلك .

ـ شرح مادة (حرج) وتقلباتها لغوياً .

ـ لا تريم لا تستعمل إلاّ منفية بمعنى ما تزال .

ـ الأثافي بالتشديد واحدتها أثفية بالتشديد مثل أمنية وأماني وأوقية وأواق ، وقد يقال بالتخفيف ، وقيل هو في تخفيفه وتشديده بمنزلة قراقر وقراقير في جمع قرقور ، وهم يخففون لكثرة الاستعمال .

ـ أصمى أصله عنده أصمم، فاستثقل التضعيف فقيل أصمى ومثله تمطى وتقضى أصلهما تمطط وتقضض ، والشواهد على ذلك .

ـ معنى الكأس وهل هو اسم للخمر أو للإناء ، والشواهد على ذلك .

– متى يقال الليلة البارحة ، ومتى يقال الماضية .

– شرح الخرفة والخلفة ، والشواهد على ذلك .

– اليفاع : المرتفع ، وقولهم : أيفع الغلام فهو يافع من نوادر أبواب العربية ، لأنه جاء على أفعل فهو فاعل ، وله أخوات منها أورق الظل فهو وارف ، وأورس الرمث فهو وارس

– الأف والتف ومعناهما ، وما ورد فيهما من النصوص .

حاتم الطائي ينحر ناقة أعرابية طلبت منه أن يفصدها لها ، وقوله : هذا فصدي أنه ، واللغات في فصدي وأنا .

– نعم ولا ، وما قيل فيهما من النظم والنثر ، واللغات في نعم .

– اللعس والشنب واللمى ، والأفعال منها .

– معنى نزاهة طعمة ، وشرح معنى الطعمة ، وما جاء في ذلك على لسان العرب .

– كفة الحابل وكفة الميزان .

وهي كلها أشياء صحيحة وردت في كتب اللغة ، وإن كان المعافى قد أبرزها في كتابه وأكثر من الشواهد عليها ، وحرص على إبرازها قصداً لإفادة المتعلمين والمتأدبين

ومن إصلاح خطأ العامة :

– قولهم إمرة مطاعة بكسر الهمزة خطأ ، وصحتها أمرة بفتحها ، لأنها اسم مرة من أمر ، أما الإمرة فهي الإمارة .

– قولهم ينصحني خطأ والصحيح ينصح لي .

– الطرب : استطارة تلحق المرء عند الشيء يسره أو يحزنه ، وظن

العامة أنه يقال في الفرح خاصة خطأ ، والشواهد على ذلك من العربية .

ـ الزمرد بالدال المهملة خطأ وصحتها الزمرذ بالذال المعجمة [1] .

ـ يقولون : ألط بفلان أي جحده حقه ، والمعروف في العربية لط ، وإن كان اسم الفاعل منه ملط على غير قياس .

الصرف والعروض

وهذه بعض المسائل التعليمية من باب الصرف والعروض التي أوردها المعافى في كتابه :

ـ الفرق بين الوزن الصَرفي والوزن العروضي .

ـ الابدال والقلب في مثل جبذه وجذبه ، وما أطيبه وما أيطبه .

ـ الخشاوان : العظمان الناشزان وراء الأذنين ، الواحد خششاء ، وفيها لغتان احداهما هذه مثل فعلاء ، والأخرى خششاء على فعلال مثل قسطاس وفسطاط من الصحيح ، وقوباء من المعتل ، وليس في الأسماء على هذا الوزن غيرهما .

ـ المهاة : وزنها عند البصريين فعلة باعتبار الهاء زائدة ، وعند الكوفيين فعال على اعتبار الهاء أصلية ..

ـ كثير من الأدباء يشدد اللام في كلمة ملاحية في قول أبي قيس بن الأسلت :

وقد لاح في الجو الثريا لمـــن رأى كعنقود ملاحية حين نورا

وذلك خطأ ، فلغة العرب الفصيحة السائرة : ملاحية بتخفيف اللام ،

---

(١) هذا صحيح رغم غرابته ، انظر اللسان ٥/٢٧ .

يقال : عنب ملاحي ، ويقول المعافى : وأرى أن الذي أوقعهم في هذا أنهم لما رووا هذا البيت بظهور الزحاف فيه إذا روي مخففاً على الوجه الصحيح وسلامته من ذلك إذا شددوا ، ولم يعلموا جواز الزحاف واطراده وظهور استعماله وأن أكثر الشعر مزاحف وما لا زحاف فيه قليل نذر جداً ، وهذا البيت من الطويل الثاني ، والزحاف فيه ذهاب ياء مفاعيلن ورده إلى مفاعلن ، ويسمى هذا النوع من الزحاف قبضاً لذهاب خامس حروف الجزء ، ويسمى الجزء الذي لحقه هذا الزحاف مقبوضاً ، وقد تسقط نون مفاعيلن على معاقبة القبض فيه ، وهو ذهاب الياء ولا يجتمعان في السقوط ، ويسمى هذا الزحاف الكف لذهاب السابع من حروف جزئه ، ويسمى الجزء مكفوفاً .

— قول الشاعر :

يا باري القوس بريًا لست تحسنه   أفسدت قوسك أعط القوس باريها

الرواية الشهيرة على ألسنة الخاصة والعامة « باريها » بإسكان الياء وكان حقها أن تنصب بالفتحة ، فإن رويت بالرواية الشهيرة كان البيت من البسيط الثاني ، وبيته من العروض :

قد أشهد الغارة الشعواء تحملني   جرداء معروقة اللحيين سرحوب

عروضه فعلن ، وضربه فعلن ، وعروضه في مصرعه فعلن إلحاقاً له بضربه .

وإن رواه راو على أصله في تحقيق الإعراب وفتح الياء فقال باريَها ، كان إذاً من الضرب الأول من البسيط ، وبيته في العروض :

يا حار لا أرمين منكم بداهية   لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك

وإذا روى هذا استقام إعرابه ووزنه ، واستوى عروضه وضربه .

كذلك أورد المعافى بعض الآراء البلاغية في كتابه ، كما سبق أن أشرنا وبعضها يعتمد على ذوقه الخاص في الشرح والبسط والتوضيح ، وها نحن نذكر بعضها فيما يلي :

– يروي المعافى أن ابن يسير المديني مر بقرية فإذا برجل يترنح من الشراب قائم يبول ، قال : فسألته عن الطريق فقال : أمامك ، ثم لحقني فقال : انزل ، فنزلت فقال : ادن دونك وعليك الحانة ، فدخلت فأحضر سفرة واستل سلة فأخرج منها رغيفاً وقطعاً من لحم ، فقال : أصب ، فأصبت ، ثم سقاني خمراً ، فإذا أبو مالك ، ثم قال لي : كيف علمك بالشعر ؟ قلت : قد رويت ، فأنشدني قصيدته :

صرمت حبالك زينب ورغوم

حتى انتهى إلى قوله :

حتى إذا أخذ الزجاج أكفنـا　　　نفحت فأدرك ريحها المزكوم

قال : ألست تزعم أنك تبصر الشعر ؟ قلت : بلى ، قال : فكيف لم تشقق بطنك فضلاً عن ثوبك عند هذا البيت ؟ قال : قلت : قد فعلت عند البيت الذي سرقت هذا منه ، قال : وما هو ؟ قلت : بيت الأعشى :

من خمر عانة قـــد أتى لختامهـا　　　حوْل يفض غمامة المزكوم

قال : أنت تبصر الشعر ، فلما صرت إلى سليمان سمرت معه بهذا أول بدأتي .

قال القاضي : للأعشى في هذا المعنى بيت هو أبلغ من هذا البيت في كلمة أخرى ، وهو :

من اللاتي حملـن على الروايـا　　　كريح المسك تستل الزكاما

واستلال الزكام أبلغ من فضه ، لأن استلاله نزعه وإخراجه ، وفضه نشره وتفريقه وكسره كفض الخاتم ، وفي فضه مع هذا إزالته وتنحيته كما يزول الختام عند فضه فيفارق ما كان حالاً فيه ولازماً له ، وفي قول الأخطل :

... فأدرك ريحها المزكوم

من البلاغة أنه إنما يقويه إدراك المشموم لحلول الزكام به ، وغلبته إياه ، فإذا أدرك ريح الخمر التي كان الزكام حائلاً بينه وبينها عند نفحتها ، فإنما ذلك لزوال الزكام المانع الحائل بينه وبين إدراكها ، وقد تدرك الرائحة بعد خفة الزكام وزوال بعضه وإن لم يزل بكليته ، فمن ها هنا كان الفض والاستلال أبلغ وأبين في المعنى .

٢ — يورد المعافى خبراً يذكر فيه أن عبد الملك سأل الشعبي عن أحكم ما قالت العرب وأوجزه ، فيورد له عدداً من الأبيات الحكيمة من بينها قول النابغة :

ولست بمستبق أخاً لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب

وقول الشماخ :

وكل خليل غير هاضم نفسه ... لوصل خليل صارم أو معارز

فيقول له عبد الملك : جججتك يا شعبي ، يقول طفيل الغنوي :

ولا أخالس جاري في حليلته ... ولا ابن عمي غالتني إذاً غول
حتى يقال إذا دليت في جدث ... أين ابن عوف أبو قران مجعول

ويعقب المعافى على ذلك بقوله : إن بيتي الطفيل اللذين أنشدهما عبد عبد الملك وفضلهما وزعم أنه حج الشعبي بهما وإن كانا بليغين جيدي المعنى ، فالذي أنشده الشعبي من أشعار الشعراء غير مقصر عنهما ، ومن

تأمل ما وصفنا وجده على ما ذكرنا من غير أن يحتاج إلى تكلف تفسير ذلك ، وإطناب في الاحتجاج له .

فأما بيت الشماخ ، فإن معنى غير هاضم نفسه أي حامل عليها لخليله ، والهضم النقص ، يقال : هضم فلان فلاناً حقه أي نقصه ، قال الله جل جلاله :﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظالماً ولا هضماً ﴾، وأما قوله : « ومعارز » فالمعارز المنقبض ، يقال : استعرز عني فلان إذا انقبض ، وألقيت البضعة على النار فعرزت . وكان الشماخ سلك سبيل النابغة في بيته الذي أنشده الشعبي في هذا الخبر ، وأصل الغرض في هذه الجملة على ما بين البيتين مما لأحدهما من الشف ومن تنقيح ألفاظ الشعر ، وفضل استغناء أجزاء أحد البيتين على أجزاء الآخر ، وأنا قائل في هذا قولاً يبين صحته ويوضح حقيقته إن شاء الله ، فأقول وبالله التوفيق :

إن جملة ألفاظ البيتين التي يجمعها على معنى واحد ، هو أن الذي يحفظ الأخوة بين الأخوين ويحرس الخلة بين الخليلين أن يلم أحدهما صاحبه على شعثه ، ويهضم له نفسه ، ومتى لم يفعل هذا لم يكن على ثقة من استبقائه ، وكان بعرض مصارمته وانقباضه عنه ومعارزته ، وبيت النابغة في هذا الباب أفحل وأوفى وأجزل وأشفى ، وقد كشف عن العلة فيما أتى به بقوله : أي الرجال المهذب ، فأحسن العبارة عن هذا المعنى : من لك يوماً بأخيك كله ، وقد نوه ببيت النابغة هذا رواة الشعر ونقلته ونقاده وجهابذته ، واستحسنوا تكافؤ أجزائه ، واستقلال أركانه ، واشتماله على فقر قائمة بأنفسها ، كافية كل واحدة منها وهذا من النوع المستفصح ، والفن المستعذب المستملح من أعلى صفات البلاغة ، وقد أتى القرآن منه بالكثير الذي يقل في ما أتى منه في الشعر إذا قيس إليه ، وتبين للمميزين كبير فضل ما في القرآن عليه ، فمن ذلك قول الله عز وجل : ﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت

لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾ . ولنا في هذا الباب رسالة أبنّا فيها رجحان ما في القرآن من هذا الجنس على كثرة ما أتى عليه في الشعر على قلته ، فلم نطل كتابنا هذا بإعادته .

وفي مكان آخر يبين المؤلف رأيه في نقد الشعر ، وفي الصفات التي يجب أن يتصف بها ناقد الأدب ، فيقول :

إن هذا الأمر يختلف بحسب اختلاف الأمزجة وتركيب الأبنية ، ويلحق بما يختلف فيه شهوات الناس ولذاتهم من الأطعمة والأشربة ويؤثرونه من المراكب والملابس والمواطن والمجالس ، وكذلك تختلف أحوال الناس في اختيارهم لأوزان الشعر ، وكثير منهم بالطويل أشد إعجاباً منه بغيره ، ويذهب غيرهم إلى مثل هذا في البسيط ، وبعضهم في الكامل ، وبعضهم في الوافر وقد كان قدامة الكاتب يرى تقدم أول السريع على غيره من أنواع الشعر في بهائه وتقبل الطبائع له ، وذهب غيره إلى إيثار الخفيف وذكر أن الألحان أحسن موقعاً منها فيما سواه ، قيل : ولذلك صار محملاً من الزحاف ما لا يحتمله غيره .

ثم يبين رأيه فيما يجب أن يكون عليه ناقد الشعر فيقول :

إن نقد الشعر على التحقيق عزيز جداً ، وإن الناقد الذي يعتمد عليه في النقد ، ويرجع في صحته إليه ، لا يكون كاملاً حتى يكون مفرقاً على الصحة بين المطبوع على المنظوم المؤلف وبين النظم المتكلف والطويل المتعسف ، ويكون ناقداً غير مقصر على تأدية مسموعها وحفظ منصوصها ومسطورها ، ومضطلعاً بلطيف الإعراب وقياس النحو ، حافظاً للأمثال المضروبة ، مهتدياً بأعلام الفضل المنصوبة ، حاصراً لمجاري العرف والعادة ، آخذاً من كل علم وأدب بحظ وضارباً في صناعات الفكر بسهم ، ويكون نظاراً مدرها ، وقد أنس بجملة من أساليب المتفلسفين ،

وصناعة المتكلمين ، وجدال المتناظرين ، ويكون مع هذا بعيداً من الهوى والتعصب لنوع دون نوع ، وشخص دون شخص ، وبحسب تكامل هذه الخلال ، واجتماع هذه الخصال ، يتكامل لناقد الشعر نقده ، وبحسب ما يعدم منها يقل حظه ، وبقدر تمكن هذا الناقد من النقد ، يميز بفكره بين الرجحان والتساوي والنقصان ، كما يميز وازن الذهب والفضة بين الزائد والمعتدل والناقص بالعيان ، ويتجلى المعنى لأحدهما ببصره وللآخر ببصيرته .

وهذا كلام سديد ومنطق صائب ، يدل على أن المؤلف قد تمرس بهذه الصناعة ، وكانت له نظرات قيمة فيها ، فما دام يرسم هذا الدستور الحكيم لغيره ممن يود أن يكون ناقداً، فلابد أن يكون هو قد انتهجه لنفسه فيما أبداه في كتبه من آراء ونقدات ، وللأسف فإن شيئاً من هذه الكتب لم يصل إلينا، ولم تبق من آراء المعافى النقدية إلا تلك التي نراها في كتابه هنا ، ورغم قلتها فإنها كما نرى تدل على صفاء القريحة ونفاذ الذهن .

* * *

العلوم الدينية والشرعية

لما كان القاضي المعافى بن زكريا من كبار العلماء المعنيين في الأصل بالعلوم الدينية والشرعية من تفسير وقراءات وحديث وفقه ، فلا بد إذاً ألا يخلو كتابه من شيء منها ، والواقع أنه رصّع كتابه ببعض تلك الآراء التي نراها بين الفينة والفينة فيه . وفيما عدا الأحاديث النبوية الشريفة التي افتتح كل مجلس من مجالسه بواحد منها – غير التي تأتي في ثنايا المجالس – فإن المادة الدينية والشرعية تعد قليلة في الكتاب ، وسوف نشير إلى بعض الأمثلة منها وطبيعتها .

الحديث النبوي

بدأ المؤلف مجالسه المائة – كما قلنا – بحديث نبوي شريف وقد يرجع ذلك إلى عمق تدينه وإيمانه ، فهو قد التزم بأن يفتتح مجالسه بالحديث النبوي تبركاً وتشرفاً به ، أو ليدل على سعة محفوظه منه ، في حين أننا لا نرى ذلك ملتزماً في معظم كتب الأدب الأخرى .

أما طبيعة تلك الأحاديث النبوية الشريفة فإنها كلها من أحاديث الفضائل التي تحث على خلال المروءة وخصال البر ، والحض على الكرم والمعروف والصِّلة ، وكأنه بذلك يحث الأغنياء والموسرين في عصره على البذل والسخاء على إخوانهم من الفقراء والمعوزين ، الذين كثر عددهم في ذلك

العصر كثرة هائلة نتيجة للفتن والقلاقل اللذين سيطرا على البلاد في ذلك العصر .

وقد يلجأ أحياناً في سبيل ترقيق القلوب وحثها على عمل المعروف إلى إيراد بعض الأحاديث الضعيفة ، كحديث حميري بن عبد الله والحية التي صادفها ، فطلبت منه أن يخبئها من عدو لها ، ثم لا تجد مكاناً مختاراً لاخفائها إلا في جوفه ، وحين يفعل وينقذها من عدوها تأبى إلا أن تقتله ، فيرسل الله إليه من يخلصه منها ، ويكون ذلك المخلص بمعروفه الذي فعله تمثل في صورة إنسان ، وأهداه شراباً أنزل الحية ممزقة من جوفه ، ولا شك أنها قصة مؤثرة تبعث الأريحية في النفوس ، ولكن يبعد أن يكون رسول الله ﷺ قد تحدث بها ، فقد كان أبعد الخلق عن التحدث بالخرافات أو الأساطير ﷺ ، غير أن العلماء في ذلك العصر كانوا يرون أنه لا بأس بذكر هذه الأحاديث ولا يتشددون في تمحيصها باعتبارها من أحاديث الفضائل التي لا نترتب عليها أحكاماً شرعية من أحكام العبادات أو مصالح العباد .

ولقد قام المؤلف بشرح هذه الأحاديث شرحاً بسيطاً يبين العظة التي فيه ، أو العبرة التي تؤخذ منه .

وبالإضافة إلى هذا فقد ذكر بعض المواد التي تتعلق بعلوم الحديث أو أخبار المحدثين الطريفة ، ومن ذلك :

١ ـ البحث عن أصل حديث مدلس [1] ، فهو يروى خبراً عن محمد بن مخلد بن حفص العطار ، أنه قال : حدثنا أبو يحيى محمد بن سعيد بن

---

(١) الحديث المدلس قسمان : مدلس الإسناد ، ومدلس الشيوخ ، فأما مدلس الإسناد فهو ما رواه الراوي عمن لقيه ولم يسمع منه موهماً أنه سمع منه ، وقيل : أن يروى عمن سمع منه ما لم يسمعه موهماً أنه سمعه ، وأما مدلس الشيوخ فهو ما سمى الراوى فيه شيخه أو كناه أو وصفه بما لا يعرف به ، وكلاهما مكروهان ، إلا أن الأول أشد كراهة من الثاني ، انظر الطراز الحديث في فن مصطلح الحديث ١٧ .

غالب العطار سنة ست وخمسين ومائتين ، قال : سمعت نصر بن حماد ، قال : كنا على باب شعبة نتذاكر ، فقلت : حدثنا إسرائيل بن يونس ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن عطاء ، عن عقبة بن عامر ، قال : كنا نتناوب رعية الإبل على عهد رسول الله ﷺ فجئت ذات يوم والنبي ﷺ حوله أصحابه فسمعته يقول : « من توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين واستغفر الله غفر الله تعالى له ، قلت : بخ بخ ، فجذبني رجل من خلفي فإذا عمر ، فقال : الذي قال قبل أحسن ، قلت : ما قال ؟ قال : « من شهد أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله ، قيل له : ادخل من أي أبواب الجنة شئت » .

قال : فخرج شعبة (١) فلطمني ثم رجع فدخل بيته من ناحية الباب ثم خرج فقال : ما له ؟ بعدُ يبكي ؟ فقال اه عبد الله بن إدريس : إنك أسأت إليه ، قال شعبة : انظر ما يحدث عن إسرائيل ، عن عبد الله بن عطاء ، عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ ؟ أنا قلت لأبي إسحاق : من حدثك ؟ قال : حدثني عبد الله بن عطاء ، عن عقبة بن عامر ، عن النبي ﷺ قلت : فغضب ، ومسعر بن كدام حاضر ، فقال مسعر : أغضبت الشيخ ، قلت : ليصححن هذا الحديث أو لأرمين بحديثه ، فقال لي مسعر : عبد الله بن عطاء بمكة ، قال شعبة : فرحلت إلى مكة لم أرد الحج أردت الحديث ، فلقيت عبد الله بن عطاء فسألته ، فقال : سعد بن إبراهيم حدثني ، قال شعبة : فلقيت مالكاً فقال : سعد بالمدينة لم يحج العام ، قال شعبة : فرحلت إلى المدينة فلقيت سعد بن إبراهيم ، فقال : الحديث من

---

(١) هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي مولاهم ، أبو بسطام الواسطي الحافظ العلم ، أحد أئمة الإسلام وأمير المؤمنين في الحديث ، وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين ، وجانب الضعفاء والمتروكين ، وصار علماً يقتدى به ، وتبعه عليه بعده أهل العراق ، ولد سنة ٨٢ وتوفي سنة ١٦٠ هـ ، ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٩٣/١ ، تاريخ بغداد ٢٥٥/٩ .

عندكم زياد بن مخراق حدثني ، قال شعبة : فلما ذكر زياد بن مخراق قلت : إيش هذا ؟ الحديث بينما هو كوفي إذ صار مدنياً إذ صار بصرياً ! قال شعبة : فرحلت إلى البصرة فلقيت زياد بن مخراق فسألته ، فقال : ليس هذا الحديث من هاتيك ، قلت : حدثني به ، قال : لا ترده ، فقلت : حدثني قال : حدثني شهر بن حوشب ، عن أبي ريحانة ، عن عقبة بن عامر ، عن النبي ﷺ . فلما ذكر شهراً قلت : دَمّر على هذا الحديث ، لو صح لي هذا الحديث عن رسول الله ﷺ كان أحبَّ إليّ من أهلي ومالي والناس أجمعين .

ويعلق القاضي على هذه القصة التي تبين جهد الأئمة الكبار في تنقية حديث الرسول الكريم من الدخيل فيه ، والتدقيق في الكشف عن صحيحه من زائفه ، بقول يشرح فيه حقيقة التدليس والمدلسين وحكم ذلك ، فيقول : والتدليس في هذا الحديث كثير ، والمدلسون من أهله كثير ، وكان شعبة ينكر التدليس ويقول فيه ما يتجاوز الحد ، مع كثرة روايته عن المدلسين ومشاهدته من كان مدلساً من أعلام أهل العلم المحدثين ، كالأعمش وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وهشيم بن بشير وغيرهم ، والمدلس من هؤلاء ليس بكذاب في روايته ، ولا مجروح في عدالته ، ولا مغموض في أمانته ، وأعلام الفقهاء يحتجون في الدين بنقله ، وكان الشافعي لا يرى ما يرويه المدلس حجة إلا أن يقول في روايته حدثنا أو أخبرنا أو سمعت [1] ، وقد وجدنا لشعبة مع سوء قوله في التدليس تدليساً في عدة أحاديث رواها ، وجمعنا ذلك في موضع هو أولى به .

* * *

---

(١) من المعروف أن المدلس لا يستعمل في العادة هذه الألفاظ ، بل يقول عبارات مبهمة مثل : عن فلان ، أو قال فلان ، أو أن فلاناً قال كذا ، انظر الطراز الحديث ١٧ .

(كثير من علماء الحديث لا يضبط اللغة)

ثمة ملاحظة أخرى يسوقها المعافى عن أصحاب الحديث ، فهو يقول عنهم : إن كثيراً منهم لا يضبط اللغة ، وأورد لذلك مثلاً وهو ما رواه عن محمد بن نوح بن عبد الله المعروف بالجنديسابوري في حديث الغار الشهير ، من قول أحد الثلاثة الذين حجزوا فيه بصخرة هبطت من الجبل فسدت باب الغار ، فدعا كل منهم بدعوة صادقة عسى الله أن يفرج عنهم ما هم فيه ، وقال أحدهم : اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان ، وكان لي امرأة وصبوة ... الخ .

ويعلق المعافى على ذلك بقوله : روى لنا الجنديسابوري هذا الخبر ، فقال فيه الصبوة ، كأن اللافظ اعتبر فيه لفظ الصبوة من قولهم : صبا يصبو ، والسائر في كلام العرب الصبية في جمع صبي ، وأصحاب الحديث لا يضبط كثير منهم مثل ذلك فيحيله ولا يضبطه ، ورسول الله ﷺ أفصح العرب ، وكلامه جار على أوضح الإعراب وأعلى مراتب الصواب

(وهم يضنون بالتحديث)

وهذا شيء مشهور عن كثير من أعلام المحدثين ، فقد كانوا يضنون

بالتحديث إلى الآخرين رهبة من الكذب في الحديث وخشية الخلط فيه، فيتبوأ الواحد منهم مقعده من النار، وأمثلة تحرجهم من هذا كثيرة، ولكن المعافى يروى خبراً طريفاً في ذلك، وذلك أن أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلب كان يود أن يستمع من الإمام أحمد بن حنبل، قال: فدخلت عليه فرأيت رجلاً لا يحب أن يكثر عليه، كأن النيران قد سُعّرت بين يديه، فما زلت أرفق به، وتوسلت بالشيبانية إليه، فقلت: أنا من مواليك يا أبا عبد الله، وذكرت له عبد الله بن الفرج قال أبو العباس: وعبد الله هذا من صالحي أهل البلد فقرم إلى حديثي وانبسط إلي وقال: في أي شيء نظرت؟ فقلت: في علم اللغة والشعر، فقال: مررت بالبصرة وجماعة يكتبون عن رجلٍ الشعر وقيل لي: هذا أبو نواس، فتخللت الناس ورائي، فلما جلست أملّ علينا:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقـل ... خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفـل ساعـة ... ولا أن ما يخفى عليه يغيب
لهونا لعمرو الله حـتى تتابعـت ... ذنوب على آثارهن ذنوب
فيا ليت أن الله يغفر مـا مضى ... ويأذن في توباتنا فنتـوب

ثم أطرق فعلمت أنه قد مل، فسلمت وانصرفت، وهكذا تخلص الإمام أحمد من التحديث برواية بعض أبيات الشعر.

* * *

التفسير والقراءات

كذلك فقد أورد القاضي أبو الفرج المعافى في كتابه هنا بعض المواد في علمي التفسير والقراءات ، فلقد كان عالماً كبيراً في هذين الفنين وله فيهما مؤلفات إلا أن ما أضافه من التفسير يعتبر قليلاً جداً ، ولا يكاد يبدأ في تفسير الآية الكريمة حتى يتخلص من ذلك بقوله : وشرح ذلك مستوفى في كتابنا « البيان الموجز عن علوم القرآن المعجز » ، والغالب على طبيعة تفسيره الناحية اللغوية وإيراد القراءات المختلفة ، فمن النموذج الأول تفسيره لقوله تعالى : (الذين جعلوا القرآن عضين) ، قال فقيل : إنه من العضه بمعنى السحر ، فقد وصف المشركون القرآن بأنه سحر ، وقيل : إنهم عضوه بأن آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه وقيل : بل اقتسموه بينهم استهزاء ، فقالوا : لفلان هذه السورة ولفلان هذه السورة ، فعضوه كما تعضى الشاة وكما تقسم أعضاء الجزور وتوزع بين مقتسميها ، وهذا فيما يتضمن البيان عنه بمشيئة الله وعونه كتابنا المسمى « البيان الموجز عن علوم القرآن المعجز » .

ونأتي على ما جاء فيه عن أهل العلم وأصحاب التأويل والمفسرين ، وعن أصحاب المعاني النحويين ، ومن العضة السحر ما أنشد فيه عبيد الله بن محمد بن جعفر الأزدي ، قال أنشدنا أحمد بن يحيى :

أعـوذ بربي مـن النافثا ت في عقد العاضه المعضه

وقال : يعني بهما الساحر ، وقال أبو موسى الحامض : العضة الذي يأتي بالأمر العظيم ثم يبهت .

أما النوع الثاني وهو ما يختلط فيه التفسير بالقراءات فكثير جداً وبخاصة في المجالس الأولى من كتابه ، فهو يبين أوجه القراءات المختلفة ناسباً كل قراءة إلى صاحبها في بعض الآيات مثل ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ ، وقوله تعالى﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوءنّهم من الجنة غرفاً ﴾، وقوله﴿لا يفتننّكم الشيطان﴾، وفي كل ذلك لا ينس أن يورد في ذلك ما جاء من كلام العرب (انظر صفحات ٢٢ ، ٢٨ ، ٣٤ من النص) .

وقليلاً ما شرح معاني الآيات لذاتها أو ذكر السبب في نزولها ، وذلك كما فعل في تفسيره لقوله تعالى ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾فقد شرح وبين ما يترتب عليها من أحكام ، كما بين من نزلت فيه الآية الكريمة : ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾.

وأما القراءات ، فقد أورد الكثير منها باسطاً القول في بعضها ، مجملاً في بعضها الآخر ، ولكنه لا يذكر توجيه ما يأتي به من أقوال فيها ، بل يحيل على كتبه الأخرى بقوله مثلاً : وفي استقصاء هذا المعنى ، وذكر ما يتصل به لتفريق من فرق بين بعضه وبين بعض ، والاحتجاج فيما اختلف المقرئون فيه ، مواضع جمة من كتبنا في علوم القرآن .

كذلك لم يخل المؤلف كتابه من بعض مسائل الفقه والفرائض ، ولقد كان المأمول أن يعبر فيها عن مذهب الجريري الذي كان معتنقاً له ، ويعد أكبر المدافعين عنه ، فيحفظ لنا بذلك بعض آراء هذا المذهب الذي اندثر وضاعت مؤلفاته ، ولكنه في الواقع اكتفى هنا بأن يورد بعض المسائل الفقهية التي تتسم بالطرافة فحسب ، شارحاً فيها مذاهب الفقهاء من التابعين أو الأحناف أو الشافعية مكتفياً بذلك أحياناً مرجحاً لبعضها أحياناً أخرى ،

غير أنه في ترجيحه لا يذكر أن هذا هو مذهبه أو مذهب شيخه ابن جرير الطبري إلا نادراً وفيما يلي بعض أمثلة من هذه المسائل :

ـ إلقاء الكلام على المصلي وهل يجب على المصلي الرد أم لا ، وحكم ذلك في أول الإسلام وبعده ، وكذلك تشميت العاطس في الصلاة .

ـ الرجل يشرب نبيذاً ثم لا يدري أطلق امرأته أم لا ، ورأى سفيان الثوري وأبي حنيفة وشريك بن عبد الله القاضي وزفر في ذلك ، وترجيح المؤلف لرأي أبي حنيفة .

ـ الصيد إذا أتاه راميه ثم غاب عن عينه وحكم أكله .

ـ اسقاط الاستبراء عن الأمة ، هو مذهب أبي يوسف ومن تقدمه ومن أشبهه من أصحابه ، ومذهب جمهور الحجازيين على أن الاستبراء باق بحاله ، أما تولية عقد نكاحها فهو لمولاها الذي أعتقها في رأي أبي يوسف ، أما الشافعي فرأيه أنه يمكن أن يعقد لغيره عليها ولا يعقده لنفسه بل يتولى ذلك الحاكم ، وهو رأي الطبري أيضاً ، ولكن الرأي الأول عنده هو الصواب .

ـ امرأة يهودية كانت قد نذرت أن توقد قنديلاً في كنيس من كنائسهم ، ثم أسلمت ،فما حكم الوفاء بهذا النذر ، وما الحكم في النذور مطلقاً لمن لم يكن مسلماً ثم أسلم .

ـ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كانت بيعته في كتاب مختوم ، ورأى الفقهاء في البيعة أو الشهادة على كتاب مختوم .

ـ مما في نعم ولا من الفقه أنه اذا قال رجل لآخر : أعطني سرج بغلي هذا أو لجام دابتي هذه ، فقال : نعم أو لا ، ولم يصله بأعطيكه ، فإن الحكم عند الطبري أن هذا إقرار منه بالسرج واللجام ، وهو أيضاً الحكم عند أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد ، واحتج بأن قوله (نعم) إنعام بالفعل

و (لا) إباء له ، وهذا عندي كما قال .

أما مسائل الفرائض ، فقد ذكر منها مسألتين ، الأولى المسألة التي تسمى بالخرقاء ، وهي واردة بالتفصيل في النص المحقق ، والأخرى مسألة أبناء الأعيان وأبناء العلاّت ، وتفصيلها :

إذا كان أبو الإخوة واحداً وأمهم واحدة فهم الأعيان وجاء عن النبي ﷺ أنه قال « أعيان بني الأم أولى بالميراث من بني العلات » ، وقد استدل بهذا الحديث بعض من ذهب إلى قول ابن مسعود ومن كان على مثل قوله في ابني عم أحدهما أخ لأم أن المال كله لابن العم الذي هو أخ لأم دون الآخر ، وحمله مخالفوهم على أنه جاء في الأخ للأب والأم والأخ للأب ، ولكل فريق منهم علل يوردونها وحجج يأتون بها ، وقد رسمناها في مواضعها من كتبنا ، وذكرنا ما نختاره منها .

تسجيل بعض مظاهر المجتمع في عصره

وبالرغم من أن كتاب المعافى حرص فيه مؤلفه أن يكون ذا مادة سمرية لطيفة وحكايات مسلية ، تتخللها مواد الثقافة العامة لإفادة القارئ وتعليمه بعض ما لا يستغني عنه المثقف ، فإن مؤلفه مع ذلك لم يكن يعيش في برج عاجي بعيداً عن مشاكل المجتمع وما يعانيه من حكامه من ظلم وجشع ، وما يعيش فيه الأفراد من بؤس وفاقة ، ولهذا فنحن نراه ينتهز الفرصة عقب الأخبار المناسبة ليتحدث عما يشابه ذلك في مجتمعه من جور يقع أو ظلم فاش ، ولكنه يذكر ذلك باستحياء ومشاعر الخوف تمسك بتلابيبه ، فيبدو ما يكتبه منها كأنه جاء عفواً أو اقتضته ظروف الخبر الذي يرويه ومن ذلك :

أنه يروي خبراً عن أول مكس وضع في الأرض ، وذلك أيام سليمان عليه السلام فقد قيل إن عجوزاً على عهده خرجت تحمل دقيقاً فهبت الريح

فذرته ، فذهبت تشكو الريح إلى سليمان عليه السلام ، فقال : انظروا من طابت له الريح في البحر اليوم فأغرموه ثمن الدقيق .

ويعلق المؤلف على هذا الخبر بقوله : إن شريعة نبينا ﷺ ألا مكس ولا غرم على من طابت له الريح أو لم تطب ، ثم إن هذا الخبر لم يرد من طريق يجعل ثبوته عن سليمان عليه السلام قاطعاً فيؤخذ به ، وعلى فرض ثبوته فجائز أن يكون ذلك في شريعته ، وهو منسوخ في شريعتنا ، وقد قال الله تعالى : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾ .

ثم يعلق على لفظة المكس الواردة في الخبر بقوله : « ولم يكن من الصواب عندي أن يعبر فيما أتى به هذا الخبر المكس ، إذ المكس ما يأخذه الظالمون من العشارين وغيرهم من المسلمين قسراً بغير حق ، وقد روى عن النبي ﷺ في بعض الزناة أو غيرهم أنه قال : « لقد تاب هذا توبة لو تابها صاحب مكس لغُفر له» ؛ وفي بعض المحرمات : « من فعل هذا كان عليه من الإثم مثل ما على صاحب المكس ، وكل هذا ينبىء عن عظيم إثم صاحب المكس » .

ثم ينتهي من هذا إلى ما يريده من تفشي المكس في عصره بقوله : قال الشاعر :

وفي كل أسواق العراق إتـــاوة
وفي كل ما باع امرؤ مَكْسُ درهم

* * *

وفي خبر آخر يُلَمّح إلى أن العلماء في عهده حرموا من عطايا الخلفاء الجزيلة التي كانوا ينالونها فيما مضى من الزمان ، فبعد أن يذكر أن النضر بن شميل صحح كلمة في حديث نبوي ذكره المأمون ، فأعطاه على ذلك خمسين ألف درهم ، ثم أعطاه الفضل بن سهل أربعين ألفاً أخرى إعجاباً به ،

نراه يعقب على ذلك بقوله : قد كان من مضى من العلماء وأهل الفضل من الأدباء تمسهم الفاقة، وتنالهم العسرة والإضاقة ثم يصلون من الخلفاء والسادة والرؤساء بيسير ما عندهم من العلم والحكمة والآداب والمعرفة من الحظ الخطير والوفر الكثير .

ثم نراه يجأر بالشكوى مما آلت اليه حاله وحال الناس في عصره ، عقب تعقيبه على هذا الحديث :

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال:قال: رسول الله ﷺ أخذ جبريل بلحيتي ، وأنا أعرف الحزن في وجهه، فقال:إنا لله وإنا إليه راجعون، قلت : أجل فإنا لله وإنا إليه راجعون ، فمم ذلك يا جبريل ؟ قال : فإن أمتك مفتتنة بعدك بقليل من الدهر غير كثير ، فقلت : فتنة كفر أو فتنة ضلالة ؟ قال : كل سيكون ، قلت : من أين ذلك وأنا تارك فيهم كتاب الله تعالى ؟ قال : بكتاب الله يضلون وأول ذلك من قبل أمرائهم وقرائهم ، يمنع الأمراء الحقوق ، ويسأل الناس حقوقهم فلا يعطونها ، فيقتلون ويفتنون ، فيتبع القراء هوى الأمراء فيمدونهم في الغي ثم لا يقصرون، قلت : فبم يسلم من سلم منهم ، قال : بالكف والصبر ، إن أعطوا الذي لهم أخذوه ، وإن منعوه تركوه .

ويعقب المؤلف على ذلك بقوله : « قد روينا ما قدم نبينا ﷺ الإخبار به وشاهدناه ، وظهر لنا ما أنبأنا به وعايناه ، ومنعنا الذي لنا فصبرنا ، وليت مانعنا حقنا والمستبد به اقتصر على ما أتاه ولم يتجاوزه إلى اغتصاب التالد والطريف من أموالنا بالخبط والعسف ، والتعذيب والعنف ، ولم يتخطه إلى تكليفنا ما لا نقدر عليه ، ولا نصل إليه ، فإلى الله المشتكى والملجأ ، وهو المستغاث المرتجا ، وبعدله نستجير من جور من غلبنا على أقواتنا ، فشبع بها وأجاعنا ، وحفظ بها نفسه وأضاعنا ، فإنه قاصم العتاة المترفين ، وعاصم العفاة المستضعفين ، وما هو بغافل عما يعمل الظالمين ،

وقد قال موسى لقومه : ﴿استعينوا بالله واصبروا ، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين ، قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ، قال : عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾ اللهم إنا أصبحنا مستعينين بك فصبرنا على بلائك ، ووفقنا لشكر آلائك ، وألهمنا تقواك حتّى تكون العاقبة لنا ، واستنقذنا من عدوك وعدونا ، إنك رءوف رحيم ، جواد كريم ، فأما ممالأة قراء السوء أشكالهم من أمرائهم فقد ظللنا منه في أمر عظيم ، وخطب جسيم ، وصار ممن يعزى إلى تلاوة القرآن ، ويدعى له علم شرائع الايمان ، من ليس عنده مما ينسب إليه إلا ادعاؤه ، وقد تموه له بجده ، وامتحان العباد به ما يظن أنه حاصل له ، وإن كان صفراً منه ، ومنهم من قد جعل الزخرفة معرضهُ الذي يدلّس به نفسه ، ويتَهِم الجهال أن وراء ما يظهر ما يضاهي ما اغترّوا به ، ومنهم من قد اتفق له بعض المترفين ، وجهلة المتعلمين ، قبول له وصبابة نحوه ، واطراح الدين شامل لهذه الفرق المتقدمة المفتّن بها ، والله نسأل إدالة أوليائه وإزالة أعدائه » .

وهكذا نرى بعض مظاهر الشكوى في كتابه بين الحين والحين ، ولكن أهم ما يميز شكاواه أنها عامة لا يخص بها نفسه ، بل تخص الناس جميعاً ، وفي هذا ما يدل على إباء نفسه وترفعها ، رغم ما كان يقاسيه وهو العالم الجليل من خشونة العيش وشظف الحياة .

* * *

أسلوب الكتاب ومميزاته

لقد صاغ المعافى مادة كتابه هذا بأسلوب جزل رصين ، يؤثر الحرية غالباً في صياغته الفنية ، وإن كان بناء الجمل في مقدمته وتعليقاته على الأخبار التي رواها ، مطبوعة بطابع السجع والتكرار في كثير من الفقرات ، ففي التعليق على الحديث الشريف : « نعم الابل الثلاثون ، ينحر سمينها ويحمل على نجيبها » مثلاً ، يقول المؤلف :

قد نبه النبي ﷺ في هذا الخبر على أن هذا العدد قصد من المال ، وأشار بمدحه فيه إلى من نحر السمين منها وحمل على النجيب ، فدل على فضل من نحر المال لسبل المعروف ووجوه البر ، وأومأ إلى الترغيب في قرى الضيف وإنفاق أعلى الظهر ، وبث المكارم العائدة بالأجر ، وجميل الذكر ، ولم يزل الألباء يؤثرون بذل النوال ، وإفاضة الأفضال ، تزوداً ليوم العرض ، وصيانة للعرض ، ورغبة في إحراز الذخر ، وحسن القالة وجميل الذكر ، على تشعب الأمور الباعثة لهم على كريم السخاء ، وشريف العطاء (١) .

ويلاحظ أنه سجع قريب المأخذ سهل التناول .

هذا في تعليقاته ، أما في الأخبار التي ساقها فهي مروية غالباً بلغة أصحابها أو قريبة منها ، فما سمعه منها مرسلاً ساقه مرسلاً ، وما سمعه

(١) انظر المجلس الحادي عشر .

مسجوعاً مزدوجاً ساقه مسجوعاً مزدوجاً ، ويبدو هذا النوع الأخير في بعض ما رواه عن ابن دريد من أخبار ، إذ أن ابن دريد كان معروفاً بادخال الصنعة في أخباره ومزجها بشيء من الغريب ، حتى قيل إنه أول من وضع المقامات [1] ، وهذا مثال مما تبدو عليه أثر الصنعة فيما ساقه عنه من أخبار :

« حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرني عمي ، عن أبيه ، عن ابن الكلبي ، عن أبيه ، قال : وفد سعد العشيرة في مائة من ولده إلى بعض ملوك حمير ، وكان سعد قد عمر مائة وخمسين سنة ، فلما دخل على الملك قال له : من هؤلاء معك يا سعد ؟ قال : عشيرتي ، قال : أنت سعد العشيرة ، فسمي سعد العشيرة ، قال له الملك : أنه قد بلغني عنك رجاحة لب ، ورصانة حلم ، وأصالة رأي ، وتصرف في الأمور ، مع ما جربت من تصرف الدهور ، فهل أنت مخبري عما أسائلك عنه ؟ فقال : أيها الملك أن عقلي وقلبي مضغتان مني ، حراهما الدهر كما حرى سائر جسمي ، ولكنني أبو روية ثاقبة ، ما خذلتني منذ أيدتني ، فليقل الملك أسمع ، فإن أوفق للصواب فبيمن الملك ، وإن يخني الجواب فبما ثلمته مني الأحقاب ، قال له : يا سعد ! ما صلاح الملك ؟ قال : أيها الملك ! معدلة شائعة ، وهيبة وازعة ، ورعية طائعة ، فإن في المعدلة حياة الأنام ، وفي الهيبة نفي الظلام ، وفي طاعة الرعية التآلف والالتئام ، قال له الملك : يا سعد ! فمن أحمد

---

(١) انظر النثر الفني في القرن الرابع ١/٢٨١ - ٢٨٣ ، وينقل الدكتور زكي عن صاحب زهر الآداب أن ابن دريد وضع أربعين مقامة كانت هي التي هاجت بديع الزمان فوضع في معارضتها أربعمائة مقامة وأنه (أي الدكتور زكي مبارك) تلمس هذه الأحاديث أو المقامات الأربعين فلم يعثر عليها ، وأخيراً رجح أن تكون هي ما نقله عند القالي في أماليه من أحاديث العرب وملوك اليمن الأقدمين أقول : ويضيف ما ساقه المعافى في كتابه من أحاديث ابن دريد هنا شيئاً كثيراً إلى ما وجده الدكتور زكي مبارك له من أحاديث في أمالي القالي ، فإن كتابنا هذا لم يكن معروفاً لدى الدكتور ولا جمهرة الباحثين في ذلك الوقت وهو أوفر من أمالي من أحاديث ابن دريد .

الملوك ايالاً ، وأحسنهم عند الرعية حالاً ؟ قال : من كثرت في اصطناع المعروف رغبته ، ومالت إلى الأضياف رحمته ، وتخول بالمراعاة رعيته ، واعتدلت بهيبته رأفته ، قال : يا سعد ! فبم تستدرك عند الملوك حسن المكانة ، وتستبدل منه الفظاعة بالليانة ؟ قال : بالمبالغة في طاعته ، والانتهاء إلى مشيئته ، ومجانبة مسخطته ، والتقرب إليه بموافقته [1] .. إلخ .

ويلاحظ أن هذه الطريقة أقرب إلى الصدق وإلى طبيعة الأشياء ، وذلك بسرد الأخبار بأسلوب أصحابها الذين رواها عنهم لا بأسلوبه هو .

وهو يخالف في هذا مثلاً أبا الطيب الوشاء (ت٣٢٥هـ) في كتابه « الموشى في الظرف والظرفاء » والذي تكلف فيه أن يسوق أخباره بأسلوب أنيق يغلب عليه السجع حتى كان يسوقه هذا أحياناً إلى الإغراب في اللفظ للإتيان بالسجعة [2] ، ويخالف كذلك القاضي التنوخي في كتابه نشوار المحاضرة فقد فعل في تأليفه له مثل ما فعل صاحب الموشى [3] .

٢ ـ أما من ناحية منهجه التأليفي ، فقد أوضحنا فيما سبق أن المعافى لم يلتزم بأن يكون كتابه مبوباً بأبواب أو مميزاً بفصول ، بل أملاه بحسب ما يحضر في الحال ـ كما يقول ـ وهذا أدى إلى إنعدام الوحدة الموضوعية في الكتاب ، وهي طريقة أتبعها الجاحظ وسار على نهجه فيها عدد من المؤلفين كالمبرد في الكامل وأبي علي القالي في أماليه وأبي حيان التوحيدي في البصائر والذخائر ، فكل هذه الكتب لا نجد فيها عناوين لأبواب ، بل نجد فيها أخباراً أدبية ومواد تعليمية مصفوفة بجانب بعضها البعض لا يحكمها إلاّ الإستطراد لأدنى مناسبة في الكلام ، وكانت حجة الجميع في ذلك هو دفع السأم عن القاريء ، وإبعاد شبح الملل وثقل الإطالة عليه ، وإن لم يوفق

---

(١) انظر المجلس الحادي والعشرين .

(٢) انظر الموشى ٧ .

(٣) انظر النثر الفني في القرن الرابع ١/٤٠٠ .

منهم إلاّ الجاحظ في ذلك لخفة روحه ورشاقة أسلوبه ، وبقيت كل الكتب ما عداه تحتاج إلى بعض الصبر في قراءتها والأناة في تتبعها .

٣ ــ نلاحظ أيضاً أن المعافى تغلب عليه الروح التعليمية ، فما أن يبدأ القارئ القراءة في المجلس الأول حتى يجد مواد النحو واللغة والقراءات وغيرها واضحة فيه وضوحاً بيناً ، وهذا على التحقيق لم يكن هدفه الأول ، ولذا نراه يكبح جماح نفسه من الاستطراد فيها في كثير من المواقف ، مثلاً بعد أن يشرح الأقوال النحوية في (لا حول ولا قوة إلاّ بالله) ، وفي الآية الكريمة التي تشبهها من الناحية النحوية وهي ﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾، نراه يقول : وفي علة من فرق في الإعراب بين بعضها وبعض اختلاف يطول شرحه وليس هذا موضع ذكره [١] .

أو يقول في موضع آخر : واستقصاء الكلام في معاني هذه القراءات وتسمية القراء بها وبيان ما يختار منها يطول ، وهو مرسوم فيما ألفناه من كتبنا في القراءات وعلوم القرآن على الشرح والبيان [٢] ..

ومع ذلك فإننا نشك في أنه استطاع أن يكبح جماح نفسه أحياناً كما يراه القارئ في كثير من المجالس .

٤ ــ وإذا كان المعافى قد أبان بطريقة بينة تماماً عن وفور علمه وسعة إحاطته في مختلف العلوم كما أوضحنا ، فهو لم يغمط الأخبار السمرية حقها فهي أساس الكتاب . ولذا فقد أتى في كتابه بكل ما استطاع جمعه لمشاهير عصره الذين ألفوا في هذا الفن ، وبذلك أصبح كتابه يجمع بين الأمالي العلمية في مختلف الفنون وليس في النحو وحده كما يتسم به الكامل للمبرد أو اللغة وحدها كما تتسم به أمالي القالي ، وبين الأدب الطريف بما فيه من

---

(١) انظر المجلس الأول .

(٢) انظر المجلس العاشر .

عظات وفضائل ، وسمر ولطائف وهو يمثل بذلك أقصى تطور لمثل هذه الكتب في القرن الرابع الهجري .

٥ ـ ومن الجميل بعد ذلك أن الكتاب خلا من الأدب المكشوف ومن قصص الجنس ومن محاسن النساء أو الغلمان أو عيوبهن التي فشت في ذلك القرن ، مما يضيف إلى مميزاته ميزة أخرى ويجعله كتاباً للمتأدبين والمتعلمين من الطراز الأول .

الكتب التي نقلت عنه

لعلنا لا نعدو الحق إذا قلنا إنه ما من كتاب لقي من عناية العلماء القدامى بالنقل عنه مثلما لقي كتابنا هذا ، ولا جدال في أن هذا مما يضاف إلى حسنات الكتاب ، ألا يجد العلماء مصدراً أصيلاً لا يرون ما يتضمنه في غيره فيعتمدون عليه وينقلون منه ، ولقد كثر النقل عنه كثرة مستفيضة ، يكفي للدلالة عليها أن نورد ما وجدناه منها ، وربما كان ما لم نعثر عليه أكثر .

فقد اهتم به الخطيب البغدادي ، ونقل عنه في موسوعته « تاريخ بغداد » في مائة وثمانية وعشرين موضعاً ، منها ثلاثة مواضع اقتبسها من الكتاب مباشرة بلفظ ذكر (تاريخ بغداد ٤٦٨/٨ ، ١٢٠/٩ ، ٣٨٣/١٢)، وبقيتها أوردها بواسطة خمسة من شيوخه الذين هم تلامذة المعافى ، وهم :

١ ــ أحمد بن عمر النهرواني (٥٢ نصاً) .

٢ ــ طاهر بن عبد الله الطبري (٣٧ نصاً) .

٣ ــ محمد بن الحسين الجازري (١٦ نصاً) .

٤ ــ أبو القاسم عبيد الله بن أحمد الأزهري (١١ نصاً) .

٥ ــ عبد الوهاب بن علي الملجمي المؤدب (٥ نصوص) .

٦ – روايات مفردة (٣ نصوص) .

أما طبيعة هذه المقتطفات . فهي تتناول أخبار الخلفاء العباسيين والوزراء والولاة والقضاة والأدباء والشعراء . وحكايات في الكرم ، وقصص القضاة الطريفة ، وتسعة أحاديث [1] .

كما اقتبس منه الخطيب أيضاً في كتابه « تقييد العلم » في ستة مواضع ، وفي كتابه الكفاية صفحات ٣٧٦ – ٤٠١ ، ٤٤١ .

وفي كتابه الفقيه والمتفقه ، صفحات ٣٤/١ ، ٣٥/٢ ، ١٣٧ ، ٩٩ .

واقتبس منه الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق فيما يلي :
١٣/١ ، ١٩٣/١٠ – ١٩٤ ، ٢٦٧ – ٢٦٨ ، ٢٧٨ .

كما اقتبس منه ابن كثير في البداية والنهاية في : ٣٠٧/٥ ، ١١٧/٧ ، ٣٩/٨ ، ٤٠ ، ١٣٤/٩ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٦٤ ، ٧/١٠ ، ٥٩ ، ١٨١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

واقتبس منه ابن حجر في الإصابة في : ٣٢٦/٢ ، ١٧/٣ .

واقتبس منه ابن خلكان في وفيات الأعيان في : ٣٢/٢ ، ٤١ ، ٧٣ ، ٤١١/٣١٨ ، ٢٨٠/٦ ، ٣٨٢ .

أما السراج الوراق فإنه نقل كل ما ورد في كتاب المعافى من قصص العشق وأودعها في كتابه « مصارع العشاق » والواقع أن هذا الكتاب فيه من جهد المعافى أكثر مما فيه من جهد الوراق ، وإن كان الوراق قد نسب ما نقل إلى صاحبه .

كما نقل ابن حجة الحموي في ثمرات الأوراق ، والأبشيهي في المستطرف كثيراً من الأخبار بحيث لا يمكن حصر ما ورد فيهما منقولاً بالنص عن كتاب المعافى ، ألا أنهما لم يشيرا إلى مصدريهما كما فعل الوراق .

وفي هذه النقول ما يكفي على تبيين أهمية الكتاب، وأثره البالغ فيما تلاه من مؤلفات .

---

(١) انظر : موارد الخطيب في تاريخ بغداد ٥٩١ .

تحقيق الكتاب

نسخ الكتاب المخطوطة :

كانت الخطوة الأولى اللازمة لدراسة هذا الكتاب أولاً ثم لتحقيقه ثانياً هي البحث عن نسخة المخطوطة ، ولقد عثرت في الواقع على عدة نسخ للكتاب ، إلاّ أنني اكتشفت للوهلة الأولى أن هناك نسخة واحدة فحسب هي الكاملة أي تتضمن الكتاب كله ، وأن بقية النسخ تحتوي على بعض المجالس ، فبعضها يتضمن خمسة وعشرين مجلساً وبعضها يتضمن أربعين ، وواحدة تتضمن خمسين .

وإذن فقد كان لا مفر من أن أعتمد بصدد دراسة الكتاب كله على تلك المخطوطة الوحيدة الكاملة ، وفيما يلي بيان بوصف تلك النسخة ثم بيان بوصف بقية أخواتها .

يوجد أصل هذه النسخة في مكتبة السلطان أحمد الثالث بإستامبول ، وهي مصورة في معهد المخطوطات برقم ١٦٨ أدب ، وتقع في مائتين واثنتين وخمسين ورقة من الحجم الكبير ، في كل ورقة صفحتان ، وفي الصفحة ثلاثة وعشرون سطراً ، وقد كتبت بخط نسخي حسن مضبوط بالشكل ، إلاّ أن الناسخ ــ وهو غير معروف ــ كتبها بخط دقيق جداً

بحيث وضع في السطر الواحد ما بين واحد وعشرين وخمس وعشرين كلمة وفي الشعر يضع كل بيتين في سطر واحد ، وبالطبع فقد أدى هذا في كثير من الأحيان إلى صعوبة قراءتها والإمعان الشديد في بعض الكلمات حتى يمكن استيضاحها .

وقد كتبت النسخة سنة تسع وعشرين وستمائة ، وكان الفراغ منها يوم الخميس تاسع عشرين شوال من تلك السنة على حد ما كتبه الناسخ في آخرها .

وتمتاز هذه النسخة بأنها قوبلت على أصلين مخطوطين . والذي قابلهما هو عبد الرازق بن أحمد بن محمد بن أحمد الشيباني السلامي (١) ، وهو يقول في آخر النسخة : « عارضتها بنسختي ، وهي بخط الإمام الحافظ المتقن شمس الدين أبي الحجاج يوسف بن خليل الدمشقي (٢) ، وبالنسخة الموجودة في ضمن المدرسة المستنصرية ، وصححته بقدر الإمكان ، والحمد لله أولاً وآخراً » كذلك فقد قرئت هذه النسخة في محفل ضم عدداً من العلماء بينهم ابن الفوطي علي الشيخ الثقة المسند كمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن محمد المقريً البزاز . وقام ابن الفوطي بتسجيل هذا السماع

(١) المعروف بابن الفوطي وبابن الصابوني ، كمال الدين أبو الفضل ، الأديب الكاتب الناظم المحدث المؤرخ المتكلم ، ولد في بغداد سنة ٦٤٢ هـ ، وسمع بها وأخذ عن نصير الدين الطوسي علوم الأوائل ، واشتغل باللغة والأدب والتاريخ وأيام الناس كما عني بالحديث فجمع وأفاد ، وولي خزانة كتب المستنصرية حتى وفاته سنة ٧٢٣ ، من تصانيفه مجمع الآداب في الألقاب ، والحوادث الجامعة في التجارب النافعة بالمائة السابعة ، ترجمته في لسان الميزان ١٠/٤ ، الدرر الكامنة ٣٦٤/٢ ، شذرات الذهب ٦٠/٦ .

(٢) محدث حلب ، ولد سنة ٥٥٥ هـ ، واشتغل بالحديث وله ثلاثون سنة ، وتخرج بالحافظ عبد الغني ، وشيوخه نحو خمسمائة نفس ، وكان حافظاً ثقة ، عالماً بما يقرأ عليه ، واسع الرواية متقناً ، توفي سنة ٦٥٨ هـ ، ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٤١٠/٤ ، العبر ٢٠١/٥ ، النجوم الزاهرة ٢٢/٧ .

ومن حضره من الناس في هوامش صفحة ٣٠ منها بخط دقيق جداً ، حاولنا قراءته ما أمكننا ، وهذا نصه :

سمع جميع كتاب الجليس والأنيس – على الشيخ الثقة المسند كمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن محمد المقرئ البزاز [١] بحق إجازته عن الشيخ الثقة موفق الدين أبي حفص عمر بن محمد بن المعمر بن طبرزد الدارقزي [٢] الموقت ، عن الشيخ أبي العز أحمد بن عبيد الله بن محمد بن كادش العسكري ، عن أبي علي محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين الجازري [٣] ، عن القاضي أبي الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى بن طرارا النهرواني الجريري ، بقراءة الحافظ العالم المتقن أبي عبد الله أحمد بن محمد بن الأنجب (؟) بن الحباز المقرئ – أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد ابن أحمد الصابوني الشيباني وله الخط ، وسمع الأديب العالم قطب الدين أبو أحمد سنجر (؟) ابن عبد الله عتيق شيخنا جمال الدين أبي محمد الحسين ابن إياز النحوي من أول الكتاب إلى آخر المجلس الرابع ، ومن أول المجلس الثاني عشر إلى آخر الخامس عشر ، ومن أول الثامن عشر إلى آخر الثاني والعشرين ، ومن أول السادس والعشرين إلى آخر السابع والعشرين ، ومن أول الحادي والثلاثين إلى آخر الثالث والثلاثين ، ومن أول السابع

---

(١) الملقب بالفويره تصغير فاره لحسن فهمه ، ولد سنة ٥٩٩ هـ ، وكان أبوه مكبراً بجامع القصر فاشتغل ابنه بالعلم ، وأخذ الروايات عن الفخر محمد بن أبي الفرج الموصلي ، وسمع منه التجريد والتيسير ، وأجاز له أبو أحمد بن مسكين صاحب الشهرزوري وغيره ، وعمر دهراً ، توفي سنة ٦٩٧ هـ ، انظر غاية النهاية ٣٧٣/١ .

(٢) الدارقزي نسبة إلى دار القز محلة ببغداد ، وهو مسند الشاميين ، روى الكثير وكان سماعه صحيحاً على تخليط فيه ، توفي سنة ٦٠٧ هـ ، لسان الميزان ٣٢٩/٤ .

(٣) محدث من شيوخ ابن عساكر ، خرج وألف ، توفي سنة ٥٥٦ هـ ، لسان الميزان ٢١٨/١ .

(٤) هو تلميذ المعافى ، وقد مرت ترجمته .

والثلاثين إلى آخر الثامن والثلاثين ، ومن أول الثاني والأربعين إلى آخر الكتاب .

وسمع الإمام الفقيه العالم شمس الدين أبو عبد الله بن أبي المؤيد محمد ابن أبي الثناء محمد بن العربي الخوارزمي المحتد البغدادي المولد ، من أول المجلس الرابع العشر إلى آخر المجلس الثامن عشر ، ومن أول المجلس الخامس والأربعين إلى آخر الكتاب .

وسمع السيد كمال الدين أبو الفضل علي بن علم الدين بن أبي الفضل العراقي الحسيني من أول الكتاب إلى آخر المجلس الرابع ، وسمع معه أخوه تاج الدين أبو محمد الحسن بن ... من أول المجلس العشرين إلى آخر المجلس الثاني والعشرين ، ومن أول المجلس الحادي والثلاثين إلى آخر المجلس الثالث والثلاثين ، ومن أول المجلس الخامس والثلاثين إلى آخر المجلس الثامن والأربعين ، ومن أول المجلس الثالث والخمسين إلى آخر المجلس الخامس والخمسين ، ومن أول المجلس الثامن والخمسين إلى آخر الثالث والستين ، ومن أول المجلس السبعين إلى آخر المجلس الثالث والسبعين ، ومن أول المجلس الثمانين إلى آخر المجلس الثاني والثمانين ، ومن أول المجلس الخامس والثمانين إلى آخر المجلس التسعين ، ومن أول المجلس الثامن والتسعين إلى آخر الكتاب .

وسمع الأجل شرف الدين أبو محمد حامد بن المبارك بن حامد المنبجي التاجر من أول المجلس الخامس إلى آخر المجلس السابع ، ومن أول المجلس الثالث والثلاثين إلى آخر المجلس السادس والثلاثين ، ومن أول المجلس الخامس والأربعين إلى آخر المجلس الثامن والأربعين ، ومن أول المجلس الثاني والستين إلى آخر المجلس الثالث والستين إلى آخر المجلس الثالث والستين ، ومن أول المجلس الرابع والسبعين إلى آخر المجلس السادس والسبعين .

وسمع شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن إيرانشاه الصولي من أول المجلس الخامس إلى آخر المجلس السابع .

وسمع الفقيه شمس الدين محمد بن يوسف المناول ... من أول المجلس العاشر إلى آخر المجلس الخامس عشر .

وسمع السيد الأجل العالم تاج الدين أبو علي بن محمد الأبلي النخغي القرشي من أول المجلس العشرين إلى آخر المجلس الثالث والعشرين .

وسمع الأستاذ علي بن محمد بن أحمد الشيرازي بن ... وأخي الحسن ومحمد بن أحمد الفقر ، وعبدالله بن نصال والنعماني الخياطون بخان الخشبة من سوق الثلاثاء ، ومنافر بن أبي الفتح الكوخي من أول المجلس الرابع والعشرين إلى آخر المجلس الخامس والعشرين .

وسمع الأمير مظفر الدين أبو الجيش سليمان بن المولى الصدر الكبير المنعم شرف الدين أبي الحسن علي بن الصدر المعظم أبي الفضائل الحسن بن محمد بن علي ، وفتياه أبو المسك صندل وأبو الدر جوهر الجنديان من أول المجلس الحادي والثلاثين إلى آخر المجلس السادس والثلاثين .

وسمع تقي الدين إدريس بن بكلك البغدادي الناسخ من أول المجلس الحادي والخمسين إلى آخر المجلس الثاني والخمسين .

وسمع علي بن محمد بن أبي نصر بن وحشي البغدادي من أول المجلس الثالث والخمسين إلى آخر المجلس الخامس والخمسين ، ومن أول المجلس السابع والسبعين إلى آخر المجلس الثامن والسبعين .

وسمع بهاء الدين منصور بن المسيب بن أبي منصور الصريفيني النيلي المقرئ الضرير من أول المجلس الثاني والسبعين إلى آخر المجلس الثالث والسبعين ، ومن أول المجلس الخامس والثمانين إلى آخر المجلس السادس والثمانين ، ومن أول المجلس الثاني والتسعين إلى آخر الكتاب .

وسمع الفقيه صدقة بن عبد الله بن سلطان المقرئ الضرير الحنبلي من أول المجلس السبعين إلى آخر المجلس الحادي والسبعين ، ومن أول المجلس الخامس والثمانين إلى آخر المجلس السابع والثمانين ، ومن أول المجلس التاسع والتسعين إلى آخر الكتاب .

وصحح ذلك ... في أربعين مجلساً آخرها يوم الثلاثاء عاشر جمادي الآخرة سنة أربع وثمانين وستمائة ، وأجاز الشيخ المسمع للجماعة جميع ما يحق له وعنه روايته بسؤال الكاتب له ، والحمد لله حق حمده ، وصلاته على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلامه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ثم تلي بعد ذلك هذه العبارة بخط المسمع : « السماع والإجازة صحيحان وكتب عبد الرحمن بن عبد اللطيف أبو محمد المدني البزاز في تاريخه ، حامداً الله تعالى ومصلياً على رسوله محمد النبي وآله وسلم » .

وهكذا فقد أتيح لهذه النسخة من التصحيح والمقابلة والمعارضة ما لم يتح لغيرها ، ونحن نرى أثر هذا الجهد فيما أثبت على جوانب الصفحات من تصحيح لبعض الكلمات وضبطها ، وإعـــادة لبعض السطور المطموسة لتوضيحها ، ولولا دقة الخط التي تجعل من قراءتها عناءً متصلاً ، ثم ما حدث لها بفعل عوامل الزمن من تغيير للحبر الذي كتبت به بحيث أصبحت بعض صفحاتها مظلمة وظهر ذلك في التصوير ، لكانت شيئاً ثميناً ، ولما حال شيء دون تحقيق هذا الكتاب وظهوره منذ زمن طويل .

ومع ذلك فلا مفر من اعتبارها في التحقيق أُمّاً وأصلاً يعتمد عليه ، لأنها من ناحية النسخة الوحيدة الكاملة ، ومن ناحية أخرى تعدُّ أقدم النسخ وأصحها حتى الآن .

النسخة الثانية :

توجد هذه النسخة في مكتبة داماد إبراهيم باستامبول تحت رقم ٢٨٢ ،

ولها صورة في معهد المخطوطات العربية تحت رقم ١٦٩ أدب ، وهي برواية القاضي أبي الغنايم محمد بن علي الزجاجي [1] ، كما كتب على صفحة العنوان ، وتقع في ١٥١ ورقة ذات صفحتين ، وتبدأ من أول الكتاب وتنتهي بالمجلس الحادي والأربعين ، وسقط آخر هذا المجلس .

وهي حديثة نوعاً بالنسبة الأولى ، فقد كتبت في القرن التاسع الهجري، ولكنها على العموم نسخة جيدة مكتوبة بخط نسخي جميل ، وقد أفادت حين التحقيق في تصحيح بعض الكلمات وتوضيح ما صعبت قراءته في النسخة الأولى .

النسخة الثالثة :

وتوجد في المكتبة الحبيبية لصاحبها حبيب جنج بجامعة عليكرة بالهند ، ولها مصورة بمعهد المخطوطات ضمن أفلام غير مفهرسة ، وقد كتبت هذه النسخة سنة ٩٦٢هـ ، بخط نسخ عادي ، وتحتوي على ثلاثة وعشرين مجلساً فقط .

وتمتاز هذه النسخة بقراءة الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي لها ، وقد سجل تاريخ قراءتها في ١١ جمادي الآخرة سنة ١٣٥٣هـ، ١٩٣٤/٩/٢١م وصحح بعض ألفاظهـا ، لكنه على ما يبدو لم يتم قراءتها ، إذ أنهـا حافلة بالأخطاء ، وقد وقع فيها بعض الخلط بالمجلس الأول إذ جعل خلاله جزء من مجلس آخر ، مما يظن معه أنه زيادة لم ترد في النسخ الأخرى ، ولكنني بعد دراسة النسخ أمكنني أن أعرف أن ذلك مجرد خلط لا غير .

النسخة الرابعة :

وتوجد في الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم ٨٠٩٩ ، وعنها مصورة

---

(١) ذكره ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ٣١٤/٣ بقوله : روى عن علي بن عمر الحربي وابن معروف وجماعة ، توفي في شعبان سنة ٤٦٣ هـ وله ثلاث وثمانون سنة .

بمعهد المخطوطات لم تأخذ رقماً بعد ، وهي بخط مغربي حديث ، برواية أبي العز أحمد بن عبد الله بن محمد بن كادش السلمي إجازة عن أبي علي الجازري ، وتتضمن الخمسين مجلساً الأولى أي نصف الكتاب ، وتقع في مائتي ورقة ذات صفحتين في كل صفحة ٢٦ سطراً ، وهي نسخة جيدة ، ويبدو أنها منقولة من النسخة الأولى الكاملة ، إذ يشوبها ما فيها من عدم وضوح بعض الكلمات إلا أن أحداً لم يتناولها بالمعارضة والتصحيح كالأولى.

النسخة الخامسة :

وتوجد بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٧٤ أدب ، ولها مصورة بمعهد المخطوطات تحت رقم ١٧٠ أدب ، وقد كتبت سنة ١٢٩٦هـ وتتضمن المجالس الأولى حتى المجلس الحادي والعشرين ، ولم يشر إلى الأصل الذي انتسخت منه ، ولا إلى اسم الناسخ ، وهي واضحة الخط إلا أنها كثيرة التحريف .

النسخة السادسة :

وتوجد في مكتبة خدابخش بتنة في الهند تحت رقم ٣٢٩٢ ، ولها مصورة في معهد المخطوطات دون رقم ، وقد كتبت في القرن السابع الهجري بخط نسخ نفيس جداً . وتقع في ١١٢ ورقة ذات صفحتين ، في كل صفحة ١٧ سطراً ، ولكنها ناقصة الأول والآخر ، وتبدأ بأثناء المجلس الخامس والسبعين ، وتنتهي بآخر المجلس التاسع والتسعين ، وقد أفادتنا إلى حد ما في أثناء دراسة الكتاب في هذه المجالس .

عملنا في التحقيق

حينما استقر رأيي على تحقيق الجزء الأول من الكتاب ، قمت باستعراض نُسَخِهِ التي أشرت إليها آنفاً ، ثم صورت النسخة الأولى وهي نسخة أحمد الثالث الكاملة على ورق ، وبدأت عملي بأن نسخت الجزء الأول بخطى توطئة لتحقيقه ، على أن أقوم بعد ذلك بمقابلته بالنسخ الأخرى الموجودة بمعهد المخطوطات ، وفعلاً قمت بعد ذلك بالمقابلة ، وتمت على أساس اعتبار هذه النسخة أصلاً لصحتها ودقتها ثم الاستعانة بالنسختين الأخريين ، نسخة داماد إبراهيم ونسخة الحبيبية حين تتعذر قراءة الأصل أو إلى صحة المكتوب فيه ، وحيث يكون ثمة اختلاف جوهري ، أقوم بإثبات ذلك في هوامش التحقيق ، ولقد رمزت للأولى بحرف « أ » وللثانية بحرف « ر » وللثالثة بحرف « هـ » . وبعد أن اطمأننت لسلامة النص تماماً قدر الجهد والطاقة ، بدأت الخطوات التالية للتحقيق فقمت بما يلي :

١ — وضع علامات الترقيم الواجبة بين الجمل والفقرات ..

٢ — وضع عناوين من عندي للقصص والأخبار وتعليقات المؤلف ، وجعلت ذلك بين قوسين إشعاراً بأنها ليست من النص ، وقد فعلت ذلك ليسهل على القارئ معرفة بداية الخبر من نهايته وليأخذ فكرة موجزة عنه من عنوانه .

٣ – تخريج الآيات القرآنية الكريمة ، ثم تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مظانها ، وبذلت في ذلك غاية الجهد فلم يند عني في تخريجها إلا القليـــل .

٤ – ضبط الأعلام التي تقوم عليها الأخبار ، وبخاصة إذا ورد اسم العلم بكنيته أو شهرته فحسب .

٥ – تخريج المسائل اللغوية والنحوية وشرحها ، وإضافة بعض ما يلزم لزيادة الإيضاح .

٦ – استعنت بعدد كبير جداً من المراجع المخطوطة والمطبوعة لتخريج الأخبار الأدبية والأبيات الشعرية الواردة في النص ، ولقد كان المؤلف قليلاً ما ينسب الأبيات التي يأتي بها فقمت بنسبتها إلى قائليها ، وأثبت الروايات الأخرى إن كان ثمة اختلاف عما ورد منها في النص .

٧ – قمت بتصحيح بعض أوهام المؤلف أو سهوه ، ومنها على سبيل المثال قوله :

إن حرب داحس والغبراء وقعت بشأن ناقة البسوس ، أو قوله : إن كأس أم حكيم كان كأساً فرعونياً ، وأن الرشيد أهداه إلى ابنه الأمين ، أو قوله إن ابن أبي ليلى قص بعض طرائف ما حدث له وهو قاض إلى الخليفة الهادي ، وقد أبنت وجه الصواب في تلك الأخبار كما هو واضح في هوامش التحقيق .

وأنا أرجح أن تلك الأوهام مجرد سهو من المؤلف ، وقع فيها بسبب السن العالية – وهي عشر التسعين – التي كان يملي وقتها كتابه ، وهي على أي حال أوهام طفيفة وسط هذا الحشد الهائل من الأخبار والمواد العلمية الغزيرة التي ساقها ، وكفى المرء فضلاً أن تعد معايبه .

وهأنذا الآن بعد إتمامي هذا العمل أرجو أن تكون عيوبي فيه أنا الآخر معدودة على غزارتها، وعذري أنني قد بذلت غاية الجهد وما قصرت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

محمد مرسي الخولي
وكيل معهد المخطوطات العربية
رقم ١ شارع شهاب ـ الدقي ـ الجيزة

الجليس والأنيس

أو

الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي

للقاضي أبي الفرج المعافى بن زكريا النهرواني

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدّمَة

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

الحمد لله الذي دلّ على معرفته بإتقان صنعته ، وبديع لطائف حكمته ، وبما أودعه نفوس [1] المميزين من أعلام ربوبيته ، واستحق على كل مكلف الخنوع [2] لعظمته، والخشوع لعزّته ، والشكر والإشادة بما أسبغ من نعمته، ونشر من رحمته، وجعل قلوب أوليائه تسرح في ميادين محاسن ما ابتدعه ، وعقولهم ترتاح لما منّ عليهم من استنباط المعرفة بما اخترعه ، فأغناهم بالتنعم بما بسط لهم من المباحات ، عما زجرهم عنه من المحظورات ، فصار ما تدركه العقول من لطيف ما أنشأه ، وشريف الغرض [3] فيما ابتدأه ، وغريب أفعاله في تدبير عباده ، وتصريفهم وتقدير منافعهم ومصالحهم، أقواتاً [4] لها تربى على أقوات أجسادها التي هي أوعية تشتمل عليها ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وليّ النعم كلها دون من سواه ، وأنه لا فلاح إلا لمن هداه ، ولا صلاح إلا لمن عصمه من اتباع

---

(١) في د : وبما أودعه الله نفوس .

(٢) في د : الخضوع .

(٣) في د : التعرض .

(٤) في أ : أقراناً .

هواه ، وأن محمداً عبده الذي ارتضاه ، ونبيه الذي اختاره واجتباه ، ورسوله الذي ائتمنه واصطفاه ، ورفعه وأعلاه ، وخصَّه بختم النبوة وحباه ، وأبانه بأعلى منازل الفضل على[1] كل آدمي عداه، ونسأله أن يصلي عليه وعلى آله ويسلم أزكى تسليم وصلاة ، ويكرمه أتم تكريم وأنباه . ويجعلنا من الآوين إلى ظله وذراه ، والداعين إلى نوره وهداه ، ويعصمنا من الخروج عن طاعته، والولوج في معصيته ، ويوفقنا لإيثار عبادته ، ومجانبة عصيانه ومخالفته ، وهو ولي الإنعام بذلك ، والتيسير له ، والمعونة عليه من رحمته .

أما بعد ، فإنني منذ مدة مضت ، وسَنَة خَلَت ، فكرت في أشياء من عجائب خلق الله وحكمه ، وأياديه ونعمه ، ومَثُلاته [2] ونقَمه ، وقد اكتنفتني هموم وأحزان ، ولوعات وأشجان ، وفنون شتّى من حوادث الزمان ، وما قد فشا في الناس من التظالم والتحاسد ، والتقاطع والتباعد ، وأن ما هو أولى بهم من الأنس للمجانسة [3] ، قد فارقوه إلى الاستيحاش للمنافسة ، وحصلت على الاستئناس بالوحدة والخلوة ، ثم تطلعت إلى جليس طمعاً في أنس وسلوة ، فأعوزني ذو لُبٍّ عاقل ، واتفق لي كل غبي جاهل ، فلاح لي أن أنشىء كتاباً أضمنه أنواعاً من الجِدّ الذي يستفاد ويعتمد عليه ، ومن الهزل في أثنائه ما يَسُرُّ استماعه ويُستراح إليه [4] ، فإن اختلاف الأنواع يسهل النظر فيها، وينشط الوقوف عليها ، ويوفّر الاستمتاع بها ، وأن أضمنه علوماً غزيرة وآداباً كثيرة ، وأجعله مجالس موزعة على الأيام والليالي ، ولم أشترط فيه مبلغاً من العدد

---

(١) في د : عن .

(٢) المثلات : جمع مثلة بفتح أوله وضم ثانيه ، وهي العقوبة والتنكيل ، وفي د : مبتلاته .

(٣) في د : للمجالسة .

(٤) في د : ما يلتذ به ويصغي السامع إليه .

محصوراً [1] ولا قدراً من المجالس محظوراً ، ثم إن طوارق الزمان وموانعه ، وأحداثه وفجائعه ، وعوائقه وقواطعه ، وأهواله وفظائعه ، حالت بيني وبين ما آثرته ، ونفسي على هذا متعلقة به ، ومؤثرة له ومنازعة إليه ، إلى حيث انتهينا ، ثم إنني حملت نفسي [2] في هذا الوقت على الشروع فيه ، والاشتغال به ، وسهل الأمر عليّ فيه [3] أن بعض أصحابنا يكتبه عني إملاءً في الوقت بعد الوقت .

* * *

وقد صنف في نحو هذا الكتاب جماعة من أهل العلم والأدب كُتُباً على أنحاء مختلفة ، فمنهم من جعل جملة كتابه جامعة لكتب مكتتبة ، ومنهم من جعله أبواباً مبوبة، وأفرد أبوابه بفصول مميزة، ومعان خاصة غير ممتزجة ، وسمى بعض هؤلاء ما ألفه « الجواهر » وبعضهم « زاد المسافر » ، وبعضهم « الزَّهرة » ، وبعضهم « أنس الوحدة » ، في أشباه لهذه السمات عدة ، وعمل أبو العباس محمد بن يزيد النحوي [4] كتابه الذي سماه « الكامل »، وضمنه أخباراً وقصصاً لا إسناد لكثير منها ، وأودعه من اشتقاق اللغة وشرحها وبيان أسرارها وفقهها ما يأتي مثله به لسعة علمه ، وقوة فهمه ، ولطيف فكرته ، وصفاء قريحته ، ومن جَلِيِّ النحو والإعراب وغامضهما ما يقلُّ وجود من يسدّ فيه مسده ، إلا أن كتابه هذا مقصر عما وسمه به ، واختاره من ترجمته ، وغير لائق به ما آثره

---

(١) في د : محظوراً .

(٢) في د : حملت على نفسي .

(٣) في د : وتسهل الأمر على فيه حتى ... الخ ...

(٤) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي ، أبو العباس النحوي المعروف بالمبرد ، إمام العربية ببغداد في زمانه ، وأحد أئمة الأدب والأخبار ، مولده بالبصرة ووفاته ببغداد سنة ٢٨٦ هـ ، من كتبه : المقتضب وشرح لامية العرب ، والكامل ، وقد طبع بأوروبا والقاهرة مراراً ، ترجمته في تاريخ بغداد ٣٨٠/٣ ، وبغية الوعاة ٢٦٥/١ ، معجم الأدباء ١١١/١٩ .

من تسميته ، فحطّه بهذا عن منزلة [1] — لولا ما صنعه — كانت حاصلةً له ، فسبحان الله ما أبْين انتفاء هذا الكتاب عن نَسَبه ، وأشد منافاته للقبه ! وأنشأ الصولي [2] كتاباً سماه « الأنواع » مبوباً أبواباً شتى غير مستوفاة ، وأتى فيه بأشياء مستحسنة على ما ضم إليه من أمور مستهجنة ، وصنف أيضاً كتاباً كأبي قماش [3] سماه « النوادر » ، وهجاه بعضُ الشعراء بما كرهت حكايته ، وإن كان حين وقف عليه فيما [4] بلغني استغرب ضحكاً ، غير أن الجميل أجمل ، والتسلُّم من أعراض الناس أمثل . وصنف قوم كتباً في هذا الباب تشتمل على فقر من الآداب والفوائد منثورة غير مبوبة ، ومخلوطة غير مقيدة ، بفصول متميزة ولا أبواب متحيزة .

* * *

وقد سميت كتابي هذا « الجليس الصالح الكافي » « والأنيس الناصح الشافي » وأودعته كثيراً من فنون العلوم والآداب ، على غير حصر بفصول وأبواب ، وضمنته كثيراً من محاسن الكلام وجواهره ، وملحه ونوادره ، وذكرت فيه أصولاً من العلم أتبعتها شرح ما يتشعب منها ، ويتصل بها بحسب ما يحضر في الحال ، مما يؤمَن معه الملال ، ومن وقف على ما أتيت به من هذا ، علم أن كتابنا أحق بأن يوصف بالكمال والاستيفاء ، والتمام والاستقصاء ، وصدق وسمه بالجليس والأنيس ، فإن الكتاب

(١) في د : من .

(٢) هو محمد بن يحيى الصولي ، أبو بكر ، نديم من أكبر علماء الأدب ، نادم ثلاثة خلفاء من بني العباس ، هم الراضي والمكتفي والقادر ، له تصانيف منها كتاب « الأوراق » طبعت منه أجزاء ، وكان من أحسن الناس لعباً بالشطرنج ، نسبته إلى جده صول تكين ، توفي بالبصرة عام ٣٣٥ هـ ، ترجمته في تاريخ بغداد ٤٢٧/٣ ، لسان الميزان ٤٢٧/٥ ، نزهة الألباء ٣٧٣ ، معجم الأدباء ١٠٩/١٩ .

(٣) أبو قماش : هو من يجمع ما يكون على وجه الأرض من فتات الأشياء .

(٤) في د : بما .

إذا حوى ما وصفنا من الحكمة وأنواع الفائدة ، كان لمقتنيه والناظر فيه بمنزلة جليس كامل وأنيس فاضل . وصاحب أمين عاقل ، وقد قيل في الكتاب ما معناه أنه حاضر نفعه ، مأمون ضره ، ينشط بنشاطك[1] فينبسط إليك ، ويمل بملالك فينفض عنك ، إن أدنيته دنا[2] ، وإن أنأيته نأى ، لا يبغيك شراً ، ولا يُفشي عليك سراً ، ولا ينم عليك ، ولا يسعى بنميمة إليك ، ولذلك قال بعضهم :

نعم المصاحبُ والجليسُ كتابٌ ... تلهو به إن خانك الأصحابُ
لا مفشيـاً عند القطيعـة سِرّهُ ... وتُنالُ منه حكمةٌ وصوابُ

وقال آخر[3] :

لنا جُلساء ما نمَلُّ حديثهـم ... ألبّاء مأمونون غيباً ومشهدا
يفيدوننا من علمهم طَرْفَ حكمة[4] ... ولا نتقي منهم لساناً ولا يدا

في أبيات .

وذُكر عن عبد الله بن المبارك[5] أنه سئل : أما تستوحش من مقامك منفرداً بهيت[6] ؟ فقال : كيف يستوحش من يجالس النبي ﷺ وأصحابه

---

(١) في د : ما ينشط ، تحريف .
(٢) في د : دنا منك .
(٣) هو أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي ، والبيتان التاليان من قصيدة أوردها ابن عبد البر القرطبي في كتابيه جامع بيان العلم وفضله ٢/٢٠٢ ، وبهجة المجالس ٥١/١ ، وانظر معجم الأدباء ١٩٥/١٧ ، ومحاضرة الأبرار ٧٦/١ .
(٤) الكلمتان ساقطتان من أ ، وفي المراجع السابقة : علم ما مضى بدلا من طرف حكمة .
(٥) عبد الله بن المبارك ، أبو عبد الرحمن المروزي الحنظلي ولاء ، كان من الربانيين في العلم ، الموصوفين بالحفظ ، ومن المذكورين بالزهد والورع ، وكان ممن جمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء ، توفي سنة ١٨١ هـ ، انظر تاريخ بغداد ١٥٢/١٠ - ١٦٩ .
(٦) هيت : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار مجاورة للبرية ، بها نخل كثير=

رضوان الله عليهم [1] ، وقد كان بعض من كان له في الدنيا صيت ومكانة ، عاتبني على ملازمتي المنزل ، وإغبابي زيارته ، وإقلالي ما عودته من الإلمام [2] به وغشيان حضرته ، وقال لي : أما تستوحش الوحدة [3] ونحو هذا من المقالة ، فقلت له : أنا في منزلي إذا خلوت من جليس يقصد مجالستي ، ويؤثر مساجلتي ، في أحسن أنس وأجمله ، وأعلاه وأنبله [4] لأنني أنظر في آثار الملائكة والأنبياء [5] والأئمة والعلماء ، وخواص الأعلام الحكماء ، وإلى غيرهم من الخلفاء والوزراء ، والملوك والعظماء [6] ، والفلاسفة والأدباء، والكتاب والبلغاء، والرجاز والشعراء ، وكأنني مجالس لهم، ومستأنسٌ بهم، وغيرُ ناءٍ عن محاضرتهم لوقوفي على أنبائهم، ونظري فيما انتهى إليّ من حِكَمهم وآرائهم .

* * *

وقد تجشمتُ إملاء هذا الكتاب على ما خلّفته ورائي من طول السنين ، حصلت فيه من عَشْرِ التِّسعين ، مع ترادُفِ الهموم وتكاثف الغموم [7] ، ومشاهدة ما لا أزال مرتمضاً به [8] وممتعضاً منه لفساد الزمان وانتكاسه ، وعجيب تقلبه وانعكاسه ، واختلاطه وارتكاسه ، ووضعه الأعلام الرفعاء ، ورفعه الطغام الوضعاء، فقد أحل الأراذل محل الأفاضل، وأعطى السفيه الأخرق حظّ النبيه العاقل ، وصرف نصيب العالم إلى الجاهل ، وصير

= وخيرات واسعة ، ودفن بها عبد الله بن المبارك ، انظر معجم البلدان ٩٩٧/٤ ، وفي أ : بها بدل بهيت .

(١) العبارة بنصها في تاريخ بغداد ١٥٦/١٠ .

(٢) في هـ : الالتئام .

(٣) في هـ : توحشك .

(٤) في أ : وأبسله ، ومعناها لا يناسب المقام .

(٥) ساقطة من أ .

(٦) في أ : والعلماء .

(٧) في هـ : والهموم .

(٨) ارتمض بالشيء : اشتد عليه وأقلقه .

الناقص مكان الوافر الكامل ، والراجح الفاضل ، وقدم على العلم المبرز الغُفْل [1] الخامل، ولقد قلت في بعض ما دفعت إليه،وامتحنت به،حين منعت النصف ، وحملت على الحسف ، حتى انقدت للعنف ، وأصحبت [2] عند الغلبة والعسف :

علام أعومُ في الشُّبـــه وأمري غير مُشْتَبِـهِ
أرى الأيـــام معتـبراً على ما بي من الوَلَـهِ
بلحظ غـير ذي سنـة وحـظ غير منتبــه
أروحُ وأغتــدي غَبَناً أُكَثِّر من أقِلُّ به [3]

وقلت في نحو هذا المعنى [4] :

أأقتبسُ الضياءَ من الضَّبابِ وألتمسُ الشَّراب من السَّرابِ
أريدُ من الزمان النذل بـذْلاً وأرْياً من جَنَى سَلَعٍ وصاب [5]
أرجِّي أن ألاقي لاشتياقي سَرَاةَ الناس في زمن الكلابِ

في كثير من نحو هذا من النثر والقريض ، وذَمِّ الزمان السوء بالتصريح والتعريض ، وأرجو (أن) [6] يغيِّر الله ما أصبحنا منه ممتعضين ، وأمسينا معه مرتمضين ، ويشفي صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظَ قلوبِ الأماثل من العلماء المبرزين ، فقد بلغ منهم ما يرون من تقديم الأراذل الضُّلاّل ، والأداني الجُهّال ، حتى صُدِّروا في مجالس عِلم الدين ، وقُدِّموا

---

(١) غير واضحة في أ .
(٢) أصحبت : أي انقدت وأذعنت .
(٣) ورد هذا البيت وحده في البحر المحيط لأبي حيان ٥٠٢/٤ ، والرواية فيه : سفها بدل غبنـا .
(٤) الأبيات التالية في ترجمة المؤلف في وفيات الأعيان ١٣١/٤ .
(٥) الأري : عسل النحل ، والسلع : شجر مر .
(٦) زيادة يستقيم بها السياق .

في محافــل ولاة أمور المسلمين ، وصيروا قضــاة وحكاماً ورؤساء [1] وأعلاماً ، دون ذوي الأقدار ، وأولي الشرف والأخطار ، وكثير ممن يشار إليهم منهم لا يفهم من كتاب الله آية ، وإن تعاطى تلاوتها لحن فيها، وأتى بخلاف ما أنزل الله منها ، ولا كتبوا سُنّة من سُنَن رسول الله ﷺ ولا دَرَوْها ، وإن تكلَّفُوا ذكرَها أحالُوها ، وأتوْا بها على غير وجهها ، ولا عرفوا شيئاً من أبواب العربية وتصريفها ، ولا لهم حَظٌّ من الفلسفة وأجزائها ، ومع هذا فقد اتفق لبعضهم من فريق قد شدا من العلم طَرَفاً ، ونال منه حظاً ، عدد يعظمونه ويُغْلُون [2] في تعظيمه وتقديمه على أنفسهم ، وإن كان أسوأ حالاً وأخفضَ عقلاً منهم [3] ، كما عَبَدَ الأصنامَ من هو أعلى منزلة منها بالحياة والقدرة ، والعلم والمعرفة ، والبطش والقوة ، والتصرف والحيلة ، وأقدم هؤلاء الأغمار على الشهادة بالزُّورِ لمن وصفنا جَهْلَه وسُقُوطَه ، بإضافتهم إليه العلم بما هو أجهل الناس بــه [4] ، وأبعدهم مــن معرفته لميلهم إلى بعض ضلالاته ، وأُنسهم بكثير من خساراته ، وإن كانت بخلاف ما يعذرون [5] فيها من موافقته ، فقد صاروا سخريا مسخوراً منهم ، وسخريا مسخرين لتقليد من وصفنا صفته ، واستمر هذا الفريق المغرور على اتباع حزب الشيطان الذين اغترّوا بهم ، وبذلوا المناصرة لهم وممالأتهم ،ومضافرتهم وإعزازهم ،ومظاهرتهم

---

(١) في هـ : رؤساء .
(٢) الكلمة غير واضحة في أ .
(٣) في د : وأخفض منهم محلا ، وفي هـ : أخفض محلا منهم .
(٤) ساقطة من هـ .
(٥) في أ : يقدرون .

وتأييدهم ومؤازرتهم ، واستفزّهم ما يزخرفونه لهم من كلامهم ، وإن كان مسترذلاً ، ومخطأً ملَحّناً ، عند من أعلاه الله من أفاضل العلماء عليهم [1] ، وأبانهم بالعلم [2] والتفقه في الدين منهم ، إذ [3] أكثر ما يأتون به من الهجر [4] الذي يسميه [5] قوم الهاذور [6] ، وبمنزلة من قال فيه بعض الشعراء :

هِذْرِيَانٌ هَذِرٌ هَذَّاءَةٌ   مُوشِكُ السَّقْطَةِ ذو لُبٍّ نَثِر [7]

واستنزلهم من عباراتهم ما هو من نوع هجر باعة القميحة [8] السُّفوفيين ، وتنميق [9] هذر أصحاب الفاكهة والرياحين ، وهَذَيان أهل الحكاية والمخيِّلين [10] ، فلما وصفنا جنحنا إلى الصبر ، واستصحبنا الخمول ، رجاء إنعام الله بالإعانة [11] والنصر ، وذكرت — في وقتي هذا

---

(١) لم ترد هذه الكلمة في د ، هـ .

(٢) في هـ : وأباهم .

(٣) في الأصول : إذا .

(٤) في هـ : ما يأتون بعض الهجر .

(٥) في د : ما يسميه .

(٦) الهاذور : سقط الكلام ورديئه .

(٧) الهذر : الكلام الرديء الكثير أو سقط الكلام أيضاً ، وهذرا هذريان : مثل من أمثال العرب، معناه : أكثر من كلامك وتخليطك يا مهذار ، والهذاءة : من يتكلم بذلك ، والنثر : المتساقط .
انظر البيت دون نسبة في اللسان هذى ونثر ، ومجالس ثعلب ٥٩٥ ، ونوادر أبي زيد ٢٢٤ ، ونوادر أبي مسحل ٤ ، وانظر مجمع الأمثال ٣٩٥/٢ ، والبيت شديد التحريف في الأصول .

(٨) القميحة : السفوف ، وهو كل دواء يؤخذ غير ملتوت أو معجون ، وفي أ : بلغة الفسخة السفوفيين ، وفي د : باعة القصيحة وكلاهما تحريف .

(٩) في أ : تثمين .

(١٠) المخيل : هو من يلبس على الناس ويوهمهم بأشياء ليست من الحقيقة .

(١١) في هـ : بالاغاثة .

عند إثباتي ما أثبته من حال ذوي النقص الذين يتقلّبون [١] في دولة ، وإن كانوا من باطلهم في بَوْلة [٢] ، على أنها سحابة صيف عن قليل تقشّع [٣] — خبراً حدثنا به محمد بن القاسم الأنباري [٤] ، قال : حدثني محمد بن المرزبان ، قال : حدثنا محمد بن عثمان بن مهدي الأبُلّي ، قال : حدثنا محمد بن عبد الرحمن السايح ، قال : حدثنا حماد بن محمد بن عبد الله ، قال : حدثنا محمد بن شعيب بن سابور ، قال : سمعت الأوزاعي [٥] ينشد هذه الأبيات :

إذا كان الخَطَاءُ أقلَّ ضُرًّا ... وأنجحَ في الأمور من الصوابِ
وكان النَّوكُ مَحْموداً مُذالا [٦] ... وكان الدهر يرجع في انقلاب
وعُطِّلت المكارمُ والمعالي ... وأُغْلقَ دون ذلك كلُّ باب

---

(١) في هـ : ينلقبون .

(٢) في هـ ، د : جولة .

(٣) هذه العبارة مأخوذة من بيت شهير هو :

أراها وإن كانت تحب فإنها ... سحابة صيف عما قليل تقشع

انظره في المستطرف ٨٧/١ ، وانظر عيون الأخبار ٨٠/١ .

(٤) أبو بكر ، كان من أعلم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيين وأكثرهم حفظاً للغة ، أخذ عن أبي العباس ثعلب ، وكان ثقة صدوقاً من أهل السنة ، وقد ألف كتباً كثيرة في علوم القرآن والحديث واللغة والنحو والأدب ، وقد روى عنه المؤلف هنا كثيراً من أخبار الكتاب ، توفي سنة ٣٢٨ هـ ، انظر إنباه الرواة ٢٠١/٣ — ٢٠٨ ، وبغية الوعاة ٢٢٢/١ ، تاريخ بغداد ١٨١/٣ — ١٨٦ ، معجم الأدباء ٣٠٦/١٨ — ٣١٣ .

(٥) عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد ، أبو عمرو الأوزاعي ، إمام الديار الشامية في الفقه والزهد ، وأحد الكتاب المترسلين ، ولد في بعلبك ونشأ في البقاع وسكن بيروت ، وعرض عليه القضاء فامتنع ، وكانت الفتيا تدور بالأندلس على رأيه إلى زمن الحكم بن هشام ، توفي عام ١٥٧ هـ . ترجمته في حلية الأولياء ١٣٥/٦ ، فهرست ابن النديم ٢٢٧ ، وفيات الأعيان ٢٧٥/١ .

(٦) مذالا : أي يجر ذيله خيلاء .

وبُوعِدَ كلُّ ذي حَسَب ودينٍ وقُرِّب كُلُّ مهتوك الحجابِ
فما أحدٌ أضنَّ بما لديه من المتحرج المَحْضِ اللُّبابِ

وأنشد شيخنا أبو جعفر الطبري رحمه الله هذه الأبيات ، وفيما أنشده بيت آخر وهو :

وولِّى بعضهم خَرْجاً وحَرْبا وولِّي بعضهم فصلَ الخطابِ

وحذف من الجملة بيتاً[1] .

وأنا مُنْهٍ هذه الرسالة إلى هذا الموضع ، ومبتدىء بما قصدت إيداعه هذا الكتاب وتَضمينه إياه .

* * *

(١) في د : ، هـ : بيتاً آخر .

المجلس الأول

(حديث : من كذب علي متعمداً)

حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي في يوم الاثنين لثلاث ليال خلون من المحرم سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، قال : حدثنا الأوزاعي ، قال : حدثني حسان بن عطية ، قال : حدثني أبو كبشة : أن عبد الله بن عُمر حدثه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « بَلِّغوا عَنِّي ولو آية ، وحَدِّثُوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليَّ مُتعمِّداً فليتبوأ مَقْعَدَهُ من النار »(١) .

(التعليق على الحديث)

قال القاضي أبو الفرج : قوله عليه السلام : « بَلِّغوا عنّي ولو آية » ، أمر لأمته بتبليغ ما أتاهم به من وحي ربهم ، ويسر الأمر عليهم فيما يبلغونه، ويلقونه إلى من بعدهم ويؤدونه، ليتصل نقل القرآن عنه إلى آخر أمته ، ويلزم حجته جميع من انتهى إليه ممن يأتي بعده ، فقد أتاه الوحي بما

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ٢٠٧/٤ ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل من حديث الأوزاعي بسنده ، وانظر رواياته المختلفة في تاريخ بغداد ٥٠/٣ ، ٢٣٨/٣ ، ٢٦٤/٤ ، والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٢٨٠/٢ .

أتاه من قوله ﴿ وأُوحِيَ إليَّ هذا القرآن لأنذرَكُمْ به ومَنْ بَلَغ ﴾ [1] ونظيرُ ما أمر به من التبليغ قوله في خبر آخر : « نَضَّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ثم أدّاها كما سمعها ، فربَّ حامِل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » [2] . وقوله : « ولو آية » فإنه أتى على وجه التقليل ليسارع كل امرئ في تبايغ ما وقع من الآي إليه، فيتصل بتبليغ الجميع أو بعضه نقله ، ويتكامل باجتماعه واستكماله أداؤه .

(الآية وما فيها من طريق اللغة والنحو)

فأما الآية ففيها من طريق علم اللغة ثلاثة أوجه ، ومن جهة صناعة النحو والإعراب ثلاثة أضرب ، فأحدُ الوجوه فيها من قِبل اللغة أنها العَلاَمة الفاصلة ، والوجه الثاني أنها الأعْجوبة الحاصلة ، والوجه الثالث أنها المُثْلَة النازلة ، وهذه الأوجه الثلاثة إذا رُدَّت إلى أصولها متقاربة راجعة في المعنى إلى طريقة واحدة ، وجملة آحادها متناسبة ، فإذا قيل : اجعل لكذا وكذا آية ، فالمعنى علامة فاصلة تدل على الشيء بحضورها ، وتفقد دلالتها بغيبتها ، ألا ترى إلى قول الله جل ثناؤه : ﴿قال ربِّ اجعلْ لي آية ، قال آيتك ألا تُكَلِّم الناس ﴾[3] إلى آخر القصة فإنما سأل السائل ربه أن يجعل له علامة لما وعده وبشره به ، في ما جانس هذا مما تضمنه كتابُ الله عزَّ ذكرُه ، قال الشاعر :

ألاَ أبلغْ لديك بَنِي تميمٍ ... بآيةِ ما يُحِبُّون الطعاما [4]

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٩ .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن مسعود ٤٣٧/١ ، وعن أنس بن مالك ٢٢٥/٣ ، وعن جبير بن مطعم ٨٠/٤ ، وعن زيد بن ثابت ١٨٣/٥ ، وانظر سنن أبي داود ، كتاب العلم ، باب « فضل نشر العلم » وابن ماجة ، المقدمة ، باب « من بلغ علماً » وجامع بيان العلم وفضله ٤٠/١ ، والترمذي ٣٧٢/٢ .

(٣) سورة آل عمران الآية ٤١ ، وسورة مريم الآية ١٠ .

(٤) البيت ليزيد بن الصعق الكلابي، انظره مع القصة التي تذكر حب بني تميم للطعام في كامل =

وقال آخر (١) :

أَلِكْنِي إليها عَمْرَكَ اللهُ يا فتى بآيةِ ما جاءتْ إلينا تَهَادِيَا

ومثل هذا في الشعر وسائر الكلام كثير .

ولما كان ذكر الآية يعني الأعجوبة فمنه ما ذكره الله عز ذكره في مواضع من كتابه عند ذكره ما أحله من النقمة بأعدائه : ﴿إنّ في ذلك لآيةً وما كان أكثَرُهُم مؤمنين﴾ (٢) بمعنى العجب مما حلّ بهم عندما كان من تكذيبهم رُسُلَ ربهم .

وأما العبارة بالآية عن العقوبات المنكِّلة فكثيرةٌ في كلام الخاصة من أهل اللسان العربي كقولهم : قد جُعل فلان آية ، إذا حلّ به فظيع من المكروه ألا ترى أنهم يقولون لمن نزل به شيء من هذا به ، أو حصل على صفة مذمومة يُعيَّر بها ويُسَبُّ ويُوصم بها : فلانٌ آيةٌ منزلة ، فأما العِقْد الجامع لهذه الأوجه الثلاثة الذي يردُّها إلى جملة واحدة ، فهو أن العلامة إنما قيل لها آية لدلالتها وفضلها وإبانتها ، ووقع الفصل في القرآن بها حتى تميزت بعض ألفاظه من غيرها ، فصارت كل قطعة من ذلك جملة على حالها (٣) .

وأما معنى الأعجوبة فإنما يقع التعجُّبُ من المستغرب الذي يقل وقوعه ، فينفصل من الكثير الوجود الذي يختلط فيها بعضه ببعض ، ولا يكون فيه من الاختصاص ما في الموجود الذي قدمنا ذكره .

= المبرد ١/١٠٠ ، وانظر الكتاب لسيبويه ١/٤٦٠ ، خزانة الأدب ٣/١٣٨ ، ١٤١ ، وورد دون نسبة في مغني اللبيب الشاهد رقم ٦٧٣ .

(١) هو سحيم عبد بني الحسحاس ، كما ورد في خزانة الأدب ١/٢٧٤ ، واللسان ١٢/٣٧٤ ، وألكنى : أي كن رسولي إليها ، وقال في اللسان : وقد أكثر الشعراء من هذا اللفظ .

(٢) سورة الشعراء الآية ٨ ، ٦٧ ، ١٠٣ ، ١٢١ .

(٣) انظر في هذا تفسير القرطبي ١/٥٧ ، وخزانة الأدب ٣/١٣٧ ، ١٣٨ .

وأما النكال الحالّ بمن حل به فإنه يقال له آية [1] ، من حيث مَسَارُ أمره اعْجوبة يُعتبر ويتعظ بها ، وكان معنى خاصاً قُوبل به أمرٌ خاصٌّ بما أتاه من وقعت المجازاة به ، فكل واحد من هذه الأوجه الثلاثة مجانس لصاحبه في أنه أمارة وعلامة وأعجوبة لاختصاصها بما فيه حجة باهرة، ودلالة قاهرة، ومُثْلة ونقمة لما فيه من التميز والعجب وفظيع التنكيل، بأهل الزيغ والتبديل .

* * *

وأما الأضرب الثلاثة من قبل النحو وتصريف الإعراب ، فإن النحويين من الكوفيين والبصريين اختلفوا في الآية ما وزنها من الفعل [2] ، فقال الكسائي : هي في الأصل فاعلة وأصلها آيية [3] ، وكان ينبغي أن تدغم الياء الأولى في الثانية لاجتماعهما متحركتين فتصير آية مثل دابّة التي أصلها دَابِبَة ، فاستثقلوا التشديد فقالوا : آية [4] .

وقال نحويو البصرة : وزنها في الأصل فَعَلَة وأصلها أَيَيَة [5] فصارت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها . وقال الفراء : وزنها من الفعل فَعْلة وأصلها آيّة [6] ، فاستثقلوا التشديد فأتبعوه ما قبله فصارت الياء

---

(١) في أ : نية ، وهي تحريف .

(٢) انظر خزانة الأدب ١٣٨/١ ، وقد وردت هناك ستة أقوال ، اكتفى المؤلف هنا بإيراد ثلاثة منها .

(٣) مثل : ضاربة .

(٤) قال في الخزانة : أي بحذف العين استثقالا لتوالي ياءين أولاهما مكسورة ، لذلك كانت أولى بالحذف من الثانية ، وقد رد ذلك بأنه كان يلزم قلب الياء همزة لوقوعها بعد ألف زائدة في قولهم (آي) .

(٥) مثل : قصبة ، وهذا قول الخليل بن أحمد ، وقال : القياس في إعلالها (أياة) فتصح العين وتعل اللام ، لكن عكسوا شذوذاً فأعلوا الياء الأولى لتحركها وانفتاح ما قبلها دون الثانيـــة .

(٦) مثل : حية ، وهذا الوجه يعزى أيضاً لسيبويه واختاره ابنُ مالك .

الأولى ألفاً كما قالوا : ديوان ودينار والأصل فيها دوان ودنار ، والدليل على ذلك أنهم يقولون في جمعهما دواوين ودنانير ، ولا يقولون دياوين وديانير . ويجمع الآية آيات على جمع السلامة ، وآياً على أنها من القبيل الذي سبق جمعُه واحدَه فصار بين توحيده وجمعه الهاء التي في واحده . وقد زعم قومٌ أن معنى الآية : الجماعة ، وهذا قول رابع إلا أنه خطأ ، والبيان عنه وعن أصل اشتقاق الآية بما بين الخليل وسيبويه والأخفش فيه من الاختلاف في تقدير مَدَّته وتصريفه ، واستيعاب بابه يأتي في كتابنا المسمى « البيان الموجز ، عن علوم القرآن المعجز » إن شاء الله عز وجل .

* * *

وقوله عليه السلام : « وحَدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج » فإنّ الحَرَج أصلُه في كلام العرب : الضيق ، ومنه قيل للطائفة من الشجر الملتفّ المتضايق : حَرَجة ، وكان مقاتل بن سليمان [1] يتأول ما جاء في القرآن من ذكر الحرج أنه الشك [2] ، وهذا يرجع إلى ما وصفنا من معنى الضيق ، لأن الشاكّ يضيق صدره ، ويخالف العالم بالشيء المُثْلج صدرُه بما عَلِمه في راحة اليقين ، واتساع الصدر وانفساحه وتعرِّيه من ازدحام الظنون واعتراض الشكوك التي تضيِّقه ، وقد زعم بعض أهل الاشتقاق

(١) هو مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الخراساني ، أبو الحسن البلخي المفسر ، روى عن مجاهد وعطاء بن أبي رباح ومحمد بن مسلم الزهري وغيرهم ، كان يرمي بالتجسيم ، قال عنه الذهبي : كان من أوعية العلم ، بحراً في التفسير ، توفي سنة ١٥٠ هـ ، انظر طبقات المفسرين ٣٣٠/٢ ، تاريخ بغداد ١٣ : ١٦٠ ، ميزان الاعتدال ١٧٣/٤ .

(٢) وقد ورد هذا أيضاً عن مجاهد وقتادة في تفسيرهما قوله تعالى : « كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه » أي شك ، وقالا : ليس شك الكفر إنما شك الضيق ، انظر تفسير القرطبي ٢٥٩/٧ وقال أبو حيان في البحر المحيط ٢٦٦/٤ : تفسير الحرج بالشك تفسير قلق ، وهو إن صح يكن مما توجه فيه الخطاب إلى الرسول صلوات الله عليه لفظاً وهو لأمته معنى ، أي فلا يشكوا أنه من عند الله .

أن الذي يتخذه الرَّكْبُ من العيدان والخَشَب لرحالهم يقال لها حُرْجُوج ، لتضايقه واشتباكه ويجمع حِراج ، كما قال ذو الرمة :

فَسِيرًا فقد طال الوقوفُ ومَلّه
قلائصُ أمثالِ الحَرَاجِيج ضُمَّرُ (١)

ومنه قيل للشيْء المحظور المضيّقِ بالتحريم والمنع : « حَرَج » ، وقرأ بعض المتقدمين : ﴿هذه أنعامٌ وحَرْثٌ حَرْجٌ﴾(٢) مكان قراءة الجمهور « حِجْر » وحَجْر وهي كلها لغات معروفة في الحجر بمعنى الحرام لغتان الضم والكسر ، وقد قرئ بهما جميعاً (٣) ، وقوله : حرث حجر أي حرام ، وقوله : ﴿ويقولون حِجْراً مَحْجوراً﴾(٤) قال أهل التأويل : معناه حراماً محرماً ، قال الشاعر :

حَنّتْ إلى النّخْلة القُصْوى فقلت لهـا
حِجْرٌ حرام ألاَ تلك الدَّهَـارِيس (٥)

---

(١) رواية الديوان ٣٠٨ : أمثال الحنيات ضمر ، وليس فيه ذكر الحراجيج ، وعليه فلا شاهد في البيت ، هذا وقد وردت هذه الكلمة في بيت آخر لذي الرمة هو :

حراجيـــج تمليها إذا صفقت بهـــا ... قبائل من حيدان أوطانها الشحر

وفسر الشارح الحراجيج بأنها النوق التي طالت من الهزال ، الواحدة : حرجوج . انظر الديوان ٣٠٢ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٣٨ .

(٣) قراءة الضم مع التسكين للحسن وقتادة والأعرج ، والقراءة بضمهما معاً هي قراءة أبان بن عثمان وعيسى بن عمر ، انظر البحر المحيط بالرقم السابق .

(٤) سورة الفرقان الآية ٢٢ .

(٥) البيت للمتلمس ، ديوانه ٨٥ ، والنخلة القصوى : واد ، والدهاريس : اللواهي ، وهو يقول لناقته : هذا الذي حننت إليه ممنوع ، وبعد هذا البيت قوله :

أمــي شآميــة إذ لا عـــراق لنـــا ... قوماً نودهم إذ قومنـــا شوس

وانظر تفسير القرطبي ٤٢٣٧ .

وقال آخر :

قالت وفيها حِمْقَةٌ وذُعْـرُ

عَـوْذٌ بربـي منكم وحِجْرُ [1]

أي استعاذة تُحَرِّم عليكم ما أخافه من مكروهكم . والحجر أيضاً : العقل ، والحجى ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجر﴾ [2] أي عقل يمنعه من السفه والخرق ، ومنه حَجْر الحاكم على السفيه ، هو من التضييق والمنع والتحريم ، والمصدر منه مفتوح . وروى أن النبيَّ ﷺ قال للأعرابي الذي بال في المسجد ثم سمعه يقول : اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً — « لقد تحجّرْت واسعاً » أي ضَيّقْتَ ما وسّعَهُ الله عزَّ ذكره وحَظَرْت ما فَسّح فيه .

* * *

والحِجْر ديار ثمود ، وحِجْر الكعبة [3] مكسوران ، وحُجْر اسم الرجل مضموم الحاء ساكن الجيم ، كما قال عبيد بنِ الأبرص :

هلاَّ على حُجْــرِ بــن أمّ قَطَام تبكي لا علينـا [4]

وحركه امرؤ القيس لإقامة وزن الشعر فقال :

---

(١) البيت دون نسبة في إصلاح المنطق ٩٣ ، وخزانة الأدب ٤١١/١ ، واللسان ٣٣/٥ ، ٢٣٩ ، والرواية فيها كلها : حيدة بدلا من حمقة ، والحجر : الدفع ، وقال في اللسان : والعرب تقول عند الأمر تكرهه وتنكره : حجراً ، أي دفعاً وهو استعاذة من الأمر .

(٢) سورة الفجر الآية ٥ .

(٣) هو ما تركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم عليه السلام وحجرت على الموضع ليعلم أنه من الكعبة فسمي حجراً لذلك ، انظر معجم البلدان ٢٠٨/٢ .

(٤) انظر ديوان عبيد ٢٨ ، والبيت من قصيدة موجهة منه إلى امرىء القيس يسخر فيها من تهديده لقومه بني أسد بعد أن قتلوا أباه حجراً ، وهو من يعنيه بقوله ابن أم قطام ، وانظر الخبر بتمامه في خزانة الأدب ١٦٢/١ ، ٣٢٢ .

وهِـــرٌّ تصيدُ قلوبَ الرجــال وأفلت منها ابنُ عَمْرو حُجَرْ[١]

كما قال طرفة[٢] :

أيُّهـــا الفِتْيَانُ في مجلسنـــــا جَرِّدُوا منها وِرَاداً وشُقُرْ

والكلام شُقْر بالإسكان مثل حُمْر وصُفْر ، وحجر اليمامة مفتوح قال الشاعر[٣] :

فلولا الرِّيحُ أسمع من بحَجْــرٍ صليلُ البيضِ تُقْرَعُ بالذُّكُورِ

وحِجْر الإنسان فيه لغتان : الفتح والكسر .

ومثل حَرْجٌ وحِجْر ، صَاعِقة وصاقعة ، وجَذَبْتهُ جذباً وجَبَذْتهُ جَبْذاً ، في نظائر لما وصفنا كثيرة ، وأما حاجر[٤] فموضع معروف ، قال الأعشى :

شاقك من قَتْلَــةَ أطْلاَلُهـــا فالشَّطُّ فالقَفُّ إلى حَاجِرِ[٥]

* * *

---

(١) البيت في ديوانه ١٥٥ ، وهر هي ابنة العامري وهو سلامة بن عبد ويقال ابن عبد الله بن عليم من كلب ، قال : وكان امرؤ القيس في كلب وطيىء أيام نفاه أبوه ، فشبب بها ، وهو يقال : أفلت منها حجر بن عمرو وصادتني أنا .

(٢) البيت التالي في ديوانه ٨٢ .

(٣) البيت لمهلهل ، انظره في الموشح للمرزباني ١١٣ ، والأصمعيات ١٥٥ ، والذكور : جمع ذكر وهو من الحديد أيبسه وأشده وأجوده .

(٤) ذكر ياقوت أن حاجراً موضع قبل معدن النقرة ، وقال : دون فيد حاجر ، انظر معجم البلدان ١٨٢/٢ .

(٥) ديوان الأعشى ٩٢ ، بالرواية فيه : شاقتك بدل شاقك ، وبالشط فالوتر إلى حاجر بدل فالشط فالقف الخ ، وهو بالرواية نفسها في معجم البلدان ٩٠٢/٤ ، وفيه وحصن معتق من بناء جديس وبه تحصن عبيد بن ثعلبة حين اختط حجراً ، وفي ٩٠٢/٤ قال ياقوت : الوتر بضم الواو : واد باليمامة خلف العروض مما يلي الصبا ، ثم ذكر بيت الأعشى أما=

وخص بني إسرائيل بهذا لما مضت فيهم من الأعاجيب ، كما خص البحر بما فيه من العجائب ، وأرخص في التحدُّث عنه مع اتقاء الحرج بالكذب فيه ، وقوله : ولا حَرَج ، يتّجه فيه تأويلان ، أحدها : أن يكون خَبَراً محضاً في معناه ولفظه ، كأنه لما ذكر بني إسرائيل وكانت فيهم أعاجيبُ وكان كثيرٌ من الناس ينبُوسمعهُ عنها، فيكون هذا مقطعة لمن عنده علم منها أن يحدث الناس بها ، فربما أدى هذا إلى دروس الحكمة [1] ، وانقطاع مواد الفائدة ، وانسداد طريق إعمال الفكرة ، وإغلاق أبواب الاتعاظ والعبرة ، وكأنه قال : ليس في تحدثكم بما علمتموه من ذلك حرج .

والتأويل الثاني : أن يكون المعنى في هذا : النهي فكأنه قال : ولا تحرَّجوا بأن تتحدثوا بما قد تبين لكم الكذب فيه محققين له أو غارِّين [2] أحداً به ، فهذا اللفظُ على هذا الوجه لفظُه لفظُ الخَبر وفائدتُه النهيُ من جهة المعنى ، ولفظ النهي لا يأتي إلا متعلقاً بفعلٍ مُستقبل ، فإذا قيل : ولا تَحَرَّجُوا فهو صريح اللفظ بالنهي ، فإذا قيل: ولا حرج جاز أن يكون خبراً محضاً معنى ولفظاً ، وجاز أن يكون لفظه لفظ الخبر في بنيته ، ومعناه النهيُ لقصد المخاطب وإرادته، دون صورة اللفظ وصيغته ، ونَصْبُ الحَرَج في هذا الموضع هو الوجه على ما يقتضيه المعنى الذي يسميه البصريون النفي ويسميه الكوفيون التبرئة [3] وهو على قول الخليل مبنيٌّ يضارع المعرب ، وعلى قول سيبويه معربٌ يضارع المبني ، ولو رُفع ونُوِّن لكان

= القف بضم القاف وتشديد الفاء فهو كما فسره ياقوت في المعجم ١٥٢/٣ : جبل غير أنه ليس بالطويل ، فيه إشراف على ما حوله ، ثم قال أيضاً : هو علم لواد من أودية المدينة عليه مال لأهلها .

(١) درس الشيء درساً ودروساً : عفا وذهب أثره .

(٢) غره : خدعه وأطمعه بالباطل .

(٣) انظر مغني اللبيب ٢٣٧/١ .

وجهاً قد عرف واستُعمل (١) كما قال الشاعر :

مـــن صَدّ عن نيرانهـــا فأنا ابن قَيْسٍ لا بَرَاحُ (٢)

وقولهم : لا حَوْلَ ولا قُوة إلا بالله (٣) ، للعرب فيه خمسة مذاهب : لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله ، ولا حولَ ولا قوةً (٤) ، ولا حولَ ولا قوةٌ (٥) ، ولا حولٌ ولا قوةٌ (٦) ، ولا حولٌ ولا قوّةَ (٧) .

---

(١) أي اسم لا ، وهي حينئذ تكون عاملة عمل ليس .

(٢) البيت لسعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها في الجاهلية ، وهو من قصيدة يعرض فيها بالحارث ابن عباد،لقعوده عن الحرب التيهاجت بين بكر وتغلب ابني وائل،حين قتل جساس البكري كليباً التغلبي ، وأول القصيدة :

يا بـؤس للحـــرب التي وضعت أراهط فاستراحوا

انظر خزانة الأدب ٢٢١/١ وما بعدها .

وانظر بيت الشاهد في الكتاب ٣٥٤/١ ، والمغنى ٢٣٩/١ ، واللسان ٢٣١/٣ ، والرواية فيه : من فر . وقد نسب الشاعر نفسه في البيت إلى جده الأعلى قيس ، أما الشاهد فيه فهو رفع الاسم بعد لا وإعمالها عمل ليس ، والخبر محذوف تقديره لا براح لي .

هذا وقد ذكر المؤلف أن الاسم بعد(لا)يجوز رفعه وتنوينه، وقد ذكر شاهد الرفع دون تنوين ، أما الرفع مع التنوين فهو :

تعـز فلا شيء على الأرض باقيـــاً ولا وزر مما قضى الله واقيا

أو قوله :

نصرتك إذ لا صاحب غـير خاذل فبونت حصناً بالكماة حصينـــا

بتنوين شيء وصاحب ، انظر المغنى ٢٣٩/١ ، ٢٤٠ .

(٣) أي وشبهه من كل تركيب تكررت فيه لا ، وسبق الثانية عطف ، وكان كل من الاسمين مفرداً صالحاً لعمل لا .

(٤) بنصب الثاني بالعطف على محل اسم لا ، وتكون لا الثانية زائدة بين العاطف والمعطوف .

(٥) برفع الثاني وذلك بالعطف على محل لا مع اسمها ، فإن محلهما رفع الابتداء عند سيبويه وحينئذ تكون لا الثانية زائدة بين العاطف والمعطوف لتأكيد النفي ، أو بالابتداء وليس للا عمل فيه ، أو أن لا الثانية عاملة عمل ليس .

(٦) برفعهما معاً ، وتكون لا إما مهملة ، وإما عاملة عمل ليس .

(٧) برفع الأول ، وبناء الثاني على الفتح ولا يجوز نصبه لأن النصب إنما يكون بالعطف على —

وقال الله تعالى ﴿ فلا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدالَ في الحج ﴾[1] ، هذه قراءة شيبة ونافع وعاصم وحمزة والكسائي في آخرين ، وقرىء : فلا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدالَ وهي قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي[2] ، وقرىء: ﴿فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالَ﴾[3] وهي قراءة مجاهد[4] وابن كثير[5] وأبي عمرو[6] وعدد غيرهم ، وقد قرأ بعضهم ولا جدال مثل دَرَاكِ ومَنَاعِ ، رويتْ هذه القراءة عن عبد الله بن أبي إسحاق[7] ،

= منصوب لفظاً أو محلا ، وهو ها هنا مفقود ، انظر في هذه الأقوال : شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٨/٢ ، ٩ ، ١٠ ، والإنصاف للأنباري ٣٦٦/١ - ٣٧٠ .

(١) سورة البقرة الآية ١٩٧ .

(٢) في الأصل كلمة لا تقرأ ، وقد أثبتنا نسبته من المراجع ، وهو أحد القراء العشرة ، من التابعين ، كان إمام أهل المدينة في القراءة وعرف لذلك بالقارىء ، وكان من المفتين المجتهدين ، توفي بالمدينة عام ١٣٢ هـ ، ترجمته في غاية النهاية ٣٨٢/٢ ، تاريخ الإسلام ١٨٨/٥ .

(٣) برفع الأولين وفتح الثالث ، وذلك بمعنى : فلا يكون رفث ولا فسوق ، أي شيء يخرج من الحاج ، ثم ابتدأ النفي فقال : ولا جدال .

(٤) مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي ، مولى بني مخزوم ، تابعي ، مفسر ، من أهل مكة ، كان شيخ القراء والمفسرين ، أخذ التفسير عن ابن عباس قرأه عليه ثلاث مرات يقف عند كل آية يسأله فيم نزلت وكيف كانت ، توفي سنة ١٠٤ هـ ، ترجمته في غاية النهاية ٤١/٢ ، ميزان الاعتدال ٦/٣ ، حلية الأولياء ٢٧٩/٣ .

(٥) عبد الله بن كثير الدارمي المكي ، أحد القراء السبعة ، كان قاضي الجماعة بمكة ، مولده ووفاته بها سنة ٣٢٠ هـ . ترجمته في وفيات الأعيان ٢٤٥/٢ .

(٦) هو زبان بن عمار التميمي المازني البصري أبو عمرو ، يلقب أباه بالعلاء ، من أئمة اللغة والأدب وأحد القراء السبعة ، ولد بمكة ونشأ بالبصرة ومات بالكوفة سنة ١٥٤ هـ ، وكان أعلم الناس بالأدب والعربية والقرآن والشعر ، وكانت عامة أخباره عن أعراب أدركوا الجاهلية ، ترجمته في غاية النهاية ٢٨٨/١ ، وفيات الأعيان ٣٨١/١ ، نزهة الألباء : ٢٤ .

(٧) عبد الله بن أبي إسحاق الزيادي الحضرمي ، نحوي أخذ عنه كبار النحاة كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي والأخفش ، وكان قيماً بالعربية والقراءة إماماً فيهما ، كثيراً ما كان يرد على الفرزدق ويتكلم في شعره ، فهجاه هذا ببيته المشهور : =

واختلف في علل إعراب هذه القراءات ، وفي علة من فرّق في الإعراب بين بعضها وبعض اختلاف يطول شرحه [(١)] وليس هذا موضع ذكره ، ونحن مستقصو القول فيه عند انتهائنا إليه من كتابنا المسمى « البيان الموجز في علم القرآن المعجز » وفي كتابنا في القراءات ، وكتابنا في عللها وتفصيل وجوههـا .

وقوله : « من كَذَبَ عليَّ متعمِّداً فليتبوأ مَقْعَدَه من النار » قد أتت الرواية بهذا اللفظ وما يقاربه من جهات كثيرة ، وقيل : إنه على عمومه ، وجاء في بعض هذه الأخبار : من كذب عليّ متعمداً ليضلّ به الناس ، وروى أنه ورد عند قصة خاصة في رجل ادّعى عند قوم أن النبي ﷺ أرسله إليهم ليزوجوه [(٢)] ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغويّ ، قال : حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني ، قال : حدثنا عليُّ بن مُنَيِّر ، عن صالح بن حيان ، عن ابن بُريدة ، عن أبيه ، قال : أتى رجل إلى قوم في جانب المدينة ، فقال : إن رسول الله ﷺ أمرني أن أحكُم فيكم برأيي في كذا وكذا ، وكان خطب امرأة منهم في الجاهلية فأبَوْا أن يُزَوِّجُوه ، ثم ذهب حتى نزل على المرأة فبعث القوم إلى النبي ﷺ فقال : « كذب عدوُّ الله » ثم أرسل رجلاً فقال : « إن أنت وجدتَهُ حيّاً فاقتلْه ، وإن وجدته ميّتاً فحرِّقه ، فانطلق فوجده قد لُدغ فمات

= فلـو كان عبد الله مـولى هجوتـه ... ولكن عبد الله مولى مواليـا

فقال له ابن أبي إسحاق : وقد لحنت أيضاً في قولك مولى مواليا ، وكان ينبغي أن تقول مولى موال ، توفي سنة ١١٧ هـ ، ترجمته في إنباه الرواة ١٠٤/٢ ، بغية الوعاة ٤٠/٢ ، غاية النهاية ٤١٠/١ .

(١) انظر تفصيل هذه الأقوال وعللها بتمامها في : البحر المحيط لأبي حيان ٩٩/٢ — ٩٠ ، وانظر تفسير القرطبي ٧٨١ و ٧٨٢ .

(٢) أشار إلى الخبر التالي بدر الدين العيني في شرحه على البخاري ١٥٢/٢ ، في باب « إثم من كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم » من كتاب العلم .

فَحَرَّقه ، فعند ذلك قال النبي ﷺ : « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

* * *

حدثنا الحسن بن محمد بن شعبة الأنصاري ، قال : حدثنا إسماعيل بن حيان الواسطي ، قال : حدثنا زكريا بن عديّ ، قال : حدثنا عدي بن مسهر ، عن صالح بن حيان ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه ، قال : قول رسول الله ﷺ : « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » كان حيٌّ من المدينة على ميل أو ميلين فأتاهم رجل عليه حلّة ، فقال : إن رسول الله ﷺ كساني هذه الحلة وأمرني أن أحْكُمَ في نسائكم وأموالكم بما أرى ، وكان قد خطب منهم امرأة فأبوا أن يُزَوِّجوه ، قال : فأرسَلُوا رسولاً إلى النبي ﷺ : إنك أمرتَ هذا أن يحكم في نسائنا وأموالنا بما يرى ، فقال النبي ﷺ : « كذب عدو الله » ، ثم قال لرجل : اذهب فإن وجدتَه حيّاً فاضربْ عنقه ، وإن وجدته قد مات فاحرقْه بالنار ، وما أراك تجده حيّاً » ، قال : فجاء فوجده قد لدغته حية أو أفعى فمات ، فذلك قول رسول الله ﷺ : « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

* * *

حدثنا محمد بن هارون أبو حامد الحضرميّ ، قال : حدثنا السَّرِيُّ بن مَزْيَد الخراساني ، قال : حدثنا أبو جعفر محمد بن علي الفزاريّ ، قال : حدثنا داود بن الزبرقان ، قال : أخبرني عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن الزبير ، أنه قال يوماً لأصحابه : أتدرون ما تأويل هذا الحديث : « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ؟ قال : رجل عشق امرأة فأتى أهلها مساءً ، فقال : إني رسولُ رَسُولِ الله ﷺ ، بعثني إليكم أن أتضيّفَ في أيِّ بيوتكم شئت ، قال : فكان ينتظر بيتوته إلى المساء ، قال : فأتى رجل منهم النبي ﷺ ، فقال : إن فلاناً أتانا يزعم أنك أخبرته أن

يبيت في أيٍّ بيوتنا شاء ، فقال : كذب ، يا فلان انطلق معه فإن أمكنك الله منه فاضرب عنقه وأحرقه بالنار ، ولا أراك إلا قد نُعِيتَه » ، فلما خرج الرسول ، قال رسول الله ﷺ : ادعوه ، فلما جاء قال : إني قد كنت أمرتك أن تضرب عنقه وأن تحرّقه بالنار ، فإن أمكنك الله منه فاضرب عنقه ولا تحرقه بالنار ، فإنه لا يعذّب بالنار إلا ربُّ النار ولا أراك إلاَّ قد كفيتَه» ، فجاءت السماءُ فصبّت فخرج ليتوضأ فلسعتْه أفعى ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ ، قال : هو في النار . وقوله : فليتبوأ أي فليوطِّن نفسه ويعلم أنه تبوأ مقعده من النار أي تكون النار مبوأ له ، كما قال الله : ﴿ولقد بَوَّأْنَا بني إسرائيل مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾[1] أي جعلناها منزلاً لهم ، قال ابن هرمة [2] :

وبُوِّئت في صميم مَعْشَرِها ... فتمَّ في قومها مُبَوَّؤُهَا

وقال بعضُ بكر بن وائل يخاطب الفرزدق :

لقد بَوَّأَتْكَ الدَّارَ بكرُ بن وائلٍ
وقرّتْ لك الأحشاءُ إذ أنت محرم

وقول الله تعالى : ﴿ والّذينَ آمنوا وعملُوا الصالحاتِ لنُبَوِّئَنّهُم من الجَنّةِ غُرَفاً ﴾[3] من هذا الباب ، وكذلك قرأ جمهور أهل الحجاز والشام والبصرة والكوفة ، وقرأ عدد من الكوفيين منهم حمزة [4]

---

(١) سورة يونس ، الآية ٩٣ .

(٢) البيت في ديوانه ٥٧ ، وهو دون نسبة في اللسان ٣١/١ ، وفسره بقوله أي نزلت من الكرم في صميم النسب ، فبوأه فيه : بمعنى هيأه له وأنزله ومكن له فيه .

(٣) سورة العنكبوت الآية ٥٨ .

(٤) هو حمزة بن حبيب بن عمارة التيمي الزيات ، أحد القراء السبعة ، كان من موالي التيم فنسب إليهم ، وكان عالماً بالقراءات ، انعقد الإجماع على تلقي قراءته بالقبول ، قال عنه الثوري : ما قرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بأثر ، توفي بحلوان سنة ١٥٦ هـ ، ترجمته في تهذيب التهذيب ٢٧/٣ ، ميزان الاعتدال ٢٨٤/١ ، وفيات الأعيان ٢١٤/٢ .

والكسائي (١) : لَنَثْوِينّهم من الثواء ، كما قال الحارث بن حِلّزة (٢) :

آذَنَتْنَا ببينها أسماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّوَاءُ

وفي تصريف الفعل من هذا لغتان يقال : ثوى يثوي وأثوى يثوي ، ويروى بيت الأعشى على وجهين :

أثْوَى وقَصَّر ليلهُ ليُزَوَّدَا
فَحَنَى وأخْلَفَ من قُتَيْلَةَ موعِدا (٣)

ويروى أثوى على الوجه الرباعي ، ويروى أَثَوى بلفظ الاستفهام على أنه ثلاثي ، ولو قيل ثوى من غير تقديم على أن يكون الجزء الأول من البيت مخروماً (٤) لكان ذلك صواباً .

* * *

---

(١) هو علي بن حمزة الكسائي الأسدي ولاء ، أبو الحسن ، إمام في اللغة والنحو والقراءة ، من أهل الكوفة ولد في إحدى قراها ، وقرأ النحو بعد الكبر وتنقل في البادية وسكن بغداد ، وهو مؤدب الرشيد وولده الأمين وأخباره مع علماء الأدب في عصره كثيرة ، وله تصانيف في علوم القرآن ، توفي سنة ١٨٩ هـ ، ترجمته في غاية النهاية ٥٣٥/١ ، تاريخ بغداد ٤٠٣/١١ ، إنباه الرواة ٤٠٣/١١ ، نزهة الألباء ٦٨ .

(٢) البيت صدر معلقته الشهيرة ، انظر ديوانه ٢ .

(٣) البيت صدر قصيدة في ديوانه ٥٤ ، والرواية فيه فمضى بدل فحنى .

(٤) الخرم في علم العروض : حذف الفاء من فعولن ، أو الميم من مفاعلتن ومفاعلن .

ذكر بعض نوادر الأخبار

(مجنون بني سعد)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري إملاءً من حديثه سنة ست وعشرين وثلثمائة ، قال : حدثني محمد بن المرزبان ، قال : حدثنا محمد بن سعيد بن صالح اليشكري ، قال : حدثنا محمد بن محبّ المازني، قال: حدثني أبي [1] ، قال : لما قدم سليمان[2] بن عليّ البصرة والياً عليها قيل له: إن بالمِرْبد [3] رجلاً من بني سعد ، مجنوناً سريع الجواب لا يتكلم إلاّ بالشعر ، فأرسل إليه سليمانُ بن علي قَهْرمانه [4] فقال له : أجب الأمير ،

---

(١) انظر الخبر التالي في عقلاء المجانين للنيسابوري ١٢٠ - ١٢٢ .

(٢) هو سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، عم أبي جعفر المنصور ، ولي له البصرة وعمان والبحرين وتوفي بالبصرة سنة ١٤٢ هـ ، وفي عقلاء المجانين أن الوالي كان محمد بن سليمان وهو أيضاً ولي البصرة بعد أبيه ، انظر المعارف لابن قتيبة ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

(٣) المربد : من أشهر محال البصرة ، وكان في أول الأمر سوقاً للإبل ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس ، وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء كسوق عكاظ وكانت تسمى عكاظ الإسلام . انظر معجم البلدان ٤/٤٨٤ .

(٤) القهرمان : الأمين الخاص للأمير أو الملك ووكيله في تدبير دخله وخرجه .

فامتنع فجرّه وزَبَره (١) وخرّق ثوبه ، وكان المجنون يستقي على ناقة له فاستاق القهرمان الناقة وأتى بها سليمان بن علي ، فلما وقف بين يديه قالَ له سليمان : حيّاك الله يا أخا بني سعد ، فقال :

حيّاك ربُّ النـاس مـن أمير
يا فاضلَ الأصل عَظِيم الخيـــرِ
إنّي أتاني الفاسِقُ الجِلْوازُ (٢)
والقلبُ قد طار بـــه اهتزازُ

فقال سليمان : إنما بعثنا اليك لنشتّري ناقتك ، فقال :

ما قالَ شيئاً في شراء الناقـهْ وقد أتى بالجهل والحماقهْ

فقال : ما أتى ؟ فقال :

خرّق سِرْبالي وشَقّ بُرْدتي
وكان وجهي في المـلا (٣) وزينتي

فقال : أفتعزم على بيع الناقة ؟ فقال :

أبيعُهـــا بعد مـــا لا أوكَسُ
والبيعُ في بعض الأوان أكيس (٤)

قال : كم شراؤها عليك ؟ فقال :

شراؤُها عشرٌ ببطن مكـــهْ من الدنانير القيام السُّكّـــهْ

---

(١) زبره : انتهره وزبره .
(٢) الجلواز : الشرطي ، مأخوذ من الجلوزة وهي الخفة في الذهاب والمجيء .
(٣) الرواية في عقلاء المجانين : وكان زيني في الملا ومجدتي . وبعد ذلك قوله : فقال الأمير : إذا نخلع عليك ، فقال الاعرابي :
نعمك الله وأرخـى بـالك وأكثر الله لنـا أمثالك
(٤) لم يرد هذا كله في عقلاء المجانين .

ولا أبيعُ الدهــرَ أو أزادُ إنّي لربحٍ في الورى[1] معتاد

قال : فبكم تبيعها ؟ فقال :

خُذْها بعشرٍ وبخمسٍ وازنهْ فإنها ناقة صدق مازنه[2]

قال : فحطّنا[3] ، فقال :

تبارك الله العليُّ العــالي تَسْألُنِي الحَطَّ وأنت الــوالي

قال : فنأخذها منك ولا نعطيك شيئاً ، فقال :

فأين ربّي ذو الجلال الأفضــلِ إن أنتَ لم تَخْشَ الإله فافعلِ

قال : فكم أزنُ لك فيها[4] ؟ فقال :

والله ما يُنعِشُني ما تُعْطِــي ولا يُدَاني الفقر مني حَطّي
خذها بما أحببتَ يابن عبــاسِ يابن الكرام من قريشِ الرّاسِ

فأمر له سليمان بألف درهم وعشرة أثواب ، فقال :

إني رَمَتْني نحوك الفِجَــاجُ أبو عيالٍ مُعْدَمٌ محتــاجُ
طَاوى المِعَى ضَيّق المعيشِ فأنبتَ اللهُ لديك ريشي
شَرّفتني منك بألفٍ فاخــره شَرّفك اللهُ بها في الآخــره
وكسوةٍ طــاهرةٍ حسانِ كساك ربي حُلَل الجنــانِ

---

(١) في عقلاء المجانين . في الشرا .
(٢) المازن : الماضي المسرع في طلب الحاجة .
(٣) حطنا : أي أرخص من ثمنها لنا .
(٤) في عقلاء المجانين : أني أسألك أن تحط .

(التعليق على الخبر)

فقال سليمان : من يقول إن هذا مجنون ؟! ما كلمتُ قط أعرابيّاً أعقل منه .

قول الأعرابي : ضيق المعيش ، المعيش جمع معيشة ، كما قال رؤبة [1] :

أشكو إليك شـــدة المعيش ومَرَّ أعوامٍ نَتَفْنَ رِيشِي

ويكون المعيش الموضع والمعاش المصدر ، مثل المضربِ والمضرَب والمقر والمقر .

قال القاضي أبو الفرج : قد أنهينا هذا المجلس إلى هنا لئلا يستطال ، إذ قد تقدمته خطبةٌ ورسالة ، والله المستعان .

* * *

(١) لم يرد هذا البيت في المرجع السابق .

(٢) ديوانه ٧٨ ، ٧٩ ، والرواية فيه :

أشكــو إليك شــدة المعيش دهراً تنقى المخ بالتمشيش
وجهد أعوام برين ريشي

المجلس الثاني

(حديث جريج)

حدثنا عبد الله بن سليمان أبي داود بن الأشعث السجستاني إملاء من حفظه ، في يوم الثلاثاء لأربع بقين من شعبان سنة ست عشرة وثلثمائة ، قال : حدثنا العباس بن الوليد بن يزيد ، قال : أخبرني أبي ، قال : حدثني عبد الله بن شَوْذِب ، قال : حدثني مطر ، قال : ولا أعلم سنده إلا عن الحسن عن أبي هريرة رفعه[1] ، قال : كان رَجُلٌ في بني إسرائيل يقال له جريج ، وكان صاحب صومعة قال : فاشتاقت أمه إليه فأتته حتى قامت عند صومعته ، فنادته : أي جريج ! أي جريج ! وهو قائم يصلّي ، قال : فلما سمع النداء فعرف الصوت أمسك عن القراءة ، فقال : أيّ رب ! صلاتي أو أمّي ، ثم قال : ربّي أعظم عليّ حَقّاً من أمي ، قال : فمضى في صلاته ، ثم نادته الثانية ففعل أيضاً مثلها ، وقالت الثالثة ، ففعل أيضاً

---

(١) الحديث التالي أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة ، من غير هذه الطريق ، انظر المسند ٢/٤٨٥ وانظر كذلك صحيح البخاري ٢/٨٠ باب « إذا دعت الأم ولدها في الصلاة ، وجزء ٣ ص ١٣٩ باب « إذا هدم حائطاً فليبن مثله » ، وصحيح مسلم ٣/٨ ، باب « تقديم بر الوالدين على التطوع » .

مثلها فلم يجبها ولم يُشْرف عليها ، فقالت : اللّهم كما لم يُرِني وجهه فابتله بنظر المُومِسَات في وجهه ، فحملتْ امرأة من أهل القرية من فاحشة فولدت ، فقيل لها : ممن هذا ؟ قالت : صاحب الصومعة ، فرُفع ذلك إلى الملك ، فقال : هذا صاحب صومعة ، وهو يفعل مثلَ هذا ؟ فأمر أهل القرية فأخذوا الفئوس والمَسَاحِي [1] حتى أتَوْه فنادوه وهو في صلاته فلم يكلمهم ، قال : فقالوا : ضعوا الفئوس في الصومعة فضربوا حتى كادت أن تميل ، قال : فأشرف عليهم ، فقال : ماذا تريدون ؟ مالي ولكم ؟ فقالوا : أنت في الصومعة وأنت تُحبْل النساء ! فقال : أنا ؟ فنزل فصلى ركعتين ودعا الله تعالى ثم جاء إلى الصبيّ ولما يتكلم فضرب قفاه وقال : من أبوك ؟ قال : صُهَيْب صاحب الضأن ، وكان صهيبٌ رجلاً يرعى الغنم يأوي إلى الصومعة . قال : فقال النبي ﷺ : « والذي نفسُ محمدٍ بيده ، لو دَعَت الله أن يَفْتِنه عن دينه لأفتنه عن دينه » .

وقد روى خبر جريج عن طريق آخر ، وذكر فيه أن الصومعة هُدِّمت وأنه قيل له : نبنيها لك لَبِنة من فضة ولبنة من ذهب ، فقال : بل ردُّوها كما كانت .

(التعليق على الخبر)

قوله في الخبر : المُومِسات هو جمع مُومسة وهي البغي الفاجرة ، فإن قال قائل : كيف دعت أمه عليه واستجيب لها فيه ؟ وهو لم يقصد عقوقها ، ولم يترك إجابتها تهاوناً بها ، ولا استخفافاً بحقها ، وإنما آثر مرضاة الله على أمرها ، وإتمام صلاته التي ابتدأها ، إما مؤدياً الفرض فيها ، وإما متطوعاً بفعلها . قيل له : جائز أن يكون الكلام في شريعتهم كان جائزاً في صلاته كما كان في أول الإسلام ثم نسخ ما أبيح منه بحظره

---

(١) المساحي : جمع مسحاة ، وهي المجرفة من الحديد .

والنهي عنه ، على ما وردت الأخبار به ، وجاء أن عبد الله بن مسعود أخبر أنه كان يسلّم بعضهم على بعض في الصلاة فيرد عليه ، وأنه ذكر أنه حين قدم من أرض الحبشة سلم على النبي ﷺ وهو في الصلاة فلم يرد عليه ، وأنه قال : فأخذني ما قرب وما بعد ، وقال للنبي ﷺ حين فرغ من صلاته : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ، سلمت عليك فلم تردّ علي ، فقال : إن الله يحدث من أمره ما شاء ، وأنه مما أحدث « ألا تَكَلّموا في الصلاة »[(١)] وأن يكون جريج رأى وإن كانت إجابته أمه جائزة في صلاته أو غير قاطعة لها – بأن المضي على الصلاة أولى من إجابتها ، وجائز أن يكون القوم قد فرض عليهم إجابة أمهاتهم في الصلاة إذا دعونهم وإن كانوا في صلاتهم ، فترك ذلك جريج لتفريط منه وفي فعله أو العلم به ، وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : « لو ناداني أحدُ أبويَّ وأنا في الصلاة فقال يا محمد لأجبته » ، وهذا محتمل أن يكون على بعض الوجوه المخصوصة[(٢)] أو المنسوخة ، وجائز أن يكون أراد لأجبته بالتسبيح ليعلم أني قد سمعته أو في هذه الحال بالتصفيق ، وقال : التسبيح للرجال والتصفيق للنساء ، وروى عن النبي ﷺ أنه قال لبعض من ناداه وهو يصلي فلم يجبه فقال : ما منعك أن تجيبني ؟ فقال : إني كنت أصلي فقال : ألم تسمع قول الله عز وجل ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وللرَّسُول إذا دعاكم﴾[(٣)] .

---

(١) الحديث في صحيح البخاري ١/٢١٠ ، وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال : ان في الصلاة شغلا ، وانظره أيضاً في مسند الإمام أحمد ١/٤٠٩ ، ٤١٥ ، ٤٣٥ ، ٤٦٣ .

(٢) في أ : المحسوسة .

(٣) رواه البخاري عن أبي سعيد بن المعلى في تفسير سورة الأنفال ٦/٧٧ وتكملة الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له : إني لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن ، قال : « الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته » انظر تفسير القرطبي ٩٤ في تفسير سورة الفاتحة ، وصفحة ٢٨٢٦ في تفسير هذه الآية الكريمة من سورة الأنفال ، وانظر تفسير ابن كثير ١/٢٢ ، ٢٤ .

وروى أن إبراهيم النَّخَعي [1] سئل عمن شَمَّت رجلاً في الصلاة ، فقال : إنه لم يقل إلاّ معروفاً . والقول في هذا النحو مستقصى فيما ألفناه من كتبنا في الفقه .

(حروف المقاربة)

وقوله في هذا الخبر : حتى كادت أن تميل .. الظاهر في كلام العرب أن يقولوا كادت تميل من غير أن يأتوا بأن ، وكاد هذه من حروف المقاربة ، فقال : كاد فلان يهلك وكاد يفعل كذا ، قال الله عز وجل : ﴿تَكَادُ السَّموات يَتَفَطَّرنَ منه﴾ [2] وقال : ﴿فَذَبَحُوها وما كادوا يَفْعَلون﴾ [3] ، وقال : ﴿كادُوا يكونُون عليه لِبَدا﴾ [4] في نظائر لهذا كثيرة ، وقد تقول العربُ : كاد أن يفعل ، كما قال الشاعر :

كادت النَّفْسُ أن تفيضَ عليه
إذ ثَوَى حَشْوَ رَيْطةٍ وبُرُودِ [5]

وقال الراجز :

قد كادَ من طُول البِلى أن يَمْصَحَا [6]

---

(١) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي أبو عمران ، من أكابر التابعين صلاحاً وصدق رواية وحفظاً للحديث، ترجمته في حلية الأولياء ٤/٢١٩ ، غاية النهاية ١/٢٩ .

(٢) سورة مريم الآية ٩٠ .

(٣) سورة البقرة الآية ٧١ .

(٤) سورة الجن الآية ١٩ .

(٥) البيت من شواهد الأشموني ، ونسبه فيه لمحمد بن مناذر ، وقد ورد دون نسبة في مغنى اللبيب ٦٦٢ ، خزانة الأدب ٤/٩٠ ، والريطة : الثوب الرقيق والبرود : جمع برد وهو كساء مخطط يلتحف به .

(٦) البيت لرؤبة ، انظره في ديوانه ١٧٢ ، وخزانة الأدب ٤/٩٠ ، والكتاب لسيبويه ١/٤٧٨ ، ويمصح : يذهب ، وينقطع ، وقبله :

ربع عفا بعد ما قد انمحى

فكأنه أدخلها في باب عسى كما أدخل عسى عليها القائل من الشعراء :

عَسَى الكربُ الذي أمسيتُ فيه
يكونُ وراءه فَرَجٌ قَريبُ (1)

وقال آخر :

عسى اللهُ يُغْنِي عن بلادِ ابن قادرٍ
بمنهمرٍ جَوْنِ الرَّبَابِ سَكُوبِ (2)

وقال آخر :

عَسَى فَرَجٌ يأتِي به اللهُ إنـــه
لَهُ كلَّ يومٍ في خليقتـه أمْرُ (3)

ومثل هذا لعل ، الباب فيها لعلي أقوم ، قال الله ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(4) ، وقال : ﴿لَعَلَّه يتذكَّرُ أو يَخْشى﴾(5) ، وقد تدخلُ

---

(1) البيت لهدبة بن الخشرم كما ورد في خزانة الأدب ٨٢/٤ من قصيدة له مطلعها :

طربت وأنت أحيانـاً طروب وكيف وقد تعلاك المشيب

والشاهد في البيت إسقاطه أن ضرورة ورفع الفعل ، والمستعمل في الكلام عسى أن يكون كقوله تعالى : «عسى الله أن يأتي بالفتح ، انظر سيبويه ٤٧٨/١ .

(2) المنهمر : السائل ، والجون : الأسود ، والسكوب : السحاب ، والبيت دون نسبة في خزانة الأدب ٨٢/٤ ، وهو أيضاً لهدبة بن الخشرم من القصيدة السابقة ، انظر سيبويه ٢٦٩/٢ .

(3) البيت لهدبة بن الخشرم العذري من قصيدة طويلة قالها في سجنه ، انظر شرح الأشموني على الألفية ٣٩٠/١ .

(4) جزء من آية كريمة ، ورد إحدى عشرة مرة في القرآن ، في البقرة ، وفي آل عمران مرتين ، وفي المائدة ثلاث مرات ، ثم في الأعراف والأنفال والحج والنور والجمعة .

(5) سورة طه الآية ٤٤ .

على باب عسى لاشتراكها في باب الترجّي والمقاربة والتوقع ، وذلك قول الشاعر :

تَتَبعْ خبايا الأرضِ وادْعُ مليكَها
لعلَّكَ يوماً أن تُجابَ وتُرزقــا (١)

وقال آخر :

ترفــق أيهــا القمــرُ المنــير
لعلّك أن تَرَى حُجْراً (٢) يســيرُ

وقال آخر :

لعلِّيَ إن مالَتْ بِيَ الرِّيحُ ميلــةً
على ابنِ أبي ذُبّان أن يَتَندّمــا (٣)

وقد تأتي كاد بمعنى الإرادة لاشتراكهما في معنى المقاربة ، كقولك : كاد الحائط أن يميل ، وضربه حتى كاد أن يموت ، أي أراد أن يميل وأن يموت ، وقال الشاعر في هذا المعنى :

---

(١) البيت لمحمد بن شهاب الزهري كما ورد في معجم الشعراء ٣٤١ ، وانظره دون نسبه في بهجة المجالس ١٢٩/١ ، واللسان « خبأ » ٥٦/١ ، وقال فيه : اطلبوا الرزق في خبايا الأرض ، قيل : معناه الحرث وإثارة الأرض للزراعة ، وأصله من الخبء ، قال الله عز وجل : « يخرج الخبء » ، وأراد بالخبايا الزرع لأنه إذا ألقى البذر في الأرض فكأنما خبأه فيها ، قال عروة بن الزبير لابنه : ازرع فإن العرب كانت تتمثل بهذا البيت : تتبع خبايا الأرض وادع مليكها ... الخ .

(٢) البيت في الأغاني ١٣٢/١٧ ، ١٥٤ برواية ترفع بدل ترفق .

(٣) البيت في اللسان « ذيب » ٣٦٩/١٤ ، ولقد قيل في هشام بن عبد الملك فهو المقصود بابن أبي ذبان قال : والعرب تكنو الأبخر أبا ذباب وبعضهم يكنيه أبا ذبان ، وقد غلب ذلك على عبد الملك بن مروان لفساد كان في فمه ، قال الشاعر ... الخ .

كادت وكِدْتُ وتلك خيرُ إرادةٍ
لو عادَ من وَصْلِ الحبيبةِ ما مضى [1]

وقد قيل في قول الله : ﴿إن السّاعَة آتيةٌ أكادُ أُخْفيها ﴾[2] أن معناه أكاد أقيمها ، فحذف . ثم ابتدأ فقال : أخفيها وأن الكلام انتهى إلى أكاد ، وأنه وقفٌ تام ، وأخفيها ابتداء كأنه قال : أخفيها لتُجزَى ، لتجزى إخبار بصلة الفعل الذي هو الإخفاء .

وقرأ بعض القراء : أكاد أَخفيها بفتح الهمزة بمعنى أُظْهرها ، يقال : خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيته إذا سترته ، وروى عن النبي ﷺ أنه « لعن المختفي والمختفية » يعني النباش والنباشة [3] ، سُميا بذلك لإظهارهما ما ستر بالمواراة والإخفاء والدفن ، ورويت هذه القراءة عن سعيد بن جبير وغيره ، ومن هذا المعنى قول الشاعر :

دَابَ شهرين ثم شَهْراً دَبِيكَا
بَاركين يَخفيـــان غَمِـــيرًا

وقال آخر [4] :

---

(١) أي أرادت وأردت ، والبيت في تفسير القرطبي ٤٢٢٤ ، واللسان ٣٨٦/٤ ، والرواية فيهما لو عاد من لهو الصبابة ما مضى، وتفسير كاد بالإرادة هو أحد الأقوال في تفسير قوله تعالى : إن الساعة آتية أكاد أخفيها ، أي أردت أخفيها ، وقال في اللسان : فكما جاز أن توضع أريد موضع أكاد في قوله تعالى « يريد أن ينقض » فكذلك أكاد .

(٢) الآية ١٥ من سورة طه ، وانظر الأقوال التالية في تفسيرها في تفسير القرطبي ٤٢٢٤ إلى ٢٥ وتفسير البحر المحيط ٢٣٢/٦ ، ٢٣٣ .

(٣) انظر الحديث في الموطأ ، كتاب الجنائز ، باب « ما جاء في الاختفاء » وانظر تنوير الحوالك شرح موطأ مالك : ١٨٥/١ .

(٤) هو امرؤ القيس ، ديوانه ١٨٦ ، والرواية فيه ، تدفنوا بدل تكتموا . ومعنى لا نخفه لا نظهره ، وانظر البيت في القرطبي ٤٢٢٢ ، والبحر المحيط ٢٣٢/٦ .

فإنْ تَكْتُمُوا الداءَ لا نَخْفِه
وإنْ تبعثُوا الحَرْبَ لا نَقْعُـدِ

وقال امرؤ القيس [1] :

خَفَاهُنَّ من أنفاقهن كأنّمـا
خَفَاهُنَّ وَدْقٌ من عَشِيٍّ مُجَلّبُ

وخفيت وأخفيت جميعاً يرجعان إلى أصل واحد ، خفيت أي أزلت الإخفاء وأخفيت أي فعلت الإخفاء ، ونحن نبين ما في هذه الكلمة من القرآن والمعاني ووجوه التفسير وطريق الإعراب والتأويل في مواضعه من كتبنا في القرآن إن شاء اللهُ .

وأما قول جريج للصبي : من أبوك ؟ فقد يسأل السائلُ فيه فيقول : كيف قال من أبوك والعاهر ليس بأبٍ لمنْ أتت به البغيُّ من مائه في حكم الشريعة [2] ؟ قيل له : في هذا وجهان من التأويل أحدهما :

أنه جائزٌ أن يكون في شريعة أولئك القوم إلحاق ولد العاهر به إذا حملت أمه به منه .

والوجه الآخر : أن يكون جريج قال هذا على وجه التمثيل أو كنى به تنزيهاً لألفاظه على جهة التشبيه ، فقد تضاف الأبوة لفظاً من طريق التجاوز والاستعارة إلى من ليست له ولادة ولا نسب بينه وبين من ينسب

---

(١) ديوانه ٥١ ، وخفاهن أي أظهرهن ، والضمير يعود على الفأر المذكور في البيت السابق على هذا وهو قوله :

ترى الفأر في مستنقَع القاع لاحبـاً على جرد الصحراء من شد ملهب

يقول : إن فرسه من شدة جريه يسمع له حفيف كصوت المطر ، فهنالك تخرج الفئران من قاع جحورها إلى الأرض الصلبة وهي الجرد خوفاً من الغرق ، والودق المطر ، وخص مطر للعشي لأنه أغزر ، والمجلب : ذو الجلبة .

(٢) وذلك مصداقاً لقول الرسول صلوات الله عليه : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » .

إليه ولا قرابة ، فيقال : فلان أبو الأرامل واليتامى إذا كفلهم وبرّهم ووصَلَهم ، وقام بتدبير أمورهم وكَنَفَهُم كفعل الآباء الوالدين لمن ولدوه من البنين .

وقدْ روى في بعض قراءات من رويت عنه القراءة من المتقدمين ﴿النَّبِيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أبٌ لهم وأزواجُه أمّهاتهم﴾ [1] وعبر عن الأزواج بأنهن للمؤمنين أمهات توكيداً لحرمتهن ودلالة على تأبيد تحريم نكاحهن على غير النبي ﷺ ، وفي استقصاء هذا الباب وما يناسبه ويتصل به طول .

وقوله : « ولما يتكلم » هذه لم الجازمة دخلت عليها (ما) وقيل : إنها تأتي لنفي حضور شيء منتظر متوقع [2] وقيل : بل هي على طريق لم وإن ضمت إليها ما كما هي في : إن تقم أقم ، وإما تقم أقم ، ولهذا النحو موضع هو أولى به .

وأما قول النبي ﷺ :

« لو دعت الله أن يفتنه عن دينه لأفتنه عن دينه » فالذي أحفظ عن ابن أبي داود أنه قالٍ في هذا الحديث هكذا « أن يَفتنه » [3] وقال لأفتنه ، وفي تصريف الفعل من الفتنة على تشعب معانيها واختلاف وجوهها لغتان : يقال : فتنه يفتنه على وزن فعل يفعل وهذه أعلى اللغتين وأفصحهما ،

---

(١) هذه قراءة ابن عباس ، وفي مصحف أبي بن كعب : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفهسم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم » بجعل هذه الزيادة في آخر الآية .
انظر القرطبي ١٢٠/٥ في تفسير هذه الآية من سورة الأحزاب .

(٢) أي أن منفيها يكون قريباً من الحال ، ولا يشترط ذلك في منفى لم ، تقول : لم يكن زيد مقيماً في العام الماضي ، ولا يجوز « لما يكن » ، وقال ابن مالك : لا يشترط ذلك بل هو غالب لا لازم ، انظر مغنى اللبيب ٢٧٩/١ .

(٣) بفتح ياء المضارعة وكان حقها الضم لأن ماضيه مزيد بالهمزة .

وبها جاء كتاب الله تعالى في جميع القرآن ، من ذلك : ﴿ لا يَفْتِنَنَّكم الشيطان ﴾[1] ، وقوله ﴿ عَلَى خَوْفٍ من فِرْعَونَ ومَلَأَهِمْ أن يَفْتِنَهَم ﴾[2] وقوله ﴿ وظَنَّ داوودُ أنَّما فَتَناه ﴾[3] بمعنى امتحناه ، وأضاف هذا إليه جلّ ذكره ، وقد قرىء أنما فَتَنَاه بالتخفيف على توجيه الفعل إلى الملكين ، وقال تعالى : ﴿ولكنكم فَتَنتم أنفسكم ﴾[4] ، وقال : ﴿ إنّ الذين فتنوا المؤمنينَ والمؤمنات ﴾[5] .

واللغة الثانية في هذه الكلمة هي أقلُّهما في كلام العرب وهي : أفتنه يفتنه على أفعل يفعل .

فإن كان ما روى لنا في هذا الحديث على اللفظ الذي وصفنا محفوظاً عند رواته ومن أداه إلينا فإنه مما جمع فيه بين اللغتين .

(الجمع بين اللغتين)

والجمع بين اللغتين كثير في كلام العرب ، وقد جاء كثير منه في كتاب الله عز ذكره على تجاور واتصال ، وتراخ وانفصال ، فمن المتصل قوله : ﴿ فَمَهِّلْ الكافرين أمْهِلْهُم ﴾[6] ، ومن المنفصل قوله في السورة التي يذكر فيها الأنفال[7] ﴿ومن يُشَاقِقِ الله ورَسُولَه﴾ على إظهار التضعيف ، وفي سورة الحشر[8] ﴿ومَنْ يُشَاقِّ الله﴾ بالإدغام ، ومثله ﴿ فَلْيُمْلِلْ وليُّه ﴾[9] على لغة من يقول : أمللت الكتاب فأنا

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٧ .
(٢) سورة يونس الآية ٨٣ .
(٣) سورة ص الآية ٢٤ .
(٤) سورة الحديد الآية ١٤ .
(٥) سورة البروج الآية ١٠ .
(٦) سورة الطارق الآية ١٧ .
(٧) الآية ١٣ .
(٨) الآية ٤ .
(٩) سورة البقرة الآية ٢٨٢ .

أمله ، وقوله ﴿فهي تُملى عليه﴾ [1] من أمليته أمليه ، وقال الشاعر في الجمع بين اللغتين :

لئن فَتَنَتْنِي لَهِيَ بالأمس أفتنتْ
سَعِيداً فأضْحَى قَدْ قَلَى كُلَّ مسلم [2]

ومن الجمع بين اللغتين قول لبيد [3] :

سَقَى قَوْمي بني مَجْدٍ وأسْقَى
نُمَيْراً والقبائلَ من هِلالِ

وقال آخر :

يابن رُفَيع هل لها من مَغْبَقِ [4]
هل أنت ساقيها سقاك المُسَقِّي

وقرن بعضهم بين المعنيين في اللغتين فقال : سقيته أي ناولته ماء لشفته ، وأسقيته إذا جعلت له شرباً دائماً ، ويقال : أسقيته إذا دعوت له بالسُّقيا .

---

(١) سورة الفرقان الآية ٥ .

(٢) البيت في اللسان ١٨/١٩٤ ، وقال فيه : حكى أبو القاسم الزجاج في أماليه بسنده عن الأصمعي ، قال : حدثنا عمر بن أبي زائدة ، قال : حدثتني أم عمرو بنت الأهتم ، قالت : مررنا ونحن جوار بمجلس فيه سعيد بن جبير ومعنا جارية تغني بدف معها وتقول ... ثم أورد البيت وبعده :
وألقى مصابيح القراءة واشترى وصال غوان بالكتاب المتمم
فقال سعيد : كذبتن كذبتن .

(٣) البيت في ديوانه ، واللسان ٤/٤٠٢ ، وقال فيه : بنو مجد هم بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة ، ومجد اسم أمهم هذه التي فخر بها لبيد في شعره .

(٤) كتاب سيبويه ٢/٣٤٣ : وبعده بيتان من الرجز هما :
ما شربت بعد طوى القربق من قطرة غير النجاء الأدفق
وفي أ : غبق بدل مغبق .

كما قال ذو الرومة [1] :

وَقَفْتُ على ربعٍ لميّةَ نَاقَتِـي ... فما زلتُ أبكي عنده وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد ممـا أبثُّـه ... تُكلِّمني أحجارُه ومَلاَعِبُه [2]

ويقال : أسقيته ورعيته ، إذا قلت له سقاك الله ورعاك .

وقال سيبويه : يقال سقيته فشرب ، وأسقيته جعلت له ماء وسقيا .

قال الخليل : سقيته مثل كسوته وأسقيته مثل ألبسته ، ولاستقصاء الكلام في هذا وفي هاتين اللغتين وهل هما بمعنى واحد أو بمعنيين ، وفي ما اختلف نسخ كتاب سيبويه فيه من التفسير والتمييز له ، وفي اختلاف القراءة بما أتى منه في مواضع من القرآن متفق اللفظ أو مختلفُه في مواضع مختلفة كقوله : ﴿نَسْقِيكُمْ مما في بُطُونِها﴾ [3] بالفتح في الموضعين على أنه من سَقَى يُسْقِي بالضم من لغة من قال : أَسْقَى يُسْقِي ، وفي تفريق من فرّق بين القراءة في هذين الموضعين وبينها في قوله : ﴿ونُسْقِيَه مِمّا خَلَقْنَا أنعاماً﴾ [4] وجمع من جمع في الفتح والضم طولٌ يتجاوز حدّ ما قصدناه بكتابنا هذا وبيانه في مواضع من كتبنا في علوم القرآن .

(معنى الفتنة)

وللفتنة وجوه منها الصرف عن الشيء ومنه هذه الكلمة ، وأفتنته مثل حزنته وأحزنته ، ومذهب سيبويه أن من قال : فتنته أراد جعلت فيه فتنة ، ومن قال : أفتنته أي جعلته فاتناً ، يقال وفتن الرجل فهو فاتن ، وقال سيبويه : وزعم الخليل أنك حيث قلت فتنته وحزّنته لم تُرِدْ أن تقول جعلتُه حزيناً فاتناً . كما أنك حين قلت أدخلته جعلته داخلاً ،

---

(١) ديوانه ٥٢ .

(٢) أسقيه : أي أدعو له بالسقيا ، وأبثه : أشكو إليه .

(٣) سورة المؤمنون الآية ٢١ .

(٤) سورة الفرقان الآية ٤٩ .

ولكنك أردت أن تقول جعلتُ فيه حُزْناً وفتنة ، فقلت فتنته كما قلت كحلته جعلت فيه كُحلاً ، ودهنته جعلت فيه دُهْناً ، وقال الجرمي [1] : سمعت أبا زيد يقول : حزَنَني الأمر يحزنني حُزْناً وحَزَناً وأنا حزين ومَحزون ، وهذا مثل : جريح ومجروح وقتيل ومقتول ، وقال سيبويه : كلهم يقول : أحزنني الأمر فإذا صار إلى يفعل ففيها لغتان ، يقول قوم : يَحزُنني على غير قياس ، ويقول قوم : يُحزِنني على قياس ، وأما الفرّاء فلم يزد في هذا على أن ذكر في حزن يحزن وأحزن يحزن لغتين .

وقد اختلفت القراءة في اللفظ بهذه الكلمة في القرآن ، فكان أبو جعفر المدني [2] يقرأ « ولا يَحزُنك الدين » [3] ، « وإنه ليَحزُنك [4] » ، « ويا أيها الرسول لا يَحزُنك الدين » [5] ، « وإني ليَحزنني أن تذهبوا به » [6] ويستمرّ على هذا في القرآن كله إلاّ في قوله « ولا يُحزنهم الفزع الأكبر » [7] فإنه يضم الياء فيه ، وأما نافع فعلى عكس هذا المذهب لأنه ضم ما فتحه أبو جعفر في هذا الباب وفتح ما ضمه ، وكان ابن محيصن [8]

---

(١) هو أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي ، مولى جرم بن زبان من قبائل اليمن ، أخذ النحو عن أبي الحسن الأخفش وغيره ، وأخذ اللغة عن أبي زيد والأصمعي وطبقتهم ، وكان صاحب دين وورع ، وصنف كتباً كثيرة منها مختصره المشهور في النحو ، توفي سنة ٢٢٥ هـ ، ترجمته في إنباه الرواة ٨٠/٢ ، وبغية الوعاة ٨/٢ ، غاية النهاية ٣٣٢/١ ، معجم الأدباء ٦/٥ .

(٢) هو يزيد بن القعقاع المخزومي ، أبو جعفر المدني ، وقد مرت ترجمته .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٧٦ .

(٤) سورة الأنعام الآية ٣٣ .

(٥) سورة المائدة الآية ٤٤ .

(٦) سورة يوسف الآية ١٣ .

(٧) سورة الأنبياء الآية ١٠٣ .

(٨) هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي، مولاهم المكي ، مقرىء أهل مكة مع ابن =

يضم ذلك كله ، وكان الجمهور من القراء بعده يفتحون الجميع وفي استقصاء هذا المعنى وذكر ما يتصل به لتفريق من فرق بين بعضه وبين بعض ، والاحتجاج فيما اختلف المقرئون فيه مواضع جمة من كتبنا في علوم القرآن ، نأتي على البيان عنه إن شاء الله عز وجل .

(من نزلت فيه هذه الآية)

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال : حدثنا أبو إسماعيل الترمذي ، قال : حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي ، قال : حدثنا سفيان بن عينة ، عن أبي سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله تعالى ﴿واتْلُ عليهم نَبَأَ الذي آتَيْنَاهُ آياتِنا فانْسَلَخَ مِنْها﴾[1] قال : هو رجل كان في بني إسرائيل أعطِيَ ثَلاثَ دَعَوَاتٍ يستجاب له فيهن ما يدعو به ، وكانت له امرأة له منها ولد وكانت سمجة دميمة ، قالت : ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل ، فدعا الله لها ، فلمّا علمت أن ليس في بني إسرائيل مثلها رغبت عن زوجها وأرادت غيره ، فلما رغبت عنه دعا الله أن يجعلها كلبة نبّاحة ، وذهبت منه دعوتان ، فجاء بنوها وقالوا : ليس بنا على هذا صبر أن صارت أمنا كلبة نبّاحة يعيِّرُنا الناس بها ، فادعُ الله أن يردّها إلى الحال التي كانت عليها أولاً ، فدعا الله فعادت كما كانت فذهب فيها الدعوات الثلاث فسميت البسوس وقيل : أشأم من البسوس[2] .

قال أبو الفرج : المشهور عند أهل السير والأخبار أن البسوس التي

= كثير ، ثقة روى له مسلم ، وكان نحوياً ، وقرأ القرآن على ابن مجاهد ، توفي سنة ١٢٣ هـ ، انظر غاية النهاية ١٦٧/٢ .

(١) سورة الأعراف الآية ١٧٥ .

(٢) انظر الخبر في تفسير القرطبي ٢٧٥٦ .

يقال من أجلها أشأم من البسوس ، الناقة التي جرى فيما جرى من أمرها حرب داحس والغبراء [1] ، والمعروف من قول جمهور أهلَ التأويل أن قوله : ﴿ واتلُ عليهم نَبَأَ الذي آتيناه آياتنا فانْسَلَخ منها ﴾ عَنَى به بَلْعَمُ بن بَاعُورَاء الذي دعا للجْبارين على موسى وبني إسرائيل [2] ، وقال بعضهم [3] : نزلت في أمية بن أبي الصلت ، ولكل واحد من هذين الذي سميناهما حديث طويل، وقد جاء في الخبر الذي وصفنا ما حكينا والله أعلم .

* * *

وفي هذا الخبر ، قال : وكانت سمجة بكسر الميم مثل بَطِرَة ، وحكى سيبويه عن العرب : رجل سَمْج بتسكين الميم مثل سَمْح ، وقال : فقالوا : سميح كقبيح ، قال : ولم يقولوا سمح وإن كانت العامة قد أولعت به .

* * *

(١) هذا سهو من المؤلف ، فهو يخلط هنا بين حربين شهيرتين من حروب العرب ، الأولى حرب البسوس وكانت بين بكر وتغلب بسبب عقر كليب لناقة البسوس وقتل جساس بن مرة له ، والثانية حرب داحس والغبراء وكانت بين عبس وذبيان وفزارة بسبب هذين الفرسين ، انظر خبر ذلك بالتفصيل في مجمع الأمثال ١١٠/٢ – ١١٨ .

(٢) انظر هذا القول في شأن بلعم بن باعوراء مروياً عن المعتمر بن سليمان عن أبيه ، وكذلك الأقوال الأخرى الذي قيلت في شأنه في تفسير القرطبي ٢٧٥٥ ، وقصص الأنبياء ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٣) هذا هو قول عبد الله بن عمرو بن العاص وزيد بن أسلم ، ويقال إن أمية بن أبي الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم أن الله مرسل رسولا في ذلك الوقت وتمنى أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به ، وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « آمن شعره وكفر قلبه » .
انظر تفسير القرطبي ٢٧٥٦ .

وقول الراوي في هذا الخبر : يعيّرنا الناس بها ، الفصيح من كلام العرب : عيرت فلاناً كذا ، وأما عيرته بكذا فلغة مقصِّرة عن الأولى في الاشتهار والفصاحة ، وإن كانت هي الجارية على ألسنة العامة . ومن اللغة الأولى قول النابغة (١) :

وعَيّرتْنِي بنو ذُبْيان رَهْبَتَـهُ
وهَلْ عَلَيَّ بأن أخشاك من عَـارِ

وقال المتلمس (٢) :

يُعيِّرني أمِّي رجـالٌ ولا أرى
أخَا كَرَمٍ إلاَّ بأن يتَكَرَّمـا

وقال المقنّع الكندي (٣) في اللغة الأخرى :

يعيِّرني بالدَّيْنِ قَوْمِي وإنمـا
تَدَايَنْتُ في أشياءَ تكسبهمْ مَجْدا

(أقوال حكيمة عن بعض العلماء والأعراب)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، عن عمه ، قال : سمعت أعرابياً يقول : فَوْتُ الحاجة خيرٌ من طلبها من غير

(١) ديوانه ٨٣ .
(٢) مطلع قصيدة في ديوانه ١٤ .
(٣) اسمه محمد بن عمر بن أبي شمر الكندي ، يقال : إنه كان من أجمل أهل زمانه وأحسنهم وجهاً وأتمهم قامة ، وكان إذا كشف وجهه يؤذي فكان يتقنع دهره فسمي لذلك المقنع ، وبيته التالي مطلع قصيدة له في بهجة المجالس ٧٨٢/١ ، حماسة البحتري ٣٨٠ ، حماسة أبي تمام ٣٢/٢ ، أمالي القالي ٢٨٠/١ ، الأغاني ١٠٧/١٧ ، والرواية فيها كلها : يعاتبني بدل يعيرني ، أما رواية يعيرني فهي واردة في اللسان ٢٦/٨ .

أهلها . قال الأصمعي : وسمعت آخر يقول : حمْلُ المِنَن أثقلُ من الصبر على العَدَم .

قال : وسمعت آخر يقول : النزاهة أشرف من سرور الفائدة ، قال : وبلغني أن ابن عباس يقول : كما يُتوخى بالوديعة أهل الثقة والأمانة فكذلك ينبغي أن يتوخى بالمعروف أهل الوفاء والشكر .

قال القاضي أبو الفرج : في هذا المعنى وما يضاهيه وما يخالفه أخبار وكلام لعلنا نأتي به فيما يستقبل من كتابنا هذا إن شاء الله .

وأنشدنا ابن دريد ، قال أنشدنا أبو حاتم :

رأيتُ الدهرَ بالأحرارِ يَكْبُو ... ويرفعُ رَايَةَ القَوْمِ اللِّئـامِ
كأنَّ الدهرَ مَوْتُورٌ حقودٌ ... فيطلبُ وِتْرَه عند الكِرَامِ

قال : وأنشدنا أبو حاتم أيضاً[1] :

أظنُّ الدهر أَقْسَمَ ثم بَرَّا ... بأن لا يكْسِبَ الأموالَ حُرَّا
لقد قَعَدَ الزَّمانُ بكلِّ حُرٍّ ... ونَقّضَ من قواه ما استمرا[2]

* * *

(١) البيتان لعبد الله بن أبي الشيص الخزاعي من قصيدة عدتها ١٠ أبيات في تاريخ بغداد ٦٤/١٠ .

(٢) ما استمرا : أي ما قوي واشتد ، فالمرة : القوة .

الفَصْل الثَالِث

(هذا سبيل الله)

حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد إملاءً في يوم الأحد لست بقين من شعبان سنة ست عشرة وثلثمائة ، قال : حدثنا محمد بن زياد بن الربيع الزيادي ، قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، يعني ابن مسعود ، قال : خَطَّ لنا رسولُ الله ﷺ خَطّاً ، فقال : « هذا سبيلُ الله ، ثم خطَّ خُطُوطاً يميناً وشِمَالاً ثم قال : هذه سُبُلٌ على كلِّ سبيل منها شيطان يدعو اليه ، ثم قرأ ﴿ وأنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقيماً فاتبِعُوه ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فتفَرَّقَ بِكُمْ عن سَبِيله﴾ (١)

قال القاضي أبو الفرج : وهذا القولُ من النبي ﷺ والتمثيل من أبين الأقوال البليغة وأفصحها، وأرصن الأمثال البليغة المضروبة الصحيحة

---

(١) الحديث في مسند الإمام أحمد ١/٤٣٥ ، ٤٦٥ ، والمستدرك ، تفسير سورة الأنعام ٢/٣١٨ ، وصحيح ابن حبان ١/٥ ، وانظر تفسير ابن كثير ٣/٣٦٠ – ٣٦١ ، وأورده الخطيب البغدادي ، برواية أخرى عن الشعبي عن جابر بن عبد الله في تاريخ بغداد ٢/٤٧ .

وآوضحها ، وذلك أنه خط خَطّاً جعله مثل الصراط في استقامته إذ لا زيغ فيه ولا ميل ، ثم خط خطوطاً يمنة وشأمة آخذة في غير سَمْته وجِهته ، تفرِّق بمن سلكها واتبعها عن السبيل التي هي سبيل الهدى ، والنجاة من مُرْديات الهوى ، وبهذا جاء وحيُ الله وتنزيله في كتابه الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه ، قال جلَّ ذكره : ﴿شَرَعَ لكم من الدِّينِ ما وَصَّى به نُوحاً والَّذي أوحينا إليك وما وصَّيْنَا به إبراهيمَ ومُوسَى وعِيسَى أنْ أقِيمُوا الدِّينَ ولا تَتَفرَّقُوا فيه ﴾[1] فدلَّ هذا على مثل ما دلت عليه الآية التي تلاها رسول الله ﷺ في الخبر الذي رويناه ، فقال تعالى : ﴿إنَّ الذين فَرَّقُوا دينهم وكانوا شِيَعاً لستَ منهم في شَيْءٍ ﴾[2] وقال ﴿فَتَقَطَّعُوا أمرَهم بينهم زُمَراً كُلُّ حِزْبٍ بما لَدَيْهِم فَرِحُون ﴾[3] في كثير مما يضاهي هذا المعنى ، والسبيل الطريق . وقول النبي ﷺ في هذا الخبر حين خط الخط « هذا سبيل الله » يحتمل أن يكون إشارة إلى الخط فَذَكَّر ، إذ الخَطُّ مذكر ، وجائز أن تكون الإشارة فيه إلى السبيل فذكره إذ العربُ تذكِّر السبيل وتؤنثه ، وقد جاء التنزيل باللغتين ، على أن منهم من يذكر الطريق ومنهم من يُؤَنِّثه وكذلك الصراط ، قال الله عز وجل في التذكير ﴿وإنْ يَرَوْا سبيل الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوه سَبيلاً ، وإنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سبيلاً ﴾[4] . وذكر أنها في قراءة أُبَيِّ بن كَعْب[5] لا يَتخذها ويَتخذها بالتأنيث

---

(١) سورة الشورى الآية ١٣ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٥٥٥ .

(٣) سورة المؤمنون الآية ٥٣ .

(٤) سورة الأعراف الآية ١٤٦ .

(٥) أبي بن كعب بن قيس ، أبو المنذر الأنصاري المدني ، سيد القراء بالاستحقاق ، وأقرأ هذه الأمة على الإطلاق ، قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم ، وقرأ عليه الرسول بعض القرآن للإرشاد والتعليم ، توفي نحو سنة ٣٣ هـ ، انظر غاية النهاية ١/٣١ - ٣٢ .

وقال في التأنيث : ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ومنها جَائِر﴾[1] ، وقال : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إلى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾[2] والتذكير والتأنيث كثيرٌ موجود في الكتاب والسنة كقول النبي ﷺ : ﴿لَوْلا أنه سَبِيلٌ آتٍ وحَتْمٌ مَقْضِيٌ﴾ وفي أشعار العرب وسائر كلامها ، والتأنيث أكثر ، وأنشد أبو عبيدة :

فَلاَ تَجْزَعْ فكلُّ فَتَى أُنَاسٍ ... سَيُصْبِحُ سَالِكاً تلك السَّبِيلاَ

وأما قول الله ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سبيل المُجْرِمين﴾[3] فقد أتت القراءةُ فيه بالوجهين معاً ، أعني التذكير والتأنيث ، فكان من قرأ بالتأنيث الحسنُ ومجاهد وعبد الله بن كثير وعبد الله بن عامر وأبو عمرو بن العلاء وأبو المنذر سَلاّم بن المنذر[4] ويعقوب الحَضْرمي ، وقرأ ذلك بالتذكير الأعمش[5] وعاصم[6] وحمزة والكسائي ، وقرأ ذلك أبو جعفر المدني[7]

---

(١) سورة النحل الآية ٩ .

(٢) سورة يوسف الآية ١٠٨ .

(٣) سورة الأنعام الآية ٥٥ .

(٤) صحة هذا الاسم : سلام بن سليمان الطويل ، أبو المنذر المزني مولاهم ، البصري ثم الكوفي ، ثقة جليل ومقرىء كبير ، أخذ القراءة عرضاً عن عاصم بن أبي النجود وأبي عمرو بن العلاء والحسن البصري ، ذكره ابن حبان في الثقات ، توفي سنة ١٧١ هـ ترجمته في غاية النهاية ١/٣٠٩ .

(٥) هو سليمان بن مهران الأعمش الأسدي الكاهلي مولاهم ، أبو محمد الكوفي ، محدث أهل الكوفة في زمانه ، روى عن عبد الله بن أبي أوفى ، وزيد بن وهب وأبي وائل وزر بن حبيش وخلق ، وكان ثقة ثبتاً في الحديث ، لم تفته التكبيرة الأولى سبعين سنة توفي سنة ١٤٨ هـ ، ترجمته في تاريخ بغداد ٩/٣ ، تذكرة الحفاظ ١/١٥٤ ، طبقات القراء ١/٣١٥ .

(٦) هو عاصم بن بهدلة أبي النجود (بفتح النون وضم الجيم) ابو بكر الأسدي مولاهم الكوفي الحفاظ ، أحد القراء السبعة والإمام الذي انتهت إليه رئاسة الاقراء بالكوفة ، جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد ، وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، توفي سنة ١٣٠ هـ ، انظر غاية النهاية ١/٣٤٧ .

(٧) في أ : أبو حفص ، وهو تحريف .

وعبد الرحمن بن هُرْمز الأعرج [(١)] وشيبة [(٢)] ونافع [(٣)] : ﴿ ولتستبين سبيلَ المجرمين ﴾[(٤)] أي لتتبينها يا أيها النبي وتستوضحها ، والتاء في هذه القراءة للمخاطبة ولا دلالة فيها على تذكير ولا تأنيث ، والسبيل منصوبة بالفعل ، وقد اختلفت القراءة أيضاً في كسر ﴿ وأنَّ هذا صِرَاطِي مستقيماً ﴾[(٥)] وفتحها وتخفيفها وتشديدها وفتح الياء من صراطي وإسكانها ، فقرأ بكلٍّ وجهٍ من هذه الوجوه أئمةٌ من قراء الأئمة ، فمن قرأ وأن هذا بالفتح والتشديد في أن وصراطي بإسكان الياء أبو جعفر وابن هرمز الأعرج وشيبة ونافع وعاصم وأبو عمرو ، وممن قرأ بكسر ان وتشديدها وتسكين ياء صراطي عبد الله الأعمش [(٦)] وطلحة بن مصرف [(٧)] والكسائي على الابتداء ، وممن قرأ بفتح الهمزة وتخفيفها وفتح ياء صراطي عبد الله بن أبي إسحاق الحضرميّ وعبد الله بن عامر وقرأ أبو المنذر سلاَّم : وأنّ بالفتح

---

(١) أبو داود المدني ، تابعي جليل ، أخذ القراءة عرضاً عن أبي هريرة وابن عباس وعبد الله ابن عياش ، نزل الإسكندرية فتوفي بها عام ١١٩ هـ ، ترجمته في غاية النهاية ١/٣٨١ .

(٢) هو شيبة بن وضاح بن سرجس بن يعقوب المخزومي المدني ، قاضي المدينة وإمام أهلها في القراءات ، وكان من ثقات رجال الحديث ، ترجمته في تهذيب التهذيب ٤/٣٧٧ .

(٣) هو نافع المدني ، أبو عبد الله ، من أئمة التابعين بالمدينة كان علامة في الفقه ، متفقاً على رئاسته ، كثير الرواية للحديث ، ثقة لا يعرف له خطأ في جميع ما رواه ، وهو ديلمي الأصل مجهول النسب ، أصابه عبد الله بن عمر صغيراً في بعض مغازيه ونشأ في المدينة ، وأرسله عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليعلم أهلها السنن ، ترجمته في تاريخ الإسلام ٥/١٠ ، تهذيب التهذيب ١٠/٤١٢ .

(٤) سورة الأنعام ، الآية ٥٥ .

(٥) سورة الأنعام الآية ١٥١ .

(٦) هكذا في الأصل وليس هناك من يسمى بعبد الله الأعمش ، وهو سهو ، والمقصود به الأعمش سليمان بن مهران الذي سبقت ترجمته ، فهو صاحب هذه القراءة هو والفراء والكسائي كما ورد في تفسير القرطبي والبحر المحيط عند تفسير هذه الآية الكريمة .

(٧) طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب ، أبو محمد ، ويقال أبو عبد الله الهمداني اليامي الكوفي ، تابعي كبير ، له اختيار في القراءة ينسب إليه ، وكان يسمى سيد القراء ، توفي سنة ١١٢ هـ ، انظر غاية النهاية ١/٣٤٣ .

والتشديد وصراطيَ بفتح الياء ، وقرأ وأن بالفتح والإسكان لياء صراطي يعقوب الحضرمي . قال القاضي أبو الفرج : وبهذه القراءة أَقْرأُ ، وهي وسائر ما قدمنا ذكره من القراءات في هذه الآية صواب عندنا صحيح معناه لدينا ، وقد تقرأ به وتراه مستقيماً حَسَناً في معناه ولفظه ، وترى مختاري القراءة به مصيبين ، ولسبيل الحق متبعين ، وبالله ذي الطول والقوة والحول نستعين .

(عَزْل الحجّاج بن يوسف عن الحرمين)

حدثنا محمد بن أبي الأزهر ، قال : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهري قال : لما وَلِي الحجّاج بن يوسف الحَرَمَيْن بعد قتل عبد الله بن الزبير استحضر إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله [1] وقربه في المنزلة فلم يزل على حاله عنده، حتى خرج إلى عبد الملك زائراً له فخرج معه فعادلهُ لا يترك في بره وإجلاله وتعظيمه شيئاً ، فلما حضر باب عبدالملك حضر به معه، فدخل على عبدالملك فلم يبدأ بشيء بعد السلام إلا أن قال : قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز ، لم أدع له والله فيها نظيراً في كمال المروءة والأدب والديانة، ومن الستر وحسن المذهب والطاعة والنصيحة ، مع القرابة ووجوب الحق : إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقد أحضرتُه بابك لتسهّل عليه إذنك وتلقاه بِبِشْرك وتفعل به ما تفعل بمثله ممن كانت مذاهبه مثل مذاهبه ، فقال عبد الملك : ذكّرتَنا حقّاً

(١) صحة هذا الاسم إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله ، فليس في أبناء طلحة من يسمى إبراهيم بل هو ابن ابنه ، وإبراهيم هذا كان أصلع أعرج ، سيداً يسمى أسد الحجاز ، وولاه ابن الزبير خراج الكوفة ، ومات بمكة وهو محرم ، انظر المعارف ٢٣٢ ، وجمهرة أنساب العرب ١٣٩ .

واجباً ورَحِماً قريباً ، يا غلام ائذن لإبراهيم بن طلحة ، فلما دخل عليه قرّبه حتى أجلسه على فرشه ، ثم قال له : يابن طلحة ! إن أبا محمد أذْكرنا ما لم نزَلْ نعرفك به من الفضل والأدب وحسن المذهب ، مع قرابة الرحم ووجوب الحق ، فلا تَدَعَنَّ حاجة في خاصٍّ أمرك ولا عامّته إلاّ ذكرتَها . قال : يا أمير المؤمنين ! إن أولى الأمور أن تفتتح بها الحوائج وترجى بها الزُّلف ما كان لله عز وجل رضا ، ولحقّ نبيه ﷺ أداء ، ولك فيه ولجماعة المسلمين نصيحة ، وإن عندي نصيحة لا أجد بدّاً من ذكرها ولا يكون البوح بها إلا وأنا خال ، فأخْلِني تَرِدُ عليك نصيحتي . قال : دون أبي محمد ؟ قال : نعم . قال : قم يا حجّاج . فلما جاوز السّتر قال : قل يابن طلحة نصيحتك ، قال : اللهَ يا أمير المؤمنين ، قال : الله ، قال : إنك عَمدت إلى الحجاج مع تَغَطْرُسه وتَعَتْرُسه ، وتَعَجْرفه وبعده عن الحق وركونه إلى الباطل ، فوليته الحرمين وفيهما من فيهما ، وبهما من بهما من المهاجرين والأنصار ، والموالي المنتسبة الأخيار ، أصحاب رسول الله ﷺ وأبناء الصحابة ، يسومهم الخسف ، ويقودهم بالعسف ، ويحكم فيهم بغير السنة ، ويطؤهم بطِغامٍ من أهل الشام ، ورعاع لا روية لهم في إقامة حق ، ولا إزاحة باطل ، ثم ظننتَ أن ذلك فيما بينك وبين الله يُنجيك ، وفيما بينك وبين رسول الله ﷺ يخلصك إذا جاثاك للخصومة [1] في أمته ، أما والله لا تنجو هناك إلا بحجة تقيمن لك النجاة ، فابق على نفسك أو دع ، فقد قال رسول الله ﷺ : « كُلّكُم راعٍ وكلكم مَسْئولٌ عن رعيته » . فاستوى عبد الملك جالساً وكان متكئاً ، فقال : كذبت — لعمرو الله — ومنْتَ وَلُؤُمت فيما جئتَ به ، قد ظنَّ بك الحجاج ما لم يجده فيك ، وربما ظُنَّ الخيرُ بغير أهله ، قم فأنت الكاذب المائن الحاسد ، قال : فقمت والله ما أبصر طريقاً ، فلما خلّفت السِتر

(١) جاثى فلان فلاناً : أي جثا أحدهما إلى صاحبه بمعنى جلس على ركبتيه ملاصقاً له للخصومة .

لحقني لاحقٌ من قبله ، فقال للحاجب : احبس هذا ، أدخل أبا محمد للحجاج ، فلبثت مليّاً لا أشك أنهما في أمري ، ثم خرج الآذن فقال : قم يا ابن طلحة فادخل ، فلما كُشِفَ لِيَ السِّتر لقيني الحجاج وأنا داخل وهو خارج فاعتنقني وقبل ما بين عيني ، ثم قال : إذا جزَى اللهُ المتحابين بفضل تواصلهما فجزاك الله أفضل ما جزى به أخاً ، فوالله لئن سلمتُ لك لأرفعنَّ ناظرك ، ولأعلِيَنَّ كعبك ، ولأتبعَنَّ الرجالَ غُبار قدمك ، قال : فقلت : يَهْزأ بي ، فلما وصلتُ إلى عبد الملك أدناني حتى أجلسني مجلسي الأول . ثم قال : يا ابن طلحة لعل أحداً من الناس شاركك في نصيحتك ؛ قال : قلت : لا والله ، ولا أعلم أحداً كان أظهر عندي معروفاً ولا أوضح يداً من الحجّاج ، ولو كنت محابياً أحداً بدِيني لكان هــو ، ولكني آثرت الله عــز وجل ورسوله صلى الله عليه والمسلمين ، فقال : قد علمت أنك آثرت الله عز وجل ، ولو أردت الدنيا لكان لك بالحجاج أمل ، وقد أزلتُ الحجاج عن الحرمين لما كرهتُ من ولايته عليهما ، وأعلمته أنك استنزلتني له عنهما استصغاراً لهما ، ووليته العراقين لما هناك من الأمورِ التي لا يَرْحَضُها إلا مثله ، وأعلمته أنك استدعيتني إلى التوليَة له عليهما استزادة له ليلزمه من ذِمامك ما يُؤدي به عني إليك أجر نصيحتك ، فاخرج معه فإنك غير ذام صحبته مع تقريظه إياك ويدك عنده ، قال : فخرجتُ على هذه الجملة (١) .

قال أبو بكر بن أبي الأزهر : يَرْحَضُها يعني يغسلها ، قال القاضي أبو الفرج : الرحض : الغسل ، ومنه سميت الأخلية المراحيض ، وجاء في خبر عن عائشة رضي الله عنها ، ذكرت فيه الخروج إلى الأقضية للحاجة وذلك قبل أن يتخذ الناس المراحيض ، ومن ذلك ما روى عن النبي ﷺ أنه قال وقد سئل عن الطبخ في قدور المشركين « أرْحِضُوها بالماء » (١)

(١) انظر هذا الخبر في ثمرات الأوراق ١/٢٢٦ ، منقولاً عما هنا .

ومن ذلك الرُّحَضَاء في الحمى وذلك حين يعرق صاحبها ، كما قيل فيها الثُّؤَبَاء من التثاؤب ، والمُطَواء من التمطي ، والعُرُواء إذا أعرت . من قولهم عر يعرو ، وقيل لها رُحَضَاء إما لأن العرَق مؤذِنٌ بانصرافها فكأنه أماطها وغسلها ، وإما لأن المحموم إذا عرق شبه بالمتغسل بالماء ، وقول عبد الملك لإبراهيم بن طلحة في هذا الخبر : أعلمتَ الحجاج في موضعين ، كلام غير خارج على طريق الصحة والتحقيق ، وذلك لأن الإعلام هو إلقاء الشيء الصحيح الذي يقع بمثله العِلْم للملقَى إليه ، فأما ما لا حقيقة له فلا يقال أعلمت أحداً به ، ولو كان أخبرتُه مكان أعلمته لكان الكلام مستقيماً ، لأن المعلم لا يكون إلا محقاً ، والمُخْبِر قد يكون محقّاً ومبطلاً . ألا ترى أنّ رجلاً لو قال لعبيده : من أعلمني منكم بقدوم زيد فهو حُرّ ، فقال له قائل منهم : قد قدم زيد وهو كاذب ، لم يعتق . ولو كان قال : من أخبرني مكان من أعلمني لعتق هذا المخبر ، وكذلك لو أخبره مخبر بهذا منهم بعد أن يقوم العلم له لم يعتق ، لاستحالة إعلام من قد علم ، ولو أخبره لعتق لصحة إخبار المخبر بما كان قد أخبر به .

(عمر رضي الله عنه يتمثل بشعر)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال أخبرنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن يونس ، قال : جاء عبد الرحمن بن عوف إلى باب عمر بن الخطاب فسمعه وهو يتمثل في بيته :

وكيف مُقَامِي بالمدينة بَعْدَمَا
قَضَى وَطَراً منها جَمِيلُ بنُ مَعْمَرِ

قال القاضي أبو الفرج : ويروى كيف ثُوائي بالمدينة ، ثم قال : يا يرفأ ! من بالباب ؟ قال : عبد الرحمن بن عوف . قال : أدْخِله . فلما دخل قال : أسمعت ؟ قال : نعم . قال : إنّا إذا خلونا في منازلنا قلنا ما

يقول الناس . قال القاضي أبو الفرج : هذا جميل بن معمر الجُمَحِي من مَسْلَمَةِ الفتح (١) ، قُتل على عهد عمر ، وليس بجميلِ بن عبد الله بن مَعْمر العُذْري الشاعر .

(كلمات مأثورة)

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، حدثنا حُريز بن أحمد بن دؤاد (٢) ، قال سمعت العباس بن المأمون قال : سمعتُ أميرَ المؤمنين المأمون يقول : قال لي علي بن موسى الرضا (٣) : ثلاثةٌ توكّل بها ثلاثة ، تحاملُ الأيام على ذوِي الأدوات الكاملة ، واستيلاء الحرمان على المُقَدَّم في صنعته ، ومعاداةُ العوَامّ لأهل المعرفة .

(من زَهْد رجال الحديث)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري (٤) ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا

(١) ذكر ابن حجر في الإصابة الترجمة ١١٩٠ ، نقلا عن كامل المبرد أن جميل بن معمر هذا كان قد أسلم قبل ذلك فهو قد شهد فتح مكة ، كما ذكر أنه كان صديقاً لعمر رضي الله عنه وأنه حين أسلم أخبره بذلك واستكتمه لكنه لم يكتم ذلك وذهب إلى قريش وصاح : إلا أن ابن الخطاب قد صبأ ، ومن الجدير بالذكر أن الخبر الوارد هنا ورد في الإصابة معكوساً عن الزبير بن بكار ، فقد ذكر أن المتمثل بالبيت كان عبد الرحمن بن عوف وأن عمر دخل عليه وهو يردده ، انظر الإصابة ، وانظر الخبر نقلا عما هنا في المستطرف ١٤٨/٢ .

(٢) في أ : جرير ، والصحيح أنه حريز بن أحمد بن أبي دؤاد ، أبو مالك الإيادي ، روى عن أبيه وغيره حكايات ، وحدث عنه الحسين بن القاسم الكوكبي ومحمد بن يحيى الصولي ، تاريخ بغداد ٢٧٠/٨ .

(٣) هو علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، أبو الحسن الملقب بالرضا ، ثامن الأئمة الاثني عشر عند الإمامية ، ومن أجلاء السادة أهل البيت وفضلائهم ، أحبه المأمون العباسي فعهد إليه بالخلافة من بعده وزوجه ابنته ، فحدثت فتن في بغداد أخمدها المأمون ، توفي بطوس سنة ٢٠٣ هـ ، انظر تاريخ الطبري ٢٥١/١٠ ؛ وتاريخ ابن الأثير ١١٩/٦ .

(٤) الخبر التالي نقلا عما هنا في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ورقة ٨٤ .

موسى بن عبد الرحمن بن مَسْروق الكِنْدي الكوفي ، قال : حدثنا محمد ابن المنذر الكندي ـ قال : وكان جاراً لعبد الله بن إدريس [1] قال : حجّ الرشيد ومعه الأمين والمأمون فدخل الكوفة فقال لأبي يوسف : قل للمحدثين يأتونا يحدثونا ، فلم يتخلف عنه من شيوخ الكوفة إلا اثنان عبد الله بن إدريس وعيسى بن يونس [2] ، فركب الأمين والمأمون إلى عبد الله بن إدريس فحدّثهما بمائة حديث ، فقال المأمون لعبد الله : يا عَمّ ! أتأذنُ لي أن أعيدَها عليك ومن حِفْظِي ؟ قال : افعل ، فأعادها كما سمعها فكان ابنُ إدريس من أهل الحفظ يقول : لولا أنّني أخْشَى أن ينفلتَ منّي القرآن ما رويتُ العلم . يعجب عبد الله من حفظ المأمون ، وقال المأمون : يا عَمّ ! إلى جَنْبِ مسجدك دارٌ إن أذنت لنا اشتريناها ووسعنا بها المسجد ، فقال : ما بي إلى هذا حاجة قد أجزأ من كان قبلي وهو يُجْزِئُني ، فنظر إلى قُرَحٍ في ذراع الشيخ فقال : إن معنا متطبّين وأدوية ، أتأذن لي أن يجيئك من يعالجك ؟ قال : لا ، قد ظهر بي مثل هذا وبَرَأ ، فأمر له بمال وجائزة فأبى أن يقبلها وصار إلى عيسى بن يونس فحدثهما ، فأمر له المأمون بعشرة آلاف درهم ، فأبى أن يقبلها فظن أنه استقلها ، فأمر له بعشرين ألفاً ، فقال عيسى : لا ولا إهليلجة [3] ولا شربة ماء على حديث رسول الله ﷺ ، ولو ملأتَ لي هذا المسجد ذَهَباً إلى السقف ، فانصرفا من عنده .

---

(١) عبد الله بن إدريس بن يزيد الأودي ، أبو محمد الكوفي ، روى عن أبيه وعمه داود بن يزيد ، وحصين بن عبد الرحمن ، وهشام بن عروة ، ويحيى الأنصاري وخلق ، قال عنه يحيى بن معين : هو ثقة في كل شيء ، وقال أحمد : كان نسيج وحده ، توفي سنة ١٩٢ هـ ، انظر تذكرة الحفاظ ٢٨٢/١ .

(٢) هو عيسى بن يونس بن عمرو السبيعي الهمداني ، أبو عمرو ، محدث ثقة ، كثير الغزو للروم ، من بيت علم وحديث ، غزا خمساً وأربعين غزوة ، وحج مثلها ، ولد بالكوفة وسكن الحدث بقرب بيروت ، وبها مات مرابطاً سنة ١٨٧ هـ ، انظر تذكرة الحفاظ ٢١٧/١ ، تاريخ بغداد ١٥٢/١١ ، تهذيب التهذيب ٢٣٧/٨ .

(٣) الاهليلج : عقير من الأدوية .

(من الشعر الحكيم)

حدثنا القاسم بن داود بن سليمان أبو ذرّ القراطيسي ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، قال : أنشدني الحسين بن عبد الرحمن :

إذا لم تتسامحْ بالأمور تعقدتْ
عليك فسامحْ وامزج العُسْر باليُسْرِ
فلم أرَ أوقى للبلاءِ من التُّقَى
ولم أر للمكروه أشفى من الصَبْرِ

المجلس الرابع

(إن من الشعر حكماً)

حدثنا أحمد بن إسحق بن بهلول إملاءً في يوم الاثنين لخمس ليال بقين من شعبان سنة ست عشرة وثلثمائة ، قال : حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن أبي شيبة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قال : قال رسول الله ﷺ « إن من الشعر حكْماً ، وإن أصدق بيت تكلمت به العرب قول الشاعر :

ألا كُلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطِلُ » (١)

(مذهب للمؤلف في التصغير)

قال القاضي أبو الفرج : هذا البيت الذي حكاه النبي ﷺ عن قائله من الشعراء هو للبيد بن ربيعة ، افتتح به كلمة فقال في أولها :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ
وكلُّ نعيم لا محالــةَ زائــلُ

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة بنحوه ، انظر صحيح البخاري ، كتاب « مناقب الأنصار » ٥٣/٥ ، صحيح مسلم « كتاب الشعر » : ٤٩/٧ ، وانظر تفسير ابن كثير : ٢٧٢/٦ .

وبعـــده :

وكلُّ أناسٍ سوف تدخلُ بينهم
دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ منها الأنامل [(١)]

وقد روى أن عثمان رضوان الله عليه [(٢)] لما سمع قوله : وكل نعيم لا محالة زائل ، قال كذب ، نعيم أهل الجنة لا يزول ، وهذا القول من عثمان يدل على أن مذهب القوم في العموم هو جارٍ في لغتهم على الشمول عند تجرده واستغراق الجنس بإطلاق لفظه .

وأما قول لبيد في البيت الآخر : دُويهية على التصغير ، فمن الناس من يقول هو تصغيرٌ معناه التكبير [(٣)] ، وجعلهُ مثبتو الأضداد في اللغة من

---

(١) انظر البيتين في ديوان لبيد ١١٢ ، ومع الخبر الوارد هنا في الإصابة ٣/٣٧ ، والشعر والشعراء ٢٣٧ ، والصناعتين ٤٣٤ ، وخزانة الأدب ٢/٢٢١ ، والموشح ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) المقصود به عثمان بن مظعون رضي الله عنه ، لا أمير المؤمنين عثمان بن عفان كما يتبادر إلى الذهـــن للوهلة الأولى ، وقـــد ذكر المرزباني في الموشح تفصيل ذلك بقوله : إن هذه القصة كانت مع عثمان بن مظعون وأنه كان في جوار الوليد بن المغيرة ، فكان لا يؤذي كما يؤذي أصحابه فسأل الوليد أن يبرأ من جواره فبرىء منه ، فحضر مجلساً مع القوم ولبيد ينشدهم :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فقال عثمان : صدقت ، فقال :

وكل نعيم لا محالة زائل

فقال عثمان : كذبت . فأسكت القوم ولم يدروا ما أراد بذلك ، فأعادها لبيد يصدقه عثمان في الأولى ويكذبه في الثانية . ويروى أن ذلك حدث مع أبي بكر رضي الله عنه ، انظر الموشح ١٠١ .

(٣) أي التعظيم ، وهو قول الكوفيين ، قالوا : ذلك لأنه أراد بالدويهية الموت ، ولا داهية أعظم منه ، والتصغير غير مناسب لذكره ، والدليل على أنه أراد ذلك قوله : تصفر منها الأنامل ، والمراد من الأنامل الأظفار ، فإن صفرتها لا تكون إلا بالموت ، وقال الطوسي في شرح ديوان لبيد : إذا مات الرجل أو قتل اصفرت أنامله واسودت أظافره ، =

الأضداد ، وقال بعضهم : بل هو على تصغيره ، وإنما أريد به أنه إذا كان الصغير منه يبلغ هذا المبلغ ، ويُؤَثِّر هذا الأثر فكبيره أعظم وأبلغ ، ولي في هذا مذهب استخرجته بنظري ، وما علمت أحداً سبقني إليه ولا تقدَّمني فيه ، ولكن الله الذي يُؤْتِي الحكمة من يشاء نبهني عليه ، وهو أن الاسم المصغر إنما قُصد به الدلالة على صغر ذاته وقلة أجزائه وتعلقه بجزء يسير في نفسه ، فأما الصغير في ذاته وقلة أجزائه فالحُجَيْرة الصغيرة التي ليست حجرة كبيرة ، وأما المتعلق بشيء يسير فكقولك : أتيتك قُبيل العصر أو بُعيد الفجر ، فتبين[1] أن المتقدم من الزمان في قولك قبيل يسير قليل ، والمتأخر منه في قولك بعيد قصير ليس بطويل ، ونحو هذا قُدَيْدِيمَة ووُرَيْئَةَ في قدام ووراء يجري الأمر فيه من جهة الأمكنة مجراه فيما قدمناه من باب الأزمنة كما قال الشاعر[2] :

قُدَيْدِيمَةُ التَّجْرِيبِ والحِلْمِ أنَّنِي
أرى غَفَلاَتِ العيشِ قَبْلَ التَّجَارِبِ

فظن من قال إن التصغير في هذا الباب تكبير لما رأى أن القصد من قائله الإشعار بأمر عظيم وخَطْب كبير جسيم ، ولو تأمل هذا الظانُّ الأمرَ في هذا لبان له أن الصغير على صغره ، فإنه نتج كبيراً وأدى إليه عظيماً في نفعه أو ضرره ، وكل واحد من الأمرين على حقيقته في نفسه ، وخصوصيته في جنسه ، فالدُّوَيْهِيَة هنا صغيرة جرَّت أمراً كبيراً ، كما قال :

= قال في الخزانة : ولم يرضه الشارح المحقق رضي الدين في شرح الشافية ، فإنه قال : قيل : مجيء التصغير للتعظيم فيكون من باب الكناية يكنى بالصغر عن بلوغ الغاية ، لأن الشيء إذا جاوز حده جانس ضده . انظر الخزانة ٥٦١/٢ ، وابن يعيش في شرح المفصل ٧٠٩ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٣٨ ، والإنصاف ١٣٩/١ .

(١) في أ : فينبني .

(٢) البيت للقطامي من قصيدة في ديوانه ٤٣ ، وفي اللسان قدم ، وفي المذكر والمؤنث للمبرد ١٥ ، والمقتضب ٢٧/٢ .

رُبَّ كبيرٍ هَاجَهُ صغيرٌ   وفي البُحُور تَغرَقُ النُّحُورُ[1]

وقول القائل من المحدثين :

لا تَحقِرَنَّ سُبَيْباً   كم جَرَّ أمراً سُبَيْبُ

وكان بعض من يتعاطى الأدب ، ويدأب في طلب المعاني واستنباط لطيفها سمع مني معنى ما ذكرته في هذا الفصل ، بعد أن طعن على من قدمت الحكاية عنه في هذا الباب ، وقال : كيف يكون الصغير كبيراً[2] ؟ وإذا جاز هذا جاز منه أن يصح قول من قال : الداء هو الدواء والسُّقْم هو الشفاء ، وهذا مما عبرت عن معناه بلفظي دون لفظ المتكلم به ، لأنني لم أصمد لحفظه، ولأنه كان غير بليغ في نفسه ولا مستقيم في ترتيبه ، فجليت معناه بلفظ لم آل في إيضاحه وتهذيبه .

وقال هذا القائل : إن الذي اجتبيتُه في هذا غير مخالف للقول الثاني الذي قَدَّمْتَ حكايته عن قائله ، فكان من جوابي لهذا القائل أن قلت له : إن الفرق بين قولي وقول من رغبت عن قوله وتسبقني إلى موافقته ، أن هذا الذي حكيت قوله ، يزعم أن الصغير المذكور إذا جر إلى ضرر فكبيره أبلغ في الضرر منه ، وأنا ذهبت إلى أن هذا التصغير يؤثر تأثيراً كبيراً من حيث كان جنسه يؤثر نفعاً أو ضُرّاً بكيفيته دون كميته ، وضربت لهذا المخاطب مثلاً قربت به هذا الفصل عينه حين بعد عنه إدراكه ، إذ كان الفرق بين هذين القولين لطيفاً جداً ، وكان بينهما من بعض الوجوه تناسب وشبه وتقارب . فقلت له : لما كان من الأشياء ما يكون عند قليل أجزائه منفعة جسيمة أو مضرة عظيمة ، كالدرياق والسم بولغ في العبارة عن المنافع

---

(١) انظر البيت في الحيوان ١/ ٨ ، والمحاسن والأضداد ٤٤ .
(٢) أي وهما ضدان .

بها لاشتهار هذا المعنى ، كقول الحُبَاب[1] بن المنذر : « أنا جُذَيْلُها[2] المُحَكَّك وعُذَيْقُها المُرَجَّب » ، وفي الإخبار عن الجنس الضار قول لبيد : دويهية تصفر منها الأنامل، وجملة الفصل بين قولي وقول من خالفته وتوهمت أني وافقته أنه عنى بالكمية وعنيت بالكيفية ، وقد يكون من الأشياء ما يُؤثر قليله ، وينتفي تأثيره عن كبيره ، كالجروراء [3] من الحيات والصرد [4] والقرقس [5] والبعوض من الجنس الواحد ، وكنوع

---

(١) الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري ، من أصحاب الرأي يوم بدر ، وهو الذي حين نزل الرسول صلوات الله عليه في أصحابه أدنى ماء من بدر ، قال له : يا رسول الله ! هذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . قال : يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل فانزل بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فتنزله ثم تغور ما وراءه من القليب ، ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأي . توفي الحباب في خلافة عمر رضي الله عنه ، انظر الإصابة الترجمة ١٥٤٧ ، السيرة ٢٦٠/١ .

(٢) الجذيل : تصغير الجذل بكسر الجيم ، وهو عود ينصب للإبل الجربى لتتحكك به، ويقال : هو جذيل حكاك وهو جذيلها المحكك يضرب مثلا لمن يشتفى برأيه ، والعذيق : تصغير العذق بفتح العين ، وهو النخلة بحملها ، وترجيبها : دعمها ببناء تعتمد عليه ، أو ضم أعذاقها إلى سعفاتها وشدها بالخوص لئلا تنفضها الريح ، أو وضع الشوك حولها لئلا تصل إليها يد ، وهو يريد أنه عزيز في قومه يمنعونه ويعضدونه ، وهذه الكلمة قالها الحباب ابن المنذر يوم السقيفة عند بيعة أبي بكر ، ونص الكلمة كما رواها الجاحظ في البيان والتبيين ٢٩٦/٣ ، والحيوان ٣٣٦/١ : « أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب ، إن شئتم كررناها جذعة ، منا أمير ومنكم أمير ، فإن عمل المهاجري شيئاً في الأنصاري رد ذلك عليه الأنصاري ، وإن عمل الأنصاري شيئاً في المهاجري رد عليه المهاجري » ، وانظر تاريخ الطبري ٢٠٩/٣ ، ومجمع الأمثال ٣٢/١ .

(٣) الجروراء جمع جرارة ، وهي عقرب صفراء صغيرة على شكل التبنة سميت جرارة لجرها ذنبها وهي من أخبث العقارب وأقتلها لمن تلدغه ، اللسان ٢٠٠/٥ .

(٤) الصرد : طائر أكبر من العصفور ضخم الرأس والمنقار ، يصيد صغار الحشرات وربما صاد العصفور ، وكانوا يتشاءمون به .

(٥) القرقس : البعوض الصغار .

من الحيات ذوات الأجسام اللطيفة وعظيم ضررها ، وقُصور الحية الكبيرة المسماة الحَفّاث [1] في ذلك عنها وإن كانت أعظم خلقاً وأشنع منظراً ، وقد قال أهل العلم بصناعة الطب : إن السقمونيا [2] ينتفع بتناول مقدار فيه يسيرٌ ذكروه ، ويقاربه في النفع والضر ما قاربه من الأجزاء في المبلغ والقدر ، وأنه إذا بلغ من الكثْرة مقداراً متفاوتاً لم يَضْرُر كبير ضرر ، ولم يظهر في أخذه ما يظهر بتناول قليله من الأثر في نفع ولا ضرر ، ولقد حدثني بعض متفقهي القضاة أن قوماً دسّوا شيئاً كثيراً من السقمونيا في بعض المطاعم الحلوة لرجل كانوا يعاشرونه ، وكان معروفاً بكثْرة الأكل ، وأنه أكل جميعه وانصرف عنهم ، فندموا على ما كان منهم ، وأشفقوا على هذا الرجل ، وعملوا على الفحص عن أمره واستعلام خبره ، فجاءهم يتأوه ويقول لهم : أيّ شيء أطعمتموني . فقد عرض لي قَوْلَنْج بَرّح [3] بي . وأما قول هذا المخاطب لي : كيف يكون الداء دواء والسقم شفاء ؟ فإن هذا قد يوجد معنى ويستعمل لفظاً ، وقد ظهر لعامة الناس وخاصتهم أن الداء المسمى خُمار العارض عن الشراب المسكر يشفى منه شرب شيء مما تولد الخمار عنه ، كما قال الشاعر :

---

(١) الحفاث : حية كأعظم ما يكون من الحيات ، أرقش أبرش يأكل الحشيش يتهدد ولا يضر أحداً ، وقال الجوهري : الحفاث حية تنفخ ولا تؤذي قال جرير :

أيفايشون وقد رأوا حفاثهم ... قد عضه فقضى عليه الأشجع

وقال الأزهري ، قال شمر : الحفاث : حية ضخمة عظيم الرأس أرقش أحمر أكدر يشبه الأسود وليس به ، إذا حربته انتفخ وريده . قال : وقال ابن شميل : هو أكبر من الأرقم ورقشه مثل رقش الأرقم لا يضر أحداً ، وجمعه حفافيث ، وقال جرير :

إن الحفافيث عندي يا بني لجأ ... يطرقن حين يصول الحية مذكر

انظر اللسان ٣/٤٤٣ .

(٢) السقمونيا : نبات يستخرج منه دواء مسهل للبطن مزيل للدوده .

(٣) القولنج : مرض معوي مؤلم ، يصعب معه خروج البراز والريح ، وسببه التهاب القولون .

وصَرْعَةِ مخمورٍ رفعت بقَرْقَفٍ وقد صَرَعَتْني قبل ذلك قَرْقَفُ
فقام يداوي صرعتي متعطفاً وكنت عليه قبلها أتعطف
يموتُ ويحيا تارةً بعد تارة وتُتلفنا هذي المدام وتخلف
إذا ما تسلّفنا من الكأس سلوة تقاضى الكرى منا الذي نتسلف

وقال آخر (١) :

تداويتُ من لَيْلَى بليلى من الهوى
كما يَتَدَاوَى شاربُ الخَمْرِ بالخَمْرِ

وقال أبو نواس :

دعَ عنك لومي فــإن اللومَ إغراءُ
ودَاوِني بالّتي كانتْ هي الداء (٢)

أخذه من قول الأعشى (٣) :

وكأسٍ شربتُ على لَذّة وأُخرى تداويتُ منها بهــا
لكي يعلَمَ الناسُ أني امرؤٌ أتيتُ المعيشة من بابهـــا

وقال جرير :

يَرْمِين من خَلَلِ السُّتور بأعينٍ فيها السَّقام وبُرْءُ كلّ سقيمِ (٤)

وكنت في الحداثة أنشأت كلمة مسمطة (٥) على نحو قصيدة مدرك

(١) هو مجنون بني عامر ، انظر ديوانه ٣٣ ، والموشح للمرزباني ٥١٨ .
(٢) البيت في ديوانه ٨٠ ، والموشح ٤١٣ .
(٣) انظر ديوانه ٢٤ ، والموشح ٥١٨ .
(٤) البيت من قصيدة طويلة يمدح بها مسلمة بن هشام ، ديوانه ٤٣٤ .
(٥) المسمطة من القصائد ما يؤتى فيه بأشطار مقفاة بقافية ثم يؤتى بعدها بشطر مقفى بقافية مخالفة ، ويستمر على هذا النهج مع التزام القافية المخالفة في القصيدة حتى تنتهي . وهذا نوع وهناك أنواع أخرى انظرها كلها في العمدة ٦٠ .

الشيباني في عمرو النصراني [1] فكان مما ذكرتُه في كلمتي هذه عند صفة عين إنسان نَعَتّه ونسبتُ الكلمة به :

سُقْم أوى أحسن عين تَطْرُفُ
تَقْوى به والقلوبُ تُضْعِـفُ
كالسم في الأفعى تَقِي وتُحْتِفُ
تَحَيّـا به وبالنفوس تتلـف

ثم قلت :

دواءُ من أقصده بسُقْمـه تكراره نحو مَرَامِي سَهْمِهِ
كالأفعوانِ يُشْتفى من سُمّهِ بشُرب دِرْياقِ كِريهِ لَحْمِهِ

وقلت أيضاً من كلمة :

وشفائي بسقم مُقْلة ظَبْـيٍ قدّ قلبي منه بأحسن قَـدّ
سُقْمها لي شفاءُ دَائِي إذا جادتْ وداءٌ إذا تَصَدّتْ لِصَدّ

وأنا أستغفر الله من مساكنة ما يشغل عن عبادته ، ومما يضارع ما

---

(١) مدرك بن علي الشيباني ، من أفاضل أهل الأدب ، تلقى العلم في بغداد ، وكان له مجلس يجتمع إليه الأحداث لا غير ، فإن حضره شيخ أو كهل قال له : إنه لقبيح بمثلك أن يختلط بالأحداث والصبيان ، فقم في حفظ الله ، وكان عمرو بن يوحنا النصراني يسكن في دار الروم ببغداد في الجانب الشرقي ، وكان من أحسن الناس صورة وأجملهم خلقاً ، وكان ممن يحضر مجلس مدرك فعشقه وهام به ، فلما عرف ذلك استحيا عمرو فانقطع عن الحضور وغلب الأمر على مدرك فترك مجلسه ولزم دار الروم وجعل يتبع عمراً حيث سلك ، وقال فيه قصيدة مزدوجة عجيبة أولها :

مـن عاشق ناء هـواه دان ناطق دمع صامت اللسـان
موثق قلـب مطلـق الجثمـان معذب بالصد والهجـران

انظرها بتمامها مع خبر مدرك في معجم الأدباء ١٩/١٣٥ ، مصارع العشاق ٢٦٣ ، ٣١١ ، ثمرات الأوراق ٢/٣٩ .

وصفنا في هذا الفصل من وجه ، قول ابن الرومي :

عيني لعينك حين تُبْصِرُ مقتـلُ ... لكنّ عينكَ سَهْمُ حتفٍ مُرْسَلُ
ومن العجائبِ أن مَعْنيً واحـداً ... هو منك سَهْمٌ وهو مِنّي مقتل (١)

وليس بمنكر أن يكون الشيء يُدْوِي (٢) شيئاً ويُداوِي غيره ، وينتفع به في بعض ويستضر في بعض .

وهذا أفشي وأكثر وأبين وأظهر من أن نحتاج إلى الإطناب في شرحه وضرب الأمثال له . وقد حكى مما يدخل في هذا الباب أن بعض المترفين أسَفَّ (٣) إلى طريقة المتصوفة ، واستشرف لصحبتهم والاختلاط بهم وملابستهم ، فشاور في هذا بعض مشيختهم فردّه عما تشوف إليه من هذا وحذّره من التعرض له . فأبت نفسه إلا إجابة ما جذبته الدواعي إليه وعطفته الخواطر عليه ، فمال إلى فريق من هذه الطائفة فعلق بهم واتصل بجلتهم ، ثم صحب جماعة منهم متوجهاً إلى الحج فعجز في بعض الطريق عن مسايرتهم وقصر عن اللحاق بهم فمضوا وتخلّف عنهم ، واستند إلى بعض الأميال إرادة الاستراحة من الإعياء من الكلال ، فمر به الشيخ الذي شاوره فيما حصل فيه قبل أن يتسنّمه فنهاه عنه ، وحذره منه، فقال هذا الشيخ مخاطباً له يقول :

إنّ الذين بخيرٍ كنتَ تذكُرُهُـمْ
قَضَوا عليك وعنهم كنتُ أنهاكا

فقال له : فما أصنع الآن ؟ فقال له :

---

(١) البيتان في ديوانه ١٨/١ نص ٢٣ .
(٢) يدوي : يمرض .
(٣) أسف إلى الأمر : تداني إليه ونزل إلى دركه .

لا تَطْلُبَنَّ حياةً عنـــد غيرهـــمُ

فليس يُحييك إلاَّ مَنْ توفاكا [1]

واستقصاء هذا الباب وما يضاهيه ويتشعب منه يطول ، ولا يليق بهذا المجلس الزيادة عليه . وقد يتجه في التصغير أن يكون أتى به تنبيهاً على أنه قد يأتي صغيراً ثم ينمى فيصير كبيراً ، أو أن يضامّه غيره فيصير قليله كثيراً ، كما قيل :

ربّ كبير هاجه صغيرُ

وكما قيل :

لا تحقرن سُبيبـــاً كم جرّ أمراً سُبيب

وقيل : رُبَّ محنةٍ حدثت عن لحظة [2] ، ورب حرب جُنيت من لفظـــة .

وقد قالوا : القليل إلى القليل كثير ، والذَّوْدُ إلى الذود إبِل [3] .

وقد يملأُ القطرُ الإنـاء فيُفْعَمُ [4]

---

(1) انظر هذه القصة في مصارع العشاق ٢٩٣ .

(2) في مجمع الأمثال ٣١٨/١ مثل قريب من هذا ، وهو قولهم : رب صبابة غرست مـــن لحظـــة .

(3) الذود : اسم مؤنث يقع على قليل الإبل ولا يقع على الكثير ،وهو ما بين الثلاث إلى العشر إلى العشرين إلى الثلاثين ولا يجاوز ذلك ، والذود لا يوحد ، وقد يجمع أذواداً . انظر هذا في مجمع الأمثال ٢٧٧/١ ، وقال : هو مثل يضرب في اجتماع القليل إلى القليل حتى يؤدي إلى الكثير .

(4) عجز بيت للفرزدق وصدره .

قوارض تأتيني وتحتقرونها

أنظر ديوانه ١٩٥/٢ .

والشر تَحْقِره وقد يَنْمي [١] ، وقد يُفْنِي الجزءُ بعد الجزء الجُملةَ ، والشيء يتبع بعضه بعضاً ، وقد يؤدي انقطاع الحبّة من السلك إلى انقطاع سائر ما فيه، ونزع الحجر من سور أو جدار يؤدي إلى تهافت باقيه ، وقد قالوا : العصا من العُصَيّة ، وفسره بعضهم أن الفرد ينبت وينشأ ليناً صغيراً . ثم ينمي فيستطيل ويغلظ ويشتد ويصلب .

وقيل : بل المعنى إن العصا نتجت من أمها العصية ، والعصا هي الدابة التي أشار قَصِيرٌ على جَذِيمة بركوبها عند ظهور علامة ذكرها [٢] ، إذ كانت على حد من الإحضار والسرعة والإهذاب [٣] والجودة تفضل به ما هو من جنسها ، وقد يكون الكثير من القليل ، والجُمّارُ من الفَسيل [٤] والفَنِيق من الفصيل [٥] .

(المحارب الشجاع)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا أبو معاذ خلف بن أحمد المؤدب ، عن أبي إسحق الزيادي قال : حدثني رجل من العرب قال : كان بيننا وبين قوم حرب فلقونا فهزمناهم فإذا فتى منهم قد صبر لنا فجعل لا يحمل على ناحية من معسكرنا إلا كشفها وهزمها ، ثم احتويناه بأرماحنا فأشفقنا عليه فعرضنا عليه الأمان . فقال :

---

(١) في الأصل : الشيء تحقره وصحة المثل : الشر تحقره ... الخ ، انظر مجمع الأمثال ٣٦٧/١ .

(٢) انظر ذكر ذلك في قصة الزباء ملكة الجزيرة وجذيمة الأبرش في مجمع الأمثال ٢٣٣/١ تحت قولهم « خطب يسير في خطب كبير » .

(٣) الإحضار : وثب الفرس في عدوه ، والإهذاب بالذال المعجمة : الاسراع .

(٤) الجمار : قلب النخلة ، والفسيل جمع فسيلة وهي النخلة الصغيرة تقطع من الأم أو تقلع من الأرض فتغرس .

(٥) الفنيق من الإبل : الفحل ، والفصيل : ولد الناقة بعد فطامه وفصله عن أمه .

أذلُّ الحيـــاةِ وذلَّ المـمــات
وكُـلاً أراه طَعَامـــــاً وَبِيــلا
فإنْ كان لا بـــدَّ من واحـــــدٍ
فسِيري إلى الموتِ سيراً جميـــلا (١)

ثم حملنا عليه فقتلناه ، فإذا هي امرأة .

(حُسْن الظنّ بالله)

حدثنا أبو القاسم بن داود أبو ذر القراطيسي ، قال : حدثنا أبو بكر ابن أبي الدنيا قال : حدثني الحسن بن عبد الرحمن : أن وزير الملك نفاه الملك لموجده وجدها (٢) عليه فاغتم لذلك غماً شديداً فبينما هو ذات ليلة في بيت له إذ أنشده رجل كان معه :

أحْسِنِ الظّـــنَّ بربٍّ عـوَّدَكْ
حَسَنـاً بالأمس وسَوَّى أَوَدَكْ
إن ربّاً كـــان يكفيك الـــذي
كان بالأمس سيكفيك غـدَك (٣)

(تعليق على الخبر)

هكذا في الخبر إذ أنشده بعد فبينا هو ، وكان الأصمعي ينكر الإتيان

---

(١) انظر الخبر مع البيتين باختلاف في الرواية في الأغاني ٣٤٤/٤ ، وانظر البيتين وحدهما في عيون الأخبار ١٩١/١ ، ونسبا في حماسة البحتري ٢٨ إلى بشامة بن الغدير والرواية فيها ؛ أخزى الحياة وخزي الممات .. الخ .

(٢) الموجدة : الغضب .

(٣) البيتان في محاضرات الأدباء ٢٤٩/١ ، بهجة المجالس ١٨٣/١ ، ٤٢٠ ، والرواية فيهما لصدر البيت الأول : أحسن الظن بمن قد عودك ، وانظر الخبر في الفرج بعد الشدة ٦٢ .

باذ في هذا الباب ويستخطىء القائل : بينا أنا جالس إذ أقبل فلان ويرى أن الكلام الصحيح : بينا أنا جالس أقبل فلان ، وكان سيبويه وغيره من أهل العلم بالعربية يرون ذلك جائزاً ، وقد جاء في الكلام والأخبار كثيراً ، وإذ من حروف المفاجأة الدالة عليها [1] .

(الجليس الصالح)

حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي ، قال : حدثنا أبو العباس المنصوري ، عن القثمي ، عن مبارك الطبري ، قال : سمعت أبا عبيد الله ، يقول : سمعت المنصور يقول للمهدي : يا أبا عبد الله لا تجلس مجلساً إلا ومعك فيه رجل من أهل العلم يحدثك ، فإن محمد بن مسلم بن شهاب [2] قال : إن الحديث ذكر يحبه الذكور من الرجال ويكرهه مؤنثوهم ، قال المنصور : صدق أخو بني زهرة .

وقال آخر :

إن المشيبَ وما بدا في عَـــارِضِي
صَرَفَ الغواني فانصرفتُ كريمـــا
وسخوتُ إلا عن جليسٍ صالحٍ
حَسَنِ الحديثِ يزيدُني تعليمـــا

قال القاضي : وأنشدنا لابن الرومي :

ولقــد سئمــتُ مــآربِي فكــأن طيِّبُهــا خبيــثُ

---

(١) انظر تفصيل القول في ذلك في المغنى ٨٢/١ .

(٢) الزهري ، أبو بكر ، أحد أكابر الحفاظ والفقهاء ، كان شديد الحرص على تدوين العلم ، يقول أبو الزناد : كنا نطوف مع الزهري ومعه الألواح والصحف فيكتب كل ما يسمع ، نزل الشام واستقر بها ومات على حدود فلسطين سنة ١٢٤ هـ ، ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٠٢/١ ، غاية النهاية ٢٦٢/٢ . تهذيب التهذيب ٤٤٥/٩ .

إلا الحديثُ فإنّه مثل اسمه أبداً حديث (١)

وحدثنا محمد بن مزيد الخزاعي الأزهري ، قال : دخلت إلى سُرّ من رأى فقيل إن بها رجلاً يكنى أبا الفضل ويعرف بالعباس بن أبي العبيس بن حمدون النديم ، له أدب ومعه ظَرْف وهو محتاج إلى مثلك يعاشره ، فاكتب إليه أبياتاً فكتبت إليه :

أبا الفضل يا مَنْ ليس تُحْصى فضائلهُ
ومن ماله في الخلق خلق يعادله
أتقبل خِلاً جاء يتبعُ شَوْقَه
إليك على علم بأنك قَابله
يرحّل عنك الهم عند حلوله
ويُلهيك بالآداب حين تساجله
يكسّر طمح العين من لحظاته
ويغمض منه الجفن حين تخاتله
ويشربُ ما تَسقيه غير مماكسٍ
إلى أنْ يُرى والرأس تهتز مائله
فحينئذ تُثْنَى إلى الباب رجلُه
وإن لم يكن بالباب ما هو حامله

فكتب إليّ في جوابها من ساعته :

أتانا مقال أوجب الشكر حامله
ودلّ على فضلِ الفتى الذي هو قائله
ومكّن وُدّاً قبل تمكينِ رؤية
ومن قبلُ ما لاحت بذاك مخايلُه

(١) البيتان في ديوانه ١٦/١ .

سنقبلُ ما أهداه مـــن صفو بره
ونبذل منه فوق ما هـــو باذله
ونقصد أسبابَ التهاجـــر بيننـــا
فنقطعهـــا مذمومـــةً ونـــواصله
فإن دام دُمنا لم نَرِدْ بدلاً بـــه
وإن زال عن عهد فلسنا نزايلـــه

وتحت هذه الأبيات : تفضل – جُعِلتْ فداك – بالمصير إلينا من ساعتك ، فصرت إليه فوجدته فوق الوصف ، فلم نزل نتعاشر طول مُقامي هناك إلى أن انحدرت .

(من أين لك هذه الجبة ؟)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثني حسين الخليع (١) ، قال : كنا في حلقة فجاءنا أبو نواس وعليه جبة خز ، فقلنا له : من أين لك هذه الجبة ؟ فكتمنا ، فترجّمنا خبرها حتى وقع لنا أنها من جهة مؤنس بن عمران بن جميع ، فانسللتُ من الحلقة وصرت إلى مؤنس فوجدت عليه جبة خز جديد ، فقلت له :

كيف أصبحت يا أبا عمران ؟

فقال : بخير ، صبحك الله بخير ، فقلت :

إن لي حاجة فرأيك فيهـــا أنا فيها وأنت لي سيان

فقال : اذكرها على بركة الله ، فقلت :

---

(١) الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلي ، أبو علي ، شاعر من ندماء الخلفاء ، ولد سنة ١٦٢ بالبصرة ، نشأ بها وتوفي ببغداد سنة ٢٥٠ هـ ، اتصل بالأمين ومدحه ، ولما ظفر المأمون خافه الخليع وهرب إلى البصرة حتى صارت الخلافة للمعتصم ، فعاد ومدحه ومدح الواثق ، وشعره رقيق عذب ، انظر الأغاني ١٦٥/٦ ، تاريخ بغداد ٥٣/٨ .

جبة مـــن جبابك الخز كيما لا يراني الشتاء حيث يراني

فقال : بسم الله خذها ، وخلعها فلبستها ورجعت إلى الحلقة ، فقال لي أبو نواس من أين لك هذه الجبة ؟ قلت : من حيث جبتك [١] .

(يستعيذ بالله من السّبْع)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثني أحمد بن إسماعيل الخصيب ، قال : كان جميل بن محمد بن جميل إذا أراد الركوب في كل غداة يقول : اللهم إني أعوذ بك من السّبْع ، فقيل له : أنت تركب إلى الكَرْخ [٢] ، فأي سبعٍ في الكرخ ، فقال : لو أردتُ ذلك لقلت : السّبُع ، ولكني أستعيذُ من سبع خِصال ، فأقول : اللهم إني أعوذ بك من السّبْع وأضمرها ، وهي : اللهم إني أعوذ بك من السعي الخائب ، والبربخ [٣] العائب ، والحائط المائل ، والميزاب السائل ، ومشحمات الروايا [٤] ، والمطايا التي تحمل البلايا ، والتهور في البلاليع والركايا [٥] .

قال القاضي : قد تخفف العرب السّبعُ فتقول السّبْع كما يقول عجز وعجز وقد قرىء ﴿ وما أكل السّبْعُ ﴾ [٦] بتسكين الباء وجاءت هذه القراءة في بعض الروايات عن عاصم بن أبي النجود ، وقوله في هذا الخبر الميزاب هو الذي تخطىء به في اللفظ العامةُ فتقول مُزْراب ، والميزاب مأخوذ من قولهم وزب الماء يَزِبُ إذا سال أو جرى ، وأما المزراب فهو السفينـــة .

---

(١) انظر القصة في الموشح للمرزباني .

(٢) الكرخ : سوق بغداد ، وكانت أولا في وسط المدينة والمحال حولها ، إلا انها أصبحت وحدها مفردة وحولها محال غير مختلطة بها ، انظر معجم البلدان ٢٥٥/٤ .

(٣) البربخ : مسيل الماء ومجراه، والبالوعة من الخزف وغيره (الماسورة) وعربيتها الإردية .

(٤) الروايا : جمع روية وهي الدابة التي يستقى عليها الماء، والمشحمات: التي امتلأت شحماً .

(٥) الركايا : جمع ركية وهي البئر لم تطو أي لم يجعل عليها ساتر من طوب ونحوه .

(٦) سورة المائدة ، الآية ٣ .

المجلس الخامس

(صنائع المعروف تقي مصارع السوء)

حدثنا محمد بن حمدان بن سفيان الطرائفي سنة أربع عشرة وثلثمائة ، قال : حدثنا محمد بن العباس التنيسي ، قال : حدثنا عمر بن أبي سلمة ، عن صدقة بن عبد الله الدمشقي ، عن الأصبغ ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله ﷺ تسليماً : « صنائعُ المعروفِ تَقِي مَصَارعَ السُّوء ، وصَدَقَةُ السِّرِّ تُطفىءُ غَضَبَ الرب »[1] .

(التعليق على الحديث)

قال القاضي : وفي هذا الخبر من التنبيه على فضل اصطناع المعروف ، وصدقة السِّرِّ التي يُراد الله عز وجل بها ، ويطمئن المُتصدِّق بها إلى

---

(١) رواه الطبراني في معجميه الكبير والأوسط ، وأبو الشيخ في الثواب ، والقضاعي بأسانيد أكثرها فيه مقال ، ورواه الترمذي عن أنس بلفظ : « إن الصدقة لتطفىء غضب الرب ، وتدفع ميتة السوء » . انظر : تحفة الأحوذي ، أبواب الزكاة ، باب : « ما جاء في فضل الصدقة » الحديث ٦٥٨ ، ٣/٣٢٩ – ٣٣٠ ، المقاصد الحسنة للسخاوي ٢٦٠ ، كشف الخفاء للعجلوني ٢/٢٨ ، فيض القدير للمناوي ٢/٣٦٢ ، المصنوع في معرفة الحديث الموضوع للقاري ٨٥ .

الإيمان باطّلاع الله عليها وإخلاصها من الرياء المبطل لثوابها ما يبعث كل ذي لب نَصَح لنفسه وأراد السعادة لها ، والنجاة من هول عظيم المكروه بها ، على الرغبة فيه والمسابقة إليه ، فأعظِمْ بالنعمة على من دَفَعه اللهُ عزَّ وجل لطاعته ، ووقاه شُحَّ نفسه ﴿ومن يُوقَ شُحّ نَفْسِهِ فأولئك هم المُفْلِحون﴾ (١) .

وقد ورد في هذا المعنى من الترغيب في البر والحض على ما فعل ما عاد بجزيل الأجر وجميل الذكر ، ما يطول شرحه ويُتعِب جَمْعُه ، مُسْنَداً ومَقْطوعاً ، ومُرْسَلاً ومَوصُولاً ، ونحن نأتي بطرف منه كاف لمن تشوف إليه ، وشاف لمن أراد لنفسه الصلاح به فمما جاء في هذا المعنى ما حدثنا إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى الهاشمي ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني جدّي محمد بن إبراهيم الإمام (٢) وكان يجلس لولده وولَدِ وَلَدِهِ في كلّ يومِ خميس فيعِظُهم ويُحذرهم ، فقال : أرسل إليّ أمير المؤمنين المنصور بكرةً واستعجلني الرسول ، فظننت ذلك لأمر حدث فركبت إذ سمعت وقع الحافر ، فقلت للغلام : انظر من هذا ؟ فقال : هذا أخوك عبد الوهاب (٣) فرفقت في السير فلحقني فسلّمتُ عليه وسلم عليّ فقال : أتاك رسول هذا ؟ قلت : نعم ، فهل أتاك ؟ قال نعم . فقلت : ففيم ذاك ترى ؟ قال : تجده اشتهى خلاً وزيتاً سوداً الغداة فأحبَّ أن نأكل معه ، فقلت : ما أرى ذاك ، وما أظن هذا إلا لأمر قال : فانتهينا إليه فدخلنا فإذا الربيع واقف عند الستر ، وإذا المهديّ ولي العهد في

---

(١) سورة الحشر ، الآية ٩ .

(٢) هو محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، ولي مكة والمدينة والجزيرة واليمن ومات ببغداد ، المعارف لابن قتيبة ٣٧٦ .

(٣) هو عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن علي ، ولي الشام ، وله بها عقب ، المعارف ٣٧٦ .

الدهليز جالس ، وإذا عبد الصمد بن علي [(١)] وداود بن علي [(٢)] وإسماعيل بن علي [(٣)] وسليمان بن علي [(٤)] وجعفر بن محمد بن علي بن الحسين [(٥)] وعبد الله بن حسن بن حسن [(٦)] والعباس بن محمد [(٧)] ، فقال الربيع : اجلسوا مع بني عمكم ، قال : فجلسنا ثم دخل الربيع وخرج ، فقال للمهدي : ادخل أصلحك الله ، ثم خرج فقال : ادخلوا جميعاً ، فدخلنا فسلمنا وأخذنا مجالسنا ، فقال للربيع : هات دُوِيّاً وما يكتبون فيه ، فوضع بين يدي كل واحد منا دواة وورقاً ، ثم التفت إلى عبد الصمد بن علي ، فقال : يا عم حدّث ولدك وإخوتك وبني أخيك بحديث البر والصلة . فقال عبد الصمد : حدثني أبي ، عن جدي عبد الله بن العباس ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إن البرَّ والصِّلَة ليطوّلان الأعمار ويعمران الديار ويُثْريان

---

(١) هو عبد الصمد بن علي ، أبو محمد ، من عمومة المنصور ، ولي الجزيرة وفلسطين ومكة والمدينة والبصرة ، توفي في بغداد ، المعارف ٣٧٤ .

(٢) داود بن علي ، أخو عبد الصمد ، وكان خطيباً ، جميلا ، يكنى أبا سليمان ولي مكة والمدينة لأبي العباس وأدرك من دولتهم ثمانية أشهر ومات سنة ١٣٣ هـ ، المعارف ٣٧٤ ، ويتضح من تاريخ وفاته أنه لم يحضر خلافة المنصور كما ذكر في القصة فقد تولى المنصور الخلافة سنة ١٣٦ هـ .

(٣) إسماعيل بن علي ، ولي لأبي جعفر فارس والبصرة ، المعارف ٣٧٤ .

(٤) سليمان بن علي ، ولي البصرة وعمان والبحرين لأبي جعفر ، وتوفي بالبصرة سنة ١٤٢ هـ ، المعارف ٣٧٥ .

(٥) هو جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين الأصغر بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، ترجمته في المعارف ٢١٥ . والفرق بين الفرق ١٦ .

(٦) ابن علي بن أبي طالب ، كان من العباد ، وكان له شرف وعارضة وهيبة ولسن شديد ، وكان ذا لنزلة عند عمر بن عبد العزيز ، أثيراً لدى السفاح مكرماً له ، توفي سنة ١٤٥ هـ ، المعارف ٢١٣ ، تهذيب التهذيب .

(٧) هو أخو أبي جعفر المنصور ، وقد ولي له الجزيرة ، وكان يكنى أبا الفضل ، المعارف ٣٧٧ .

الأموال ، وإن كان القوم[1] فجارا » ثم قال : يا عم الحديث الآخر ، فقال عبد الصمد بن علي : حدثني أبي ، عن جدي عبد الله بن العباس ، فقال : قال النبي ﷺ : « إن البِرَّ والصلة ليخففان سوء الحساب يوم القيامة ، ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿ والذين يَصِلُون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ﴾[2] .

فقال المنصور : يا عم الحديث الآخر ، فقال عبد الصمد : حدثني أبي ، عن جدي، عن النبي ﷺ : « أنه كان في بني إسرائيل ملكان أخوان على مدينتين وكان أحدهما باراً برحمه عادلاً مع رعيته، وكان الآخر عاقاً برحمه جائراً على رعيته ، وكان في عصريهما نبيٌّ فأوحى الله عز وجل إلى ذلك النبي أنه قد بقي من عمر هذا البارِّ ثلاث سنين ، وبقي من عمر العاقِّ ثلاثون سنة ، فأخبر ذلك النبيُّ رعيةَ هذا ورعية ذلك فأحزن ذلك رعية العادل ، وأحزن ذلك رعية الجائر ، فقال : ففرّقوا بين الأطفال من الأمهات وتركوا الطعام والشراب ، وخرجوا إلى الصحراء يَدْعُون الله عز وجل أن يمتّعهم بالعادل ويزيل عنهم أمر الجائر فأقاموا ثلاثاً ، فأوحى الله عز وجل إلى ذلك النبيّ ﷺ : « أخْبِر عبادي أني قد رحمتهم وأجبت دعاءهم ، فجعلت ما بقي من عمر هذا البار لذلك الجائر ، وما بقي من عمر الجائر لهذا البار ، قال: فرجعوا إلى بيوتهم ومات العاقُّ لتمام ثلاث سنين وبقي العادلُ فيهمْ ثلاثين سنة ، ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ وما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ ولا يُنْقَصُ من عُمُرِه إلاَّ فِي كِتَابٍ إنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِير ﴾[3] ، ثم التفت المنصور إلى جعفر بن محمد ، فقال : يا أبا عبد الله ،

---

(١) الحديث رواه ابن عبد البر من جهة أبي مليكة عن أبي سعيد الخدري ، ورواه أبو الشيخ عن أبي هريرة مرفوعاً بسند ضعيف ، انظر المقاصد الحسنة ١٤٤ ، فيض القدير ٣/١٩٩ . —

(٢) سورة الرعد ، الآية ٣٨ .

(٣) سورة فاطر ، الآية ١١ .

حدّث إخوتك وبني عمك بحديث أمير المؤمنين عليّ، عن النبي ﷺ في البر، فقال جعفر بن محمد: حدثني أبي، عن جدّي، عن أبيه، عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مَلِكٍ يصلُ ذا قرابته ويعدل على رعيته إلا شَدّ الله ملكه، وأجزل له ثوابه وأكرم مآبه وخفّف حسابه»(١).

(حديث الحية)

حدثنا الحسين بن القاسم بن جعفر الكوكبي، قال: حدثنا علي بن حرب الطائي، قال: حدثني جعفر الطائي قرابة القحاطبة من أهل جزيرة مهروبان(٢)، قال: حدثنا أبان بن عبد الجبار، قال: كنا عند سفيان بن عيينة(٣) وهو يحدثنا إذ التفت إلى شيخ إلى جنبه فقال: يا أبا عبد الله! حدثنا حديث الحية.

فقال الشيخ: حدثني محمد بن عتبة، قال: خرج حِمْيَرِيٌّ بن عبد الله إلى مقصد له، فلما أقفرت به الأرض انسابت حَيّةٌ بين قوائم دابته فقامت على ذَنَبِها، وقالت: آوني آواك الله في ظِلٍّ عرشه، يوم لا ظِلَّ إلاّ ظِله، فقال لها: وممّ آويك؟ قالت: من عدوٍّ لي قد

---

(١) هذا الخبر بتمامه أورده الخطيب البغدادي نقلا عما هنا في تاريخ بغداد ١/٣٨٤.

(٢) القحاطبة هم بنو قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان، وبنوه هم الحسن وحميد وعبد الله وشبيب، وهم من بني سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيىء، انظر جمهرة أنساب العرب ٤٠٤، أما مهروبان فقد ذكر ياقوت أنها في موضعين: أحدهما على ساحل البحر بين عبادان وسيراف، وهي بلدة صغيرة، أما الأخرى فهي ناحية مشتملة على عدة قرى بهمذان، انظر معجم البلدان ٤/٦٩٩.

(٣) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي، الكوفي ثم المكي، المحدث الثقة الحافظ، سمع الزهري وعبد الله بن دينار وغيرهما، وحدث عنه الأعمش وابن جريج والشافعي وأحمد ابن حنبل وغيرهم، وفيه يقول الشافعي «لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز» توفي سنة ١٩٨ هـ، تذكرة الحفاظ ١/٢٤٢، صفة الصفوة ٢/١٣٠.

غَشِيَنِي يريدُ أن يُقَطِّعَنِي إرباً إرباً ، قال لها : وأين آويك ؟ قالت : في جوفك إن أردتَ المعروف ، قال لها : من أنت ؟ قالت : من أهل قول لا إله إلا الله ، قال لها : فهاك جوفي ، فصيرها في جوفه ، قال : فإذا هو بفتى قد أقبل ومعه صمصامة له وقد وضعها على عاتقه ، فقال له : أيها الشيخ أين الحية التي استظلت بكنفك وأناخت بفنائك ؟ قال : ما رأيت شيئاً ، قال : عظُمت كلمةً خرجت من فيك ، قال : ما جاء منك أعظم ، تراني أقول ما رأيت شيئاً ، وتقول لي مثل هذا ؟ فولى الفتى مدبراً فلما توارى قالت الحية : يا عبد الله انظر هل يراه بصرك أو يأخذه طرفك ؟ قال : ما أرى شيئاً ، قالت : اختر مني إحدى منزلتين [1] إما أنكث قلبك نكثة فأجعله [2] رميماً ، أو أرث كبدك رثاً [3] فأخرجه من أسفلك قطعاً . قال لها : واللهِ ما كافأتِني يـَرْحَمُكِ الله ، قالت له : فما اصطناعك المعروف إلى من لا يعرف ما هو ، لولا جهلك ، وقد عرفتَ العداوة التي كانت بيني وبين أبيك قبل، وقد علمت أنه ليس عندي مال أعطيكه ولا دابة أحملك عليها . قال : أردت المعروف ، قال : فالتفت فإذا بفيء جبل قال : فإن كان لا بد ففي هذا الجبل ، ثم نزل يمشي فإذا هو في الجبل بفتى قاعد كأن وجهه القمر ليلة البدر ، فقال له الفتى : يا شيخ مالي أراك مستبسلاً للموت آيساً من الحياة ؟ فقال : من عدوٍّ في جوفي آويته من عدوه فلما صار في جوفي وقص عليه القصة ، فقال له الفتى : أتاك الغوث ، ثم ضرب يده إلى رُدْنه [4] فأخرج منه شيئاً أطعمه إياه فاختلجت وجنتاه ، ثم أطعمه ثانية فوجد تمخضاً في بطنه ، ثم أطعمه

---

(١) في الأصل : أحد ، وهي خطأ كما لا يخفى .

(٢) نكثه : نقضه وأشعثه ، ومنه قوله تعالى : « ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً » .

(٣) أرث الشيء : ضربه حتى أثخنه .

(٤) الردن : الكم .

الثالثة فرمى بالحية من أسفله قِطَعاً ، فقال له حميري : من أنت رحمك الله ، فما أحد على أعظم مِنّة منك ؟ قال له : أوما تعرفني أنا المعروف وأنه اضطربت ملائكة سماءٍ سماءٍ من خذلان الحيةِ إياك فأوحى الله عز وجل إلى أن يا معروف أغِثْ عبدي ، وقل له : أردتَ شيئاً لوجهي فآتيتك ثوابَ الصالحين ، وأعقبتك عقبى المحسنين ونجيتك من عدوك [1] .

(الجار إذا أراد شين جاره)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا أبو حاتم ، قال : أخبرنا عمارة بن عقيل ، قال : كان الرجل فيما مضى إذا أراد شَيْن جاره أو صاحبه طلب حاجته إلى غيره [2] .

(نادرة بين الحجاج وخارجي)

حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي ، قال : حدثنا محمد بن عيسى الأنصاري ، عن عبيد الله بن محمد التيمي ، قال : أُتِيَ الحجاجُ برجل متهم برأي الخوارج ، فقال له الحجاج : أخارجيٌّ أنت ؟ قال : لا والذي أنت بين يديه غدا أذل مني بين يديك اليوم ما أنا بخارجي ، فقال الحجاج : إني يومئذ لذليل . وأطلقه [3] .

---

(١) ورد هذا الخبر في كتاب الفرج بعد الشدة ٤٩ ، ٥٠ بروايتين : إحداهما كما هنا دون ذكر السند ، والأخرى مروية عن بعض بني إسرائيل وتختلف عما هنا في أن الحية تطوقت على بطن الرجل ، وأنه لما ذهب إلى الجبل دعا الله فأوحى إليه أني قد رحمت ثقتك بي ودعاءك إياي فاقبض على الحية فإنها تموت في يدك ولا تضرك ، ففعل فنجا ، وعاد إلى موضعه وتشاغل بعبادته .

(٢) انظر هذا الخبر في عيون الأخبار ١/٢٩٦ دون سند الرواية .

(٣) انظر هذا الخبر مروياً عن بعض الأمراء في عيون الأخبار ١/١٠٢ ، وفيها أن الرجل قال للأمير ، أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي إلا نظرت في أمري نظر من برئي أحب إليه من سقمي ، وبراءتي أحب إليه من جرمي .

(مال من يأخذ ؟)

حدثنا أحمد بن العباس العسكري ، قال : حدثني محمد بن عبد الله بن صبيح ، قال : ولى الحجاج رجلاً من الأعراب بعض المياه ، فكُسر عليه بعض خراجه فأحضره ثم قال له : يا عدوّ الله ! أخذتَ مالَ الله ، قال : فمالُ من آخذ ؟ أنا والله مع الشيطان منذ أربعين سنة أن يعطيني حبّةً ما أعطاني (١) .

(لو كانت الجنة بيده)

حدثنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك الشيباني ، قال : أخبرنا المنذر بن محمد ، قال : حدثنا الحسن بن محمد بن علي ، قال : حدثنا سليم ابن جعفر الهاشمي ، عن الرضا رضي الله عنه ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال علي بن الحسين (٢) : إني لأستحيي من الله عز وجل أن أرى الأخ من إخواني فأسأل الله عز وجل له بالجنة وأبخل عليه بالدنيا ، فإذا كان يوم القيامة قيل لي : لو كانت الجنة بيدك لكنت بها أبخل وأبخل وأبخل .

(جزاء الاحسان)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا محمد بن زكريا بن دينار الغلابي ، قال : حدثنا عبد الله بن الضحاك ، قال : حدثني الهيثم بن عدي ، عن عوانة ، قال : أتى الحجاج بأسارى من أصحاب قطريّ (٣) من

---

(١) وانظر هذا الخبر في بهجة المجالس لابن عبد البر .

(٢) علي بن الحسين الأصغر بن علي بن أبي طالب ، ليس للحسين عقب إلا منه ، وكان خيراً فاضلا ، له كلمات حكيمة وأخبار مأثورة في البيان والتبيين ١/٨٤ ، ٢٦٢ ، ٢/٧٦ ، توفي بالمدينة عام ٩٤ هـ ودفن بالبقيع ، المعارف ٢١٥ .

(٣) هو قطري بن الفجاءة المازني ، زعيم الخوارج الكبير ، خرج زمن مصعب لما ولي العراق ، =

الخوارج فقتلهم إلا واحداً ، كانت له عنده يد وكان قريباً لقطري ، فأحسن إليه وخلّى سبيله ، فصار إلى قطريّ فقال له قطري : عاود قتال عدو الله الحجاج ، فقال هيهات ، غَلّ يداً مُطْلِقُها واسترقَ رقبةً معتقُها ، ثم قال :

أأقاتلُ الحجّاجَ عن سُلْطانه ... بيدٍ تُقِرُّ بأنها مولاتُــــه
إني إذاً لأخو الدناءة والذي ... طمّتْ على إحسانه جهلاته [1]
ماذا أقولُ إذا وقفتُ إزاءَه ... في الصف واحتجّت له فَعَلاته
أأقول جار عليّ لا ، إني إذاً ... لأحقّ من جارت عليه وُلاَته
وتحدث الأقوام أن صنائعاً ... غُرِسَت لديّ فحنظلتْ نخلاته
هذا وما ظني بجــينٍ أنــــني ... فيكم لمطرِقُ مَشْهدٍ وعلاته [2]

(كرم أبي أيوب المورياني)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثنا محمد بن المرزبان ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثنا علي بن إسماعيل بن هيثم ، قال : قال ابن شُبرمة [3] : زوجت ابني على ألفي درهم فلم أقدر عليها ففكرت فيمن أقصده فوقع في قلبي أبو أيوب المورياني [4] فدخلت عليه فشرحتُ له

= وبقي عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة، وكان الحجاج بعد قتل مصعب يرسل إليه الجيوش جيشاً تلو جيش وهو يستظهر عليهم ، إلى أن قتل سنة ٧٨ هـ ، انظر ابن الأثير ٤/١٧١ ، وفيات الأعيان ٣/٢٥٥ ، المعارف ٤١١ ، البرصان والعرجان ٦٧ .

(١) في طراز المجالس : عفت على عزماته جهلاته .

(٢) لم يرد هذا البيت في طراز المجالس وورد بدلا منه بيت آخر هو قوله :

تــالله لا كدت الأمــير بآلــة ... وجوارحي وسلاحها آلاتــــه

(٣) هو عبد الله بن شبرمة الضبي ، تولى قضاء السواد لأبي جعفر المنصور ، وكان عفيفاً صارماً ، عاقلا جواداً ، ثقة قليل الحديث ، توفي سنة ١٤٤ هـ ، ترجمته في تهذيب التهذيب ٥/٢٥٠ ، شذرات الذهب ١/٢١٥ .

(٤) أبو أيوب المورياني نسبة إلى موران وهي بلدة بنواحي خوزستان ، اسمه سليمان بن=

خَبَّري، فقال : فلك ألفان ، فلما نهضت لأقوم، قال : فالمهر ألفان فأين الجهاز ؟ فلك ألفان للجهاز ، فذهبت لأقوم فقال : المهر والجهاز فأين الخادم ؟ فلك ألفان للخادم ، فذهبت لأقوم ، قال : فالشيخ لا يصيب شيئاً قال : فلك ألفان فلم أزل أقوم ويقعدني حتّى انصرفت من عنده بخمسين ألفاً [1] .

(مثل يضربه الأعمش)

حدثنا إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي ، ويزداد بن عبد الله بن يزداد المروزي واللفظ له ، قال : حدثنا عبد الله بن إدريس ، قال : سئل الأعمش عن حديث فامتنع منه ، فلم يزالوا به حتّى استخرجوه منه ، فلما حدّث به ضرب مثلاً ، فقال : جاء قفّاف [2] إلى صَيْرفيٍّ بدراهم يزنه إياها ، فلما ذهب يزنها وجدها تنقص سبعين ، فقال [3] :

عجبتُ عجيبةً من ذئب سُوء … أصابَ فريسةً من ليث غـابِ
فقفَّ بكفّه سبعين منهـا … تَنَقّاها من السُّود الصِّلابِ
فإن أُخْدَعْ فقد تُخدع وتُؤخذْ … عتيقُ الطير من جوِّ السحـابِ

(تعليق نحوي)

قال القاضي أبو الفرج : أسكن في هذا البيت فقد تخدع والعرب إنما

= مخلد ، كان وزيراً للمنصور مقرباً إليه في أول أمره ثم غضب عليه فأوقع به وعذبه – وسوف يقص المؤلف فيما يلي من الكتاب قصة في سبب هذا – انظر ترجمته في الوزراء والكتاب ١٠٢ ، وفيات الأعيان ٢١٥/١ .

(٢) انظر هذا الخبر في مجالس ثعلب ٤١٥/٢ .

(٣) هو سليمان بن مهران الأعمش الأسدي ولاء ، أبو محمد ، تابعي مشهور ، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض ، توفي سنة ١٤٨ هـ ، ترجمته في طبقات ابن سعد ٢٣٨/٦ .

(٤) القفاف : صفه مبالغة من قف ، أي سرق الدراهم بين أصابعه .

(٥) انظر بهذا الخبر في اللسان « قف » ١٩٨/١١ ، والنهاية لابن الأثير ٩٢/٤ .

تسكن هذا ونحوه في كلامها إذا دخل عليه جازم ، ومتى لم يدخل عليه جازم يجزمه ولا ناصب ينصبه فتسكينه إذا وُصل بكلام بعده خارج عن الفصيح المعروف في كلام العرب ، وينبغي أن يكون هذا مرفوعاً على أصله ، ولما لم يمكن هذا الشاعر تحريكه لئلا ينكسر وزن البيت الذي قاله أسكنه ، وأقرب ما يعتذر له به أنه عمل على السكوت عليه ونيته الرفع فيه ، وقد روى مثل هذا الوجه المستقبح في أبيات روتها العلماء ، من ذلك قول الشاعر :

أقول شُبَيْهَاتٌ بما قـال عـالمٌ　　　بهنّ ، ومن أَشْبَهْ أباه فما ظَلَم

فهذا مما يستحق تحريكه بالفتح حركة بناء لا إعراب ، فيقال : ومن أشبهْ أباه ، وما بهذا الشاعر ضرورة إلى ما أتاه لأنه لو قال : ومن يشبه أباه فجزم بحرف الشرط إذ هو من باب الجزاء لكان مصيباً مُحسناً ، وقال آخر :

شكَوْنا إليه خرَابَ السـوَادِ　　　فحرّمْ علينا لُحومَ البقَر (١)

فهذا حمل نفسه على هذا الوجه للضرورة ، ولو كان قال : فحرم فينا (٢) لكان مصيباً .

وقد ذكر سيبويه في كتابه من هذا الباب طرفاً (٣) ، وروى بيت امرئ القيس (٤) :

---

(١) ذكر أبو الفرج في الأغاني ٣٧٨/١٦ أن هذا القول قيل في الحجاج بن يوسف حين منع من لحوم البقر خوفاً من قلة العمارة في السواد ، وبعده بيت آخر هو :

فكنـا كمن قال من قبلنـا　　　أريها استها وتريني القمر

وانظر معجم البلدان في مادة (السواد) .

(٢) وهذه فعلا رواية الأغاني .

(٣) انظر باب الإشباع في الجر والرفع وغير الإشباع والحركة كما هي ، في كتاب سيبويه ٢٩٧/٢ .

(٤) البيت التالي في ديوانه ١٣٨ ، والشعر والشعراء ٤٥ ،خزانة الأدب ٢٧٠/٤ ، وسيبويه=

فاليَوْمَ أشربْ غيرَ مُسْتَحقِبٍ إثماً من اللهِ ولا وَاغل (١)

فأنكرَ هذا بعض أصحابه وقيل : إن الرواية الصحيحة فيه فاليوم فاشرب (٢) ، أو فاليوم أسقى (٣) ، وروى قول الفرزدق :

وقد بَدَا هَنْكِ من المئزر (٤)

قال من أنكر هذا : إنما هو : وقد بدا ذاك ، وقد روى عن أبي عمرو أنه قرأ بهذه اللغة في مواضع من القرآن منها ﴿فَتُوبُوا إلى بَارِئْكم﴾(٥) ويأمُرْكم ، وأنلزمكُموها ، فمن الرواة عنه من رواه بالسكون خالصاً وأجاز فيه وفي نظائره مثل هذا ، كما قال الشاعر :

= ٢٩٧/٢ ، وهو يرد كثيراً في كتب اللغة لأنه من الشواهد على تسكين الباء في أشرب ضرورة وليس بالحسن .

(١) المستحقب : من قولهم : احتقب فلان الإثم كأنه جمعه واحتقبه من خلفه ، والواغل : الداخل على القوم في شرابهم ولم يدع إليه .

(٢) وهي الرواية الواردة في إصلاح المنطق ٢٧٣ ، ٣٥٦ ، المفضليات ٤٨٠ .

(٣) وهذه واردة في اللسان « حقب » ٣١٥/١ ، الكامل للمبرد ١٤٣/١ ، حماسة البحتري ٤٣ .

(٤) عجز بيت وصدره :

رحت وفي رجليك عقالة

وهو ليس للفرزدق كما ذكر المؤلف بل هو للأقيشر الأسدي ، فقد ذكر صاحب الأغاني أن الأقيشر سكر يوماً فبدت عورته وامرأته تنظر إليه فضحكت منه وأقبلت تلومه وتقول : أما تستحي يا شيخ ، فأنشأ يقول :

تقول يا شيخ أما تستحي من شربك الخمر على المكبر
فقلت لو باكرت مشمولة صهبا كلون الفرس الأشقر
رحت وفي رجليك عقالة وقد بدا هنك من المئزر

والشاهد فيه : تسكين هن في الإضافة للضرورة وليس بلغة ، انظر سيبويه ٢٩٧/٢ ، خزانة الأدب ٢٨٠/٢ .

(٥) سورة البقرة الآية ٥٤ .

سوف أُزَحْلِقْكِ غداً أو بعد غَدِ

وروى أن هذا أتى مخففاً لكثرة الحركات فيه ، فاحتج بعض أصحابه بأن الحروف التي أسكنها مخصوصة بجواز حذف الحركة بمعنى يخصُّها دون غيرها ، وليس هذا موضع الاشتغال به ، وأنكر بعض رواة أبي عمرو هذا ، وذكر أنه كان مختلس الحركة فيظن من لا يعلم أنه أسكن ، وهذا مذهب سيبويه[1] في تأويل هذه القراءة،وأما قول الشاعر في الخبر الذي ذكرناه عن الأعمش : فقد تخدع وتُؤخذ ، فإن قائله لو ضم تخدع وجزم وتؤخذ لكان قد أتى بوجه معروف من كلام العرب ، وقد قرأ جمهور القراء في القرآن ما منزلته في الإعراب منزلته ، وذلك أن يرد الفعل الثاني على موضع الفاء الداخلة على الفعل الأول ، وذلك قول الله عز وجل ﴿فأصَّدَّقَ وأكُنْ من الصالحين ﴾[2] فكره من قرأ ذلك مخالفة رسم المصحف إذ لا واو فيه ، وله في العربية وجه مفهوم [3] ، ومن ذلك قول أبو دؤاد الأيادي [4] :

فأبْلُونِي بَلِيّتَكُم لعَلّي ... أصَالِحَكُم فأستْدرجْ نُوَيّا [5]

---

(١) انظر سيبويه ٢٩٧/٢ في باب الإشباع في الجر والرفع ، وغير الإشباع والحركة كما هي .

(٢) الآية ١٠ من سورة (المنافقون) .

(٣) وهو كما ذكر المؤلف آنفاً من ورود الفعل الثاني على موضع الفاء الداخلة على الفعل الأول ، وهو أصدق فإن محله الجزم لأنه جواب التحضيض ، ويجزم بأن مقدرة ، وهو كالعطف في قوله تعالى : (من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم) بإسكان الراء ، انظر المغنى ٤٢٣/٢ ، وانظر تفسير القرطبي ٦٦١٠ ، وانظر القراءات المختلفة في هذه الآية في تفسير البحر المحيط ٢٧٥/٨ .

(٤) البيت التالي في ديوانه ضمن كتاب دراسات في الأدب العربي لفون جرنباوم ٣٥٠ ، والنقائض ٤٠٨ ، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٤٠ ، ومغنى اللبيب ٤٢٣/٢ ، والرواية فيها كلها : وأستدرج بالواو لا بالفاء ، وهو شاهد على أن الفعل يجزم بعد الطلب مع الواو أيضاً .

(٥) أبلوني بليتكم : أي اصنعوا صنعاً جميلا ، ونويا : نواي ، قلب الألف ياء وأدغمها في=

وكان أبو عمرو يختار أن يقرأ « وأكون » بإثبات الواو، وكان الأوجه عنده في العربية ، وزعم أن الواو حذفت منه في الخط كما حذفت من كلمن ، وليس الأمر عندنا على ما ذكر في هذا ففي الكلمتين فرق ظاهر ، يقتضي الإثبات حيث أثبتت ، والحذف حيث حذفت ، وليس هذا موضع ذكره ، وسيأتي في موضعه من كُتبنا المؤلفة في علوم تنزيل القرآن وتأويله إن شاء الله .

* * *

= ياء المتكلم على لغة هذيل ، والنوى : النية أي الوجه الذي يقصده المرء ، وأستدرج : أرجع أدراجي من حيث كنت ، والمعنى : أحسنوا إلى لعلي أصالحكم وأعود إلى جواركم ، وهذا البيت ضمن أبيات يقولها في ذكر مجاورته لقوم وقد غرق ابنه في جوارهم فعزم على فراقهم ، وقبله :

ألم تـــر أني جاورت كعبـــــا   وكان جوار بعض الناس غيا

المجلس السادس

(خبأت هذا لك)

حدثنا الحسين بن محمد بن عفير الأنصاري ، قال : حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى الحساني ، قال : حدثنا حاتم بن وردان ، عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمة (١) ، قال : قَدِمتْ على رسول الله ﷺ أقبية (٢) ، فقال لي أبي مَخْرَمة : اذهب إلى رسول الله ﷺ لعله أن يُعْطِينَا منها شيئاً ، قال : فأتيناه فسمع كلام أبِي عَلَى الباب : قال

---

(١) هو المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشي الزهري ، أبو عبد الرحمن ، من فضلاء الصحابة وفقهائهم ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير وسمع منه ، وكان مع خاله عبد الرحمن بن عوف ليالي الشورى وحفظ عنه أشياء ، وروى عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من أكابر الصحابة ، ثم كان مع ابن الزبير في حصار مكة ، فأصابه حجر من حجر المنجنيق فقتل سنة ٦٤ هـ ، انظر الاصابة الترجمة رقم ٧٩٦٥ ، نسب قريش ٢٦٢ ، ذيل المذيل ٢٠ .

أما أبوه مخرمة بن نوفل فهو من مسلمة الفتح ، وكف بصره في زمن عثمان ، وتوفي سنة ٥٤ هـ ، وله مائة وخمس عشرة سنة ، انظر السيرة ٤٢٧ ، والإصابة ٧٨٣٤ ، ونكت الهميان ٢٨٧ .

(٢) الأقبية جمع قباء ، وهو ثوب يلبس فوق الثياب أو القميص ويتمنطق عليه .

فخرج إلينا وفي يده قِبَاء وهو يُرِي أبي محاسنه ويقول « خَبَّأتُ هذا لك » [1] .

(التعليق على الحديث)

قال القاضي : في هذا الخبر لعله أن يعطينا وهي لغة لبعض العرب ، والأسْيَر من كلامها، لعله يعطينا بغير أن ، وقد ذكرنا هذا الباب فيما مضى من مجالسنا هذه وشرحنا وجْهَه وأحضرنا صوراً من شواهد الشعر فيه [2] ، والقِبَاء ممدود ، وجمعه أقبية وهو من ملابس الأعاجم في الأغلب [3] ، واشتقاقه من الجمع والضم فقيل له قباء لما فيه من الاجتماع ، وإما بجمعه جسم لابسه وضمه إياه عند لبسه ومنه قول سحيم عبد بني الحسحاس [4] :

فإن تَهْزَئِي مِنِّي فيا رُبَّ لَيلَةٍ ... تَرَكتُكِ فيها كالقِباء المفرّج [5]

وقراءُ أهلِ المدينة ونُحاتُهم يُعبِّرون عن المعرب والمبْني الذي يسميه قُرّاء العراق ونُحاتُهم مرفوعاً ومضموماً بأنه مقبوء ، فيشيرون بعبارتهم

(١) الحديث الشريف أخرجه ابن الأثير في أسد الغابة ، ترجمة مخرمة بن نوفل ١٢٥/٥ ، ١٢٦ .

(٢) انظر المجلس الثاني .

(٣) ولهذا قال بعضهم : هو فارسي معرب ، انظر المعرب للجواليقي ٢٦٢ ، والصحيح أنه عربي انظر الجمهرة لابن دريد ٢٠٩/٢ ، ٣٢٤/١ ، وانظر القاموس واللسان .

(٤) هو سحيم الحبشي ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، ولا تعرف له صحبة ، وبنو الحسحاس هم بنو نفاثة بن سعيد بن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد ، وكان سحيم يرتضخ لكنة حبشية ، قتل في خلافة عثمان رضي الله عنه ، انظر الشعر والشعراء ٣٦٩ والخزانة ٢٧١/١ – ٢٧٤ ، وقد طبع ديوانه بتحقيق الميمني في دار الكتب سنة ١٣٦٩ هـ .

(٥) البيت في ديوانه ٢٤ ، والخزانة ٢٧٤/١ ، والمستطرف ٥٤ والرواية فيهما : فإن تضحكي بدل تهزئي .

إلى الضم الذي من باب الجمع ، وقد شرحنا هذه الجملة شرحاً واسعاً في كتابنا الذي شَرَحْنا فيه مختصر أبي عمرو الجِرْمي (1) في النّحو .

وقد تُسَمِي العَرَبُ القِباءَ « اليَلْمق » وتجمعه يَلامَق ، كما قالت هند بن عتبة (2) :

نحنُ بنـاتُ طَـارِقْ نَمْشِي على النّمَارِقْ
ونَلْبَس اليَلامَقْ

وقال ذو الرمة (3) :

تَجْلُو البَوَارِقَ عن مُجْرَمِّزٍ لَهِقٍ
كأنَّه مُتَقَبِّي يَلْمَقٍ عَزَبِ (4)

وذكر الأصمعي أنه فارسيٌّ مُعرَّب ، وأنه في الأصل على كلام

---

(1) مرت ترجمته في ما سبق .

(2) انظر اللسان ٨٧/١٢ ، وقد نقل فيه عن ابن بري أنها هند بنت بياض بن رياح بن طارق الإيادي ، قالتها يوم أحد تحض على الحرب ، وأورد الأبيات برواية فيها زيادة عما هنا كما يلي :

نحن بنات طارق لا ننثني لوامق
نمشي على النمارق المسك في المفارق
والدر في المخانق إن تقبلوا نعانق
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

والطارق : هو النجم المضيء ، أي أن أبانا في الشرف والعلو كالنجم ، وقيل أرادت : نحن بنات ذي الشرف في الناس كأنه النجم في علو قدره ، والنمرقة : الوسادة ، وانظر اللسان ٢٣٩/١٢ .

(3) انظر البيت في ديوانه ٢٨ ، واللسان ٢٦٧/١٢ ، والرواية فيه : مجرنثم بدل مجرمز وعجزه في المعرب للجواليقي ٣٥٥ .

(4) البوارق : سحاب فيه مطر وبرق ، والمجرمز : المنقبض المجتمع بعضه إلى بعض وهو يريد به الثور ، واللهق : الأبيض ، واليلمق : القباء المحشو ، والعزب : الذي لا أهل له ، وهو يصف هذا الثور بأنه كالعزب المتقبى بقباء أبيض .

الأعاجم يَلْمَه ، كما قالت العرب شَبْرُق وفالُوذَق [١] ، وقالت العجم : شبره وفالوذه ، وقال الأصمعي : مثل هذا في قول العرب اسْتَبْرق [٢] ، فإنه في كلام العجم استبره ، وقال عدد من أهل العلم منهم أبو عبيدة [٣] : إنّ من زعم في القرآن شيئاً بغير العربية فقد أخطأ وأعظم على الله الفِرْية ، لأن الله تعالى قال : ﴿بلسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِين﴾ [٤] ، وفي القرآن عدد من الكلم نسبه بعض أهل التأويل إلى لغة بعض أمم العجم ، وأنكر هذا بعضهم ، وذهب إلى اتفاق لغتين فيه أو لغاتٍ كثيرٌ منهم [٥] ، وهذا مما بياننا مُستَقصى فيه في كتابنا المسمى « كتاب البيان الموجز عن علوم القرآن المعجز » ، وفي كتاب شيخنا أبي جعفر رضي الله عنه ، الذي سماه « جامع البيان عن تأويل آي القرآن » .

---

(١) الشبرق : اللحم المقطع ، والفالوذق : نوع من الحلواء يسوى من لب الحنطة ، ويسمى أيضاً الفالوذج وهو معرب فالوذه ، انظر المعرب للجواليقي ٣٤٧ .

(٢) الاستبرق : نوع من الحرير الغليظ .

(٣) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، قال عنه الجاحظ : لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه ، ولد في رجب سنة ١١٠ هـ ، وتوفي سنة ٢٠٨ هـ ، أو ٢١٠ .

(٤) الآية ١٩٥ من سورة الشعراء .

(٥) هل وقع في القرآن الكريم – حاشا الأعلام – ألفاظ من غير اللسان العربي ، قضية بحثها العلماء المسلمون قديماً ، ولهم فيها رأيان شهيران ، مجملهما :

أ – أن القرآن الكريم لا يوجد فيه شيء من ذلك ، وأنه – كما ورد في آيات كثيرة – عربي صريح ، وما وجد فيه من الألفاظ التي تنسب إلى سائر الأمم إنما اتفق فيها أن تواردت اللغات عليها فتكلمت بها العرب وغيرهم ، وهذا رأي أبي عبيدة وأبي بكر الباقلاني والطبري وغيرهم .

ب – أن القرآن الكريم وردت فيه فعلاً ألفاظ أعجمية ، لكن العرب أخذوا هذه وصاغوها على أوزانهم ودارت في أشداقهم ومرنت عليها ألسنتهم فصارت من لغتهم . وهذا هو رأي ابن عباس ومجاهد وعكرمة ، ونقله عنهم كثير من علماء الأصول واللغة كالإمام الغزالي في المستصفى ١٠٥/١ ، والفخر الرازي في تفسيره ٦٥٨/٦ ، وابن فارس في الصاحبي ٢٨ – ٣٠ والسيوطي في المزهر ١٢٩/١ ، وانظر تفصيل هذه الآراء في تفسير القرطبي ٥٩ – ٦٠ ومقدمة كتاب المعرب للجواليقي بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ١٠ – ١٤ .

وفي خبر المِسور هذا ، البيانُ البيِّنُ عن أن النبي ﷺ كان يتفقد أصحابه بألطافه وصلاته ، ويشاركهم فيما يسديه الله إليه من رزق ويفيئه عليه من فضله ، وأنهم كانوا يسألونه حاجتهم ، ويرغبون إليه في بذل الرِّفد لهم ، وإفاضة الأموال عليهم ، لبسطه إياهم وخفض جناحه لهم ، ولظهور جوده وسعة خلقه عندهم ﷺ .

(الشعراء على باب عمر بن عبد العزيز) (١)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثنا محمد بن المرزبان ، قال : حدثنا أبو عبد الرحمن الجوهري ، قال : حدثنا عبد الله بن الضحاك ، قال : أخبرنا الهيثم بن عدي ، عن عوَانة بن الحكم ، قال : لما استُخْلف عمر بن عبد العزيز وفد الشعراء إليه فأقاموا ببابه أياماً لا يُؤْذَنُ لهم ، الرحيل ، إذ مرّ بهم رجاء بن حيوة (٢) . وكان من خطباء أهل الشام فلما رآه جرير داخلاً على عمر أنشأ يقول :

يا أيُّها الرجلُ المُرْخِي عِمَامَتَهُ
هذا زمانُكَ فاستأذنْ لنا عُمَرا

قال : فدخل ولم يذكرْ من أمرهم شيئاً ، ثم مر بهم عديٌّ بن أرطأة (٣) ،

---

(١) انظر الخبر التالي كما هنا في ثمرات الأوراق ١/٧١ - ٧٣ ، العقد الفريد ٢/٩٢ ، المستطرف ١/٦٢ ، ٦٣ ، المحاسن والمساوىء ٤٢ ، وورد مختصراً في الأغاني ٨/٤٦ .

(٢) هو رجاء بن حيوة بن جرول الكندي الفلسطيني ، كان ثقة فاضلا كثير العلم ، من عباد أهل الشام وفقهائهم وزهادهم ، توفي سنة ١١٢ هـ ، انظر تهذيب التهذيب وصفة الصفوة ٤/١٨٦ .

(٣) هو عدي بن أرطاة الفزاري ، أبو واثلة من أهل دمشق ، كان من العقلاء الشجعان ، ولاه عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة ٩٩ هـ ، فاستمر بها إلى أن قتله معاوية بن يزيد بن المهلب في واسط ، في فتنة أبيه يزيد بالعراق ، سنة ١٠٢ هـ ، انظر الكامل للمبرد ٢/١٤٩ .

فقال له جرير [1] :

يا أيُّها الراكبُ المُزْجِي مَطِيَّتَهُ
هذا زمانُك إنِّي قد مضى زَمَنِي
أبلغْ خليفتَنا إنْ كنتَ لاقِيَه
أنِّي لدى الباب كالمَصْفُودِ في قَرَنِ
لا تَنْسَ حاجتنا لُقِّيت مَغْفِرةً
قد طال مُكْثِيَ عن أهلي وعن وَطَنِي

قال : فدخل عديّ على عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ! الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة ، قال : ويحك يا عدي ! مالي وللشعر ، قال : أعزَّ الله أمير المؤمنين ، إن رسول الله ﷺ قد امتُدِح فأعْطى ، ولك في رسول الله ﷺ أسوةٌ حسنة ، فقال : كيف ؟ قال : امتدحه العباس بن مرداس السُّلَمي [2] فأعطاه حُلةً قطع بها لسانه ، قال : أو تروى من قوله شيئاً ؟ قال : نعم ، وأنشد [3] :

رأيتُكَ يا خير البريّةِ كُلِّها ... نشرتَ كتاباً جاء بالحقِّ مَعْلَما
شَرعت لنا دينَ الهُدى بعد جَوْرِنا ... عن الحق لما أصبح الحقُّ مُظْلما
ونورتَ بالبُرهان أمراً مُدَنّسا ... وأطفأت بالبرهان ناراً تَضَرَّما
فمن مبلغ عني النبيَّ محمداً ... وكلُّ امرىء يُجزى بما كان قدما [4]

(١) في الديوان ٤٨٦ ، والبيان والتبيين ٣٢٩/١ ، والأغاني بالرقم السابق : أن القول التالي التالي وجهه جرير إلى عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ، وكان قد وفد على عمر حين تولى الخلافة وكان من أخصائه .

(٢) شاعر مخضرم من شعراء بني سليم وأشرافهم ، وأحد فرسان الجاهلية وشعرائها المذكورين ، أسلم هو وقومه عام الفتح وكان من المؤلفة قلوبهم ، توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه ، ترجمته في الإصابة ٢٦٣/٢ ، معجم الشعراء ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، المؤتلف والمختلف ١٣٥ .

(٣) الأبيات التالية ما عدا الثاني والخامس في ديوانه المجموع ١٤١ نقلا عن العقد الفريد .

(٤) في المرجعين السابقين بما قد تكلما .

أقمتَ سبيل الحق بعد اعوجاجه ... وكان قديماً ركنه قد تَهدَّمـا
تعالى عُلوّاً فوق عرش إلهنا ... وكان مكان الله أعلى وأعظما

قال ويحك يا عديّ ! من بالباب منهم ؟ قال : عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة [1] ، قال : أليس هو الذي يقول :

ثم نبهتُها فهبّتْ كِعابـاً ... طفلةٌ ما تبينُ رَجْعَ الكلامِ
ساعةً ثم إنّها بعدُ قـالتْ ... وَيْلَتا قد عجلتَ يا ابنَ الكِرامِ
أعلى غير موعدٍ جئتَ تَسْري ... تَتَخَطّى إليّ رُوسَ النِّيامِ
ما تجشمتَ ما يزين من الأمْـ ... ـرِ ولا جئت طارقاً لِخِصامِ

فلو كان عَدُوُّ الله إذ فجر كتم نفسه ، لا يدخلُ عليَّ والله أبداً ، فمن بالباب سواه ؟ قال : هَمّام بن غالب ، يعني الفرزدق ، قال : أوليس هو الذي يقول :

هُمَا دَلّتاني من ثمانين قامـةً
كما انقضَّ بازٍ أقْتَم الريشِ كاسِرُهُ
فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا
أحَيٌّ يُرَجّى أم قتيلٌ نُحاذِرُه [2]

لا يطأ والله بساطي ، فمنْ سواه بالباب منهم ؟ قال : الأخطل [3] ، قال : أعديّ ! هو الذي يقول :

ولستُ بصائمٍ رمضانَ طَوْعاً ... ولَسْتُ بآكلٍ لَحْم الأضاحِي
ولستُ بزاجرٍ عَنْساً بكُور [4] ... إلى بطحاء مكةَ للنجـاح

---

(١) البيتان الأولان فقط مما يلي في الديوان ٣٩٤ .

(٢) البيتان في ديوانه ١/١١٢ .

(٣) انظر الأبيات التالية في ديوانه ٥٢ .

(٤) العنس : الصخرة في الماء ، وتطلق على الناقة القوية تشبيهها لها بها ، والكور : الرحل .

ولستُ بقائم كالعيرِ يَدْعُو قُبيْلَ الصبح حَيَّ على الفلاح
ولكني سأشربها شمـولاً وأسجدُ عند منبلج الصباح

والله لا يدخل عليّ وهو كافر أبداً ، فهل بالباب سوى من ذكرت ؟ قال : نعم الأحوص ، قال : أليس هو الذي يقول :

اللهُ بيني وبين سَيِّدِهَـا يَفِرُّ مِنّي بها وأتبعُه (١)

غرِّبْ عنه ، فما هو بدون من ذكرت ، فمن ها هنا أيضاً ؟ قلت : جميل بن معمر قال : يا عديّ هو الذي يقول :

ألا لَيتنا نَحيْا جميعاً وإن تَمُتْ
يوافق في الموتى ضَرِيحِي ضَرِيحُهـا
فما أنا في طولِ الحياة براغبٍ
إذا قيلَ قد سُوِّي عليها صَفِيحُهـا

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحاً ، والله لا يدخل عليّ أبداً ، هل سوى من ذكرت أحد ؟ قال : جرير بن عطية ، قال : أما إنه الذي يقول :

طَرَقَتْكَ صائدةُ القلوبِ وليْس ذَا
حينَ الزيارةِ فارْجِعِي بسلامِ (٢)

فإن كان لا بد فهو ، قال فأذن لجرير ، فدخل وهو يقول (٣) :

---

(١) البيت في ديوانه المجموع ١٢٢ ، والرواية فيه : يفر عني بها وأتبع ، والرواية التي هنا واردة في ثمرات الأوراق والمستطرف وخزانة الأدب ٢٣٣/١ .

(٢) البيت في ديوانه ٤٥٢ ، والرواية فيه : وقت بدل حين .

(٣) البيت الأول والثالث ضمن أبيات خمسة في ديوانه ٣٣١ ، ولم يرد فيه البيت الثاني ، ووردت القطعة هنا كما في المستطرف .

إن الذي بعث النبي محمداً   جعل الخلافة في الإمام العادلِ
وَسع الخلائقَ عدلُه ووفاؤه   حتى ارعوى وأقام ميل المائـلِ
إني لأرجو منك خيراً عاجلاً   والنفس مولعةٌ بحب العاجلِ

فلما مثل بين يديه قال : ويحك يا جرير ، اتق الله ولا تقولَنّ إلاّ حقاً ، فأنشأ جرير يقول (1) :

أأذكُر الجُهْدَ والبَلْوى التي نَزَلَتْ
أم قد كَفَانِيَ ما بُلِّغْتَ من خبَرِي
كمْ باليمامةِ من شَعْثَاءَ أرملــةٍ
ومن يتيمٍ ضعيفِ الصَّوتِ والنظرِ
مِمن يعدُّك تكفي فقــدَ والــدِه
كالفرخ في العُشِّ لم يَنْهَض ولم يَطرِ
يدعوك دَعْــوَةَ ملهوفٍ كأن بـــه
خبَلاً من الجِنِّ أو مَسّاً من النَّشْرِ (2)
خليفــةَ اللهِ ماذا تأمُرُونَ بنـــا
لَسْنا إليكم ولا في دار منتظــر
ما زلتُ بعــدَك في هَمٍّ يُؤَرِّقُنِــي
قد طال في الحَيِّ إصْعَادي ومُنْحَدِرِي
لا ينفع الحاضِرُ المجهودُ باديَنَــا
ولا يعودُ لنا بــادٍ على حَضَرِ
إنا لنرجُو إذا ما الغيثُ أخْلَفَنَــا
من الخليفة ما نرجو من المَطَرِ

---

(1) وانظر هذه الأبيات ضمن أبيات أخرى في الأغاني ٦/٤٧ ولم يرد فيها البيت الأخير .

(2) في الأصل : البشر ، وهو تصحيف وصحته ما أثبتنا ، والنشر جمع نشرة ، وهي رقية يعالج بها المجنون والمريض .

نال الخلافــــة إذ كانت له قــدَرا
كما أتى ربّه مُوسى على قــدَرِ
هذي الأرامل قد قَضَّيْت حاجتَهـا
فمَنْ لحاجةِ هـذا الأرمل الذّكَرِ
الخيْر مـــا دمتَ حيّاً لا يفارقُنا
بُورِكْتَ يا عمر الخيْراتِ من عُمَرِ

فقال : يا جرير ! ما أرى لك ها هنا حقاً ، فقال : بلى يا أمير المؤمنين ، أنا ابن سبيل ومنقطع بي ، فأعطاه من صلب ماله مائة درهم ، وقد ذكر أنه قال له : ويحك يا جرير ! لقد ولينا هذا الأمر وما نملكُ إلاّ ثلثمائة درهم ، فمائة أخذها عبد الله [1] ومائة أخذتها أم عبد الله ، يا غلام أعطه المائة الباقية ، قال : فأخذها وقال : والله لهي أحب مما اكتسبته إليّ ، قال : ثم خرج فقال له الشعراء : ما وراءك ؟ قال : ما يسوءكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطي الفقراء ، ويمنع الشعراء ، وإني عنه لراض ، وأنشأ يقول :

رأيت رُقَى الشيطــان لا تستفزّه
وقد كان شيطاني من الجنّ راقيــا

وقد كتبنا هذا الخبر من طُرق أخرى ، والقصص فيها مختلفة في مواضع ، على تَقَارُب جملتها [2] ولعلنا نأتي بها فيما يستقبل من مجالس كتابنا هذا إن شاء الله .

---

(١) كان لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أربعة عشر ولداً ذكراً ،منهم عبد الله ،وكان شجاعاً جواداً ، ولي العراقين ليزيد بن الوليد ستة أشهر ، فلما مات يزيد أراد أهل العراق أن يبايعوا له بالخلافة، وهو الذي احتفر نهر ابن عمر بالبصرة ، انظر المعارف ٣٦٣ .
(٢) انظر تلك القصص الأخرى في الأغاني ٤٨/٦ ، ٤٩ .

(المؤنث المعنوي)

وفي هذا الخبر موضع ذكر فيه المؤنث ، وهو قوله : وأطفأتَ بالبُرهان ناراً تضرّما ، ويريد تضرَّمت وفيه قبح في العربية ، والوجه الذي يعتل به فيه على ضعفه أنه مما تأنيثه لفظي غير معنوي حقيقي ، وقد أتى مثله في الشعر فمنه قول الشاعر [١] :

فلا مُزْنَةَ وَدَقَتْ وَدْقَهَـا ... ولا أَرْضَ أَبْقَلَ أَبْقَالَها [٢]

فذكر فعل الأرض وهي أنثى ، ولو قال : أبقلت أبقالها لأنث ولم يذكّر ، إلا أنه كان تاركاً للهمزة ، كما قال الأعشى :

عُدِّي لِغَيْبَتِي أشْهُـرَا ... إنِّي لدى خيْرِ المَقَاوِلِ [٣]

وقال الأعشى :

وإن تعهديني وَلِيَ لُمَّـةٌ ... فإنَّ الحَوَادِثَ أوْدَى بِها [٤]

(١) هو عامر بن جوين الطائي ، كما ورد ذلك في سيبويه ١/٢٤٠ ، والكامل للمبرد ١/٤٠٦ ، وخزانة الأدب ٣/٣٣٠ .

(٢) المزنة : السحابة ، وودقت : أمطرت ، وهو يصف أرضاً مخصبة بكثرة ما نزل بها من المطر ثم كثرة ما نبت بسببه من بقل ، والشاهد فيه : حذف التاء من أبقلت أبقالها بتخفيف الهمزة ولا ضرورة في البيت على ذلك .

(٣) أي بتسهيل همزة أشهراً والبيت في ديوانه ١٥٥ ، والرواية فيه : بغيبي بدل بغيبتي وقطع همزة أشهراً ، وعلى هذه الرواية فلا شاهد في البيت .

(٤) في الأصل ، فإن تعهدي لأمري لمة ، وهو مختل الوزن كما لا يخفى ، وقد أثبتنا الرواية الواردة في ديوانه ٢٣٥ :

والبيت شاهد نحوي ، وهو في كتاب سيبويه ١/٢٣٩ برواية :

فإما ترى لمتي بدلـت ... فإن الحوادث أودى بها

قال : والشاهد فيه حذف التاء من أودت ضرورة ، ودعاه إلى حذفها - كما ذكر المؤلف هنا - أن القافية مردفة بالألف ، أما المسوغ للحذف فهو أن تأنيث الحوادث غير حقيقي وهي في معنى الحدثان .
=

قال بعضهم : أراد الحِدْثان ، وقال بعضهم : ذكّر إذ لم يكن التأنيث فيه حقيقياً ، ولو قال: أودت بها لصح الإعراب واستقام الوزن، إلا أنه يكون قد أتى ببيت غير مردف في كلمة جميع أبياتها مردفة ، وهذا عيب عند أهل العلم بصناعة القوافي ، وقد تأول قوم من أهل العلم بالعربية قراءة من قرأ ﴿ كأنما أُغْشِيَتْ وجُوهُهم قِطَعاً من اللّيل مظلماً ﴾ (١) بفتح الطّاء على الجمع ، أنه بمنزلة قول أبي ذُؤَيب :

لو أنّ مِدْحَةَ حَيٍّ مُنْشِرٍ أحَدا
أحْيَا أبَاكَ لنا طُولُ التَّمَادِيحِ (٢)

ومثلـــه :

إذ هي أحْوَى من الرِّبْعِيِّ، حاجبهُ والعينُ بالإثْمِدِ الحَارِي مكحول (٣)

= هذا وقد ورد البيت في شرح الأشموني ٢١٦/٣ برواية : فإما تريني ولي لمة ، وأورده شاهداً على ترك تأكيد الفعل بعد إما خلافاً للزجاجي .

(١) الآية ٢٧ من سورة يونس ، ومحل الشاهد في الآية أن بعض القراء يقول : إن مظلماً صفة لقوله قطعاً ، وقطعا جمع قطعة نحو سدر وسدرة فيجوز إذ ذاك أن يوصف بالمذكر نحو نخل منقعر ، وبالمؤنث نحو نخل خاوية ، وجمهور السبعة على أنه حال من الليل كما سيذكره المؤلف ، انظر البحر المحيط لأبي حيان ١٥٠/٥ .

(٢) البيت في ديوان الهذليين ١١٣/١ ، والرواية فيه :

لو كان مدحة حي أنشرت أحــداً أحيا أبوتك الشم الأماديح

والشاهد في البيت عدم إلحاق تاء التأنيث في منشر (على رواية المؤلف) وأحيا ، وكان من حقها كلها أن تؤنث ، ويقول سيبويه : إن ذلك في الشعر أكثر من أن يحصى ، انظر الكتاب ٢٣٩/١ .

(٣) البيت للطفيل الغنوي ، انظره في ديوانه ٥٥ ، وهو يصف امرأة بأنها كالظبي الأحوى وهو الذي في ظهره وجنبتي أنفه خطوط سود،والحوة : السواد ، وقوله : من الربعي أنه من الصنف المولود في الربيع وهو أبكره وأفضله ، والحاري المنسوب إلى الحيرة ، والشاهد في البيت تذكير (مكحول) مع أنه خبر عن العين وهي مؤنثة،قالوا : لأنها في معنى الطرف ، ويجوز أن يكون خبراً عن الحاجب فيكون التقدير : حاجبه مكحول بالإثمد=

والصواب عندنا من القول في وجه قراءة من قرأ قطعاً بالتحريك أن نصبه مظلماً على الحال والمعنى من الليل في حال إظلامه أي شدة ظلمته ، والكوفيون من النحويين يقولون: هو منصوب على قطع النكرة من المعرفة[1] ، والمعنى من الليل المظلم ، وفيه موضعان شذ لفظهما عن الوجه الأصح الأعرف في مقاييس العربية في الإعراب والبناء ، أحدهما قول جميل :

وأن أمت يوافقُ في الموتى ...

برفع يوافق وكان سبيله بجزمه على ما تقتضيه العربية في باب الشرط والجزاء ، وقد أتى مثله مما رُدّ إلى أصله في الرفع ولم ينقل بالجزاء إلى الجزم في أبيات من الشعر منها :

يا أقرعُ بن حابسٍ يا أقــرعُ
إنك إن يُصْرعْ أخوكَ تُصْرعُ [2]

وقد حمل قوم هذا على التقديم والتأخير ، كأنه قال : إنك تصرع إن يصرع أخوك ، ومثل هذا في بيت جميل أن يجري على أن معناه: ويوافق في الموتى ضريحي ضريحها إن أمت ، وذهب آخرون في هذا إلى إرادة الفاء كأنه أراد فتصرع ويوافق .

= والعين كذلك ، إلا أن سيبويه حمله على العين لقرب جوارها منه ، انظر الكتاب وشرح شواهده للأعلم الشنتمري ١/٢٤٠ .

(١) أي منصوب بتقدير : أعني .

(٢) البيتان من الرجز لعمرو بن الخثارم كما ورد في النقائض ١/١٤١ ، وهما من أبيات يهجو بها الأقرع بن حابس التميمي حينما نصر جرير بن عبد الله البجلي على خالد بن أرطاة الكلبي في قصة شهيرة ذكرها صاحب النقائض ، وفي الخزانة ٣/٣٩٦ أورد البيتين ضمن أبيات وذكر أنها لعمرو بن الخثارم البجلي ، وقوله البجلي خطأ لا شك فيه إذ كيف يهجو أحد البجليين الأقرع وهو الذي ناصرهم على خصومهم ، كما أن نسبته عند سيبويه ١/٤٣٦ إلى جرير بن عبد الله البجلي أشد خطأ لذات السبب .

وانظر البيتين بالإضافة إلى ما سبق في المغنى ، وكامل المبرد ١/٧٩ ، والرأيان اللذان ذكرهما المؤلف في تخريجهما واردان في تلك المراجع بإفاضة .

(اقطع عنّي لسانَه)

حدثنا يزداد بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : حدثنـــا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، قال : أتى شاعرٌ النبيَّ ﷺ فقال رسول الله ﷺ لبلال : « يا بلالُ اقطعْ عنّي لسانه » ، قال : فأعطاه أربعين درهماً وحُلّة ، فذهبَ وهو يقول : قطعتَ والله لساني (١) .

(أعطيك بما مدحتَ الله)

حدثنا يزداد ، قال : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : وحدثني الحزامي ، عن عبد الله بن وهب المصري ، قال حدثنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، قال : بلغنا أن أبا بكر الصِّديق رضوان الله عليه أتى بشاعر إلى رسول الله ﷺ وهم في المسجد ، فقال : يُنشد يا رسول الله ؟ قال : لا خير في الشعر ، فقال : بلى يا رسول الله ، فقال : فاخرجوا بنا إلى المقاعد ، فأنشده مدحة لله ولرسوله ، فقال رسول الله ﷺ : أعْطِه يا بلالُ النّاقةَ السوداء ، ثم قال : أُعطِيكَها لما مدحتَ اللهَ فأمّا مِدْحَتِي فلا أعطيك شيئاً (٢) .

(إلى أيِّ شيء أفضي بهم الزُّهْد)

حدثنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك الشيباني ، قال : أخبرنا أبي ، عن أبي أحمد بن أبي الحوار ، قال : سمعت مضاء العابد يقول لسباع العابد : يا أبا محمد ! إلى أيّ شيء أفضى بهم الزهد ؟ قال : إلى الأنْس به .

---

(١) لم أعثر على هذا الحديث فيما بين يدي من مراجع .

(٢) وكذلك لم أعثرْ على هذا أيضاً .

(من الشعر الحكيم)

أنشدنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أنشدنا أبو حاتم ، قال : أنشدنا أبو عبيدة ، قال : كان الشعبي ينشد :

أرى أناساً بأدْنَي الدِّينِ قد قَنِعُوا
ولا أراهم رَضَوْا في العيش بالدُّونِ
فاستغْنِ بالدِّينِ عن دُنيا الملوك كما
استغنى المُلوكُ بدنياهم عن الدِّينِ (1)

* * *

(1) البيتان لعبد الله بن المبارك كما ورد ذلك في بهجة المجالس ٣١٣/٢ ، المستطرف ٩٠/١ ، وقد ورد البيت الثاني في ديوان أبي العتاهية ٢٧٠ ،وقد وردا منسوبين له في عيون الأخبار ٣٧٣/٢ .

المجلس السابع

(الروح والفرج في الرضا واليقين)

حدثنا الحسن بن محمد بن شعبة الأنصاري ، حدثنا علي بن محمد السُّدِّي ، قال : حدثنا أبي : محمد بن مروان بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي مولى عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، قال : حدثني عمرو بن قيس الملائي ، عن عطية عن سعد العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من ضَعْفِ اليقين أن تُرْضِيَ الناسَ بسَخَطِ الله ، وأن تَحمدهم على رِزْق الله ، وأن تَذُمَّهُم على ما لم يُؤْتِكَ الله ، إن رزق الله لا يَجُرُّهُ حرصُ حريصٍ ولا يردُّه كُرْهُ كَارِهٍ ، إن الله بحكمته وجلالته جعل الرَّوْحَ والفرج في الرضا واليقين ، وجعل الغَمَّ والحَزَنَ في الشك والسَّخَط » (١) .

(التعليق على الحديث)

قال القاضي أبو الفرج : في هذا الخبر تنبيهٌ لذوي التمييز وحسن التفكر ، والتحذير من إرضاء المخلوق الموسوم بالنقص والفقر ، على الخالق

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ج ٥ / ١٠٦ / ١٠ / ١٤١ ونسبه السيوطي في الجامع الصغير الى البيهقي في شعب الايمان .

المالك للنفع والضر ، فقد قال الله عز وجل : ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا مُمْسِكَ لها ، وما يُمْسِكْ فلا مُرْسِلَ له من بَعْدِه ، وهو العَزِيزُ الحَكيم ﴾[1] .

وقال تعالى جَدُّه : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنا إلاَّ ما كَتَبَ اللهُ لنا، هو مولانا وعَلَى اللهِ فليتوكّلِ المُؤْمنون ﴾[2] ، وهذا ظاهرٌ في عقول ذوي الفطن السليمة ، كثير في الكتاب والسنة ، يطول إحصاؤُه ويتعب استقصاؤه ، وقد أكثر الشعراء والبُلغاء في ذكر هذا المعنى وأسهبوا ، وجمعه شاق جداً على متعاطيه ، والقَدْرُ الذي أتينا به كافٍ فيه . وقد حدثنا أبي رضي الله عنه ، قال : حدثنا أبو أحمد محمد بن جعفر بن سهل الخُتُّلي ، قال : أخبرنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله ، قال : أخبرني رجل ، قال : أنشدني صديق لي[3] :

لَعَمْرُكَ ما كلُّ التَّعَطُّلِ ضَائِراً
ولا كلُّ شُغُلٍ فيه للمَرْءِ مَنْفَعَهْ

إذا كانت الأرزاق في القرب والنّوى
عليك سواء فاغتنم لذة الدَّعَه

إذا ضقت فاصبر يُفْرِجِ الله ما ترى
ألا كلُّ ضيقٍ في عواقبه سَعَهْ

ولي في هذا المعنى أبيات قُلتها قديماً ، هي[4] :

مالك العالمين ضَامِنُ رزقي
فلماذا أملِّكُ الخَلْقَ رِقّي

(١) الآية ٢ من سورة فاطر .
(٢) الآية ٥١ من سورة التوبة .
(٣) الأبيات التالية لعلي بن الجهم وهي في ديوانه ١٣٢ ، بهجة المجالس ١/١٤٨ ، ١٧٨ ، معجم الأدباء ١٩/١٥٢ .
(٤) انظر الأبيات التالية في ترجمة المؤلف في معجم الأدباء ١٩/١٥٣ .

قد قَضَى لي بما عليَّ ومَـــالي
خالقي – جلّ ذكره – قبل خلقي
صاحب البذل والندى في يساري
ورفيقي في عُسْرَتي حُسْنُ رِفْقِي
وكما لا يردُّ رِزْقِي عَجْـــزِي
فكذا لا يَجُرُ رزقِيَ حِذْقِي

(ما : حجازية وتميمية)

قوله في الأبيات التي قدمنا إنشادها : ما كان التعطل ضائراً ، أنشدناه نصباً على لغة أهل الحجاز ، وهم يشبهونها بليس ما كانت على أصل ترتيبها ، وأكثر ما تأتي بإدخال الباء عليها ، كقولك : ما زيدٌ بقائم ، وبهذه اللغة جاء القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ ما هذا بَشَراً ﴾ [1] وجَلِيٌّ أنّ من لم يَنْظُر في المصحف من بني تميم يقرأونها بشرٌ على لغتهم ، ذكر هذا سيبويه وغيره ، ورُوى عن بعض القراء ﴿ ما هذا بِشَرِي ﴾ [2] أي ما هو بمُشْتَرِي ،قال الله عز وجلّ : ﴿ ما هُنَّ أمّهاتِهِم ﴾ [3] فنصب جمهور القراء على اللغة الحجازية إلا أن التاء كسرت إذ ليست أصليّـــة [4] ، وروى المفضل عن عاصم ﴿ مَا هُنّ أمهاتُهم ﴾ على اللغة التميمية، ومنها قول الشاعر :

---

(١) الآية ٣١ من سورة يوسف .

(٢) وهي قراءة الحسن وأبي الحويرث الحنفي ، قيل : فيحتمل أن يكون معناه بمبيع أو بمشرى أي ليس هذا مما يشترى ويباع ، ويجوز أن يكون ليس بثمن ، كأنه قال : هو أرفع من أن يجري عليه شيء من هذه الأشياء ، فالشراء مصدر أقيم مقام المفعول به ، وتابعهما عبد الوارث عن أبي عمرو على ذلك،وزاد عليهما إلا ملك بكسر اللام واحد الملوك ، فهم نفوا عنه بذلك ذل المماليك وجعلوه في حيز الملوك . انظر البحر المحيط ٣٠٤/٥ .

(٣) الآية ٢ من سورة المجادلة .

(٤) إذ أنها مزيدة لجمع التأنيث ، وعليه فهي منصوبة بالكسرة نيابة عن الفتحة كما لا يخفى .

ويَزْعُمُ حِسْلٌ أنه فَرْعُ قومه
وما أنتَ فَرْعٌ يا حُسَيلُ ولا أصْل [1]

وأنشد الفراء [2] :

لَشَتَّانَ ما يَنْوِي وينوي بنو أبي
جميعاً فما هذان مُسْتَوِيَانِ
تَمَنَّوْا لِيَ الموتَ الذي يَشْعَبُ الفَتَى
وكلُّ امْرِىءٍ والموتُ يَلْتقيان

وقال ذو الرمة [3] :

أما نَحْنُ رؤو دَارِهَا بعدَ هَذِهِ
بَدَا الدَّهْر إلاَّ أن نَمُرَّ بها سَفْرَا

(ابن أبي عيينة يعزل والي البصرة) [4]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا أبو عكرمة عامر بن عمران بن زياد ، قال : كان إسماعيل بن جعفر بن

---

(١) البيت في الإنصاف ٦٩٤ ، والشاهد فيه ورود (ما) مهملة على لغة بني تميم .

(٢) البيتان للفرزدق ، انظر إعراب ثلاثين سورة ٥٢ ، ولم يردا في ديوانه ، والبيت الثاني دون نسبة في شرح الأشموني ٢١٧/١ .

(٣) لم يرد هذا البيت في ديوان ذي الرمة ، وثمة بيت آخر شبيه بهذا في عجزه ، هو :

قموس بخمس الركب تيهاء ما يرى
بها الناس إلا أن يمروا بها سفرا

انظر ديوانه ٢٤٢ .

(٤) الخبر التالي في الأغاني ٩٦/٢٠ – ٩٩ ، تاريخ الطبرى ٤٣٤/٨ ، الكامل لابن الأثير ٢٦٣/٦ ، وانظر الشعر والشعراء ٨٧٦/٢ ، التمثيل والمحاضرة ٨١ ، الوساطة ٢٦٦ .

سليمان والي البصرة [1] ، فأساء مجاورة محمد بن أبي عيينة [2] فتباعد ما بينهما وقبح ، وكان إسماعيل يتنقّصُه، فخرج محمد بن أبي عيينة إلى طاهر ابن الحسين [3] يشكو إسماعيل بن جعفر ويطلب عزله عن البصرة ، فصحب طاهر بن الحسين في بعض أسفاره فأدخل عليه ورفع حوائجه إليه ، وقــال :

من أوحشته البلادُ لم يَقُمِ فيها ، ومن آنسته لم يَرِمِ
ومن يَبِتْ والهمومُ قَادِحَةٌ في صَدره بالسُّهَاد [4] لم يَنَمِ
ومن يرى النَّقْصَ في مواطنه يَزَل عن النقص مَوْطِيءَ القَدَمِ
والقربُ ممن ينأى بحاجتــه [5] صَدْعٌ على الشعب غيرُ مُلتَئِمِ

---

(١) ابن علي بن عبد الله بن عباس ، ذكره ابن حزم في الجمهرة ٣٤ وقال عنه : من بني جعفر بن سليمان الذين شرفوا وولوا الأمصار ، وهو الذي امتنع من لباس الخضرة أيام المأمون ، وفي الأغاني ورد اسمه : إسماعيل بن سليمان وحذف اسم أبيه ، وورد الاسم كما هنا في الطبري وكامل ابن الأثير .

(٢) الصحيح أنه ابنه أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة كما في المراجع التاريخية السالفة، لا أبوه محمد بن أبي عيينة كما ذكر المؤلف هنا ، ذلك لأن أباه كان يتولى الري لأبي جعفر المنصور كما ذكر في الأغاني ٧٩/١٠ ويبعد أن يكون قد أدرك طاهر بن الحسين في عصر المأمون ، وفي الشعر والشعراء والتمثيل والمحاضرة والوساطة أن الأبيات لعبد الله بن محمد ابن أبي عيينة أخي ابن عيينة هذا ، وكان هو الآخر شاعراً إلا أنه لم يكن في شهرة أخيه ، وليس في المراجع ما يرجح أحد الاحتمالين .

(٣) الخزاعي ، من كبار الوزراء والقواد أدباً وحكمة وشجاعة ، ولد في (بوشنج) من أعمال خراسان ، وسكن بغداد ، وكانت لأبيه صلة بالرشيد ، واتصل هو بالمأمون في صباه ، وهو الذي وطد له الملك ، وظفر بالأمين وقتله ، ولاه المأمون شرطة بغداد ثم ولاه خراسان ، ولكن كانت في صدره إحنة منه لقتله أخاه دون مؤامرته وعزم على عزله ، فعلم بذلك طاهر فقطع الخطبة للمأمون ، ولكنه قتل بيد غلمانه في الليلة نفسها عام ٢٠٧ هـ ، انظر الطبري ٢٦٥/١٠ ، تاريخ بغداد ٣٥٣/٩ ، الكامل لابن الأثير ١٢٩/٦ ، البداية والنهاية ٢٦٠/١٠ .

(٤) رواية الأغاني : بالزناد ، وهي أنسب مما هنا .

(٥) رواية الأغاني : بجانبه .

وربَّ أمرٍ يعيا اللبيبُ بـه ... يَحَارُ منه[1] في حيرة الظُّلُـم
صَبْرٌ عليه كَظْمٌ على مضضٍ ... وتَرْكُه من مراتع[2] النَّدَمِ
يا ذا اليمينين[3] لم أزُرْكَ ولَمْ ... آتِك من خَلَّةٍ ولا عَدَمِ
إنّي من الله في مَرَاح غِنَىً ... ومُغْتَدَىً واسعٌ وفي نِعَم
زَارتْكَ مِنّي هِمَّةٌ مُنَازِعَةٌ ... إلى العُلا من مراتب[4] الهِمَمِ
وإنني للكبير[5] مُحْتَمِـلٌ ... في القدر من منصبي ومن شيمي
وقد تعلّقتُ منك بالذِّمم الـ ... كُبْرى التي لا تخيبُ في الذِّمم
فإنْ أنل هِمّتي فأنت لهـا ... في الحَقّ حقٌّ الإخاءِ والرَّحِم
وإن يَعُق عائقٌ فلستُ على ... جميلِ رأيي عندي بمُتّهَمِ
في قدر الله مـا أحَمّلـه ... تعويق أمري واللوح والقَلَمِ
لم تَضِقِ السُّبْل[6] والفجاج على ... حُرٍّ كريم بالصَّبْر مُعْتَصِم
ماضٍ كحَدّ السنان في طرف الـ ... عَامِلِ أو حَدّ مُصْلَتٍ خَذِمِ[7]
إذا ابتلاه الزمان كَشّفَـهُ ... عن ثَوْب حُرِّيَّة وعن كَرَم
ما ساء ظَنّي إلاّ لواحـدة ... في الصَّدر مَحْصورة عن الكَلِمِ
ليَهْنَ قومٌ جُزْتَ المَدَى بهم ... ولم تُقَصِّر بهم ولم تُلِمِ
ما تنبتُ الأرض كلَّ زهرتهـا ... ولا تَعُمُّ السماء بالدِّيَم

---

(١) في الأغاني : يظل منه .
(٢) في الأغاني : مواقع .
(٣) ذو اليمينين : لقب طاهر بن الحسين ، قيل : لقب بذلك لأنه ضرب رجلا بشماله فقده نصفين ، وقيل ، لقبه المأمون بذلك لأنه ولي العراق وخراسان .
(٤) في الأغاني : من كرائم .
(٥) رواية الأغاني : للجميل .
(٦) في الأغاني : الصبر .
(٧) الخذم : القاطع .

وليست كل الدلاء راجعةً بالنصف أو ملئها إلى الوذم (١)
ترجع بالحمأة القليلة أحياناً ورَنْق الصُّبابة الأمَمِ (٢)
ما بِيِ نقصٌ عن كلٍّ منزلةٍ شَرِيفةٍ والأمور بالقَسَمِ

فأجابه طاهر بن الحسين :

من تستضفه الهموم لم ينم إلا كنوم المريض ذي السقم
ولا يزل قلبه يكابد ما يولد الهم فيه من ألم
فدع أبا جعفر (٣) بعتب ما ليس التجني عنه بمنصرم
وقد سمعت الذي هتفت به وما بأذني عنك من صمم
وقد علمنا أن ليس تصحبنا لخلَةٍ فيك لا ولا عدم
إلا لحق وحرمة وعلى مثلكَ رعى الحقوق والذمم
أنت امرؤ ما تُزال(٤) عن كرم إلا إلى مثله من الكرم
وأنت من أسرة جحاجحة سادوا بحسن الفَعال والشيم (٥)
فما تَرُمْ من جسيم منزلة فالحكم فيها إليك فاحتكم
إن كنت مستسقياً سماحتنا منا تجدك السماء بالديم
أو تَرْمِ في بحرنا بدلوك لا نعدمك ملأها إلى الوذم
إنا أناس لنا صنائعنا في العرب معروفة وفي العجم
مغتنمو كسب كل محمدة والكسب للحمد خير مغتنم

فاحتكم عليه عزل إسماعيل بن جعفر عن البصرة ، فعزله عنها ، وأمر

(١) الوذم : السيور بين آذان الدلو إلى العراقي ، والعراقي : جمع عرقوة كترقوة ، وهي من الدلو خشبتان تعترضان عليها كالصليب .
(٢) الحمأة : الطين الأسود ، والصبابة : بقية الماء ، والأمم : اليسير .
(٣) كنية أبي عينية كما ذكر أبو الفرج في الأغاني هي أبو المنهال ، قال : ويقال إن اسمه هو هذا ولم يرد هذا البيت في المراجع .
(٤) في الأغاني : ما تزول .
(٥) الجحجاح : السيد السمح الكريم ، والفعال بفتح الفاء : العمل الحميد والكرم .

لابنّ أبي عيينة بمائة ألف درهم عوناً له على سفره ، وقال ابن أبي عيينة في عزل إسماعيل :

لا تعدم العزل يا أبا حسن   ولا هزالاً في دولة السمن
ولا انتقالاً من دار عافية   إلا إلى ديار البلاء والفتن (١)
أنا الذي إذا كفرت نعمته   أذبتُ ما في جنبيك من عُكن (٢)

(تعليق لغوي)

حدثنا محمد بن القاسم ، قال : حدثني أبي ، قال : أخبرني الطوسي ، عن أبي عبيد ، قال : السيوز التي بين آذان الدلو والعراقي هي الوذم ، يقال فيها : أوذمت الدلو إذا شددتها ، والخشبتان اللتان تعترضان على الدلو كالصليب هما العرقوتان يقال : عرقيت الدلو عرقاة إذا شددتهما عليه .

(نجابة الفتح بن خاقان)

حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمي ، قال : أخبرنا محمد بن القاسم ، قال : دخل المعتصم يوماً إلى خاقان غرطوج يَعُوده ، فرأى ابنه الفتح (٣) وهو صبي لم يَثْغَر (٤) ، فمازحه فقال : أيهما أحسن داري أو داركم ؟ فقال له الفتح : يا سيدي دارنا إذا كنت فيها أحسن ، فقال

---

(١) الرواية في الأغاني : والمحن .
(٢) المكن : جمع عكنة ، وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً .
(٣) الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج ، أبو محمد ، أديب شاعر فصيح ، كان في نهاية الفطنة والذكاء ، وهو فارسي الأصل من أبناء الملوك ، اتخذه المتوكل أخاً له واستوزره ، وجعل له إمارة الشام على أن ينيب عنه ، قتل مع المتوكل عام ٣٤٧ هـ ، وهو غير الفتح بن خاقان صاحب كتاب القلائد ، انظر فهرست ابن النديم ١١٦/١ ، فوات الوفيات ١٢٣/٢ ، معجم الأدباء ١١٦/٦ ، معجم الشعراء للمرزباني ٣١٨ .
(٤) يثغر : تنبت أسنانه .

المعتصم : لا أبرحُ والله أو يُنْثَر عليه مائة ألف درهم ، فَفُعِل ذلك [1] .

(رضا المتجني)

سمعت عبد الرحمن بن عثمان الشهوري ، يقول : سمعت ابن أتيكين صاحب الشرطة ببغداد ، يقول : سمعت ابن المثنى يقول : سمعت بشر بن الحارث [2] يقول : سمعت المُعافى بن عمران [3] يقول : سمعت سفيان الثوري [4] يقول : رضا المتجنِّي غايةٌ لا تُدْرَك [5] .

حدثنا أحمد بن كامل قال : سمعت ناشب المتوكليّة تغني لإبراهيم ابن المهدي :

أنت امرؤٌ متجنٍ وليس بالغَضْبَان
هَبْنِي أسأتُ فَألاّ مَنَنْتَ بالغُفْرَان [6]

ونحو هذا ما أنشدناه عن إسحاق الموصلي :

---

(١) انظر أخبار الأذكياء ٤٦ .

(٢) بشر بن الحارث المروزي ، أبو نصر ، المعروف بالحافي ، من كبار الصالحين له في الزهد والورع أخبار ، وهو من رجال الحديث الثقات ، سكن بغداد وتوفي بها ، قال عنه المأمون : لم يبق في هذه الكورة أحد يستحيا منه غير هذا الشيخ ، يعني بشر . انظر تاريخ بغداد ٦٧/٧ — ٨٠ ، حلية الأولياء ٣٣٦/٨ .

(٣) المعافى بن عمران بن نفيل الأزدي الفهمي ، أبو مسعود ، كان ممن رحل في طلب العلم إلى الآفاق وجالس العلماء ولزم الثوري بخاصة ، وكان زاهداً شريفاً مع صدق لهجة وعظم قدر ، توفي سنة ٢٠٤ هـ ، ترجمته في تهذيب التهذيب وصفوة الصفوة ١٥١/٤ .

(٤) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ، كان يسمى أمير المؤمنين في الحديث ، كتب فيه عن ألف ومائة شيخ ، وكان حافظاً فقيهاً محدثاً زاهداً ، توفي سنة ١٦١ هـ ، ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٩٠/١ ، وصفة الصفوة ٧٢/٣ ، وتهذيب التهذيب .

(٥) الخبر في تاريخ بغداد ٦٩/٧ .

(٦) البيتان ضمن أربعة أبيات في الأغاني ٢٤٨/٢٠ ، وهي لمحمد بن أبي محمد اليزيدي ، والرواية فيها لهذا البيت : حسبي أسأت فهلا ... الخ .

فَـهَبْنِيَ أغفلتُ الجميلَ من الأمـ
ر وساعدتُ أهلَ الغَدْرِ فيك على الغَدْرِ
ولم يك لي عُذْرٌ فتعذرَني بـــه
أما لِي نصيبٌ في التّجَاوُزِ والغُفْرِ ؟

ونحوه بعض المحدثين يقول :

هبيني يا معذِّبَتي أسأتُ وبالهِجران قَبْلَكُمُ بَدَأْتُ
فأين الفضلُ مِنْكِ فدتكِ نفسي عليَّ إذا أسأتِ كما أسأتُ [1]

(شعر الشاعر بمنزلة ولده)

حدثنا أحمد بن جعفر بن موسى البرمكي جحظة ، قال : حدثني خالد الكاتب [2] ، قال : قال لي عليُّ بن الجهم : هَبْ لي بيتَك :

ليتَ ما أصْبَحَ مِـــنْ رِقّة خَدَّيْكَ بقَلْبِك

قال : فقلت له : هل رأيت أحداً يهبُ وَلَدَه [3] ؟

(عُلُوُّ هِمّة ابن أبي دُؤَاد)

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثني أبو مالك حريز بن أحمد بن أبي دؤاد ، قال : قال الواثق يوماً لأبِي تَضَجُّراً بكثرة حوائجه :

---

(١) البيتان في تاريخ بغداد ٢/٣٢٣ ، مرويان عن أبي بكر الشبلي .
(٢) هو خالد بن يزيد ، أبو الهيثم ، من أهل بغداد ، وكان أحد كتاب الجيش ، ووسوس في آخر عمره ، قيل : إن السوداء غلبت عليه ، وقيل : كان يهوى جارية لبعض الوجوه فلم يقدر عليها ، وولاه محمد بن عبد الملك الإعطاء في الثغور ، وكان شاعراً رقيقاً ، ترجمته وأخباره في الأغاني ٢٠/٢٧٤ — ٢٨٦ .
(٣) الخبر في الأغاني ٢٠/٢٧٩ ، وانظره في مصارع العشاق ٢٩٥ ، وتاريخ بغداد ٨/٣١١ نقلاً عما هنا .

يا أحمد [1] ! قد اختلّتْ بيوتُ الأموال بطلباتك للاّئذين بك والمتوسلين إليك ، فقال : يا أمير المؤمنين ! نتائجُ شُكرها متصلةٌ بك ، وذخائرُ أجرها مكتوبةٌ لك ، ومالي من ذلك إلاّ عشقُ اتصال الألسن بحُلْوِ المَدْحِ فيك ، فقال : يا أبا عبد الله ! والله لا منعناك ما يزيد في عشقك ، ويُقَوّي من همتك فينا ولنا [2] .

(الخليفة المنصور يخلعُ ثيابه على شاعر)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا الحسن بن خضر ، عن أبيه ، قال : دخل رجل على المنصور فقال :

أقــولُ لــه حين واجهتُه : عليك السلام أبا جَعْفَرِ

قال المنصور : وعليك السلام . فقال :

فأنتَ المهذَّبُ من هــاشِــمٍ وفي الفرع منها الذي يُذْكَرُ

فقال المنصور : ذاك رسولُ الله ﷺ ، فقال :

فَهَذِي ثيابِي وقد أُخْلِقَتْ وقد عَضَّنِي زَمَنٌ منْكَرُ

فألقى إليه المنصور ثيابه ، وقال : هذه بدلها [3] .

---

(١) أحمد بن أبي دؤاد بن جرير الإيادي ، أبو عبد الله ، أحد القضاة المشهورين من المعتزلة ورأس الفتنة بخلق القرآن ، قال أبو العيناء : ما رأيت رئيساً قط أفصح ولا أنطق منه ، وهو أول من افتتح الكلام مع الخلفاء وكان لا يبدؤهم أحد حتى يبدءوه ، وكان عارفاً بالأخبار والأنساب محباً للخير ، شديد الدهاء ، اتصل بالمأمون وأوصى به أخاه المعتصم فجعله قاضي قضاته ، ثم اعتمد الواثق على رأيه ، توفي مفلوجاً سنة ٢٤٠ هـ ، انظر تاريخ بغداد ١٤١/٤ – ١٥١ ، البداية والنهاية ٣١٩/١٠ ، والخبر الذي هنا وارد فيهما .

(٢) في تاريخ بغداد : فتناولنا بما أحببت بدلا من فينا ولنا ، ولعلها أصح مما هنا .

(٣) يروى أن تلك القصة حدثت بين الحزين الكناني وعبد الله بن جعفر ، قالوا : وكان الحزين قد قمر ثيابه في غداة باردة بالعقيق وأصبح عرياناً فمر به عبد الله بن جعفر وعليه مقطعات خز ، فاستعار الحزين من رجل ثوباً ثم قام إليه ودارت بينهما هذه المحاورة ، انظر الأغاني ٢١٧/١٢ ، وقد رويت القصة كما هنا في تاريخ بغداد ٥٧/١٠ .

المجلس الثامن

(حديث خرافة)

حدثنا عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري ، قال : حدثنا أبو الأزهر ، قال : حدثنا أبو النضر ، قال : حدثنا أبو عقيل ،قال : حدثنا مجالد بن سعيد ، عن عامر ، عن مسروق ، أن عائشة رضي الله عنها ، قالت : « حَدَّث رسول الله ﷺ ذات ليلة نساءه حديثاً ، فقالت إحداهن : يا رسول الله ! هذا حديثُ خرافة ، قال : أتدرِينَ ما خُرَافة ؟ إن خرافة كان رجلاً من عُذْرة ، أسرتْه الجِنُّ فمكث فيهم دهراً ثم رَدُّوه إلى الإنْس ، فكان يحدِّثُ الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب ، فقال الناس : حديثُ خُرافة » [1] .

(رواية أخرى للحديث)

حدثنا عبد الغافر بن سلامة بن أحمد بن أزهر الحضرمي الحِمْصِي ، قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن عَرْعرة ، قال : حدثنا عاصم بن علي ،

(١) الحديث في مسند الإمام أحمد ١٨٧/٦ ، ١٨٨ ، وانظر مجمع الأمثال ١٩٥/١ ، وفيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خرافة حق » يعني ما تحدث به عن الجن حق .

وحدثنا محمد بن عمر بن حفص الدَّرْبَنْدي ، قال : حدثنا عثمان بن معاوية البصري ، عن عبد الله بن عثمان صاحب شعبة ، عن ثابت ، عن أنَس ، قال : « اجتمع إلى النبيِّ ﷺ نساؤُه يوماً فجعل يقول الكلمة كما يقول الرجل عند أهله ، قال : فقالت إحداهن : كأن هذا حديثُ خُرافة ، فقال : تدرين ما حديثُ خرافة ؟ وذكر الحديث [١] .

(التعليق على الحديث)

قال القاضي : عوامُّ الناس يَرَون أن قول القائل : هذه خرافة ، إنما معناه أنها حديث لا حقيقة له ، وأنه مما يجري في السّمر للتأنُّس به ، وينتظم من الأعاجيب وطرف الأخبار ما يرتاح إليه ويستمتع أهل الأندية بالإفاضة فيه ، ويقطعون أوقات ندامهم بتداوله ، وأنه أو معظمه لا أصل له ، ورسولُ الله ﷺ أصدق في كل ما يخبر عنه وأعلم بحقيقة الأمر فيه ، وأولى من رجع إلى قوله وأخذ به ، والغَيُّ ما خالفه ، فأما ما وصفنا من مذهب العامة فيه ، فإن الحديث مضاف إلى الجنس الذي هو جزء منه ، وبعض من جملته ومميز له من كل حديث ليس بحديث خرافة ، كقولهم : هذا ثوب خزٍّ وخاتَم فضة وباب حديد ، واشتقاقه على هذا القول من قولهم : اخترف فلان من بستانه هذه الثمرة [٢] ، وقولهم : هذه خَرْفة فلان ، يشار به إلى شيء من الفاكهة ، ومنه سُمي الربيع الأول من السنة خَريفاً لأن جُلَّ الفواكه تُختَرف فيه ، وجاء في الخبر : « أن عائدَ المريض في مَخْرَفة الجنة » [٣] إشارة إلى ما يُرجى له من النعيم وثواب

---

(١) لم أعثر على الحديث في ما بين يدي من مراجع ، والذي في ثمار القلوب للثعالبي ١٣٠ : أن رجلا تحدث بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث ، فقالت امرأة من نسائه : هذا حديث خرافة ، فقال عليه السلام : « لا ، وخرافة حق » .

(٢) اخترف : أي جناها في الخريف .

(٣) المخرفة : البستان ، والسكة بين صفين من نخيل ، انظر النهاية لابن الأثير ٨٥/٤ ، وتاريخ بغداد ٣٨٦/٧ .

الملك الكريم. فقال أصحاب هذا المذهب: إن المجتمعين على هذه الأحاديث المُعْجِبة المُلِذَّة المُطرفة بمنزلة المجتمعين على ما يُخْتَرف من الفاكهة التي ينالون من قِبَلِها المُتْعَة السارة لهم الفائضة عليهم ، ويتوهم هؤلاء أن مختلق الباطل ومفتعل الكذب بمنزلة من أتى شيئاً أو اخترفه في أنه قد ظفر بما يلهيه ويمتعه، وإن كان على ما وصفا في أصله، ويقولون لما لا يحققون صحته من الأخبار: هذه خرافة، وهذا حديث خرافة ، وقال بعض مجان الشعراء عجز بيت له حكايته :

حَدِيثُ خُرَافة يا أمَّ عَمْرو [1]

وقال آخر منهم في آخر بيت قاله :

قالتْ ودَعْنِي من أحاديثِ خُرُفَةٍ

وقال أبو العتاهية [2] :

إذا أخْلُو فأنتِ حَدِيـــثي وذلك كالحديثِ من الخُرَافَةْ

وأرى أن قولهم للإنسان إذا أفند [3] وتغير وأهتر وهجر : قد خَرَّف، من هذا الباب وأنه قيل له ذلك: إما لأنه يتعلق بما تُخَيِّلُه له وساوسُه فيظهر من لفظه ما ينبيء عن اختلاله ويعجب سامعوه منه بضحك من خروجه عن الاعتدال والصحة ، ويأتي بألفاظ خارجة عن سَنَن الحكمة ،

---

(١) صدر البيت :

حياة ثم موت ثم نشر

وقائله ابن الزبعري ، وضربه – والعياذ بالله – مثلا للكفر بالبعث ، انظر ثمار القلوب ١٣٠ .

(٢) لم أعثر عليه في ديوان أبي العتاهية .

(٣) أفند : ضعف رأيه من الكبر ، واهتره الكبر : أفقده عقله وصيره خرفاً ، وهجر : هذي من المرض ونحوه .

وإما لأن سامعيه يَطْربون تَعَجُّباً بما يُبديه ويستخرجون منه ما ينشطون ويرتاحون عنده ، فكأنهم يجتنون ثمرة أو يخترفون فاكهة ، ومن ها هنا قيل : فكهت من كذا أي عجبت ، كما قال الشاعر :

ولقد فَكِهْتُ من الذين تَقَاتَلُوا يوم الخميسِ بلا سلاحٍ ظاهرِ

ومن هذا الأصل قيل للمُزَاح : فكاهة ، لما فيه من مسرَّةِ أهله والاستمتاعُ به ، قال الشاعر :

حُزُقٌ إذا ما القَوْمُ أبْدَوْا فُكَاهَةً
تفكَّراً آإيَّاهُ يَعْنُونَ أمْ قِرْدَا [(١)]

وقال بعض أهل العلم : الغيبة فاكهة القراء [(٢)] .

وقال الفضيل بن عياض [(٣)] أنه قال : لكل شيء ديباج [(٤)] ، وديباج القراء ترك الغيبة .

ومن كلام العرب السائر : لا تمازح صبيّاً ولا تفاكهن أمة [(٥)] ، يريد : ولا تمازحن ، وخالف بين اللفظين مع اتفاق المعنى لأنه أحسن ، كما قال الشاعر :

---

(١) الحزق والحزقة : السيء الخلق والبخيل ، والبيت أنشده ابن الأعرابي لرجل من بني كلاب ، وقبله بيت هو :

وليس بجـوّاز لأحـلاس رحلـه ومزوده كيساً من الرأي أو زهدا

انظر اللسان ٣٣١/١١ .

(٢) القراء : النساك المتعبدون .

(٣) هو أبو علي الفضيل بن عياض التميمي الزاهد ، ولد بخراسان وقدم الكوفة وهو كبير ، ثم انتقل إلى مكة وبها توفي عام ١٨٧ ، وكان في أول أمره شاطراً ، ثم سلك طريق الزهد والعبادة ، ترجمته في تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة ١٣٤/٢ .

(٤) الديباج هنا : حسن البشرة .

(٥) صحة هذا المثل : لا تفاكه أمة ولا تبل على أكمة ، اللسان « فكه » .

وقَدَّمَتْ الأديمَ لِرَاهِشَيْه وألْفَى قَوْلَها كَذِباً ومِينا [1]

والمين : الكذب ، وقال آخر [2] :

ألا حَبّذَا هِنْد وأرْضٌ بها هِنْدُ
وهِندُ التي من دُونها النّأيُ والبُعْدُ

ومن الخريف والاختراف على ما قدمنا ذكره : لفلان موضع كذا خرفة ، أي مقام في الخريف ، ويقال : زمان صائف وشات ورابع وقائظ ، من الصيف والشتاء والربيع والقيظ ، ولم يقولوا مثل هذا في الخريف ، ويقال في النسب : خرْفِيٌّ وربْعِيٌّ ، كما قال :

إن بَنيَّ صِبْيَةٌ صيْفِيُّون
أفلح من كان له رِبْعيُّون [3]

ومنه الربع في الماشية ، قال الشاعر [4] :

---

(١) البيت لعدي بن زيد العبادي ، وهو في ديوانه ٣٣ ، يقوله في قصة الزباء وجذيمة الأبرش حين قتلته بقطع رواهشه .

(٢) هو البحتري ، والبيت في ديوانه ١٤٠ .

(٣) البيت في نوادر أبي زيد ٨٧ ، وقال في شرحه : أصاف الرجل إذا ترك النساء شاباً لم يتزوج ثم تزوج بعد ما أسن فيقال لولده صيفيون ، والربعيون الذين يولدون وآباؤهم شباب فهم رجال ، والبيت لأكثم بن صيفي وينسب لسعد بن مالك بن ضبيعة ، انظر نوادر أبي مسحل ٢٩٩/١ ، والحيوان ١٠٩/١ ، والخزانة ٢٦٠/٢ ، وعيون الأخبار ١٠٣/٣ ، ومجمع الأمثال ١٤/١ ، وإصلاح المنطق ٤٧٠ ، وفصل المقال ١٨٦ ، والمفضليات ٢٥٢ .

(٤) قال في الخزانة ٢٧٩/٣ ، أن يزيد بن معاوية قال الأبيات ، متغزلا بها في نصرانية كانت قد ترهبت في دير خراب عند الماطرون ، وهو بستان بظاهر دمشق يسمى اليوم الميطور ، وأولها :

آب هذا الليل فاكتنفا وأمر النوم فامتنعا
راعياً للنجم أرقبه فإذا ما كوكب طلعا =

وَلَّهـا بالمَاطِرُونَ إذَا أكل النَّمْلُ الذي جَمَعَا
خِرفة حتّى إذا ارْتَبَعَتْ سَكَنَتْ من جِلَّقٍ بِيَعَا[1]
في قبابٍ وَسْطَ دَسْكَرَةٍ[2] حَوْلَها الزَّيْتُون قد يَنَعَا

ويروى : خرفة على ما فسرنا ، ويروى : خلفة من الاختلاف إلى المكان ، وقول الله جل ذكره : ﴿ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يَذَّكَّرَ أو أراد شُكُورا ﴾[3] ، وقد اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه أن ما فات في أحدهما قضى في الآخر ، كالصلاة تفوت ليلاً فتُقْضي نهاراً وتفوت نهاراً فتقضي ليلاً ، وقال آخرون : المعنى أنه جعلهما مختلفين في ألوانهما هذا أسود وهذا أبيض[4] ، وقال آخرون : إن كل واحد منهما يخلف صاحبه ، إذا ذهب هذا جاء هذا[5] ، وقيل : إنه لو لم يُجْعل كذلك لالتبس على الناس أمر دينهم في أوقات صومهم وصلاتهم ، وقيل : إن الخلفة مصدر ولذلك وُحِّدت ، وهي خبر عن الليل والنهار ، وقول زهير[6] :

= حالٍ حتى أنني لا أرى أنه بالقور قد رجعا

وقال في تفسير القرطبي ٤٧٨٢ : أنه قالها في امرأة تنتقل من منزل في الشتاء إلى منزل في الصيف دأبا .

ونسبت الأبيات الثلاثة الواردة في النص للأحوص في ألف باء للبلوي .

(١) جلق : اسم مدينة دمشق .

(٢) الدسكرة : البناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم فيها الشراب والملاهي يكون للملك .

(٣) سورة الفرقان الآية ٦٢ .

(٤) وهو قول مجاهد .

(٥) وهو قول أبي عبيدة ، ويؤكده معنى بيت زهير التالي .

(٦) البيت في ديوانه ٣ ، والعين بالكسر جمع أعين وعيناء ، وهي بقر الوحش ، سميت بذلك لسعة أعينها ، والأطلاء : جمع طلا ، وهو ولد البقرة وولد الظبية الصغير ، والمجثم : الموضع الذي يجثم فيه ، وهو يقول : إن هذا المكان أقفر من ساكنيه وحل محلهم بقر الوحش ، وانظر التفسيرات التي ذكرها المؤلف في اللسان ١/٤٣٤ ، ٤٤٥ .

بِها العِينُ والآرامَ يَمْشِينَ خِلْفَةً
وأطلاؤُها يَنْهَضْنَ من كُلِّ مِجْثَمِ

يعني تذهب منها طائفة وتحدث مكانها أخرى ، وجائز أن يكون أراد الألوان والهيئات ، وجائز أن يكون أراد أنها تذهب كذا وتجيء كذا .

وروى عن النبي ﷺ أنه كان من أفكَه الناس [1] ، بمعنى أنه كان يمزح ، وقد روى عنه عليه السلام ، أنه قال : « إني لأمْزَح ولا أقول إلاّ حقّاً » .

وروى عنه ﷺ أنه قال : « إن الله عز وجل لا يُؤاخذ المَزّاحُ الصادقُ في مُزاحه » .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن أحمد بن عيسى أبو بكر البزاز العسكري ، قال : حدثنا علي بن حرب ، قال : حدثنا يزيد بن أبي الزرقاء ، عن ابن لهيعة ، عن عمارة بن غزية ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس ، قال : كان النبي ﷺ من أفكه الناس .

وحدثنا محمد بن حمدان بن بغداد الصيدناني ، قال : حدثني يوسف ابن الضحاك ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا خالد الحذاء ، عن أبي قلابة ، عن عائشة : أن النبي ﷺ كان مَزّاحاً ، وكان يقول : « إن الله عزّ وجلّ لا يُؤاخذ المَزّاح الصّادق في مُزَاحه » .

قال القاضي أبو الفرج : إنما ذكرنا ما ذكرناه من باب المزاح ها هنا بحسب ما اقتضاه ما تقدم من كلامنا لاتصاله ومناسبته إياه ، ولذكر ما جاء في المزاح من الاستحسان والرخصة والنهي والكراهية موضع غير هذا .

---

(١) الحديث بتمامه كما ورد في اللسان (فكه) : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من أفكه الناس مع صبي ، وواضح أن معنى الحديث بقيد كونه صلى الله عليه وسلم كان من أفكه الناس مع صبي يختلف عن المعنى المفهوم من الإطلاق الذي ساقه المصنف هنا .

(حديث الشّعْبِيّ مع الحَجّاج)

حدثنا أحمد بن عبد الله بن نصر بن بجير القاضي ، قال : أخبرني أبي عبد الله بن نصر بن بجير ، قال : حدثني أبو جعفر محمد بن عبّاد بن موسى قال : أخبرني أبو بكر الهُذَلي (١) ، قال : قال لي الشعبي (٢) : ألا أُحدِّثُك حديثاً تحفظه في مجلس واحد إن كنت حافظاً كما حفظته أنا ، لما أُتِي بي الحَجّاجُ وأنا مقيد وخرج إليَّ يزيد بن أبي مسلم (٣) ، فقال : إنا لِلّه وما بَيْن دفّتيك من العلم يا شَعْبيُّ ، وليس بيوم شفاعة ، إذا دخلت على الأمير فَبُؤْ له بالشِّرْك والنفاق على نفسك فبالحَرَي أن تنجو . فلما كنتُ قريباً من الإيوان خرج محمد بن الحجاج ، فقال : إنّا لِلّه وما بين دفّتيك من العلم يا شعبي ، وليس بيوم شفاعة ، إذا دخلتَ على الأمير فَبُؤْ له بالشِّرْك والنفاق فبالحري أن تَنْجو ، فلما قمت بين يديه قال : هِيِ يا شعبي ، أكرمتُك وأدنيتُك وقرّبتُ مجلسك ثم خرجتَ علينا !؟ قلت : أصلح الله الأمير ، أحزن بنا المنزل وأجدب الجنابُ وضاق المسلك ، واكتحلنا السهر ، واستحلسنا الخوف (٤) ، ووقعنا في

---

(١) هو عبد الله بن سلمى كما ذكر الجاحظ في البيان ٣٦٨/١ أو سلمى بن عبد الله بن سلمى كما ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب ٤٥/١٢ ، ويقال إن اسمه روح ، ذكر الجاحظ أنه كان خطيباً قاصاً وعالماً بيناً ، وعارفاً بالأخبار والآثار وأيام الناس ، توفي سنة ١٦٧ هـ .

(٢) هو عامر بن عبد الله بن شراحيل الشعبي الحميري ، نسبته إلى شعب بالفتح ، بطن من همدان ، كان من كبار الحفاظ ، قربه عبد الملك بن مروان واستقضاه عمر بن عبد العزيز ، ولد بالكوفة سنة ١٩ هـ وتوفي ١٠٣ ، ترجمته في تذكرة الحفاظ ٧٤/١ – ٨٢ ، تهذيب التهذيب ٦٥/٥ ، صفة الصفوة ٤٠/٣ . وانظر خبره مع الحجاج في مجمع الأمثال ٣٦٥/٢ ، مجالس ثعلب ٢٩/١ ، اللسان ٣٥٧/٧ ، عيون الأخبار ١٠٤/١ .

(٣) وال من الدهاة في عهد بني أمية ، كان من موالي ثقيف ، وجعله الحجاج كاتباً له فظهرت مزاياه واستخلفه على خراج العراق وأقره الوليد بن عبد الملك ولما مات الحجاج عزله سليمان واستقدمه إليه فأعجب به ، ثم ولي إمارة إفريقية فقتل بها سنة ١٠٢ هـ ، انظر المحبر ٤٩٢ ، كامل ابن الأثير ٣٨/٥ ، البرصان والعرجان ١٠٠ .

(٤) استحلسه الخوف : لزمه .

خِزْيَة[1] لم نكن فيها بَرَرَة أتقياء ولا فَجَرَة أقوياء. قال: صدق والله، ما بَرُّوا حين خرَجوا ولا قَووا حين فجروا، أطلقوا عنه. ثم قال: تَعَهَّدَني وكُنْ مني قريباً. فأرسل إليّ يوماً نصف النهار وليس عنده أحد، فقال[2]: ما تقولُ في أمٍّ وجَدٍّ وأخت؟ قلت: اختلف فيها خمسة من أصحاب محمد ﷺ، قال: مَنْ؟ قلت: عليٌّ وابن مسعود وابن عباس وعثمان وزيد بن ثابت، قال: فما قال عليٌّ؟ قلت: جعلها ستة فأعطى الأخت النصف ثلاثة، وأعطى الأم الثلث سهمين، وأعطى الجد السدس سهماً، قال: فما قال ابن مسعود؟ قلت: جعلها أيضاً من ستّة، وكان لا يفضّل أمّاً على جَد، فأعطى الأخت النصف ثلاثة، وأَعطى الأم ثُلُثَ ما بقي، وأعطى الجَدَّ ما بقي سهمين. قال: فما قال ابنُ عباس فوالله إن كان لمِنْقَبا[3]. قال: قلت: جعل الجد أباً ولم يُعط الأخت شيئاً فأعطى الأم الثلث وأعطى الجد الثلثين، قال: فما قال عثمان؟ قلت: جعلها أثلاثاً فأعطى الأم الثلث وأعطى الأخت الثلث وأعطى الجد الثلث، قال: فما قال زيد؟ قلت: جعلها من تسعة فأعطى الأم ثلاثة وأعطى الأخت سهمين وأعطى الجد أربعة، جعلها منها بمنزلة الأخ، قال: يا غلام امضها على ما قال أمير المؤمنين عثمان، قال: إذ دخل الحاجب فقال: إن بالباب رُسُلاً، قال: أدخلهم، فدخلوا وسُيُوفهم على عَواتقهم وعَمَائمهم في أوساطهم وكتبهم بأيمانهم، قال: ائذن، فدخل رجل من بني سُلَيم يقال له سَيّابة بن عاصم، قال: من أين؟ قال: من الشام، قال: كيف أمير المؤمنين؟ كيف هو و[illegible]نه؟

---

(١) الخزية: البلية، وفي الأصل: حزنة تحريف.

(٢) الجزء التالي من الخبر وهو سؤال الحجاج عن فريضة الجد: يرد في الكامل للمبرد ١/١٧٩، مجمع الأمثال ٢/١٨، وانظر تفصيل هذه المسألة في شرح الرحبية لسبط المارديني ٢٨.

(٣) المنقب: الكثير البحث عن الأشياء، وفي مجمع الأمثال: إن كان ابن عباس لنقابا، أي ع[illegible]لماً بمعضلات الأمور.

كيف هو في حاشيته ، كيف كيف ؟ قال : خير ، قال : كان وراءك من غيث [1] ؟ قال : نعم أصابتني فيما بيني وبين أمير المؤمنين ثلاث سحائب ، قال : فانعتْ لي كيف كان وقع المطر وكيف كان أثره وتباشيره ؟ قال : أصابتني سحابة بحوران [2] فوقع قطر صِغَار وقَطْرٌ كبار ، فكان الصغار لُحْمة الكبار ، ووقع سِبْطاً مُتَداركاً [3] وهو السَحُّ الذي سمعتَ به ، فواد سائل وواد نازح ، وأرض مقبلة وأرض مدبرة ، وأصابتني سحابة بسُوان [4] فأندت الدياث [5] وأسالت الغَرّار [6] وأدحضت التلاع [7] وصدعت عن الكمأة [8] أماكنها ، وأصابتني سحابة

---

(١) الخبر التالي يرد برواية فيها اختلاف في الألفاظ مع ما هنا في مجالس ثعلب ٢٨١/١ ، البيان والتبيين ٢٦١/٢ ، ١٦٢ ، وبعضه في اللسان ١٩٥/٥ ، ٢٦٨/١٥ ، ١٧٢/١٩ ، والمزهر ١٤٧/١ ، ١٤٨ ، والمخصص ١٨٢/١٠ ، وهو يبدأ في مجالس ثعلب برواية : قال ابن الأعرابي : حدثني شيخ عن محمد بن سعيد الأموي ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : كنت عند الحجاج بن يوسف فقال لرجل من أهل الشام هل أصابك مطر ... الخ .

(٢) حوران ، بفتح الحاء وسكون الواو : كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار ، وقصبتها بصرى ، معجم البلدان ٣٥٧/٢ – ٣٥٨ .

(٣) السبط والمتدارك والسح من الماء كلها بمعنى الكثير المتتابع .

(٤) سوان : بضم أوله : اسم صقع قرب بستان ابن عامر ، نقل ذلك ياقوت عن ابن دريد ، قال : وقال نصر : سوان صقع من ديار بني سليم ، انظر المعجم ١٨٢/٣ .

(٥) الدياث : الأرض السهلة اللينة ، وأندتها : سخت عليها .

(٦) الغرار ، جمع غر بفتح الغين وتشديد الراء ، وهو الشق في الأرض .

(٧) أدحضت : أزلقت ، والتلاع : جمع تلعة ، وهي مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض ، وفي اللسان ٨/٩ : « وفي حديث الحجاج : فدحضت التلاع ، أي جعلتها مزلقة » .

(٨) الكمأة : نبات أرضي تنتفخ أكياس بذورها فتجنى وتؤكل مطبوخة ويختلف حجمها حسب أنواعها .

بالقريتين [١] ، فأفاءت الأرض بعد الرّي [٢] ، وامتلأت الإخاذ [٣] وأفعمت الأودية ، وجئتك في مثل مجرِّ الضَّبع [٤] ، قال : ائذن ، فدخل رجل من بني أسد ، قال : هل كان وراءك من غيث ؟ قال : لا ، كثرت الأعصار واغبرّت البلاد وأكل ما أشرف من الجنبة [٥] ، واستيقنا أنه عام سنة ، قال : بئس المخبر أنت ، قال : أخبرتك بما كان ، قال : ائذن ، قال : فدخل رجلٌ من بني حنيفة من أهل اليمامة ، قال : هل كان وراءك من غيث ؟ قال : سمعت الرواد يدعون إلى ريادتها ، وسمعت قائلاً يقول : هل أظعنكم إلى محطة تطفأ فيها النيران وتَشَكّى فيها النساء ، وتتنافس فيها المعزى ، قال : فوالله ما درى الحجاج ما أراد ، قال : ويحك إنما تحدث أهل الشام فأفهمهم ، قال : أمّا تطفأ النيران فأخصب الناس فلا تُوقد نار يختبز بها [٦] ، فكان السمن والزبد واللبن ، وأما تشكّي النساء فإن المرأة تظل تُريق بُهمها وتَمْخض لبنها فتبيت ولها أنين من عَضُدَيْها كأنهما ليسا منها [٧] ، وأما تنافس المعزى فإنها ترى من أنواع الشجر وألوان الثمار ونَوْر النبات ما يُشبع بُطُونها ولا يُشبع

(١) القريتان : اسم قرية كبيرة من أعمال حمص في طريق البرية بينها وبين سخنة وأرك ، ويطلق الاسم أيضاً على بلدة حوارين التي بينها وبين تدمر مرحلتان ، معجم البلدان ٤/٧٧ ، ٧٨ .

(٢) أفاءت الأرض بعد الري : أصبحت ظليلة باردة .

(٣) الإخاذ : جمع إخاذة وهي الغدير الصغير .

(٤) مجر الضبع : قال في اللسان ٥/١٩٥ : وقال شمر : سمعت ابن الأعرابي يقول : جئتك في مثل مجر الضبع . يريد السيل قد فرق الأرض فكأن الضبع جرت فيه » .

(٥) الجنبة : كل شجر يورق ويخضر في الصيف .

(٦) وقد يكون المعنى : فلا توقد نار لطبخ اللحم وإنضاج الطعام ، والرواية في مجالس ثعلب : فغيبت الشفار وأطفئت النار ، وقال ابن دريد : غيبت الشفار ، يريد أخصب الناس ولم يذبحوا الغنم والإبل .

(٧) في اللسان ١٩/١٧٢ أن تشكت النساء كناية عن كثرة اللبن ، أي كثر اللبن حتى صارت المرأة يفضل لها لبن تحقنه في شكوتها ، والشكوة بفتح الشين : وعاء كالقربة الصغيرة .

عيونها ، فتبيتُ وقد امتلأت كروشها ، لها من الكَظّة جِرّة ، وتبقى الجِرّة حتى يستنزل بها الدِّرّة [1] ، قال : ائذن فدخل رجل من الحمراء [2] من الموالي ، وكان من أشد أهل زمانه ، قال : من أين ؟ قال : من خراسان ، قال : هل كان وراءك من غيث ؟ قال : نعم ، ولكن لا أحسن أن أقول كما قال هؤلاء ، قال : فما تحسن أنت ؟ قال : أصابتني سحابة بحلوان فلم أزل أطأ في أثرها حتى دخلتُ على الأمير ، قال : إن كنت أقصرهم في المطر قصة ، إنك لأطولهم بالسيف خطوة .

(عود إلى خبر الشعبي مع الحجاج)

وحدثني أبي رضي الله عنه ، قال: حدثنا أبو عبد الله الصوفي ، قال: حدثنا سليمان بن عمر الأقطع الرقي ، قال : حدثنا عيسى بن يونس ، قال : حدثنا عباد بن موسى – رجل من أهل واسط – عن أبي بكر الهذلي ، عن الشعبي ، قال : أتى بي الحجاج موثقاً فلما انتهينا إلى باب القصر لقيني يزيد بن أبي مسلم ، فقال : إنّا لله وإنا إليه راجعون يا شعبي لما بين دِفتيك من العلم ، وذكر الحديث .

وروى لنا خبر الحجاج مع الشعبي على نحو ما أتينا به في هذا الجزء من غير طريق ، وبعض رواياته يختلف ألفاظها ويزيد بعضها على بعض ، وأنا أذكر ها هنا طريقاً حضرني وقرب مني .

حدثنا محمد بن جعفر بن سليمان النهرواني ، وحمزة بن الحسين بن عمر أبو عيسى السمسار ، قالا : حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، قال : حدثنا يوسف بن بهلول التميمي ، قال : حدثنا جابر بن نُوح الحُماني ،

(١) الجرة : الاجترار ، والدرة : الحلب ، والرواية في مجالس ثعلب : واختلبت الدرة بالجرة ، وفي اللسان : واجتلبت ، ومعنى العبارة : أن الماشية تتملأ ثم تبرك أو تربض ، فلا تزال تجتر إلى حين الحلب .

(٢) الحمراء : العجم ، لأن الشقرة أغلب الألوان عليهم .

قال : حدثني مجالد ، عن الشعبي ، قال : لما قدم الحجاج الكوفة قال لابن أبي مسلم : اعرض على العُرَفَاء [1] ، فعرضهم عليه فرأى فيهم وحشاً من وحش الناس ، قال : ويحك : هؤلاء خلفاء الغزاة في عيالهم ؟ قال : نعم ، قال : اطرحْهُم واغدُ عليّ بالقبائل ، فغدا عليه بالقبائل على رَايَاتها ، فجعلوا يُعْرضون عليه فإذا وقعت عينه على رجل دعاه ، فدعا بالشّعْبِيِّين فمرت به السن الأولى فلم يدع منهم أحداً ، ومرت السن الثانية فدعاني ، فقال : من أنت ؟ فأخبرته ؟ فقال : اجلس ، فجلست ، فقال : قرأت ؟ قلت : نعم ، قال : رويت الشعر ؟ قلت : قد نظرت في معانيه ، قال : نظرت في الحساب ؟ قلت : نعم ، فقال لابن أبي مسلم : إنا لنحتاج إليه في بعض الدواوين ، قال : رويت مغازي رسول الله ﷺ ؟ قلت : نعم ، قال : حدثني بحديث بدر ، قال : فابتدأتُ له من رُؤيا عاتكة [2] حتى أذّنَ المؤذنُ للظهر ، ثم دخل وقال :

---

(١) العرفاء : جمع عريف ، وهو المقام على القوم ليعرف من فيهم من صالح وطالح .

(٢) هي عاتكة بنت عبد المطلب عمة الرسول صلوات الله عليه ، وكانت قد رأت رؤيا أفزعتها ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له : يا أخي ، والله لقد رأيت رؤيا أفظعتني ، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، فاكتم عني ما أحدثك به ، فقال لها : وما رأيت » ؟ قالت : رأيت راكباً أقبل على بعير له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا لغدر لمصارعكم في ثلاث ، فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها : ألا انفروا يالغدر لمصارعكم في ثلاث ، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت ، فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقة . قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ، وأنت فاكتميها ولا تذكريها لأحد .

ثم لم تمض إلا ثلاث ليال حتى كان ضمضم بن عمرو الغفاري — الذي استأجره أبوسفيان لتحذير قريش — قد أتى مكة يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره ، قد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه ، وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث .

انظر السيرة لابن هشام ١/٦٠٧ — ٦٠٩ .

لا تبرحْ ، فخرج فصلّى الظهر وأتممتُها له ، فجعلني عَرِيفاً على الشَّعْبِيِّين ومِنْكباً (١) على جميع هَمْدَان وفَرَضَ لي في الشَّرَف ، فلم أزل عنده بأحسن منزلة حتى كان عبد الرحمن بن الأشعث (٢) ، فأتاني قراء أهل الكوفة فقالوا: يا أبا عمرو! إنك زعيم القراء، فلم يزالوا لي حتى خرجتُ معهم فقمت بين الصفين أذْكُر الحجاج وأعيبه بأشياء قد علمتُها ، قال : فبلغني أنه قال : ألا تعجبون من هذا الشعبيّ الذي جاءني وليس في الشرف من قومه ، فألحقتُه بالشرف ، وجعلته عَرِيفاً على الشَّعْبيين ومِنْكَباً على هَمْدان ، ثم خرج مع عبد الرحمن يُحَرِّض عليّ ، أما إنه لئن أمكن الله منه لأجعلن الدنيا أضيق عليه من مِسْك جمل (٣) ، قال : فما لبثنا أن هُزِمْنا فجئت إلى بيتي فدخلتُه وأغلقت عليّ بابي ، فمكثتُ تسعة أشهر الدنيا عليّ أضيقُ من مِسْك جَمَل ، فندب الناس لخراسان ، فقام قُتيبةُ بنُ مسلم ، فقال : أنا لها ، فعقد له خراسان وعلى ما غلب عليه منها وأمّن له كُلَّ خائف، فنادى مناديه: إنه من لحق بعسكر قتيبة فهو آمن ، فجاءني شيءٌ لم يجئني شيءٌ هو أسَرُّ منه ، فبعثت بمولى لي إلى الكُنَاسة (٤) فاشترى لي حماراً وزوّدني ، ثم خرجتُ فكنت في العسكر ، فلم أزل معه حتى أتينا فرغانة (٥) ، فجلس ذات يوم وقد بَرَّق (٦) ، فنظرتُ إليه فعرفتُ ما يريد ، فقلت : أيها الأمير ! عندي

---

(١) المنكب : رئيس العرفاء .

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي ، خرج على عبد الملك والحجاج سنة ٨١ هـ ، وحدثت بينهما وقائع كثيرة منها الأهواز والزاوية ودير الجماجم ، ولما أحس آخر الأمر بالهزيمة ألقى نفسه من فوق قصر فقتل ، وكان ذلك سنة ٨٥ هـ ، انظر الطبري حوادث سنوات ٨١ – ٨٥ والمعارف ٣٥٧ ، وجمهرة الأنساب ٤٢٥ .

(٣) مسك الجمل : جلده .

(٤) الكناسة : محلة معروفة بالكوفة .

(٥) فرغانة : مدينة وكورة واسعة فيما وراء النهر ، متاخمة لبلاد تركستان على يمين القاصد لبلاد الترك ، كثيرة الخير واسعة ، بينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً . معجم البلدان ٣/٨٧٩ .

(٦) برق بصره : أوسعه وحدد النظر .

علم ما تريد ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : قلت : أعيذُك ألا تَسَلْ عن ذاك ، قال : أجل ، فعرف أني ممن يُخفي نفسه ، فدعا بكتاب فقال : أكتب نسخة ، قلت : لستُ محتاجاً إلى ذلك ، فجعلتُ أُمِلُّ عليه وهو ينظر إليَّ حتى فرغتُ من كتاب الفتح ، قال : فحملني على بغلة وأرسل إليَّ بِسَرَقٍ (١) من حرير ، وكنتُ عنده في أحسن منزلة ، فإني ليلة أتعشى معه إذْ أنا برسول من الحجّاج بكتاب فيه : إذا نظرتَ في كتابي هذا فإن صاحب كتابك عامر الشعبي ، فإن فاتك قطعتُ يدك على رجلك وعزَلْتُك ، قال : فالتفت إلي فقال : ما عرفتُك قبل الساعة فامض حيث شئت من الأرض ، فوالله لأحلفنَّ له بكلِّ يمين ، قال : قلت : أيها الأمير إن مثلي لا يَخْفى ، قال : فقال : أنت أعلم ، قال : فبعثني إليه مع قوم وأوصاهم بي ، وقال : إذا نظرتم إلى خضراء واسط فاجعلوا في رجليه قيداً ثم أدخلوا به على الحجاج ، قال : فلما دنوتُ من واسط استقبلني ابن أبي مسلم فقال : يا أبا عمرو ! إني لأضنُّ بك على القتل ، إذا دخلت على الحَجاج فقل كذا وقل كذا ، قال : فسكتُّ عنه ، ثم دخلت على الحجاج فلما رآني قال : لا مرحباً ولا أهلاً يا شعبي الخبيث ، جئتني ولست في الشَرَف من قومك ولا عَرِيفاً ولا مِنْكباً ، فألحقتك بالشرف وجعلتك عريفاً على الشعبيين ومنكباً على جميع هَمْدان ، ثم خرجتَ مع عبد الرحمن تُخَرِّض عليّ ؟ قال : وأنا ساكت لا أجيبه ، قال : فقال لي : تكلم ، قال : قلت : أصلح الله الأمير ، كل ما ذكرت من فضلك فهو علَىّ ما ذكرت ، وكل ما ذكرت من خروجي مع عبد الرحمن فهو كما ذكرت ، ولكنا قد اكتحلنا بعدك بالسهر وتَحَلَّسنا الخوف ، ولم نكن مع ذلك بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء ، وإن حقنت لي دمي واستقبلت بي التوبة ؟ قال : قد حقنتُ دمك واستقبلتُ بك التوبة ،

---

(١) السرَق ، بفتح السين والراء : شقق الحرير الأبيض ، أو الحرير بعامة .

قال : فقال ابن أبي مسلم : الشعبيُّ كان أعلم مني حيث لم يقبل مني الذي قلت له .

حدثنا محمد بن جعفر ، وحمزة بن الحسين ، قالا : حدثنا أحمد بن منصور قال : سمعت الأصمعي ، يقول : حدثني عثمان الشحام ، قال : لما أتى الحجاج بالشعبي عاتبه ، فقال له الشعبي : أصلح الله الأمير ، أجدب بنا الجَنَاب ، وأحزن بنا المنزل ، واستحلسنا الخوف ، واكتحلنا السهر ، وأصابتنا خِزْية لم نكن فيها بررة أتقياء ، ولا فجرة أقوياء ، قال : لله دَرُّك يا شعبي ! .

قال القاضي : والذي ذكر في هذا الخبر على ما في الرواية التي بدأنا بها ذكر الفريضة التي سأل الحجاج الشعبي عنها فأجابه ، وذكر أن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا فيها على خمسة أقوال فهذا على ما ذكره ، وهذه فريضة من فرائض الجد معروفة يسميها الفرضيون الخَرْقاء [1] ، وأصول الصحابة فيها مختلفة ، فمنهم من يُنْزل الجَدّ بمنزلة الأب الأدنى فلا يورث الإخوة والأخوات معه ، ومنهم من يعطي الأخوات من الأب والأم أو الأب فرائضهن ويورث الجد بعد ما يستحقه ، وهذا مذهب عليٍّ وعبد الله ، إلا أن عبد الله لا يفضِّل أمّاً على جَدّ ، وقد روى عنه أن هذه المسألة من مُرَبّعاته ، ومنهم من يُنزل الجد مع الأخوات من الأب والأم أو من الأب بمنزلة الأخ في المقاسمة ، وبينهم في القدر الذي تنتهي إليه المقاسمة ويفرض للجد فريضة ، خلاف ليس هذا موضعه ، وروى منع الإخوة والأخوات الميراث مع الجد عن أبي بكر وعائشة وابن عباس وابن الزبير في عدد كثير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار والمسلمين ، وإلى هذا نذهب ، وبيانه مشروح فيما ألفناه من كتبنا في فرائض المواريث .

---

(١) قيل سميت بالخرقاء لتخرق أقوال الصحابة فيها ، أو لأن الأقاويل خرقتها لكثرتها ، انظر حاشية البقري على شرح متن الرحبية ٣٠ .

(لو حدثت أحداً لحدثتك)

وحدثني أحمد بن كامل ، قال : حدثني أبو عبد الله محمد بن القاسم المعروف بأبي العيناء [1] ، قال : أتيت عبد الله بن داود الحريبي [2] ، فقال لي : ما جاء بك ؟ قال : قلت : الحديث ، قال : اذهب فتحفظَ القرآن ، قلت : قد حفظتُ القرآن ، قال : فاقرأ : ﴿ واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ﴾ [3] ، قال : فقرأتِ العشر حتى أنفدْته ، قال : اذهب فتعلم الفرائض ، قال : قلت : قد حفظت الصلب والجد والكُبْر [4] ، قال : فأيما أقرب إليك ، ابن أخيك أو عمك ؟ قال : قلت ابن أخي ، قال : ولم ؟ قال : قلت : لأن ابن أخي من أبي ، وعمي من جدي ، قال : اذهب الآن فتعلم العربية ، قال : قلت ؛ قد علمتها قبل ذين ، قال : فلم قال عمر بن الخطاب حين طُعن : يالَلّه لِلْمُسْلمين ، لم فتح تلك اللام وكسر هذه ؟ قال : قلت : فتح تِلك للدّعاء وكسر هذه للاستنصار ، قال : لو حَدّثْت أحداً لحدثتك .

---

(١) أديب فصيح ، من ظرفاء العالم ومن أسرع الناس جواباً ، اشتهر بنوادره ولطائفه وكان ذكياً جداً حسن الشعر مليح الكتابة والترسل ، خبيث اللسان في سب الناس والتعريض بهم ، أصله من اليمامة ومنشأه ووفاته بالبصرة ، كف بصره بعد أن بلغ أربعين عاماً ، انظر معجم الأدباء ١٨/٥٠٤ ، ميزان الاعتدال ٣/١٢٣ ، تاريخ بغداد ٣/١٧٠ ، نكت الهميان ٢٦٥ .

(٢) الحريبي : نسبة إلى محلة بالبصرة ، وهو عبد الله بن داود الحافظ الورع الزاهد سمع الأعمش والكبار ، وكان من أعبد أهل زمانه ، توفي بالكوفة سنة ٢١١ هـ أو ٢١٣ ، انظر اللباب ٢/٣٢٦ ، شذرات الذهب ٢/٢٩ .

(٣) سورة يونس الآية ٧١ .

(٤) الكبر بضم الكاف وسكون الباء : أكبر ذرية الرجال ، وفي الخبر : « الولاء للكبر » وذلك مثل أن يموت رجل عن ابنين فيرثان الولاء ثم يموت أحد الابنين عن أولاد ، فلا يرثون نصيب أبيهم في الولاء ، وإنما يكون لعمهم الأكبر .
ويقال : فلان كبر قومه ، إذا كان أقعدهم في النسب ، وهو أن ينتسب إلى جده الأكبر بآباء أقل عدداً من باقي عشيرته . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/١٤١ .

قال القاضي : قلت لابن كامل حين أملّ هذا الحديث : ما أنصفه لِمَا أوقع به هذه المحنة ، وأسرع بما لم ينكره من الإجابة ، بمنعه ما التمس من الفائدة ، فضحك .

قال القاضي : هذا العشر الذي استقرأه الحُربي أبا العيناء يعرف بالصهيبي ويمتحن به من يتعاطى الحفظ من القراء،وله حديث نذكره فيما يأتي من مجالسنا هذه إن شاء الله ، وأما اللاّم في الموضعين من هذين فإن أئمة النحويين من الكوفيين والبصريين رَوَوْها مفتوحة في الموضعين (١) ، وإذا قيل : يا لَلْقوم ، فهو استغاثة تُفتح فيه لام المَدْعو ، وإذا قيل : لِلْماء فالكسر لازم لام المدْعُوّ له أو إليه ، كأنه قال : أدعوكم للماء ، وقال الشاعر :

يالَ بَكْرٍ انشروا لِي كُلَيْباً يالَ بَكْرٍ أين أين الفِرَارُ (٢) ؟

وقال الأعشى (٣) :

يالَ قَيْسٍ لِمَا لَقِينَا العَامَا

أي أدعوكم لهذا ، وشرح هذا الباب واستقصاء فروعه وعلله يطول ، وله موضع غير هذا .

---

(١) هكذا في الأصل ، ولم أعثر على هذا الرأي فيما بين يدي من مراجع ، وهو يخالف ما يورده المؤلف من أمثلة ، والمعروف أن لام المستغاث مفتوحة ولام المستغاث له مكسورة فلعله مجرد سهو منه .

(٢) البيت لمهلهل بن ربيعة التغلبي ، انظره في الإقناع ١١ ، وكتاب سيبويه ٣١٨/١ ، والعقد ٤٧٨/٥ ، وقوله : انشروا أي أعيدوا إلى الحياة ، والمهلهل يتوعد بكراً ويتهددهم لقتلهم أخاه كليباً كما هو معروف في حرب البسوس .

(٣) ديوانه ٢٠٢ ، وهو صدر بيت وعجزه :

ألعبد أعراضنا أم على مـــا

(وصية الحجاج بأهل البصرة)

حدثنا الحسين بن أحمد الكلبي ، قال : حدثنا محمد بن زكريا ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن عائشة ، قال : حدثني أبي ، قال : أراد الحجاج الخروج من البصرة إلى مكة فخطب الناس ، فقال : يا أهل البصرة إني أريد الخروج إلى مكة وقد استخلفتُ عليكم محمداً ابني وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله ﷺ في الأنصار ، فإنه أوصى في الأنصار أن يُقْبل من محسنهم ويُتجاوز عن مسيئهم ، ألا وإني قد أوصيته فيكم ألاّ يقبل من مُحْسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ، ألا وإنكم قائلون بعدي كلمةً ليس يَمْنعكم من إظهارها إلا الخوف ، ألا وإنكم قائلون : لا أحسن الله له الصَّحابة ، وإني مُعَجِّلٌ لكم الجواب : لا أحسن الله عليكم الخلافة [1] .

* * *

(١) انظر الخبر في المستطرف ١/٨٥ .

المجلس التاسع

(مؤرق وفضيلة كتمان السر)

حدثنا محمد بن مخلد بن حفص العطار ، قال : حدثنا حاتم بن أبي الليث الجوهري ، قال : حدثنا علي بن مهران الداري ، قال : حدثنا أبو زهر عبد الرحمن بن مغربي ، قال : حدثنا المفضل بن فضالة ، عن بكر بن عبد الله ، وثمامة بن عبد الله بن أنس ، قالا : حدثنا أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنه كان فيمن سلف من الأمم رجل يقال له مؤرق وكان متعبداً ، فبينما هو قائم في صلاته إذ ذكر النساء فاشتهاهنّ وانتشر حتّى قطع صلاته ، فغضب ِفأخذ قوسه فقطع وترها فعقده بمذاكيره وشدّه إلى عقبيه ، ثم مد رجله فانتزعها ، ثم أخذ طمريه [1] ونعليه حتّى أتى أرضاً لا أنيس بها ولا وحش ، فاتخذ عريشاً ثم قام يصلي ، فجعل كلما أصبح انصدعت له الأرض ، فخرج خارج منها ومعه إناء فيه طعام فيأكل حتّى يشبع ، ثم يدخل فيخرج له خارج بإناء فيه شراب ، فيشرب حتّى يروى ، ثم يدخل وتلتئم عليه الأرض ، فإذا أمسى فعل مثل ذلك ، ومرّ ناسٌ قريباً منه فأتاه رجلان من القوم فمرا تحت الليل فسألاه عن قصدهما

---

(١) الطمر : الثوب الخلق البالي .

فسمت لهما [1] بيديه ، فقال : هذا قصدكما حيث تريدان ، فسارا غير بعيد ، فقال أحدهما لصاحبه : ما يُسكن هذا الرجل ها هنا ؟ أرض لا أنيس بها ولا وحش ، ولو رجعنا إليه حتى نعلم علمه . فرجعا فقالوا له : يا عبد الله ما يقيمك بهذا المكان،بأرض لا أنيس فيها ولا وحش ؟ فقال : امضيا لشأنكما ودعاني ، فألحا عليه قال : فإني مُخبركما على أن من كتم على منكما أكرمه الله في الدنيا والآخرة ، ومن أظهر منكما أهانه الله تعالى في الدنيا والآخرة ، قالا : نعم قال : انزلا فلما أصبحا خرج من الأرض الذي كان يخرج من الطعام ومِثْلاَهُ معه فأكلوا حتى شبعوا ، ثم دخل فخرج عليهم شراب فيه إناء مثل الذي كان يخرج في كل يوم ومثلاه معه ، فشربوا حتى رووا ثم دخل فالتأمت الأرض ، فنظر أحدهما إلى صاحبه فقال : ما يُعْجِلُنا ؟ هذا طعامٌ وشرابٌ وقد علمنا سَمْتنا من الأرض ، امكث إلى العشاء فمكثاً فخرج إليهما في العشاء من الطعام والشراب مثل الذي خرج أول النهار ، فقال أحدهما لصاحبه : امكث حتى نصبح ، فمكثا فلما أصبحا خرج إليهما مثل ذلك ، ثم ركبا فانطلقا ، فأما أحدهما فلزم باب الملك حتى كان من خاصته ، وأما الآخر فأقبل على تجارته وعمله،وكان ذلك الملك لا يكذبُ أحدٌ في زمانه من أهل مملكته كِذْبة تُعْرَف إلاّ صَلَبه ، فبينما هو ليلة في السمر فحدثوا ما رأوا من العجائب أنشأ ذلك الرجل يُحَدِّث ، فقال:لأحدثنك أيها الملك بحديث ما سمعت بأعجبَ منه قط ، فحدثه بحديث الرجل الذي رأى من أمره ، قال الملك : ما سمعتُ بكذبٍ قَطُّ أعظمَ من هذا ، والله لتأتيني على ما قلت ببيّنة وإلاّ صَلَبْتُكَ ، فقال: بَيِّنتِي فلان ، فقال : رضاً [2] ائتوني به ، فلما أتاه،قال الملك: إن هذا حدثني أنكما مررتما برجل كان من أمره كذا

---

(١) سمت لهما : أي أوضح الطريق .

(٢) رضا : خبر لمبتدأ محذوف ، تقديره : هذا رضاً ، أو مفعول مطلق لفعل محذوف ، والتقدير : أرضى بهذا رضاً .

وكذا ، قال له الرجل : أيها الملك : أولستَ تعلم أن هذا كذب ، وهذا مما لا يكون ، ولو أني حدثتك بهذا لكان عليك من الحق أن تَصْلُبَني ، قال : صدقتَ وبَرَرتْ ، فأدخل الذي كتم في خاصته وسمره وأمر بالآخر فصلب ، فقال النبي ﷺ « فأما الذي كتَم عليه فقد أكرمه الله في الدنيا وهو مُكْرِمُه في الآخرة ، وأما الذي أظهر عليه فقد أهانه الله في الدنيا وهو مُهينه في الآخرة» ، ثم نظر بكر بن عبد الله المزني [1] إلى ثُمَامة بن عبد الله بن أنس [2] فقال : يا أبا المثنى : أسمعتَ جَدَّك أنَساً يحدِّث هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم .

(بدءُ أمر الخضر عليه السلام) [3]

حدثنا أبو بكر بن أبي داود ، قال : حدثنا حسين بن علي بن مهران ، قال : حدثنا عامر بن فرات ، عن أسباط ، عن السُّدِّي ، قال : كان ملك وكان له ابن يقال له الخِضر ، وإلياس أخوه — أو كما قال — فقال إلياس للملك : إنك قد كبرت وابنك الخضر ليس يدخل في مُلْكِك ، فلو زوجته ليكون ولده مَلِكاً بعدك ؟ فقال : يا بنيَّ تزوج ، فقال : لا أريد ، قال : لا بدَّ لك ، قال : فزوجني . فزوجه امرأةً بِكراً ، فقال لها الخضر : إنه لا حاجة لي في النساء فإن شئتِ عبدتِ اللهَ عزَّ وجل معي فأنتِ في طعام الملك ونفقته ، وإن شئت طلقتك ، قالت : بل أعبد الله معك ، قال : فلا تُظهري سِرِّي فإنك إن حفظتِ سرِّي حفظك الله ، وإن

---

(١) بكر بن عبد الله المزني ، نسبة إلى مزينة ، أبو عبد الله البصري ، محدث ثقة ، توفي سنة ١٠٦ هـ ، ترجمته في تهذيب التهذيب .

(٢) ابن مالك الأنصاري البصري ، قاضيها ، روى عن جده أنس والبراء بن عازب وأبي هريرة ولم يدركه ، تولى القضاء سنة ١٠٦ وعزله خالد بن عبد الله القسري سنة ١١٠ هـ ، انظر تهذيب التهذيب ٢/٢٨ — ٢٩ .

(٣) انظر هذا الخبر برواية أخرى في قصص الأنبياء ١٩٦ ، واردة ضمن حديث جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم في أثناء الإسراء به .

أظهرت عليه أهلك أهلكك الله ، فكانت معه سنة لم تلد ، فدعاها الملك فقال : أنت شابة وابني شاب فأين الولد وأنت من نِسَاء وُلْد ؟ فقالت : إنما الولدُ بأمر الله تعالى ، فدعا الخضر فقال : أين الولد يا بني ، فقال : الولدُ بأمر الله تعالى ، فقيل للملك : لعل هذه المرأة عقيمٌ لا تلد ، فزوّجه امرأةً قد ولدت ، فقال للخضر : طَلِّق هذه ، قال : لا تُفَرِّق بيني وبينها فقد اغتبطتُ بها ، فقال : لا بدّ ، فَطَلَّقها ، ثم زوّجه ثَيِّباً قد ولدت ، فقال لها الخضر كما قال للأولى ، فقالت : بل أكون معك ، فلما كان الحول دعاها فقال : إنك ثيب قد ولدت قبل ابني فأين ولدك ، فقالت: هل يكون الولد إلا من بعل؟ وبعلي مشتغل بالعبادة ولا حاجة له في النساء ، فغضب الملك وقال : اطلبوه . فهرب فطلبه ثلاثة فأصابه اثنان منهم فطلب إليهما أن يطلقاه فأبيا ، وجاء الثالث فقال : لا تذهبا به فلعلّه يضربُه وهو ولده فأطلقاه ، ثم جاءا إلى الملك فأخبره الاثنان أنهما أخذاه وأن الثالث أخذه منهما ، فحبس الثالث ، ثم فكر الملك فدعا الاثنين فقال : أنتما خَوَّفتُما ابني حتى هرب ، فذهب فأمر بهما فقُتِلا ، ودعا بالمرأة فقال لها : أنت هَرّبتِ ابني وأفشيتِ سره ، ولو كتمتِ عليه لأقام عندي ، فقتلها وأطلق المرأة الأولى والرجل ، فذهبت فاتخذت عريشاً على باب المدينة وكانت تحتطب وتبيعه وتتقوت بثمنه، فخرج رجل من المدينة فقير فقال : باسم الله ، فقالت المرأة : وأنت تعرف الله ؟ قال : أنا صاحبُ الخضر [1] ، قالت : وأنا امرأةُ الخضر ، فتزوجها وولدت له ، وكانت ماشطة ابنة فرعون [2] ، فقال أسباط ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنها بينما هي تمشط ابنة فرعون سقط المشط من يدها ، فقالت : سبحان ربي ، فقالت ابنة فرعون : أبي ؟ قالت : لا ربِّي

---

(١) أي أنا صاحبه الذي أطلقه حين أمر الملك بالبحث عنه .

(٢) أي فرعون زمانه لا فرعون موسى كما قد يتبادر إلى الذهن .

وزب أبيك ، قالت : أُخْبِرُ أبي ؟ قالت : نعم ، فأخبرته ، فدعا بها ، وقال : ارجعي ، فأبتْ فدعا بنقرة من نحاس فأخذ بعض ولدها فرمى به في النقرة وهي تغلي ، ثم قال : ترجعين ؟ قالت : لا ، فأخذ الولد الآخر حتى ألقى أولادها أجمعين ، ثم قال لها : ترجعين ؟ قالت : لا ، فأمر بها ، قالت : إن لي حاجة ، فقال : وما هي ؟ قالت : إذا ألقيتني في النقرة تأمر بالنقرة أن تحمل ثم تطفأ في بيتي الذي بباب المدينة وتُنَحِّي النقرة وتهدم البيت علينا حتى تكون قبورنا ، فقال : نعم إن لك علينا حقاً ، قال : ففعل بها ذلك ، قال ابن عباس : قال النبيّ ﷺ . مررتُ ليلةَ أُسْرِيَ بي فشَمَمْتُ رائحة طيبة ، فقلت : يا جبريل ! ما هذا ؟ قال : هذا ريحُ ماشطة ابنة فرعون وولدها (١) .

(التعليق على الخبر)

قال القاضي : في هذين الخبرين عظة ومعتبر ، وتنبيه لمن عقل ومُزْدَجر ، وفيما اقتضى فيها ما دعا ذوي النهي إلى الصدق وحفظ الأمانة ، وحَذَّر من ركوب الغدر والخيانة ، وفي خَزْنِ السِّر وحياطته وصونه وحراسته ، ما لا يحيل على الألباء وفور فضيلته ، كما لا يذهب عليهم ما في إفشائه وإضاعته ، من سقوط القدر ، وقبيح الذكر ، وما يُكسب صاحبه من حَطِّهِ عن منزلة من يشرف ويعتمد عليه ، ويؤتمن ويركن في جلائل الخطوب إليه ، والناس في هذين الخُلُقين المتناقضين مُعَافىً مُكْرم ، ومبتلى مذمّم ، وقد قال بعض من افتخر بالخلق الكريم منهما :

وأطعن الطعنة النجلاء عن عُرُضٍ
وأكتُمُ السِّرَّ فيه ضَرْبَةَ العُنُقِ (٢)

(١) الخبر بهذه الرواية وبرواية أخرى في قصص الأنبياء ١٩٦ .

(٢) النجلاء: الواسعة، والعرض : أي في أي ناحية كانت، والبيت لأبي محجن الثقفي وهو =

وقال بعض من خالف هذا في صفته ، وسلك خلاف محجته :

ولا أكتمُ الأسرارَ لكنْ أذيعُهـا
ولا أدعُ الأسرارَ تَغْلِي على قَلْبِي [1]

وما أتى من هاتين الخليقتين المتضادتين من منثور الأخبار ومنظوم الأشعار ما يتعب إحصاؤه ، ويمل استقصاؤه ، ولعلنا نَضَمَّن في مجالس كتابنا هذا منه ما يستفيده الناظر فيه ، إذا أتى ما يجرّه ويقتضيه ، إن شاء الله .

وذكرت من النوع الذي تضاد فيه فريقان فيما وصف به كل واحد منهما نفسه ، شيئاً أحببت أن أثبته فيما ها هنا ، وإن كان بابه أوسع من أن يُستوعى ، وأكثر من أن يستغرق ويستوفي ، وهو ما روى لنا أن منفوسة بنت زيد الفوارس لما أهديت [2] إلى قيس بن عاصم [3] قرَّبت إليه إهداء ، فقال لها : أين أكيلي ؟ فلم تدرِ ما يقول لها ، فأنشأ يقول [4] :

أيا ابنةَ عَبْدِ اللهِ وابنـةَ مالكٍ
ويابنةَ ذي البُرْدَيْن والفَرَسِ الوَرْدِ

= بالرواية التي هنا في العقد الفريد ١/٧٨ ، ورواية ديوانه ٢٦ لصدر البيت : وقد أجود وما مالي بذي فنع وهي رواية اللسان ١٠/١٢٨ ، وروايته في بهجة المجالس ١/٤٦٢ ، قد أركب الهول مسدولا ستائره ، وانظر عيون الأخبار ١/٣٨ ، اللسان ١/١١٩، ٦/٣٥٢ فثمة روايات أخرى .

(١) البيت لسحيم الفقعسي كما في بهجة المجالس ١/٤٦٠ ، وانظره في محاضرات الأدباء ١/٦٠ ، مجموعة المعاني ٧١ ، عيون الأخبار ١/٤١ دون نسبة .

(٢) أهديت : أي زفت .

(٣) شاعر فارس شجاع ، كان سيداً في الجاهلية والإسلام ، صحب النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وعاش بعده زماناً ، قال عنه الأحنف بن قيس : ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم ، ترجمته في الإصابة ٧١٨٨ ، ومختار الأغاني ٦/٢٠٩ – ٢١٩ .

(٤) الإهداء : ما يقدمه الأقارب من هدايا وألطاف للعروسين .

إذا ما صنعتِ الزّاد فالتمسِي لـــه
أكيلاً فإني لستُ آكِلَهُ وَحْدِي

أخاً طارِقاً أو جَارَ بَيْتٍ فإنني
أخافُ مَلامات الأحاديثِ مِن بعدي

وإني لعبدِ الضيف من غير ذلــة
وما فيّ إلا ذاك من شِيَمِ العَبْدِ (١)

فسمعه جار له وكان مبخلاً ، فقال :

لبيني وبين المرء قيس بن عـــاصم بما قال بون في الفعال بعيـــد
وإنا لنجفو الضيف من غير عسرة مخافة أن يغرى بنا فيعـــود

(عقبى الحسنى) (٢)

حدثنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك الشيباني ، قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الحسين بن قتبي ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا أحكم الأعمى ، عن أبي خالد بن محمد ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله بن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه، أن رجلاً من بني إسرائيل خرج في بعض حوائجه ، وكانت له امرأة فأوصى بها أخاه ، وسأله أن يتعهدها ويقوم بحوائجها وما تريد ، فكان يأتيها فيسألها عن بعض حوائجها وما

---

(١) ورد الخبر والأبيات لقيس بن عاصم في مختار الأغاني ٢١١/٦ ، والأغاني ١٥٠/١٢ ، والكامل للمبرد ٣٤٥/١ ، والواقع أن هذه الأبيات لحاتم الطائي يخاطب بها امرأته ماوية بنت عبد الله بن مالك ، ويعني بذي البردين جدها عامر بن أحيمر بن بهدلة ، ولقب بذلك يوم اجتمعت وفود العرب عند المنذر بن ماء السماء ، وأخرج المنذر بردين وقال : ليقم أعز العرب قبيلة فليأخذهما ، فقام عامر وأخذهما ، فلم ينكر عليه أحد ، انظر ذلك في خبر طويل في ديوان حاتم ٤٣ ، وانظر الأبيات منسوبة إليه أيضاً في عيون الأخبار ٢٦٢/٣ ، وشرح حماسة أبي تمام للتبريزي ٢٩٢/١ ، بهجة المجالس ٢٦٣/١ .

(٢) ورد الخبر التالي في كتاب الإلمام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في واقعة الإسكندرية للنويري ٢٧٨/٤ — ٢٨٠ .

تريد ، إلى أن رآها فوقعت في نفسه ، فراودها فأبت عليه ، فقال لها : والله لئن لم تفعلي لأهلكنك ، قالت : لا والله ما أنا بفاعلة ولا أنا متابعتك على ما تريد فافعل ما أنت فاعل ، فسكت عنها إلى أن قدم أخوه فتلقاه وسأله وحادثه إلى أن جرى ذكرها ، فقال : يا أخي علمت أنها راودتني عن نفسي وفعلت وفعلت ؟ فقال أخوه : أي شيء تقول ؟ قال : هو والله ما قلت لك ، فلما قدم الرجل لم تكن له همة إلا أن حملها ولم يسألها عن شيء تصديقاً لأخيه ، فأنزلها ليلاً وضربها بسيفه حتّى ظن أنه قتلها ثم مضى ، وإن المرأة بقي بها رمق ، فقامت تَدُبُّ إلى أن انتهت إلى أصل دير راهب فسمع أنينها فأشرف عليها من ديره ، فلما رآها نزل ودعا غلاماً له أسود فاحتملاها فأدخلاها الدير ، فلم يزل الراهب يعالجها حتّى برأت ، وكان له ابن صغير قد ماتت أمه ، فقال الراهب : إن شئت أن تذهبي فاذهبي ، وإن شئت أن تقيمي فأقيمي ، فقالت : بل أقيم فأخدمك أبداً ، فدفع إليها ابنه وكانت تربيه إلى أن وقعت في نفس العبد الأسود فراودها ، وقال : والله لئن لم تتابعيني لأهلكنك ، قالت : ما أنا بمتابعتك فافعل ما أنت فاعل ، فلما كان الليل جاء إلى الصبي وهو نائم بين يديها فذبحه ، فلما فعل ذلك مضى إلى الراهب فقال له : أما علمت ما كان من أمر هذه الخبيثة وما فعلت بابنك ؟ وترى هذه فعل بها ما فعل إلا من أمر عظيم قد أتتْه ، قال الراهب : ويحك وما فعلت بابني ؟ قال : ذَبَحتْهُ . فجاء الراهب فوجد ابنه متشحطاً في دمه ، فقال لها : ما هذا ؟ قالت : لا علم لي غير أن غلامك كان من أمره وكان ، فقصت عليه القصة ، فقال الراهبُ : قد شككْتني في أمرك ، ولست أحبّ مقامك معي ، فهذه خمسون ديناراً فخذيها وامضي حيث شئت تكون لك قوة ، فأخذَتْها ومضت حيث انتهت إلى قرية ، فإذا رجل قد قدم ليُصْلَب والناس مجتمعون والوالي ، فقالت للوالي — وقد يرفع الرجل على الخشبة — هل لك أن تأخذ مني خمسين ديناراً وتخلّي سبيل هذا الرجل ؟ قال : هات .

فحلّت كمها فدفعت إليه الخمسين ديناراً فخلى سبيل الرجل ، فقال لها الرجل : ما صنع أحدٌ بأحد ما صنعت لي أنت ، ولست بمفارقك ، أخدُمك حتى يفرق الموت بيننا . فمضى معها حتى انتهيا إلى ساحل البحر والناس يعبرون في السفن فدخل وأدخلها وكان لها هيئة وجمال ، فلما رآها أهل السفينة قالوا : من هذه المرأة منك ؟ قال : مملوكة لي ، وقد وقعت في نفس رجل منهم لما رآها ، فقال له الرجل : أتبيعها ؟ قال : إني لأكره بيعها ، ولو أردتُ ذلك ثم علمتْ للقيتُ منها أذىً لأنها تحبني ، وقد أخذت على ألا أبيعها أبداً ، قال الرجل : بعْها وخذْ مالَكَ واخرُجْ ولا تُعْلِمها ، فباعه إياها بمال كثير فدفعه إليه وأشهد عليه أهل السفينة وهي مع النساء ، وقرب إليه قارباً فرجع فيه وهي لا تعلم ومضوا في البحر ، فلما علم الذي اشتراها أنه قد تباعد ولا تقدر عليه قام يكلمها ويعلمها أنه قد اشتراها ، قالت : اتّق الله فإنّي امرأةٌ حُرّة ، قال : دعي هذا عنك فقد مضى صاحبك فلا تقدرين عليه ، فلا تَزَوّجِي بما لا تنتفعين به ، وأقبل أهلُ السفينة عليها وقالوا : يا عدوة الله ! قد اشتراك الرجل ونحن نشهد، قالت : ويحكم ! خافوا الله فإنّي والله امرأةٌ حرّة وما ملكني أحدٌ قطّ ، قالوا : قم إليها حتى تفعل بها كذا وكذا ، فإنك إذا فعلت ذلك سكنت ، فقام إليها فلما خافت على نفسها دعت الله عزّ وجل عليهم فإذا السفينةُ قد انقلبت بهم، فلم ينج منهم غيرها على ظهر السفينة، وكان للملك ذلك اليوم عيد على ساحل البحر من الجانب الآخر ، وهو واقف وأهل مملكته ، فلما رأى ذلك بعث من دخل عليهم في السفن فلم يقدر على غيرها ، فأخرجت إليه ، فساءلها عن أمرها ودعاها إلى التزويج فأبت ، وقالت : إن لي قصة وليس يجوز لي التزويج ، فصيّرها في دار فكان إذا ورد عليه الأمر الذي يَهُولُه أتاها فشاورها ، فتشير عليه فيرى في مشورتها البركة ، إلى أن حضر الملك فجمع أهل مملكته ، فقال : كيف كنت لكم ؟ قالوا : كالأب الرحيم فجزاك الله خيراً ، فقال : كيف رأيتم أول أمري

من آخره قالوا : كنت في آخر أمرك أحزم ، قال : فإن جميع ما رأيتم من ذلك كان بمشورة هذه المرأة ، وقد رأيت لكم رأياً ، قالوا: وما هو أيهـــا الملك ؟ قال : أمَلِّكُها عليكم من بعدي ، قالوا : فرأيك ، فملكها عليهم ومات الملك ، وإنها أمرت بحشر الناس إليها ليبايعوها ، فحشر الناس وجلست تنظر ، فمر بها زوجها وأخوه ، فقالت : اعزلوا هذين ، ثم مر بها المصلوب الذي باعها ، فقالت : اعزلوا هذا ، ثم مر بها الراهب وغلامه ، فقالت : اعزلوا هذين ، ثم صرفت الناس ودعت بهم فقالت لزوجها: تعرفني؟ قال : لا والله ، إلا أني أعلم أنك الملكة ، قالت : أنا فلانة امرأتك ، وإن أخاك فعل بي وفعل وخبرته الخبر ، وإن الله تعالى يعلم أنه لم يصل إليّ رجل منذ فارقتك ، ثم دعت بأخيه فقتل ، ثم دعت بالراهب فأجازته ، وقالت : ارفع إليّ ما كانت لك من حاجة ، وحدثته بقصة الغلام وما صنع بابنه ، ثم أمرت بالغلام فقُتل ، ثم دعت بالمصلوب وأمرت به أن يقتل ويصلب ، ففعل ذلك به ، ومكثت في ملكها ما أراد الله أن تمكث ثم ماتت .

(التعليق على الخبر)

قال القاضي : وإن مما تقدمت روايتنا إياه في هذا المجلس من التنبيه ما يبعث الألباء على تأمل عاقبة أعمالهم ، وما تؤثره نياتهم ومقاصدهم في أفعالهم، وحسن عُقْبى الحسنى وسوء مغبة السُّوءى. نسأل الله عز وجل أن يهب لنا بصيرة مؤدية لنا إلى السلامة والغنيمة في الدنيا والآخرة ، فلم ينلْ أحد خيراً إلاّ بتوفيقه وإحسانه،ولم يحلل به سوء في دنياه إلا بامتحانه ، ولا في دينه إلا بخُذْلانه .

(الوشاية منزلة بين الخيانة والإثم)

حدثنا ابن دريد ، قال : حدثنا أبو حاتم ، قال: أخبرني أبو الحسن

المدائني ، قال : وَشَى واشٍ بعبد الله بن هَمّام السّلُولي [١] إلى زيادٍ أنه هجاك فقال زياد للرجل : أجمع بينك وبينه ؟ قال : نعم ، قال : فبعث زياد إلى ابن همام فجيء به فأدخل الرجل بيتاً ، ثم قال زياد : يا ابن همام ! بلغني أنك هجوتني ، قال : كلا أصلحك الله ما فعلت ، ولا أنت لذلك بأهل ، قال : فإن هذا أخبرني – وأخرج الرجل – فأطرق ابن همام هنيهة ، ثم أقبل على الرجل فقال :

وأنت امرؤ إما ائتمنتك خالياً ... فخنت ، وإمّا قلت قولاً بلا علم
فأنت من الأمر الذي كان بيننا ... بمنزلةٍ بين الخيانة والإثم

فأعجب زياداً جوابُه ، وأقصى الساعي ولم يقبل منه [٢] .

(هذا سَوّارٌ ساقهُ الله إليك)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : قال أبو العباس محمد بن إسحاق بن أبي العنبس ، عن إسحاق بن يحيى بن معاذ ، قال : حدثني سَوّارٌ صاحب رحبة [٣] سوار ، قال : انصرفتُ يوماً من دار المهدي ، فلما دخلتُ منزلي دعوتُ بالغَدَاء فجاشَتْ نفسي [٤] وأمرت به فَرُدَّ ، ثم دعوتُ بالنرد ودعوت جارية لي ألاعبها فلم تطب نفسي لذلك ، فدخلت للقائلة فلم يأخذني النوم ، فنهضت وأمرت ببغلة لي شهباء

(١) عبد الله بن همام المري السلولي نسبة إلى أمهم سلول ، أما أبوهم فهو مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وهو من شعراء الدولة الأموية المجيدين ، انظر أخباره في الأغاني ١٤/١١٥ – ١٦٦ ، ومعاهد التنصيص ١/٩٦ ، وخزانة الأدب ٣/٦٣٩ .

(٢) وردت القصة في عيون الأخبار ١/٤١ على أنها كانت بين عبيد الله بن زياد وابن همام ، وانظر بهجة المجالس ١/٥٧٥ ، حماسة أبي تمام ٢/٩ ، محاضرات الأدباء ١/١٩٠ ، مجموعة المعاني ٧١ .

(٣) الرحبة : المكان الفسيح بين البيوت كالميدان .

(٤) جاشت : اضطربت ولم تهدأ كأنها تطالبه بحاجة لها .

فأسرجت فركبتها ، فلما خرجتُ استقبلني وكيل لي ومعه مال فقلت : ما هذا ؟ فقال : ألفا درهم جَبَيْتُها من مستغلِّك الجديد ، قلت : أمسكها معك واتبعني ، قال : وخليتُ رأس البغلة حتى عَبَرَتْ الجسر ثم مضيتُ في شارع دار الرقيق حتى انتهيت إلى الصحراء ، ثم رجعتُ إلى باب الأنبار فطوّفت ، فلما صرت في شارع باب الأنبار انتهيتُ إلى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب خادم ،افوقفت وقد عطشنا ، فقلت للخادم ، أعندك ما تسقيني ؟ قال : نعم ، وقام فأخرج قُلّة نظيفة حِيرِيّة طيبة الرائحة عليها مِنديل ، فناولني فشربتُ ، وحضر وقتُ العصر فدخلت مسجداً على الباب فصليت فيه ، فلما قضيتُ صلاتي إذ أنا بأعمى يتلمس ، فقلت : ما تريد يا هذا ؟ قال : إياك أريد ، قلت : وما حاجتك ؟ فجاء حتى قعد إليّ فقال : شممتُ منك رائحةَ الطِّيب فظننتُ أنك من أهل النعيم ، فأردتُ أن ألقي عليك شيئاً ، فقلت : قل ، قال : أترى باب هذا القصر ؟ قلت : نعم ، قال : هذا قصر كان لأبي فباعه وخرج إلى خراسان وخرجتُ معه ، فزالت عنا النعم التي كنا فيها ، فقدمت فأتيت صاحب الدار لأسأله شيئاً يَصِلُني به وأصير إلى سَوّار ، فإنه كان صديقاً لأبي ، قلت : ومن أبوك ؟ قال : فلان بن فلان ، قال : فإذا أصدقُ الناس كان لي فقلت له : يا هذا فإنّ اللهَ عزّ وجلّ قد أتاك بسَوّار ومنعه النومَ والطعامَ حتى جاء به فأقعده بين يديك ، ثم دعوتُ الوكيل وأخذتُ الدراهم منه ودفعتها إليه ، وقلت له : إذا كان غدٌ فصر إلى المنزل ، ثم مضيتُ فقلت : ما أحَدِّثُ أمير المؤمنين المهديَّ بشيء هو أطرف من هذا ، فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لي ، فدخلت إليه فحدثته فأعجبه فأمر لي بألفي دينار ، فأحضرت ، فقال : ادفعها إليه . قال : فنهضت ، فقال لي : أعليك دين ؟ قلت : نعم ، قال : كم ؟ قلت : خمسون ألف دينار . فأمسك وجعل يحدثني ساعة ، ثم قال : امض إلى منزلك ، فصرت إلى منزلي فإذا خادم معه خمسون ألف دينار فقال : يقول لك أمير المؤمنين

اقض بهما دينك . قال : فقبضتها ، فلما كان من الغد أبطأ عليّ المكفوفُ وجاء رسول المهديّ يدعوني فجئته، فقال: فكرت في أمرك وقلت: يقضي دينه ثم يحتاج إلى الحيلة والقرض ، وقد أمرتُ لك بخمسين ألف دينار أخرى ، قال : فقبضتها وانصرفت فأتاني المكفوفُ فدفعت إليه الألفي دينار ، وقلت : قد رزق الله تعالى بكرمه بك خيراً كثيراً ، وأعطيته من مالي ألفي دينار [1] .

(أبيات في التوديع) [2]

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : كنا عنده عشيــة — يعني أبا العباس أحمد بن يحيى — وذلك في سنة ثلاث وثمانين في شوال ، فجاءه أبو الحسن الأسديّ يودعه في خروجه إلى مكة، فقال له: لو كنا نحسن صَنَعْنا عند وداعك ما صنع غيرنا ، فقال : وما هو ؟ قال : قال أبو سعيد عبد الله ابن شبيب : أتيت هشام بن إبراهيم الأنصاري لأودعه في خرجة خرجها إلى المدينة ، فقال : لا أودعك حتى أغنيك ، فغنى :

وأنا بكيتُ على [3] الفرا ... ق فهل بكيتَ كما بكيتُ
ولطمتُ خدّي خاليــــاً ... ومَرَسْتُهُ حتى اشتفيتُ
وعــواذلي ينهيننِــــي ... عمن هَوَيْتُ فما انتهيــتُ

وقال أبو العباس بعقب هذا شيئاً لم أفهمْه إلا أنه تكلم في أنا بكيت أراد أنا بكيت بغير وقوف على الألف . قال : قال أبو سعيد : فجئتُ إلى الزبير لأودعه فحدثته بحديث هشام ، فقال : وأنا لا أودعك حتى أغنيك :

أزِف البَيْنُ المبــــين ... وَجَلا [4] الشكُّ اليقِــينْ

---

(١) انظر هذه القصة في المستطرف ٢٤٣/١ ، وذيل ثمرات الأوراق ٢٦٥/٢ .
(٢) الخبر التالي في أمالي القالي ١٦٣/١ ، ١٦٤ ، مع بعض اختلاف في السند والرواية .
(٣) في الأمالي : من .
(٤) في الأمالي : قطع .

لم أكنْ لا كنتُ أدري أنَّ ذا البينِ يكـــونْ
علّمُوني كيف أشْتَـــا ق إذا خَفَ القَطِـــينْ
حَنّتِ العِيسُ فأبكـــى مَنْ على العيسِ الحَنِينْ [1]

(حذف ألف أنا في الوصل)

قال القاضي : الكلام المشهور : أنا فعلت بغير ألف في الوصل [2] ، فإذا وقف المتكلم قال : أنا ، فأثبت الألف ، وإثباتها في الوصل لغة قد قرئ بها في مواضع من القرآن [3] ، وممن قرأ كذلك نافعٌ فيمن وافقه من أهل المدينة ، ومن هذه اللغة ، قول الشاعر :

أنا شَيْخ العَشِيرةِ فاعْرِفُونِي حَمِيداً قد تَذَرَّيْتُ السَّنَاما [4]

نصب حميداً على المدح والافتخار ، وقد قرأ بعض المتقدمـين ﴿ ونَحْنُ عُصْبَةً ﴾ [5] نصباً على هذا النحو من الاختصاص والافتخار.

---

(١) رواية هذا البيت في الأمالي :

حنت العيس فأبكـــاني من العيس الحنـــين

(٢) أي بحذف الألف التي بعد النون في الوصل .

(٣) وذلك مثل قوله تعالى : « قال أنا أحيي وأميت » في سورة البقرة ، وقوله تعالى : « إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني » في سورة طه ، فجمهور القراء على حذف الألف في الوصل ، لأن هذه الألف تأتي لبيان حركة النون وقفاً أما في الوصل فإن ما بعد (أنا) يقوم مقام ذلك ، وقد أثبت الألف وقفاً ووصلا نافع وابن أبي أويس ، وهي لغة بني تميم ، على أن ذلك شاذ عند الجمهور . انظر تفسير القرطبي ١٠٩٥ ، والبحر المحيط ٢٨٨/٢ .

(٤) البيت لحميد بن مجدل كما وردت نسبته في هامش تفسير القرطبي ١٩٠٥ ، وكلمة مجدل تصحيف والصحيح حميد بن بحدل الذي كان قهرماناً لعبد الملك بن مروان ، انظر عيون الأخبار ، هذا وقد ورد البيت في تفسير القرطبي مرتين : الأولى عند تفسير قوله تعالى : «أنا أحيي وأميت» في سورة البقرة والثانية عند قوله تعالى: « لكنا هو الله ربي » في سورة الكهف ، والرواية فيه : أنا سيف العشيرة بدل شيخ .

(٥) سورة يوسف ، الآية ٨ .

(أبيات لسوار يُغني بها)

حدثنا المظفر بن يحيى بن أحمد المعروف بابن الشرابي ، قال : حدثنا الحسين بن قصر ، قال : حدثنا الجرمي ، قال : دخلتُ حماماً في درب الثلج ، فإذا فيه سوَّارُ بن عبد اللهِ القاضي [1] في البيت الداخل قد استلقى وعليه المئزر ، فجلست بقربه فساكتني ساعة ثم قال : قد أحْشَمْتَنِي يا رَجُل ، فإما أن تَخْرُجَ أو أخرج فقلت : جئت أسألك عن مسألة ، فقال : ليس هذا موضع المسائل ، فقلت : إنها من مسائل الحمام ، فضحك وقال : هاتها ، فقلت : مَنِ الفتى الذي يقول :

سَلَبْتِ عظامي لَحْمَها فتَرَكْتِهَا
عوَارِيَ مِمّا نَالَهـا تتكسّرُ
وأخليتِها من مُخِّهـا فتركتِهـا
قواريرَ في أجوافها الريح تَصْفِـرُ
إذا سمعتْ ذكرَ الفراق تراعدت
مفاصلُهـا خَوفاً لما تَتَنَظّـرُ
خذي يدي ثم اكشفي الثوب فانظُرِي
بِلَى جَسَدي لكنني أتستّـرُ

فقال سوار : أنا والله قُلْتُها . قلت : فإنه يُغَنّي بها ويجود ، فقال : لو شهد عنديَ الذي يُغَنِّي بها لأجزتُ شهادته [2] .

قوله : أحشمتني لغة ، وحَشَمْتَني أكثر في العربية ، قال الشاعر :

---

(١) هو سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة العنبري البصري ، أبو عبد الله نزل بغداد وولي بها قضاء الرصافة ، وكان فقيهاً فصيحاً ، أديباً شاعراً وقد وثقه كثيرون منهم أحمد بن حنبل ، توفي سنة ٢٤٥ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٢٠٨/٩ .

(٢) انظر هذا الخبر في مصارع العشاقِ ١٧٤ هـ ، وانظر تاريخ بغداد ٢١٠/٩ .

لَعَمْرُكَ إنَّ قُرْصَ أبي خُبيبٍ
بَطِيءُ النُّضْجِ مَحْشُومُ الأَكِيلِ [1]

(ومن مأثور الحكم)

حدثنا محمد بن مَزْيَد الخزاعي ، قال : حدثنا الزُّبَير بن بكار ، قال : حدثني عليُّ بن محمد المدائني ، قال : قال ملك من ملوك الأعاجم لحكيم من حكمائهم : أيُّ الملوك أحزم ؟ قال : من ملك جَدُّه هَزْلَه ، وقهر رأيُهُ هَوَاه ، وعَبَّر فعلُه عن ضميره ، ولم يَخْدَعْهُ رضاهُ عن خَطَئِه ، ولا غَضَبُهُ عن كَيْدِه .

قال القاضي : هذا من أفصح لفظٍ وأحسنه ، وأوضحِ معنى وأبينه ، وأنشدنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : أنشدني أبي لبعض الأعراب :

ألا يا حَمَامَ الشِّعْبِ شِعْبَ مُؤَنّسٍ
سُقِيتَ الغَوادِي من حَمَام ومن شِعبِ
سُقيت الغَوادِي رُبَّ خَوْدٍ خَرِيدَةٍ [2]
أصاخَتْ لخفضٍ من غِنَائك أو نَصْبِ
فإن يرتحلْ صَحْبِي بجُثْمَانِ أعظُمِي
يُقِمْ قَلْبِيَ المحزونُ في منزل الرَّكْبِ [3]

• • •

(١) البيت في اللسان ١٣/٢٠ .
(٢) الخود : الشابة الناعمة الحسنة الخلق ، والخريدة : البكر لم تمس .
(٣) الخبر والأبيات في مصارع العشاق ٢٧١ .

المجلس العاشر

(رجل أحب قوماً)

حدثنا أحمد بن محمد أبو بكر بن أبي شيبة البزاز ، في المحرم سنة سبع عشرة وثلثمائة قال : حدثنا ابن حَسّان ، قال : حدثنا بقية ، قال : حدثنا شعبة ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : قيل : يا رسول الله ! رجل أحب قوماً ولما يعمل مثل عملهم ، قال : « هو منهم » قال : فما فرح أصحابُ رسولِ الله ﷺ بشيءٍ فرَحَهُم بهذا الحديث [1] .

(التعليق على الحديث)

قال القاضي أبو الفرج : أبان رسول الله ﷺ بما جاء عنه في هذا الحديث أن من تَولّى قوماً وأحبهم ، وكان راضياً بما أَتَوْه من أفعالهم فهو منهم ، في استحقاقه الثناء والمدح ، والتولي لمشاركته إياهم في اعتقاد ما يعتقدونه وفي استحسان ما يستحسنونه ، وكذلك الأمر في من تولى قوماً على

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بإسناده إلى ثابت بمثله ، انظر المسند ١٦٨/٣ ، ٢٢٨ ، ٢٨٨ ، وانظر تحفة الأحوذي ، أبواب الزهد : باب « المرء مع من أحب » الحديث ٢٤٩٣ ، ٧١/٧ ؛ تاريخ بغداد ١٩٦/٥ .

اعتقاد فاسد وفعل قبيح في أنه ملحق في الذم بهم ، وجار في سقوط المنزلة مجراهم :

وجاء في الخبر أن من حضر الفتنة فأنكرها فهو بمنزلة من غاب عنها ، ومن غاب عنها ورضي بها كان بمنزلة من شهدها ، وقد قال الله جل جلاله ﴿ يا أيُّها الذين آمنُوا لا تَتّخِذُوا اليَهُودَ والنّصارى أولياء ، بعضُهم أولياءُ بعضٍ ، ومن يتولّهُم منكم فإنّهُ منهم ، إنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظّالِمِين ﴾ [1] ، وقال جلّ اسمه : ﴿ المنافقون والمنافقات بَعْضُهُم من بعض ﴾ [2] ، وقال : ﴿ والمُؤْمِنُون والمؤمناتُ بعضهم أولياءُ بعض ﴾ [3] وما أتى به في هذا المعنى من الكتاب والسنة كثير جداً ، وقد نعى الله عز وجل على مَنْ كان منهم على عهد نبينا ﷺ من كَفَرة أهلِ الكتاب ما كان من قبل أسلافهم ومَنْ تقادم عهده من آبائهم أنبياءهم ، لرضاهم بذلك ودينونتهم به ، وتوليهم من تولى دونهم فعله ، وإن لم يدركوه ولم يباشروا ما تقدم منه ، ولم تَزل العرب تفتخر بما أتاه الماضون من آبائهم ، وتتمادح وتتعاير به ، وينسبونه في ألفاظهم إلى أنفسهم في أشعارهم وخطبهم لهذا المعنى ، وهذا مذكور على استقصاء بشواهده في كتابنا المسمى « البيان الموجز عن علوم القرآن المعجز » ، وإذا كان الأمر في هذا الفَصْل على ما وصفنا ، فتبين أن الراضي بالفعل والمؤتى له والدالّ عليه مشارك لفاعله فيما يكسبه من حمد أو ذم ، أو أجرٍ أو إثم، ولذلك أشرك رسول الله ﷺ بين من تولّى الحج عن غيره وبين من أوصى به ، وبين من نفذه في الأجر ، وبين آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهده في الوزر ، وبين العاصر والمعتصر ، والبائع والمشتري ، والحامل والمحمول

---

(١) سورة المائدة الآية ٥١ .
(٢) سورة الحشر الآية ٦٧ .
(٣) سورة التوبة الآية ٧١ .

إليه والساقي والشارب في اللعنة التي أوقعها في الخمر ، وقال ﷺ : « مَنْ كَتَمَ عَلَى غَالٍّ فهو مثله » وجاء في الكاتم على السارق سرقته أنه يشركه في عارها وإثمها ، وهذا الباب أكثر من أن يُحصى ، ولم يزل ذوو النهي وأولو البصائر والحجى يبعثون على إتيان المحاسن وفعل المكارم ويحضون عليها ، فيحسن الذكر لهم والثناء عليهم ، ويتوفر من جميل الأحدوثة عنهم ما يرى كثيراً على من باشر الفعل بنفسه ، وبذل في العرف خاصة ماله ، ولله در القائل (١) :

وإذا امْرُؤٌ أهدى إليكَ صَنيعَـةً   من جاهه فكأنّها من مَالِـه

وقد حدثنا أبو النضر أحمد بن إبراهيم بن إسحاق بن سعيد بن الحارث العقيلي ، قال : أخبرنا أبو الحسن محمد بن راهويه الكاتب ، قال : كتب إليّ سهل بن صالح الحلواني أن الحسن بن سهل (٢) كتب لرجل شفاعة ، فقام الرجل يدعو له ويشكره فقال له الحسن : على ما تشكرنا ونحن نرى كتب الشفاعات زكاةُ مروءاتِنا ، وأنشد :

فَرَضَتْ عليَّ زكاةُ ما مَلَكَتْ يَدِي
وزكاةُ جاهي أن أُعينَ وأشْفَعَـــا
فإذا ملكتَ فَجُدْ وإن لم تستطـعْ
فاجهدْ بوُسْعِكَ كلِّه أن تنفعا (٣)

---

(١) هو أبو تمام ، انظر البيت في ديوانه ٢٤٠ ، محاضرات الأدباء ٢٧٢/١ ، نهاية الأرب ٩١/٣ ، التمثيل والمحاضرة ٩٥ ، بهجة المجالس ٣٠٤/١ ، الموازنة ٢٨ ، أخبار أبي تمام ٦٤ .

(٢) كان وزيراً للمأمون بعد مقتل أخيه الفضل بن سهل، وهو والد بوران زوج المأمون،توفي سنة ٢٣٦ هـ .

(٣) الخبر في تاريخ بغداد ٣٢٢/٧ ، والبيتان في محاضرات الأدباء ٢٧٢/١ ، بهجة المجالس ٣٤٦/١ .

هكذا أمل علينا أبو النضر هذا الخبر من حفظه ، فقال فيه : فقام إليه يدعو له ويشكره ، وقال : على ما تشكرنا ؟ والفصيح من كلام العرب فشكر له ، تقول العرب : شكرت النعمة وشكرت للمنعم ، قال الله تعالى ﴿ واشْكُرُوا نعمةَ الله إنْ كُنتم إيّاهُ تَعبُدُون ﴾ (١) ، وقال : ﴿ قَالَ رَبِّ أوْزِعْنِي أنْ أشْكُر نِعْمَتَكَ التِي أنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ (٢) وقال تعالى ذكره : ﴿ واشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُون ﴾ (٣)،وقال : ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي ولِوَالِدَيْكَ ﴾ (٤) وقد جاء : شكرتُ فلاناً في لغةٍ قليلة، من ذلك قول الشاعر :

هُمُ جَمَعُوا نُعْمَى وبُؤْسي عليكمُ
فَهَلاَّ شكرتَ القَوْمَ إذْ لَمْ تُقَاتِلِ

وقال أبو نُخَيْلة السّعدي (٥) :

شكرتُكَ إنَّ الشُّكْر حَبْلٌ من التُّقَى
وما كلُّ من أوليته نعمةً يَقْضِي

قال القاضي : ولنا في هذا المعنى ، والكلام على فقهه، وبيان أصل ما

---

(١) سورة النحل الآية ١١٤ .
(٢) سورة النمل الآية ١٩ .
(٣) سورة البقرة الآية ١٥٢ .
(٤) سورة لقمان الآية ١٤ .
(٥) بعد هذا البيت بيت هو :
وأحييت من ذكرى وما كنت خامـلا ولكن بعض الذكر أنبه من بعض
انظر عيون الأخبار ١٦٥/١ ، معجم الشعراء ١٩٣ ، بهجة المجالس ٣١٣/١ ، اللسان ٩١/٦ .
وفيه : الشكر لا يكون إلا عن يد ، والحمد يكون عن يد وعن غير يد ، فهذا الفرق بينهما ، وقد استدل بهذا البيت ابن سيده على الفرق بين الحمد والشكر . قال بدليل قوله : وما كل من أوليته ... الخ .

يتفرع منه رسالة مفردة مستقصاة ، يَعجِزُ المتصورون لها ، ويَقِلُّ القائمون بها ، ونحمد الله على ظاهر نعمه وباطنها .

وأما قوله في هذا الخبر : على ما تشكرنا ، فقد بيّنا في مجلسٍ من مجالسنا هذه أن الفصيح من كلام العرب حذف الألف فيما يأتي في هذا الباب على لفظ الاستفهام ، كقولك : فيم أنت ، ولم فعلت ؟ وعلام تذهب ؟ وعم تسأل ؟ وذكرنا ما نستشهد به على هذا ، وبعض ما أتى على اللغة الأخرى الآتية بإثبات الألف بشواهده بما كرهنا إعادته ، ومن هذا الباب أيضاً : حتام كذا ، كما قال الكميت :

فتلك وُلاةُ السُّوءِ قد طال عَهْدُهُم
فَحَتّامَ حتّامَ العَنَاءُ المُطَوَّلُ (١)

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا محرز الكاتب ، قال : قال الحسن بن سهل : كُتُب الشفاعاتِ زَكَاةُ الجاه .

(امرأتك أكرمكم)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا أبو عكرمة الضبي ، قال : حدثنا سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدثنا أبو عبد الله الواقدي القاضي (٢) ، قال : جاءتني جارتي يوم عرفة ، فقالت لي : ما عندنا من آلة العيد شيءٌ ، فمضيت إلى صديق لي من التجار فعرفته

---

(١) البيت في المغنى ٤٩٨ برواية : قد طال مكثهم ، وانظره في شرح الأشموني ٨٠/٣ بالرواية التي هنا ، وقال فيه : كررت حتى للتأكيد ودخلت عليها ما الاستفهامية وحذفت ألفها اكتفاء بالفتحة .

(٢) هو محمد بن عمر بن واقد الواقدي ، أبو عبد الله ، مولى الأسلميين ، كان من أهل المدينة ثم انتقل إلى بغداد ، وولي بها القضاء للمأمون ، وكان عالماً بالمغازي والسير والفتوح والأخبار ، وهو صاحب كتاب مغازي رسول الله الذي طبع مؤخراً ، توفي سنة ٢٠٧ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٢١/٣ ، وفيات الأعيان ٥٠٦/١ ، الفهرست ١٤٤ .

حاجتي إلى القرض ، فأخرج إليّ كيساً مختوماً فيه ألف ومائتا درهم ، فانصرفت به إلى المنزل ، فما استقررت [1] جالساً حتى استأذن عليّ رجل من بني هاشم ، فذكر تَخَلُّفَ غلّته واختلال حاله وحاجته إلى القرض ، فدخلت إلى امرأتي فعجّبْتُها من ذلك ، فقالت : فما عَزْمُكَ ؟ قلت : أشاطره الكيس ، فقالت : والله ما أنصفت ، لَقِيتَ رجلا سُوقة فأعطاك شيئاً ، وجاءك رجلٌ له من رسول الله ﷺ رَحِمٌ فتعطيه نصف ما أعطاك السُّوقة ، فأخرجت الكيس بخاتمه فدفعته إليه ، ومضى صديقي التاجر يلتمس منه القرض فأخرج إليه الكيس بخاتمه ، فلما رآه عرفه فجاءني به ، ثم وافاني رسول يحيى بن خالد يقول : إن الوزير شُغِل عنك بحاجاتِ أمير المؤمنين وهو يطلبك ، فركبتُ إليه وحدثته حديث الكيس وانتقاله ، فقال : يا غلام ! هات تلك الدنانير ، فجاء بعشرة آلاف دينار ، فقال : خذ أنت ألفين ، وأعط الهاشميّ ألفين ، وصديقك التاجر ألفين ، وامرأتك أربعة آلاف دينار ، فإنها أكرمكم [2] .

قال القاضي : أمْلَى علينا أبو بكر بن الأنباري هذا الخبر في إثر خبر الواقدي مع يحيى بن خالد ، وهو يضارع هذا الخبر في الجملة ويناسبه ، وأنا ذاكره ، إن شاء الله .

(خبر الواقدي مع يحيى بن خالد)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا عامر ابن عمران بن زياد ، أبو عكرمة الضبي ، قال : حدثنا محمد بن يحيى العنبري ، عن أبي عبد الله الواقدي ، قال : كنتُ حَنّاطاً [3] بالمدينة أضاربُ [4]

---

(١) في الأصل : فما استقرت ، وصحتها ما أثبتنا .

(٢) انظر الخبر في تاريخ بغداد ٣/٢١ ، ثمرات الأوراق ١/٢٣١ .

(٣) الحناط : بائع الحنطة .

(٤) المضاربة في الشرع : عقد شركة في الربح بمال من رجل وعمل من آخر .

بمائة ألف درهم من مال الناس قِبَلِي ، فلزمني وضائع فشخصتُ إلى بغداد وقصدتُ يحيى بن خالد البرمكي ، فجلست في دهليز وآنست الخدَم والحاشية ، وعرّفتُهم حاجتي إلى الوصول إليه ، فقال لي بعضهم : إذا وُضع الطعام لم يُحْجَبْ عنه أحد ، فحينئذ أدخلك فأجلسك معه على المائدة ، ففعل بي ذلك ، وسألني يحيى عن خبري فشرحته له ، فلما غسلنا أيدينا دنوت منه أقبل رأسه فاشمأزّ منّي ، فلما صرت إلى الموضع الذي يركب منه إذ قد لحقني خادم بكيس فيه ألف دينار ، فقال : الوزير يقرأ عليك السلام ويقول لك : استعن بهذا على أمرك ، فأخذته وعدت في اليوم التالي فأجْلِستُ معه على المائدة ، فسألني عما سألني في اليوم الماضي ، كأنه لم يرني ، فلما غسلنا أيدينا دنوت لأقبل رأسه فاشمأزّ من ذلك ، فلما صرتُ إلى موضع الركوب لحقني الخادمُ بمثل ذلك الكيس ومثل تلك الرسالة ، فأخذته وانصرفت ، وفعل بي في اليوم الثالث مثل ذلك ، فلما كان اليوم الرابع وغسلنا أيديَنا دنوتُ لأقبل رأسه فلم يشمأزّ من ذلك ، وقال : إنما امتنعتُ من هذا فيما مضى لأنه لم يكن وصل إليك من معروفنا ما يَحْتمل هذا ، ثم قال : يا غلام ! سلم إليه الدار الفلانية ، يا غلام ! أفرشه الفرش الفلاني ، ثم قال : ادفعوا إليه مائة ألف درهم توجه في قضاء دينك واحمل عيالك إلى حضرتنا ، فقلت : إن رأي الوزير أن يأذن لي في الشخوص لأسلّم إلى غُرمائي حقُوقَهم فأنا بهم أعرف ، وأقْدُمَ بعيالي فأنا بهم أرْفَق . فقال : فلا تتأخرْ عنا ، وأمر لي بجائزة أخرى للشخوص ، فقدمت المدينة فقضيتُ دَيْني وقدمت بعيالي ، ولم أزل في ناحيته ومنقطعاً إليه (١) .

قال القاضي : وقد رُوينا في هذا المعنى من أبواب المكارم ما يعودُ من محمود مغبتها وحسن عاقبتها ، وجميل الأحْدُوثة عن أهلها ويأتي بالثناء

---

(١) انظر هذا الخبر مروياً عن ما هنا في تاريخ بغداد ٤/٣ ، ٥ .

عليهم ، وإن تصرمت أزمانهم ففقدت أعيانهم ، وقد جاء في تأويل قوله عز وجل : ﴿ واجْعَلْ لِي لِسَان صِدْقٍ في الآخرين ﴾ [1] أنّه الثناء الحسن ، وقد قال حاتم [2] :

أماويَّ إن المـالَ غادٍ ورائـحٌ
ويَبْقى من المال ، الأحاديثُ والذِّكْرُ

وقال آخر :

ثَمَنُ الإحسانِ شُكْـرُ ويَدُ المعروفُ ذُخْـرُ
وثناءُ الحيِّ بعد المَـوْ تِ للميِّـتِ عُمْـرُ

ولَعَمْري إن الزمان الذي يُثْنَى فيه على الميت بعد موته أحسن عمريه وأطولهما وأشرفهما وأفضلهما ، ومما قيل في هذا المعنى :

رَدَّتْ صنائعُهُ إليه حيَاتَـهُ فكأنَه من نَشْرِها مَنْشُورُ

(تعليق لغوي)

قوله : فكأنه من نشرها منشور ، فيه وجهان : أحدهما فكأنه من حياةِ ذكره والثناء عليه حيٌّ غيرُ ميت ، يقال : لفلان ذكرٌ حيٌّ إذا كان بادياً غير خامل ، وقد مات ذكر فلان إذا انقطع ، قال أبو نُخَيْلة :

فأحييتَ لِي ذكرى وما كنتُ خَاملا
ولكنَّ بعض الذِّكْرِ أنْبَهَ من بَعْضٍ [3]

---

(1) سورة الشعراء الآية ٨٤ .

(2) انظر ديوانه ٥٠ .

(3) سبقت الإشارة إلى البيت في صفحة ٣١١ .

والوجه الثاني : أن يكون عني بنشرها رائحتها الطيبة ، كما قال الشاعر :

سُقِيتُ دَماً إنْ لم أَرُعْكِ بِضُرَّةٍ
بَعِيدَةِ مَهْوَى القُرْطِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ [1]

وقال المرقِّش الأكبر :

النَّشْر مِسْكٌ والوُجُوهُ دنانيرٌ وأطْرَافُ الأكُفِّ عَنَمْ [2]

وقال امرؤ القيس [3] :

كأنَّ المُدَامَ وصَوْبَ الغَمَام
ونَشْرَ الخُزامَى وريحَ القُطُرْ

ويروى القَطَر ، القطر : العُود الذي يتبخّر به ، وقيل للمجمرة التي توضع فيها لتتبخر به : مقطرة ، اشتقاقاً منه ، قال المرقِّشُ الأصغر :

---

(١) البيت لأعرابي تزوج امرأة فلم توافقه ، فقيل له : إن حمى دمشق سريعة في موت النساء ، فحملها إليها ، وقال : قبل هذا البيت :

دمشق خذيها واعلمي أن ليلة تمر بعودي نعشها ليلة القدر

وقوله : أكلت دماً أجراه مجرى اليمين ، فكأنه يريد أن يقتل له قتيل ويعجز عن ثأره فيرضى بديته ، وقيل : إنهم في سني الجدب كانوا يفصدون نوقهم ويشربون دمها فدعا على نفسه بذلك ، وقوله : أرعك أي أفزعك ، وبهوى القرط : كناية عن طول العنق .

(٢) العنم : نبات أملس دائم الخضرة أزهاره قرمزية يتخذ منها خضاب ، وانظر البيت من قصيدة المرقش الأكبر في المفضليات ٢٣٨ ، والعمدة ١٤٩/١ ، والإقناع ٥٣ ، والمعيار ٨٠ .

(٣) البيت في ديوانه ١٥٧ ، وبعده بيت يعد تكملة له هو :

يعل بـه برد أنيابهـا إذا طـرب الطائر المستحر

والقطر : العود الذي يتبخر به ، وهو يصف هذا المرأة بأن رائحة فمها عند السحر يشبه الخمر وصوب الغمام الذي تمزج به الخمر وريح الخزامى والعود .

فيِ كلّ مَمْشىً لها مِقْطَرَةٌ فيها كبَاءٌ مُعَدٌّ وحَمِيم [1]

الكِبَاء ممدود : العود وقيل : ما يُتبخر به ، والكبا مقصور المزبلة ، وقوله : منشور فيه وجهان ، أحدهما : أن يكون معناه النشر المقابل للطيّ ، كما قال الشاعر :

طوى الموتُ ما بيني وبين محمــدٍ وليس لما تَطْوِي المنيةُ نَاشِرُ [2]

فجعل موته بمنزله ثوب أو غيره طُوِي ما كان منه ظاهراً وخفي ، وقد قال الشاعر :

فإن أظْهَرُوا خيْراً فَجَازِ بمثلــه
وإن همُ طَوَوْا عنك الحديثَ فلا تَسَلْ

وقال بعض المُحْدَثين :

فإن يَكُ هذا مِنْك جِدّاً فإنني
مُدَاوِي الّذي بَيْني وبَيْنَكِ بالهَجْرِ
ومنصرفٌ عنك انْصِرَافَ ابنِ حُرَّةٍ
طَوَى وُدَّهُ والطَيُّ أبْقَى على النّشْرِ

قال أبو العتاهية — وقد روى لنا عمن تقدم بزمان طويل [3] :

طَوَتْكَ خُطُوبُ دهرك بعد نَشْرٍ
كذاكَ خُطُوبه نَشْراً وطَيّــا

(١) البيت في اللسان ٦/٤١٩ ، والرواية فيه : يوم بدل ممشى ، قال ومعناه : أن لها ماء حاراً فيه رائحة العود تحم به .

(٢) البيت أول ثلاثة أبيات في ذيل الأمالي ٣٥ ، أنشدها التوزي لبعض الشعراء يرثي أخاً له .

(٣) انظر البيت ضمن خمسة أبيات في ذيل الأمالي ٣٥ ، وقد أوردها أبو علي القالي بقوله : حدثنا الرياشي عن العتيمي عن أبيه ، قال : رأيت امرأة بضرية جالسة عند قبر تبكي ، وتقول هذه الأبيات ..

ويقال للحديث إذا اشتهر واستفاض وتفرق : انتشر .

والوجه الثاني : أن يكون معنى منشور : مُحْياً ، وفي هذا الوجه لغتان يقال : أنشر الله الميت إنشاراً فنشر هو نُشُوراً ، وهذه أعْلى اللغتين ، وأكثرهما وأفصحهما وأظهرهما وبها جاء التنزيل ، قال الله تعالى ذكره : ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ (١) ، يقال من هذه اللغة : أنشره الله وهو منشره ، ونشر الميت (٢) فهو ناشر ، قال الأعشى (٣) :

لو أسْنَدَت ميْتاً إلى نَحْرِهَا عاش ولم يُنْقَلْ إلى قَابِرِ
حتّى يقولَ الناسُ ممّا رَأوْا يا عَجَباً للمَيِّتِ النَّاشِرِ

وقال الله أصدق القائلين : ﴿ أم اتَّخَذُوا آلِهَةً من الأرْضِ هُمْ يُنْشِرُون ﴾ (٤) واللغة الثانية : نَشَر الميت فهو منشور ، وهو أقل اللغتين ، وكثير من أهل العلم لا يعرفها وقد حُكِيَت لنا ، وممن حكاها أبو بكر بن دُريد، وقال الله عز وجلّ: ﴿ وانْظُرْ إلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُها ﴾ (٥) ، فأتتْ فيها ثلاث قِراءات، نُنْشِرُها بضم النون والراء(٦) بمعنى نحييها، كما قال عزّ ذكره: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رميم﴾(٧) ونَنْشُرُها بالراء أيضاً بفتح النون (٨) ، وفي هذه القراءة وجهان من

(١) سورة عبس ، الآية ٢٢ .
(٢) أي نشر هو بنفسه فهو ناشر .
(٣) انظر ديوانه ٩٤ ، والصناعتين ٩٣ ، والموشح ١١٤ .
(٤) الآية ٢١ من سورة الأنبياء .
(٥) سورة البقرة ، الآية ٢٥٩ .
(٦) وهي قراءة الجميع ما عدا الكوفيين وابن عامر .
(٧) سورة يس ، الآية ٧٨ .
(٨) وهي قراءة ابن عباس والحسن وأبي حيوة ، ورواها أبان عن عاصم ، وقال في القرطبي ١١٠٣ : هما لغتان في الإحياء بمعنى ، كما يقال : رجع ورجعته ، وغاض الماء وغضته ، قال : إلا أن المعروف في اللغة : أنشر الله الموتى فنشروا أي أحياهم الله فحيوا ، قال الله=

التأويل ، أحدهما النشر الذي هو خلاف الطيّ ، والآخر حَمْلُه على لغة من يقول : نشر الله الميت فنشر ، مثل جبر الله فجبر ، كما قال العجاج :

قد جَبَرَ الدِّينَ الإلهُ فجَبَرَ [1]

ومثله : فَغَرْتُ فاه ففغر إذا فتحته فانفتح ، ومثله : شحا فاه [2] وشَحَا فُوه .

والقراءة الثالثة : نُنْشِزها بالزاي بضم النون أي نرفع بعضها إلى بعض واستقصاء الكلام في معاني هذه القراءات وتسمية القراء بها وبيان ما

= تعالى : (ثم إذا شاء أنشره ويكون نشرها مثل نشر الثوب ، نشر الميت ينشر نشوراً أي عاش بعد الموت ، فكأن الموت طي للعظام والأعضاء ، وكأن الإحياء وجمع الأعضاء بعضها إلى بعض نشر ، وأما قراءة « ننشزها » بالزاي فمعناه نرفعها . والنشز : المرتفع من الأرض ، قال مكي : المعنى : انظر إلى العظام كيف نرفع بعضها على بعض في التركيب للإحياء ، لأن النشز الارتفاع ، ومنه المرأة الناشز ، وهي المرتفعة عن موافقة زوجها ، ومنه قوله تعالى : (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) أي ارتفعوا وانضموا . وأيضاً فإن القراءة بالراء بمعنى الإحياء ، والعظام لا تحيا على انفراد حتى ينضم بعضها إلى بعض ، والزاي أولى بذلك المعنى ، إذ هو بمعنى الانضمام دون الإحياء ، فالموصوف بالإحياء هو الرجل دون العظام على انفرادها ، ولا يقال هذا عظم حي ، وإنما المعنى فانظر إلى العظام كيف نرفعها من أماكنها من الأرض إلى جسم صاحبها للإحياء .

هذا هو توجيه هذه القراءات التي أوردها المؤلف هنا باختصار ، وثمة قراءات أخرى في الآية الكريمة ، انظرها في القرطبي والبحر المحيط لأبي حيان ، واللسان ٦١/٧ ، ٦٢ .

(١) بيت من الرجز تكملته : وعور الرحمن من ولي العور .

وهو من قصيدة طويلة مدح بها العجاج عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي ، وكان عبد الملك قد وجهه لقتال أبي فديك الحروري الخارجي فأقع به وبأصحابه ، انظر خزانة الأدب ٩٦/٢ ، وانظر البيت في مجموع أشعار العرب ١٥/٢ ، اللسان جبر ، خلق الإنسان للأصمعي ٢١٥ ، وخلق الإنسان لثابت بن أبي ثابت ٢٤٥ ، وإصلاح المنطق ٢٥٤ ، والأغاني ٣٥٢/٢٠ .

والشاهد في البيت استعمال الفعل جبر لازماً ومتعدياً ، يقال : جبر العظم جبراً وجبر العظم بنفسه جبوراً ، وقد جمعهما العجاج في البيت .

(٢) شحافاه: فتحه .

يختار منها يطول ، وهو مرسوم فيما ألفناه من كتبنا في القراءات وعلوم القرآن على الشرح والبيان .

ومما جاء في حسن الثناء ما أنشدناه عبيد الله بن محمد بن جعفر الأزدي ، قال : أنشدنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، قال : أنشدني أبو جعفر القرشي :

كُلُّ الأمور تَزُولُ عنك وتَنْقَضِي
إلاَّ الثَّنَاءَ فإنّه لك بَاقِ
ولو أنني خُيِّرت كلُّ فضيلة
ما اخترتُ غير محاسن الأخلاقِ

وقد روينا في بذل العطاء وما ينتج من حسن الثناء ما لم نر إطالة هذه المجلس به ، لأنا بنينا كتابنا هذا على تضمينه أنواعاً منثورة ، وغير جارية على أبواب مجموعة محصورة ، لئلا تتفاوت مجالس الكتاب في الطول والقصر ، ونحن نأتي من هذا الباب فيما نستقبله من هذه المجالس ما يتفق ويحضر أولاً أولاً ، إن شاء الله .

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا أبو العباس المبرد ، قال : أخبرنا التوزي ، عن أبي عبيدة ، قال : لما بلغ حاتم طيىء قول المتلمس :

قَلِيلُ المالِ تُصْلِحُهُ فيبْقَى
ولا يبقَى الكثيرُ على الفَسَادِ
وحفظُ المال خَيْرٌ من فَنَاهُ
وعسفٌ في البلاد بغَيْرِ زَادِ (٢)

(١) الخبر التالي كما هنا في المحاسن والمساوى للبيهقي ١/٣٠٨ ، خزانة الأدب ٣/٧٢ ، العقد الفريد ٣/٣٤ ولم يرد فيه بيت حاتم الثالث .
(٢) يرد البيت الثاني قبل الأول في ديوان المتلمس ، ورواية البيتين ثمة : =

قال : ما له قطع الله لسانه حمل الناس على البخل ، فهلاّ قال :

فلا الجُودُ يُفْنِي المالَ قبل فنائه   ولا البُخْلُ في مال الشّحِيح يَزِيدُ
فلا تلتمسْ مالاً بعيشٍ مُقَتَّـرٍ   لكلّ غدٍ رزقٌ يعودُ جديـدُ
ألم تر أن المال غادٍ ورائحٌ   وأن الذي يعطيكَ غيْرُ بعيـدِ

ولقد أحسن حاتم في قوله :

وأن الذي يُعْطِيك غيرُ بَعيدِ

ولو كان مُسْلِماً لرُجِيَ له بما أتى من هذا ما يغتبطه في معاده ، وقد أتى كتاب الله عز وجل في هذا المعنى بما يَعْجَزَ المخلوقون عن مساواته ، قال الله تعالى ذكره : ﴿ واسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِه ﴾ [(١)] ، وقال جلّ ثناؤُه : ﴿ وإذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فإنِّي قَرِيبٌ أجيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إذا دَعَانْ ﴾ [(٢)] .

(العباس بن الأحنف يؤتى به ليلاً لإجازة بيت) [(٣)]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي قال : حدثنا أبو محمد بن أبي سعد ، قال : حدثنا عبد الله بن الربيع ، قال : حدثني بعضُ أصحابنا ، قال : صنع الرشيد ذات ليلة بيتاً واضطرب عليه الثاني ، فقال : عليَّ بالعباس بن الأحنف ، فأُتِي به في جوف الليل على حالٍ من الذُّعْر عظيمة ، فقال له الرشيد : لا تُرَعْ ، قال : وكيف لا يكون ذلك ؟

= لحفظ المال أيسر من بغـاه   وسير في البلاد بغـير زاد
وإصلاح القليل يزيد فيـه   ولا يبقى الكثير مـع الفساد

انظر الديوان ١٧٢ ، ١٧٣ ، وانظر المراجع الكثيرة التي ساقها المحقق في تخريج البيتين مع غيرهما من أبيات القصيدة في صفحتي ١٦٣ ، ١٦٤ .

(١) سورة النساء الآية ٣٢ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٦ .

(٣) الخبر التالي في تاريخ بغداد ١٢/١٣٠ ، ١٣١ نقلا عما هنا .

وقد طُرِقْتُ في منزلي في مثل هذا الوقت فلم أخرج من منزلي إلا والراعبة فيه ، وأهلي لا يشكُّون في قتلي ، فقال : إنما أحضرتُك لبيت قلته صَعُب عليَّ أن أُشْفِعَهُ بمثله ، قال : ما هو ؟ قال :

جِنَــانٌ قد رأيناهــــا فَلَمْ نَرَ مِثْلَهَا بَشَرَا

فقال العباس :

يَزِيدُكَ وَجْهُهَا حُسْنَـا إذا ما زدته نَظَـــرَا
إذا ما الليلُ جَنَّ عَلَيْـ ـكَ بالإظْلام واعْتَكَـرا
ودَجَّ فلــم تَرَ قَمَــرا فأبْرِزْهــا ترى قمــرا

فقال الرشيد : أقل ما يجب لك علينا أن ندفع إليك ديتك إذ نزل بك هذا الرَّوْعَ بعيالك منا . فأمر له بعشرة آلاف درهم وصرفه .

(في صلة هذا الخبر)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا الغلابي ، قال : سئل ابن عائشة [1] عن أشعر المحدثين ، قال : الذي يقول :

كأنَّ ثيَابَهُ أطْلَعْـــــ ـن مـــن أَزْرَارِهِ قَمَرَا

قال أبو بكر الصُّولِي : فأخذ هذا المعنى أحمدُ بن يحيى بن العراق الكوفي فقال :

بَدَا وكَأنّمَــا قَمَــرٌ عَلَى أزْرَارِهِ طَلَعَــا

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر التيمي ، يقال له ابن عائشة والعائشي والعيشي نسبة إلى عائشة بنت طلحة لأنه من ذريتها ، وكان كثير العلم والسماع ، متصرفاً في الخبر والأثر كثير الفوائد ، ومن أجواد قريش ، توفي بالبصرة سنة ٢٨٨ هـ ، انظر المعارف ٥٩٨ ، والبيان والتبيين ١٠٢/١ ، ٣٢٠ .

بِحَتِّ المِسْكِ مِـــنْ عِرْقِ الجَبِينِ بَنَانُه وَلَعَا

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا أحمد بن إسماعيل ، قال : حدثني محمد بن يزيد المبرد ، قال : صرت إلى مجلس ابن عائشة وفيه الجاحظ والجماز [1] ، فسأله عيسى بن إسماعيل تينة : من أشعر المولدين ؟ فقال : الذي يقول :

كَأَنَّ ثِيَابَهُ أَطْلَعْـــنَ مِنْ أَزْرَارِهِ قَمَرَا
يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنَاً إذا ما زدتَه نَظَـرَا
بعينٍ خَالَـطَ التَفْتِيـرَ مِن أجْفَانِها الحَوَرَا
وَوَجْـهٍ سَـامِرِيٍّ إذ تَصَوَّبَ مَاؤُهُ قَطَرَا

يعني العباس بن الأحنف .

(في وجهه شافع) [2]

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا علي بن يحيى ، قال : كنتُ واقفاً بين يدي المعتضد وهو مقطب ، فأقبل بدرٌ فلما رآه من بعيد تبسم وأنشد :

في وَجْهِهِ شَافِـعٌ يمحُو إساءتَه من القُلُوبِ وَجِيهٌ حيثما شَفَعَا

ثم قال لي : لِمَنْ هذا ؟ قلت : يقوله الحكم بن قَنْبَر المازني البصري ، قال : أنْشِدْنِي باقي شعره ، فأنشدتُه :

لَهَفِي عَلَى من أطار النَوْمَ فامْتَنَعا
وزَادَ قَلْبِي على أوجَاعِهِ وَجَعَـا

---

(١) هو محمد بن عمرو بن عطاء بن ديسان ، شاعر بصري ، كان ماجناً خبيث اللسان ذا نادرة دخل بغداد أيام الرشيد وعاش بها ، وقد أعجب به المتوكل ذات مرة فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأخذها وانحدر بها إلى البصرة فمات فرحاً بها ، انظر تاريخ بغداد : ١١٢/٣ .

(٢) الخبر التالي في مصارع العشاق ٢٧١ .

كأنما الشمسُ من أعْطَافه لَمَعَتْ
حُسْناً إلى البَدْرِ من أزراره طلعا

مستقبلٌ بالذي يَهْوَى وإن عَظُمَتْ
منه الإساءة مَعْذُورٌ بما صَنَعَا

في وجهه شافعٌ يمحُو إساءتـه
من القلوب وجيهٌ حيث ما شفعا

قال الصُّولي : وأخذ هذا المعنى أحمد بن يحيى العراق الكوفي فقال :

بَدَا فكأنّما قَمَرٌ

وأنشد البيتين ، ثم قال الصولي : حدثني أبو عبد الله حرمي الكاتب ، قال : حدثني أحمد بن يحيى العراق ، قال : خرجتُ من بغداد أريد الكوفة واكتريت حِمَاراً فتألمتُ من ركوبه ، وكان مع المكاري عدّةٌ من الحمير للكراء غَيْرَه ، ففكرتُ في أن أسأله إبداله لي بغيره فابتدأ يُغَنّي :

بدا وكأنما قمر على أزرارِه طَلَعا

فقلتُ : أعْلِمْه أنّ الشعر لي حتّى يسهلَ عليه إبداله حماري ، فقلت : لمن هو ؟ فقال : لمن أمه ألف مؤاجرة ، جروالك جر [1] ، فخفت والله أن أزداد فيزيدني ، ومر بي من الحمار شدة .

(القول في معنى : في وجهه شافع)

قال القاضي : يتجه في قوله : في وجهه شافع يمحو إساءته من القلوب ، أن يكون المعنى : يمحو من القلوب الإساءة فيزيلها منها ، ويجوز أن يكون

---

(١) والك : كلمة نداء باللهجة العامية العراقية . تقال في الحث والزجر .

المعنى : في وجهه شافع من القلوب وجيه ، ويكون في الكلام تقديم وتأخير ، ويكون من القلوب من صلة شافع ، ويشهد لهذا أنه قد روى هذ البيت من طريق آخر :

في وجهه شافعٌ يمحو إساءتَـهُ ... مُشَفَّعٌ ووجيهٌ حيث ما شفعا

فعلى هذا : من القلوب صفة لشافع كمشفع ، والتقديم والتأخير إذا دلت جملة الكلام على معناه وعلى موضع كل شيء منه ، كثير في اللغة مشهور في العربية . قال الله عز وجل : ﴿الحَمْدُ للّه الّذي أنْزَلَ على عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً﴾ (١) .

وقال الشاعر :

إذا شاب الغُرَابُ لقيتُ أهـلي ... وصار القَارُ كاللَّبَنِ الحَليبِ (٢)

(الأصمعي يعادي ابن الأحنف)

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : قال لي أبو العباس محمد بن يزيد المبرد الثُّمالي : كان الأصْمَعِيُّ يُعادي عباس بن الأحنف ، فقال عباس يوماً وهو بين يدي الرشيد والأصمعي بالحضرة :

إذا أحببتَ أن تَعْـ ... ـمَلَ شَيْئاً يُعْجِبُ النّاسَا
فَصَوِّرْ هَا هُنـا فَـوْزا ... وصَوِّرْ ثَـمَّ عَبّاسَا
وَدَعْ بينهمـا فِتْـراً ... فإن زِدْتَ فلا بَأسَـا
فإن لم يَدْنُـوَا حَتّى ... ترى رأسَيْهمـا رَاسَـا

(١) سورة الكهف ، الآية ١ ، والشاهد في الآية قوله تعالى : قيما ، فقد أخر الحال عن صاحبها وهو الكتاب ، وأصل الكلام : الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيماً .

(٢) الشاهد فيه قوله : وصار القار كاللبن الحليب ، فقدم وأخر ، وأصل الكلام : وصار اللبن الحليب كالقار .

فكذّبْها بمـــا قاسَتْ وكذبـــه بما قاســـا

فقال الرشيد : ما رأيتُ معنى أحسن من هذا . فقال الأصمعيُّ : قد سبقه إلى هذا المعنى رجلٌ من العرب ورجل من النّبَط ، فقال : ما قال العربي ؟ قال : كان رجل يقال له عُمر يحبُّ جارية يقال لها قمر ، فقـــال :

إذا أحببتَ أن تُبْـــ ـــصر شيئاً يُعْجِب البَشَرَا
فَصَوِّرْ هَا هُنَا قَمَراً وصَوِّرْ ها هنا عُمَـــرَا
فإن لم يَدْنُوا حـــتى تَرَى بَشَرَيْهِما بَشَرا
فكذّبهـــا بمـــا ذَكَرَتْ وكذبـــه بمـــا ذَكَرَا

قال الرشيد : فما قال النَبَطيُّ ؟ قال : كان رجل يقال له زَوْرا يحب جارية يقال لها فَلْقا ، فقال :

إذا أحببت أن تعـــ ـــمل شيئاً يعجب الخَلْقَا
وتسمـــع صوت معشـــو قين لاقي في الهوى رَبَقَـــا
فصوّر هـــا هُنـــا زَوْرَا وصَوِّر ها هنا فَلْقَـــا
فإن لم يَدْنُـــوَا حتى ترى خَلْقَيهما خَلْقَـــا
فكذّبهـــا بما لاقـــتْ وكَذّبـــه بما يَلْقَـــى

(تعليق نحوي)

قال القاضي : هكذا رواه لنا الكوكبي . فصور ها هنا فوزاً بالصرف ، وترك الصرف أعلى ، وكان الزجاج لا يجيز صرف شيء من الأسماء المؤنثة إلا في ضرورة الشعر ، وكان جميع من تقدم من النحاة يجيز في مثل هند ودعد ، وما كان وسطه من أسماء المؤنث ساكناً ويختارون ترك الصرف في غير الشعر .

وقوله : حتى ترى رأسيهما رأساً ، ثنى الرأس في اللفظ ، والفصيح فيه وفيما كان في الجسد منه واحد أن يؤتى به على لفظ الجميع في تثنيته

وجمعه، قال الله تعالى : ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما ﴾[1] واللغة الأخرى معروفة ويبين ذلك قول أبي ذؤيب [2] :

فَتَخَالَسَا نَفْسَيْهِمَا بنوافِذ
كنوافِذِ العُبطِ التي لا تُرْقَعِ

ويروى العُبُط وهو جمع عبيط ، يقال : اعتبط الرجل إذا هلك شاباً ، واعتبط البعير إذا نُحِر فَتيا ، قال أمية بن أبي الصلت [3] :

من لم يَمُتْ عَبْطَةً يمت هَرَمَا ... للموتُ كأسٌ والمرءُ ذَائِقُها

والدم العبيط : الطريّ ، ويروى كنوافذ العطب وهو جمع عطبة ، وهي القطعة من القطن ، مثل غرفة وغُرف وحُجرة وحُجَر .

أنشدنا ابن دريد ، قال : أنشدني أبو حاتم ، عن أبي عبيدة :

لِي صاحبٌ ليس يَخْلُو ... لسانه عن جِرَاحِي
يُجِيدُ تمزيق عِرضي ... على طريق المُزَاحِ [4]

* * *

---

(١) سورة التحريم الآية ٤ .

(٢) ديوان الهذليين ٢٠/١ ، وهو يصف في البيت فارسين أنفذ كل منهما سيفه في صاحبه فاختلس نفسه وذلك بطعنه طعنات نوافذ تشبه في اتساعها ونفاذها وعدم التئامها شقوقاً في ثياب جدد لا ترقع بعد شقها ، وهي شقوق الجيوب وأطراف الأكمام والذيول إذ هي التي لا ترقع بعد أن تشق ، وهي العبط بضمتين الواحد عبيط، من العبط وهو شق الثوب ونحوه صحيحاً .

(٣) البيت في ديوانه ٤٢ ، عيون الأخبار ٣٧٤/٢ ، اللسان (عبط) ، الكامل للمبرد ٤٣ منسوباً لرجل من الخوارج وكذلك ذكر في الموشح ١٢٢ رواية عن الأصمعي ، وورد بدون نسبة في الخزانة ٤٥٧/١ .

(٤) نسب البيتان لأبي جعفر الطبري في بهجة المجالس ٥٦٨/١ ،ووردا دون نسبة في محاضرات الأدباء ١٣٧/١ .

المجلس الحادي عشر

(نعم الإبل الثلاثون)

حدثنا بدر بن الهيثم الحضرمي الكوفي ، قال : حدثنا محمد بن عمر بن الوليد قال : حدثنا أبو أسامة ، عن محمد يعني ابن شريك ، قال : سمعت عطاء يقول : قال أبو هريرة ، قال النبي ﷺ : « نِعْمَ الإبلُ الثلاثُون ، يُنْحَرُ سَمِينُها ويُحْمل على نَجِيبِها »[1] .

(التعليق على الحديث)

قال القاضي : قد نبّه النبي ﷺ في هذا الخبر على أن هذا العدد من الإبل قَصْدٌ من المال ، وأشار بمدحه فيه إلى من نحر السمين منها وحمل على النجيب ، فدلّ على فضل من نحر المال لسبل المعروف ووجوه البر ، وأومأ إلى الترغيب في قري الضيف وإنفاق أعلى الظهر وبث المكارم العائدة بالأجر وجميل الذكر ، ولم يزل الألبّاءُ يؤثرون بذل النوال وإفاضة

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بإسناده إلى محمد بن شريك ، المسند ٢/٤٤٦ – ٤٤٧ ، ولفظه فيه : « نعم الإبل الثلاثون ، يحمل على نجيبها ، وتعير أداتها ، وتمنح غزيرتها ، ويحيبها يوم وردها إلى أعطانها » .

الإفضال ، تَزَوُّداً ليوم العرض ، وصيانة للعرض ، ورغبة في إحراز الذكر ، وحُسن القالة وجميل الذكر ، على تشعب الأمور الباعثة لهم على كريم السخاء وشريف العطايا .

(فمن جُودِ مَعْن بن زائدة)

حدثنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك الشيباني ، قال : حدثنا محمد بن يزيد النحوي ، قال : حدثنا قَعْنَب ، قال : قال سعيد بن سلم [1] : لما ولي المنصور معن بن زائدة أذربيجان قصده قوم من أهل الكوفة ، فلما صاروا ببابه واستأذنوا عليه فدخل الآذن فقال : أصلح الله الأمير ، بالباب وفد من أهل العراق ، قال : من أيِّ العراق ؟ قال : من الكوفة ، قال : ائذن لهم ، فدخلوا عليه فنظر إليهم معنٌ في هيئة زَرِيّة ، فوثب على أريكته وأنشأ يقول :

إذا نَوْبَةٌ نابتْ صديقك فاغْتَنِمْ
مَرَمّتَها فالدهرُ بالناس قُلَّبُ
فأحسنُ ثَوبيْكَ الذي هــو لابِسٌ
وأفْرَهُ مُهْرَيك الذي هو يركب
وبادر بمعروفٍ إذا كنت قــادراً
زوال اقتدارٍ أو غنى عنك يُعْقِبُ [2]

قال : فوثب إليه رجل من القوم ، وقال : أصلح الله الأمير ، ألا أنشدك أحسن من هذا ؟ قال : لمن ؟ قال : لابن عمك ابن هرمة ، قال : هات ، فأنشأ يقول [3] :

---

(١) القصة التالية في ثمرات الأوراق ٢٠٨/٢ ، تاريخ بغداد ٢٣٧/١٣ ، نقلا عن ما هنا .
(٢) يعقب : يتحول .
(٣) وردت الأبيات التالية في ديوان ابن هرمة ٢٣٥ ،نقلا عن تاريخ بغداد ومجموعة المعاني =

وللنفس تاراتٌ تَحُلُّ بها العرى
وتَسْخُو عن المال النفوس الشحائحُ

إذا المرءُ لم ينفعْك حيّاً فنفعُه
أقلُّ إذا ضُمّتْ عليه الصفائحُ

لأية حالٍ يمنعُ المرء مالَـــــهُ
غدا فغدا والموتُ غاد ورائحُ

قال معن : أحسنت والله وإن كان الشعر لغيرك ، يا غلام ! أعطهم أربعة آلاف يستعينوا بها على أمورهم إلى أن يتهيأ لنا فيهم ما نريد ، فقال الغلام : يا سيدي ! أجعلها دنانير أم دراهم ، فقال معن : والله لا تكون همتك أرفع من همتي ، صفّرها لهم [1] .

(ومن سخاء يزيد بن المهلب)

حدثنا إسماعيل بن يونس بن أبي اليسع ، قال : حدثنا أحمد بن أبي الحارث ، قال : حدثنا المدائني ، قال : جاء رجل إلى يزيد بن المهلب [2] فامتدحه ، فأحمد عقله وفصاحته فجعله أحد ندمائه ، وكان ينصرف في كل يوم من عطيته بمائة دينار ، فلما أن أراد الرحيل والانصراف إلى أهله أمر له بثلاثة آلاف دينار ثم قال : إني — والله — ما أستقلُّها تَكَبُّراً ولا أستكثرها امتناناً ، ولا أستزيدُك بها ثناءً ولا أقطع لك بها رجاءً .

= ٣٤ ، ونسبت في سمط اللآلي ٨٠٤ إلى حسان بن الغدير أحد بني عامر بن ثور ، وانظر البيتين الأولين في المزهر ٢/٢٨١ .

(١) صفرها لهم : أي اجعلها ذهباً ، فالأصفر هو اسم الذهب .

(٢) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، من أمراء الدولة الأموية ، وقوادها ، ولي خراسان بعد أبيه سنة ٨٣ هـ ، ولكن الحجاج كان يكرهه لسؤدده ونجابته فأشار على عبد الملك بعزله فعزله سنة ٩٢ هـ ، ثم حبسه الحجاج فهرب من سجنه ونزل على سليمان بن عبد الملك ، ولكن ما لبث أن حبسه عمر بن عبد العزيز فهرب من سجنه أيضاً ، ولما تولى يزيد بن عبد الملك خرج عليه فأرسل إليه أخاه مسلمة فقتله سنة ١٠٢ هـ ، انظر تاريخ الطبري ٨/٢٠ .

(ليلى الأخْيلِيَّةُ ووفودها على الحجاج)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد ، عن أبي الحسن المدائني ، عمن حدثه ، عن مولى لعَنْبَسَةَ ابن سعيد بن العاص ، قال : كنت أدخل مع عنبسة إذا دخل على الحجاج ، فدخل يوماً ودخلت إليهما وليس عند الحجاج أحد غير عنبسة ، فقعدت فجيء الحجاج بطبق فيه رُطَب ، فأخذ الخادم منه شيئاً فجاءني ، ثم جاء بطبق آخر فأتاني الخادم منه بشيء ، ثم جيء بطبق آخر حتى كثرت الأطباق ، وجعل لا يؤتون بشيء إلا جاءني منه بشيء حتى ظننت أن ما بين يدي أكثر مما عندهم ، ثم جاء الحاجب فقال : امرأة بالباب ، فقال الحجاج : أدْخِلْها . فدخلت ، فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننت أن ذقنه قد أصاب الأرض ، فجاءت حتى قعدت بين يديه فنظرت إليها فإذا امرأة قد أسنت ، حسنة الخَلْق ، ومعها جاريتان لها ، وإذا هي ليلى الأخيلية ، فسألها الحجاج عن نسبها [1] فانتسبت له ، فقال لها : يا ليلى ! ما أتاني بك ؟ قالت : إخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد [2] وشدة الجهد ، وكنتَ لنا بعد الله الرفد [3] ، فقال لها : صفي لنا الفجاج ، فقالت : مُغْبَرة والأرض مقشعِرّة [4] ، والمبرك معتل ، وذو العيال مختل [5] ،

---

(١) نسبها هو : ليلى بنت عبد الله الرحال – وقيل : ابن الرحالة – بن شداد بن كعب بن معاوية ويعرف بالأخيل الذي تنسب إليه، ابن عبادة بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن صعصعة . وهي من النساء المتقدمات في الشعر من شعراء الإسلام ، وكان توبة بن الحمير يهواها ، وهو توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل ، انظر الأغاني ١١/٢٠٤ .

(٢) أخلاف النجوم تريد به امتناع المطر ، وكلب البرد : شدته .

(٣) في الأغاني وأمالي القالي : الرد أي الكهف والمعقل .

(٤) الفجاج : جمع فج ، وهو كل سعة بين نشازين من الأرض ، ومقشعرة أي متقبضة من المحل .

(٥) المختل : المحتاج .

والذل القتل ، والناس مُسْنِتُون ، رحمةَ الله يَرْجون ، وأصابتنا سنون مجحفة مبلطة (١) ، لم تدع لنا هُبَعاً ولا رُبَعاً ، ولا عافطَة ولا نافطة (٢) ، أذهبت الأموال ومزقت الرجال وأهلكت العيال ، ثم قالت : قد قلت في الأمير قولاً ، قال : هاتي ، فأنشأت تقول :

أحجّاجُ لا يُفْلَلْ سلاحُك إنما الْـ ... مَنَايَا بكفِّ الله حَيْثُ يَرَاها
أحجاجُ لا تعطي العُداةَ مناهـمُ ... ولا اللهُ يعطي للعُداة مُناها (٣)
إذا هبط الحجاجُ أرضاً مريضـة ... تتبع أقصى دائها فشفاهـا
شفاها من الداء العُضال الذي بها ... غلام إذا هزَّ القناةَ سقَاها (٤)
سقَاها فرواها بشِرْبِ سِجَالُهُ ... دماءَ رجالٍ حيثُ قال حشاها (٥)
إذا سمع الحجاج رِزَّ كتيبة (٦) ... أعدَّ لها قبل النزول قِراهـا
أعدَّ لها مَسْمومةً فارسيّـة ... بأيدي رجال يَحْلِبُون صَرَاها (٧)
فما ولد الأبكارُ والعُونُ مثلَه ... ببحرٍ ولا أرضٍ يَجِفُّ ثَرَاها (٨)

قال : فلما قالت هذا البيت ،قال الحجاجُ : قاتلها الله ! ما أصاب صفتي شاعر منذ دخلت العراق غيرها ، ثم التفت إلى عنبسة بن سعيد ،

---

(١) المبلطة : المقفرة ، أي تلزق الناس بالبلاط وهو الأرض المستوية .

(٢) سوف يشرح المؤلف معنى هذه الألفاظ فيما يلي من الخبر .

(٣) في الأصل : والله لا يعطي العداة مناها ، وهي مختلة الوزن ، وقد أثبتنا رواية المراجع الأخرى .

(٤) يروى أن الحجاج قال لها حين سمع هذا البيت : لا تقولي غلام ، بل قولي همام .

(٥) السجال جمع سجل بفتح السين وسكون الجيم ، وهي الدلو العظيمة ، والرواية في مصارع العشاق : حيث قال حماها ، ورواية الأغاني للبيت :

سقاهـا دماء المارقين وعلهـا ... إذا جمحت يوماً وخيف أذاها

(٦) الرز : الصوت تسمعه من بعيد .

(٧) الصرى : بقية اللبن ، والصرى أيضاً : اللبن يبقى فيتغير طعمه ، ورواية الأغاني : مصقولة فارسية بدل مسمومة .

(٨) رواية المراجع : بنجد ولا أرض الخ ، ولعل ما هنا أصح لتظهر المقابلة .

فقال : والله إني لأعد للأمر عسى ألا يكون أبداً ، ثم التفت إليها ، فقال : حسبك ، فقالت : قد قلت أكثر من هذا ، قال : حسبك ويحك حسبك ، ثم قال : يا غلام ! اذهب بها إلى فلان فقل له : اقطع لسانها ، فقال له : يقول لك الأمير : اقطع لسانها ، قال : فأمر بإحضار الحجام ، والتفتت إليه وقالت : ثكلتك أمك ، أما سمعت ما قال ، إنما أمرك أن تقطع لساني بالبر والصلة فبعث إليه يستثبته ، فاستشاطَ الحجّاج غضباً وَهَمَّ بقطع لسانه ، وقال : اردُدْها ، فلما دخلت عليه ، قالت : كاد — وأمانة الله — أيُّهَا الأمير يقطعُ مِقْولي ، ثم أنشأت تقول :

حَجّاجُ أنت الذي ما فوقه أحدٌ
إلا الخليفةُ والمستَغْفَرُ الصَّمَدُ
حجاجُ أنت شهاب الحرب إنلقحت[1]
وأنت للناس نُورٌ في الدُّجَى يَقِدُ

ثم أقبل الحجّاج على جلسائه ، فقال : أتدرون من هذه ؟ قالوا : لا والله أيها الأمير ، إلا أننا لم نر امرأة قط أفصح لساناً ولا أحسن محاضرة ولا أصبح وجهاً ولا أرصن شعراً منها ، فقال : هذه ليلى الأخْيَلِية التي مات توبة الخفاجي من حبها ، ثم التفت إليها ، فقال : أنشدينا يا ليلى بعض ما قال فيك توبة ، فقالت : نعم أيها الأمير ، هو الذي يقول :

وهل تبكين ليلى إذا متُّ قبلها
وقامتْ على قَبْرِي النِّسَاءُ النَّوَائِحُ
كما لو أصاب الموتُ ليلى بكيتُها
وجَادَ لها دمعٌ من العين سافحُ
وأُغْبَطُ من ليلَى ، بمالا أنالُهُ
بَلَى كُلُّ ما قَرَّتْ به العَيْنُ صَالِحُ

---

(١) لقحت الحرب أو العداوة : هاجت بعد سكون فهي لاقح .

ولو أن ليلى الأخيلية سَلَّمَــتْ
عَلَيَّ وفَوقِي تُرْبة وصَفَائِـحُ
لسلّمتُ تسليم البَشَاشَةِ أوزَقَا (١)
إليها صَدىً من جانب القبر صَائِـحُ

فقال لها : زيدينا يا ليلى من شعره ، فقالت : نعم ، هو الذي يقــول :

حمامةَ بطن الوادِيَيْنِ تَرَنَّمِي
سقاكِ من الغُرِّ الغَوَادِي مَطِيرُها (٢)
أبيني لنا لا زَالَ ريشُكِ ناعمــاً
ولا زلتِ في خَضْراء دَانٍ نَضِيرُها (٣)
وأشرفُ بالقَوْزِ اليَفَاع لعلّــني
أرى نار ليلى أو يرانِي بَصِيرُها (٤)
وكنت إذا ما جئتُ ليلى تَبَرْقَعَتْ
فقد رابني منها الغَدَاةَ سُفُورُها
يقول رجالٌ لا يُضيرُكَ نأيُهــا
بلى كلُّ ما شفَّ النفوسَ يضيرُهــا
بلى قد يضير العينَ أن تكثُر البكـ
ـى يُمَنَّع منها نومُها وسرورُها

(١) زقا : صاح ، والصدى ، المقصود به هنا طائر كالبومة كانت العرب تزعم أنه يخرج من رأس القتيل ويصيح : اسقوني اسقوني حتى يؤخذ بثأره .
(٢) الغوادي : جمع غادية ، وهي السحابة تنشأ فتمطر غدوة ، والغر : البيضاء أو الكريمة الفعــال .
(٣) رواية الأمالي : غض نضيرها ، وفي الأغاني : دان بريرها ، والبرير : شجر الأراك .
(٤) القوز : الكثيب من الرمل ، وفي الأصل : القور تحريف ، واليفاع : المشرف ، ويراني بصيرها : أي يراني البصير الجالس إلى جوارها ، وواضح أنه يريد بالبصير ليــل .

وقـد زعمتْ ليلى بأنّيَ فـاجرٌ
لنفسي تقاها أو عليها فجورُهـا

فقال الحجاجُ : يا ليلى ! ما الذي رابه من سفورك ؟ قالت : أيها الأمير ! كان يُلِمّ بي كثيراً فأرسل إليَّ يوماً : أني آتيك ، ففطن الحيُّ فأرصدُوا له ، فلما أتاني سَفِرْتُ فعلم أنَّ ذلك لشرّ ، فلم يزد على التسليم والرجوع ، فقال : لله دَرُّك ! فهل رأيتِ منه شيئاً تكرهينه ؟ قالت : لا ، والله الذي أسأله أن يُصلحك ، غير أنه قال لي مرة قولاً ظننتُ أنه قد خضع لبعض الأمر فأنشأت أقول :

وذي حاجة قُلنا لا تَبُحْ بهـا   فليس إليها ما حييتَ سبيـلُ
لنا صاحبٌ لا نبتغي أن نخونه   وأنتَ لأخرى صاحبٌ وخَليلُ (١)

فلا والله الذي أسأله أن يصلحك ما رأيتُ منه شيئاً حتى فرّق الموتُ بيني وبينه ، قال : ثم مه ، قالت : ثم إنه لم يلبث أن خرج في غزاةٍ له فأوصى ابنَ عمه : إذا أتيتَ الحاضر من بني عبادة فناد بأعلى صوتك :

عفا اللهُ عنها هل أبيتَنَّ ليلـةً   من الدَّهْر لا يسرِي إليَّ خيَالُها

فخرج وأنا أقول :

وعنه عفا رَبّي وأحْسن حَالَهُ   فعزَّ علينا حاجةً لا ينالُها

قال : ثم مه ، قالت : ثم لم يلبث أن مات فأتى نعيه ، قال : فأنشدينا بعض مراثيك فيه ، فأنشدته :

---

(١) رواية الأغاني : وأنت لأخرى فارغ وحليل ، وفي الأمالي : صاحب بدل فارغ ، وحليل المرأة زوجها ، وهي حليلته ، لأن كليهما يحال الآخر أي يكون معه في محل واحد .

كأن فتى الفتيان توبةَ لم يُنِـخ
قلائص يفحصن الحصى بالكَرَاكِرِ[1]
لِيَبْكِ العذارى من خفاجة نسوةٌ
بماءِ شئونِ العَبْرة المُتَحادِرِ [2]

فلما فرغتْ من القصيدة ، قال محصن الفقعسي ، وكان من جُلساء الحجاج : من الذي يقول هذه هذا فيه ، فوالله إني لأظنها كاذبة ، فنظرت إليه ثم قالت : والله أيها الأمير إن هذا القائل لي لو رأى توبة لسرَّهُ ألا يكونَ في داره عذراءُ إلا وهي حامل منه ، فقال له الحجّاج : هذا وأبيك الجواب ، وقد كنت عنه غنياً ، ثم قال لها : سلي ياليلى تُعْطَيْ ، قالت : أعط فمثلك أعطى فأحسن ، قال : لك عشرون ، قالت : زِدْ فمثلك زاده فأجمل [3] ، قال : لك أربعون ، قالت : زد فمثلك زاد فأفضل ، قال : لك ستون ، قالت : زد فمثلك زاد فأكمل ، قال : لك ثمانون ، قالت : زد فمثلك زاد فتمّم ، قال : لك مائة ، واعلمي يا ليلى أنها غنم ، قالت : معاذَ اللهِ أيها الأمير ، أنت أجودُ جُوداً وأمجد مجداً وأورى زِنْداً من أن تجعلها غنماً ، قال : فما هي ويحك يا ليلى ؟ قالت : مائة ناقة برعاتها ، فأمر لها بها ، ثم قال : لك حاجة بعدها ، قالت : تدفع إليَّ النابغةَ الجَعْديّ [4] في قَيْد ، قال : قد فعلتُ ، وقد كانت تهجوه

(١) فحص الشيء : كشفه ، والكراكر : جمع كركرة (بالكسر) وهي رحى زور البعير أو صدره .

(٢) شئون العين : مجاريها الدمعية ، هذا وقد ورد البيت في قصيدة أخرى لها في رثاء توبة ، وروايته في الأغاني :

لتبك عليه من خفاجة نسوة بماء شئون العبرة المتحدر

ويلاحظ أن قافيته ليست مردفة بالألف كما ذكر المؤلف .

(٣) في الأصل : فأحسن ، وفوقها كلمة غير مقروءة ، وقد أثبتنا ما في مصارع العشاق .

(٤) هو عبد الله بن قيس ، أو قيس بن عبد الله ، من بني جعدة بن كعب بن ربيعة وكان =

ويهجوها ، فبلغ النابغة ذلك فخرج هارباً عائذاً بعبد الملك بن مروان فاتبعته فهرب إلى قتيبة بن مسلم [1] بخراسان فاتبَعَتْه على البريد بكتاب الحجاج إلى قتيبة ، فماتت بقُومِس [2] ويقال بحلوان [3] .

(ذكر السبب في وفاتها)

وقد ذكر في وفاتها أمرٌ عجيب يخالف ما في هذه الرواية ، وأنا بعون الله ذاكر ما حضرني منه ومتبعه البيان عما يشكل من غريب هذا الخبر إن شاء الله .

= معمراً ، ويقال إنه عاش أكثر من مائة وثمانين عاماً ، ونادم المنذر أبا النعمان، ثم عاش حتى أدرك الرسول صلى‌الله‌عليه‌وسلم وأسلم . انظر الأغاني ٥/١ – ٣٤، المعمرين ٨١ ، الشعر والشعراء ٢٤٧ .

وكان النابغة شاعراً متقدماً ، أوصف الناس لفرس ، ولكنه كان مغلباً ما هاجى قط إلا غلب ، هاجى أوس بن مغراء وليلى الأخيلية وكعب بن جعيل فغلبوه جميعاً ، وكان سبب المهاجاة بينه وبين ليلى الأخيلية ، أن رجلا من قشير يقال له ابن الحيا هجاه وسب أخواله من أزد في أمر كان بين قشير وبين بني جعدة وهم بأصيهان متجاورون، فأجابه النابغة بقصيدته التي يقال لها القاصمة ، سميت بذلك لأنه ذكر فيها مساوىء قشير وعقيل وكل ما كانوا يسبون به ، فدخلت بينهما ليلى الأخيلية وهاجته ودافعت عن قومها ، فهاجاها وأفحش ثم استمر الهجاء بينهما إلى أن غلبته ، انظر بعض أشعارها في ذلك في الأغاني ٥/١٥ – ١٧ .

(١) قتيبة بن مسلم الباهلي عامل الحجاج على الري ثم خراسان ، قام بأعمال جليلة في الفتوح الإسلامية وقتل بفرغانة سنة ٩٦ هـ غدراً ، فقال فيه بعض الأعاجم : يا معشر العرب ، قتلتم قتيبة ! والله لو كان قتيبة منا فمات فينا جعلناه في تابوت ، فكنا نستفتح به إذا غزونا ، انظر المعارف ٤٠٦ ، وتاريخ الطبري ، حوادث سنة ٩٩ هـ .

(٢) قومس بكسر الميم : كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع ، وهي في ذيل جبال طبرستان وقصبتها الشهيرة دامغان وهي بين الري ونيسابور ، انظر معجم البلدان ٤/٢٠٧ .

(٣) حلوان : بلدة في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد ، وكانت مدينة كبيرة عامرة ، المعجم ٢/٣١٧ .

فمما رويناه من وفاة ليلى الأخيلية ما حدثناه محمد بن أحمد بن أبي الثلج ، قال : حدثنا حسين بن فهم ، قال : حدثني محمد بن يحيى الأزدي ، عن القُتَبي قال : قال توبة بن الحمير :

ولو أنّ ليلى الأخْيَلِيّةَ سلمت
علي وفوقي جَنْدَلٌ وصفائحُ
لسلمتُ تسليم البشاشة أوزَقَا
إليها صَدىً من جانب القبر صائحَ
وأغبط من ليلى بما لا أناله
بلى كل ما قرّت به العين صالح

قال : فلما قُتل توبة وأتى بعد مقتله دهر ، اجتاز زوج ليلى الأخيلية وهي معه على قبر توبة ، فقال لها : يا ليلى ! هذا قبرُ توبة الذي يقول :

لسلمتُ تسليم البشاشة أوزقا
إليها صدىً من جانب القبر صائحُ

ناديه حتى يجيبك كما زعم ، قالت : اذهبْ عنك [1] ، فأبى وألحّ وحلف عليها أن تناديَه ، قال : فاستعبرتْ ثم نادت : يا توبة ، قال : ويزقُو ثعلب [2] كان إلى جانب القبر فخرج يصيح ويفوت ناقة ليلى ، فسقطت عنها فارتاعت لذلك واحتملها زوجها فذهب بها فكان ذلك سبب موتها ، عاشت أياماً ثم ماتت .

(خبر ثان في ذلك)

ومن ذلك ما حدثناه محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ،

---

(١) اذهب عنك : أي اترك هذا الأمر .
(٢) يزقو : يصيح .

قال : حدثني أبو العباس الأزدي قال : خرج زوج ليلى الأخيلية بليلى ، فمرَّا على قبر توبة بن الحُمَيِّر ، فقال لها : يا ليلى هذا الذي يقول فيك :

ولو أنّ ليلى الأخيلية سلمت عليَّ وفوقي تُربة وصفائحُ
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا إليها صدى من جانب القبر صائح

فقال : أنتِ طالقٌ إن لم تُسلِّمي عليه حتى أنظر ما يرد عليك ، فقالت : وما دعاك إلى عظام قد رُمّت ، قال : هو ما سمعتِ ، فدنت منه ، فقالت : السّلاَمُ عليك يا توبة فتى الفتيان وسيد الشبّان ، قال : وكانت قَطَاة [1] قد عَشّشَتْ في جانب القبر ، فلما سمعت الصوتَ نَفَرت وخرجت تقول : قَطَا قَطَا [2] ، فلما سمعت ناقةُ ليلى الصوتَ نَفَرَتْ بليلى فسقطت فاندقت عُنقها ، فدفنت إلى جانبه .

(خبر آخر عجيب في ذلك)

ومن أعجب ما روى لنا في هذه القصة ، ما حدثنا أبي رضي اللهُ عنه ، قال : حدثنا أبو أحمد الخُتّلي ، قال : أخبرنا عمر بن محمد بن الحكم النّسائي ، قال : حدثني إبراهيم بن زيد النيسابوري : أن ليلى الأخيلية بعد موت توبة تزوجت [3] ، ثم إن زوجها بعد ذلك مر بقبر توبة وليلى معه ، فقال لها : يا ليلى تعرفين هذا القبر ؟ فقالت لا ، قال : هذا قبر توبة فسلِّمي عليه ، فقالت : امض لشأنك فما تريد من توبة وقد بَلِيتْ

---

(١) القطاة : واحد القطا ، وهو نوع من اليمام يؤثر الحياة في الصحراء ويتخذ أفحوصه في الأرض ، ويطير جماعات ويقطع مسافات شاسعة وبيضه مرقط .

(٢) قطت القطاة : صوتت .

(٣) المعروف أن ليلى الأخيلية تزوجت في حياة توبة ،فهو قد شبب بها أولا ثم تقدم يخطبها، وكالعادة المعروفة عند العرب ، رفض أبوها ذلك وزوجها رجلا من بني الأدلع ، انظر الأغاني ١١/٢٠٤ .

عِظَامَه ، قال : أريد تكذيبه ، أليس هو الذي يقول :

ولو أنّ ليلى الأخيلية سلمت
على ودُوني تُربة وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا
إليها صدى من جانب القبر صائح

فوالله لا برحتُ أو تسلّمي عليه ، فقالت : السلام عليك يا توبة ورحمك الله وبارك لك فيما صرت إليه ، فإذا طائرقد خرج من القبر حتى ضرب صَدْرها فشهقت شهقة فماتت فدفنت إلى جانب قبره فنبتت على قبره شجرة وعلى قبرها شجرة فطالتا فالتفتا (١) .

(التعليق على الخبر بأكمله)

قال القاضي : قول ليلى الأخيلية في هذا الخبر الذي قدمنا روايته : أصابتنا سنون مجحفة مبلطة ، فمجحفة التي قد جَهِدَتْهم وأصارتهم إلى اختلال أحوالهم ، والنقص البين في وفرهم وأموالهم ، قال الشاعر :

لو قد نزلتَ بهم تُريدُ قِراهُـمُ   مَنَعُوكَ من جُهْدٍ ومن إجحافِ

والمبلطة على نحو هذا المعنى ، وهي التي فرقت جماعتهم ، وشَتَّتَتْ شملهم ، وفرقتهم للقحط الذي لا مقام معه ، والجدب الذي لا صبر عليه ، وقد حدثنا المظفر بن يحيى قال : حدثنا أحمد بن محمد بن بشر المرثدي ، قال : أخبرني أبو إسحاق طلحة بن عبد الله الطلحي قال : أخبرني أحمد بن إبراهيم ، قال : أخبرني القرمطي الوالبي : الإبلاط غاية الجهد والحاجة ، قد أبلط الرجل ، والسنة المبلطة التي قد أكلت كل شيء فلم تدع شيئاً .

(١) ثمة خبر آخر أورده أبو الفرج في الأغاني ٣١/٢٤٤ ، يقول : إن ليلى هي التي سلمت على قبر توبة بغية تكذيبه ، وأن زوجها نهاها عن ذلك فلم تنته ، قال : وهو الصحيح من الأخبار عن ذلك .

وقولها : لم تدع لنا هُبَعاً ولا ربَعاً : الربع من الإبل التي تأتي في أول النتاج والهبع التي تأتي في آخره [1] ، قال الشاعر :

ولا وجد ثكلى كما وَجِـدَتْ ولا امُّ أضلها رُبَـعُ

وقال الأعشى :

تلوي بعِذقٍ خضاب كلّما خَطَرَتْ
عن فَرْجِ مَعْقُومة لم تَتبع رُبَعا [2]

ويقال له رِبعي ، قال الشاعر :

إنّ بَنِيَّ صبيةٌ صَيْفِيُّون أفلح من كانَ له رِبْعيُّون [3]

وقال آخر :

إذْ هي أحْوَى من الرِّبْعِيِّ ، حاجِبُهُ
والعينُ بالإثمد الحاريِّ مكحولُ

وروى أن دراهم أصحاب الكهف كانت كأخفاف الرِّبْع [4] ، ويروى أن يونس عليه السلام لما جعل النبوة تفسّخَ تحتها كما يتفسخ الرِّبْعُ تحت الحِمْل الثقيل [5] .

---

(١) زاد في اللسان هذه العبارة توضيحاً ، فقال : الفصيل ينتج في الربيع ، وهو أول النتاج ، والهبع : الفصيل الذي ينتج في الصيف .

(٢) البيت في ديوانه ١٠٧ ، وهو يصف فيه ناقته ، وقبله :

بذات لوث عفرناة إذا عثرت فالتعس أدنى لها من أن أقول لعا

والعذق : قنو النخلة ، والخضاب : النخلة الكثيرة الحمل ، والمعقومة : الناقة التي لم تلد ، والمعنى أن هذه الناقة تعصر عذق النخلة حين تطأه بأقدامها وهي تهتز وتتبختر ، وكونها لم تحمل ولم تلد أدعى لقوتها .

(٣) سبق هذا البيت وما بعده وتفسيرهما .

(٤) أي كبيرة ثقيلة ، انظر هذه العبارة في قصص الأنبياء ٣٨٢ .

(٥) يروى عن يونس عليه السلام أنه كان قليل الصبر على قومه والمداراة لهم ، ولذا نهى

وقولها : ولا عافِطة ، تريد الواحدة من الضأن ، ولا نافطة : الواحدة من المَعِز ، يقال : نفطت العَنْز وعفطت الضائنة ، وهما منهما كالامتخاط والاستنثار من الناس ، فكأنها قالت : لم تدع لنا عنزاً ولا ضأناً ، ومثل هذا قولهم : « مالَه سَبَدٌ ولا لُبَد ، يريدون شاة ولا ناقة ، وقد يقال للصوف : لَبَد ، والسّبد : الشّعْر ، ونظير هذا قولهم : لم تبق له ثاغية ولا راغية ، أي شاة ولا بعير ، فالثغاء صوت الغنم والرغاء صوت الإبل ، ومن الرُّغاء قول الشاعر :

رَغَا فوقهم سَقْبُ السّماءِ فَدَاحِصٌ
بِشَكّتِهِ لَمْ يُسْتَلَبْ فَسَلِيبُ [1]

يعني سقب ناقة صالح ، ومثله قول الشاعر :

فلما رأى الرحمن أن ليس فيهم
رشيد ولا ناهٍ أخاهُ عن الغَدْرِ
وصَبَّ عليهم تَغْلِبَ ابنةَ وائلٍ
فكان عليهم مثلُ راغيةِ البَكْرِ

= رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون مثله ، قال الله تعالى : (واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) وقال تعالى : (ولا تكن كصاحب الحوت) ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما حمل يونس بن متى أعباء النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل ، ولذلك السبب ذهب مغاضباً » .
انظر قصص الأنبياء ٣٦٦ .

(١) السقب : ولد الناقة الذكر ساعة يولد ، ورغا : صاح وصوت فضبح ، ويعني بسقب السماء ولد ناقة صالح ، ونسبه إلى السماء لأنه كان معجزة ، إذ رفع إلى السماء لما عقرت أمه في قول ، وأنه فر راغياً ، وصاح برغائه كل شيء له صوت فكلكت ثمود فضربته العرب مثلا في الاستئصال والهلكة ، وداحص أي فاحص للأرض برجليه كالمذبوح ، فمن هؤلاء من أخذ سلبه ومنهم من لم يؤخذ ، والبيت لعلقمة الفحل ، انظره في ديوانه ٤٦ واللسان « دحص » .

ومن السَّبَد قول الشاعر :

أما الفقير الذي كانت حلوبتـــه
وَفْقَ العِيَال فلم يُتْرَكْ له سَبَدُ [١]

وفي الطير طائر يقال له السبد لوفور ريشه [٢] .

وقولها : فَمَا ولد الأبكار والعُون مثله ، العون : جمع عوان وهي التي بين الكبيرة والصغيرة ، قال الله تعالى ذكره في صفة بقرة بني إسرائيل ﴿ إنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ ولا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِك ﴾ [٣] ،ويقال : حَرْبٌ عَوَان إذا لم تكن مبتدأة ، وحاجة عوان إذا لم تكن بكر الحاج ، قال الشاعر [٤] :

قُعُوداً لدى الأبوابِ طَالِبُ حاجةٍ
عَوَانٍ من الحاجات أو حَاجةٍ بكرِ

ومما نستحسنه لبعض المحدثين [٥] في معاتبة بعض ذوي الخيانة من الإخـــوان :

---

(١) البيت للراعي ، وقال أورده الأصمعي في الإبل ٧٤ ضمن قوله : ماله هبع ولا ربع وماله راغية ولا ناغية ، ولا عافطة ولا نافطة ، فالعافطة : الضائنة ، والنافطة : الماعزة ، ولا سعنة ولا معنة أي ماله قليل ولا كثير ، وماله سبد ولا لبد ، قال الراعي ... الخ ، وانظر اللسان ٣٦٧/٦ ، ٢٦٣/١٢ .

(٢) في القاموس : السبد : طائر مخطط الريش واسع الفم مفلطح الرأس والمنقار ، إذا أصابه الماء جرى عنه سريعاً لأن لين الريش ، والعرب تشبه به الفرس إذا عرق .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٦٨ .

(٤) البيت للفرزدق ، انظره في الديوان ١٨٨/١ ، وقد ورد البيت في اللسان ١٤٥/٥ منسوباً لذي الرمة ولا يوجد في ديوانه ، والرواية في اللسان ، وقوفاً بدل قعوداً ، وفيه وفي الديوان طلاب بدل طالب ، والرواية التي هنا وردت في طبقات فحول الشعراء ٣١٤/١ .

(٥) هو إبراهيم بن العباس الصولي يقولها في محمد بن عبد الملك الزيات ، وبين البيتين بيت آخر ، هو :
=

وكنتَ أخي بإخاء الزمــان ... فلما انقضى صرت حَرْباً عوَانا
وكنتُ أعدُّك للنّائبَــاتِ ... فها أنا أطلب منك الأمانــا

ونظير هذا قول الشاعر الآخر :

أيا مولاي صرت قذىً لعيــني ... وسِتْراً بين جفني والمَنَام
وكنتَ من الحوادثِ لي مَلاَذا ... فصرتَ مع الحوادِث في نظام
وكنتَ من المصائب لي عزَاءً ... فصِرْتَ من المُصِيبَات العِظَام

وقال آخر (١) :

هَبِ الزمـــان زمـــاني ... الشـــأن في الخُــلاّن
يا مَنْ رمَــانِيَ لـــا ... رأى الــزّمانَ رمَـــاني
ومـــن ذَخَرْتُ لنفسي ... فعاد ذُخْـــرَ الـــزّمـــانِ
لو قيل لي خُذْ أمانـــاً ... مـــن أعظم الحَدَثَــانَ
لـــا أخذتُ أمانـــاً ... إلاّ مـــن الإخـــوانِ

وقال ابن الرومي :

تَخِذْتكمُ ظهراً وعوناً لتدفعوا ... نبال العِدَا عنّي فصرتُم نِصَالُها
وقد كنتُ أرجُومنكمُ خيرَ صاحبٍ ... على حينَ خِذْلانَ اليمينِ شِمَالُها
فإن أنتمُ لم تحفظُوا لمـــودّتِي ... فكونوا كِفَافاً لا عليها ولاَ لَهَا
قفوا موقف المَعْذور عنّي بمعزِلٍ ... وخلّوا نِبالي والعِدَا ونبالَهـــا

ومما يضارع هذا النوع بعض المضارعة قول ابن الرومي (٢) :

= وكنت أذم إليك الزمــــان ... فقد صرت فيك أذم الزمانا
انظر ديوانه ١٦٦/١٦٧ ضمن الطرائف الأدبية للميمني ، وانظر المراجع التي أوردها في هامشه .

(١) هو إبراهيم بن العباس الصولي ، انظر ديوانه ١٦٦ .
(٢) ديوانه ٤٦ ، بهجة المجالس ٦٩٣/١ .

عَدُوُّكَ من صديقك مستفادٌ فلا تستكثِرَنَّ من الصِّحَابِ
فإن الداءَ أكثرَ ما تَرَاهُ يكون من الطعامِ أو الشرابِ

وأعجبه هذا المعنى فقال [1] :

عدوُّكَ من صديقك مستفادٌ فلا تستكثرنَّ من الصَّديقِ
فإن الداء أكثر ما تراه يكون من المُسَوَّغ في الحلوقِ

وهذا باب إن استقصيناه طال جداً وتجاوز بنا حدّ المجلس الواحد من مجالس كتابنا هذا ، ولم يبن هذا الكتاب على استيفاء أبواب أنواعه ، وإنما جعلناه موشحاً ممتزجاً ، بمنزلة الحدائق المشتملة على أنواع مختلفة ، يقع الأنس بمشاهدتها ، والالتذاذ بجناها ، والانتفاع بثمرها .

وقول توبة : وأشرف بالقَوْزِ اليَفَاع ، القَوْز : الواحد من أقواز الرمل وهو ما علا وأشرف منه ، وكذلك اليفاع ما ارتفع ، وقال : أيفع الغلام فهو يافع إذا ارتفع ، وهو من نوادر أبواب العربية ، لأنه جاء على أفعل فهو فاعل ، وله أخوات معدودة منها : أورف الظل فهو وارف ، وأورس الرمث [2] فهو وارس ، وقد قال النابغة :

كليني لِهمٍّ يا أميمةَ نَاصبِ وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكب [3]

بمعنى مُنْصب ، كما قال في كلمة أخرى :

---

(١) ديوانه ١١٠ ، المصون ١٥٢ ، بهجة المجالس ١/٦٩٥ .

(٢) الرمث : نبات بري من الحمض يكثر في بادية الشام ، وأورس : أصفر ورقه بعد الإدراك فصار عليه مثل الحدق الصفر .

(٣) ديوانه ٥٤ ، وكليني : دعيني ، هذا وقد نصب الشاعر : يا أميمة وهو منادى مفرد حقه البناء على الضم ، وقال الخليل وأبو عبيدة والأصمعي في ذلك : إن عادة العرب أن ينصبوا الاسم المؤنث على الترخيم مثل يا طلح ويا أميم ، فلما احتاج إلى الهاء لقوام الوزن جاء بها ، وتكلم على عادته في الحذف فنصب .

تَعَنّاك هَمٌّ من أمية مُنْصِبُ (١)

وقوله : أرى نار ليلى أو يراني بصيرها ، أي يراني المبصر بها ، والعرب تقول : ليل نائم وسر كاتم أي منوم ومكتوم (٢) ، قال جرير (٣) :

لقد لُمْتِنَا يا أمَّ غَيْلان في السُّرى
ونِمْتِ ، وما ليلُ المَطِيِّ بنـائمِ

ومثل هذا كثير .

(أعطنا حقّنا الذي في هذا المصحف)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا القاسم بن اسماعيل ، قال : حدثنا أحمد بن سعيد بن مسلم الباهلي ، عن أبيه ، قال : حدثني من حضر مجلس السفاح وهو أحشد ما كان ببني هاشم والشيعة ووجوه الناس ، فدخل عبد الله بن حسن بن حسن (٤) ومعه مصحف ، فقال : يا أمير المؤمنين ! أعْطِنا حقّنا الذي جعله الله لنا في هذا المصحف ، فأشفق الناس أن يعجل السفاحُ بشيء إليه فلا يريدون ذلك في شيخ بني هاشم في وقته ، أو يعيا بجوابه فيكون ذلك نقصاً وعاراً عليه ، قال : فأقبل عليه غير مغضب ولا منزعج ، فقال : إن جَدّكَ علياً رضي الله عنه وكان خيراً منّي وأعدل ، وَلِيَ هذا الأمر فأعطى جَدّكَ الحسن والحسين رضي الله

(١) لم أعثر على الشطر التالي في ديوان النابغة .

(٢) فهذا من استعمال فاعل بمعنى مفعول ، إلا أن ما ذكره المؤلف من كون بصيرها بمعنى المبصر بها ليس من هذا الباب ، فبصير يمكن أن يقال فيها أنها فعيل بمعنى فاعل ، وليست من باب فاعل بمعنى مفعول ، فتأمل .

(٣) البيت في ديوانه ٤٥٤ .

(٤) عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، كان من العباد ، وكان ذو شرف وعارضة وهيبة ولسان شديد ، وكانت له منزلة لدى عمر بن عبد العزيز ، توفي سنة ١٤٥ هـ ، انظر تهذيب التهذيب .

عنهما وكانا خيراً منك شيئاً ، وكان الواجب أن أعطيَك مثله ؛ فإن كنت فعلت فقد أنصفتُك ، وإن كنت زدتُك فما هذا جزائي منك، قال : فما ردّ عبدُ الله جواباً ، وانصرف الناس يتعجبون من جوابه له [1] .

(حكمة على مِحْبرة)

حدثنا أبي رضي الله عنه ، قال : حدثنا أبو العباس بن مسروق قال : رأيت على محبرة مكتوباً :

تَمَكّنَ في الفؤادِ فما أبالي ... أطال الهجرَ أم مَنَح الوِصَالا [2]

* * *

(١) انظر هذه القصة في أخبار الأذكياء ٤٨ ، وتاريخ بغداد ٤٩/١٠ .

(٢) ورد الخبر في تاريخ بغداد ١٠٢/٥ مروياً عن أبي العباس بن مسروق بالرواية التالية : قال : أصبحت في مجلس الزعفراني فجئت وهو يحدث ، وليس معي محبرة فطلبت من أجلس إليه فأكتب من محبرته، فرأيت شيخاً وشاباً جالسين في باب فجلست إليهما وبينهما محبرة فاستأذنت الشيخ فقلت : أكتب من المحبرة ؟ فقال الشيخ للشاب : يا حبيب يكتب من المحبرة ؟ فقال الشاب : يا محب الأمر لك ، فقال لي : اكتب ، فعجبت من كلامهما ، فطأطأت رأسي فرأيت على المحبرة مكتوباً خرطاً :

تمكن في الفؤاد فما يبالي ... أطال الهجر أم منح الوصالا

قال فصحت وأغمي علي ، فما أفقت حتى انقضى المجلس .

المجلس الثاني عشر

(امرؤ القيس يحمل لواء الشعر إلى النار)

حدثنا أحمد بن عبد الله بن نصر بن بجير القاضي ، قال : حدثنا سليمان ابن سيف ، قال : حدثنا حيان أبو عبد الله جار أبي عاصم ، قال : حدثني هشام بن محمد بن السائب ، قال : حدثني فروة بن سعيد بن عفيف بن معدي كرب ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : « بينا نحنُ عند رسول الله ﷺ إذ أقبل إليه وفد من اليمن ، فقالوا : يا رسول الله ! لقد أحيانا الله عز وجل ببيتين من شعر امرئ القيس ، قال : وكيف ذاك ؟ قالوا : أقبلنا نريدك حتى إذا كنا ببعض الطريق أخطأنا الطريق فمكثنا ثلاثاً لا نقدر عليه ، فتفرقنا إلى أصول طلح وسمر (١) ليموت كل رجل منا في ظل شجرة ، فبينما نحن بآخر رمق إذ راكب يُوضِعُ على بعير (٢) مُعْتَم ، فلما رآه بعضنا قال والراكب يسمع :

لما رأتْ أن الشَّريعَةَ همُّها ... وأنّ البياضَ من فَرائصها دامي (٣)

---

(١) الطلح والسمر : شجر ذو شوك ترعاه الإبل .

(٢) يوضع على بعير : أي يحثه على السير السريع .

(٣) الشريعة : مشرعة الماء، وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون ، —

تَيَمّمَتِ العينَ التي عند ضَارِجٍ يفيءُ عليها الظل عَرْمَضُهاطامي [1]

قال الراكب : من يقول هذاالشعر ؟ وقد رأى ما بنا من الجهد ، قال : قلنا : امرؤ القيس بن حجر ، قال: ما كذب وإن هذا لضارجٌ[1] أو ضارج عندكم ، فنظرنا فإذا بيننا وبين الماء نحو من خمسين ذراعاً ، فحبونا إليه على الرُكَب ، فإذا هو كما قال امرؤ القيس عليه العرمض يفيءُ عليه الظل ، فقال رسول الله ﷺ : « ذاك رجل مذكور في الدنيا منسيٌّ في الآخرة ، شريف في الدنيا خامل في الآخرة ، بيده لواء الشعراء يقودهم إلى النار » .

(رواية أخرى للخبر)

حدثنا أحمد بن علي بن السكين البلدي ، قال : حدثني أبو داود سليمان بن سيف الحراني ، قال : حدثنا حيان بن هلال أبو عبد الله البصري جار أبي عاصم ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن السائب ، قال : حدثنا فروة بن عفيف أو قال : عفيف بن مَعْدِي كَرِب ، عن أبيه ، عن جَدّه ، قال : كنتُ عند النبيّ ﷺ فأتاه قوم من الأعراب حُفَاة عُراة ، فقالوا : يا رسول الله لقد أنجانا الله ببيتين من شعر امرئ القيس بن حَجَر ، قال : وكيف ذاك ؟ قالوا : يا رسول الله ! أقبلنا نريدك حتى إذا كنا ببعض الطريق أضللناه ثلاثاً لا نقدر عليه ، فبينا نحن كذلك عمد كلٌّ

= والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء دائماً لا انقطاع له ، ويكون ظاهراً معيناً لا يسقى بالرشاء ، والفرائص : جمع فريصة ، وهي لحمة عند نغض الكتف عند منبض القلب ، وهما فريستان ترتعدان عند الفزع .

(١) ضارج : جبل ، كما في صفة جزيرة العرب ١٧٨ ، وفي اللسان أنه موضع ببلاد عبس ، العرمض : بفتح العين والميم : الطحلب ، وقال في اللسان ١٣٩/٣ : همها : طلبها ، والضمير في رأت للحمر ، يريد أن الحمر لما أرادت شريعة الماء خافت على أنفسها من الرماة أن تدمي فرائصها من سهامهم فعدلت إلى ضارج لعدم مرالرماة على العين التي فيه ، وطامي : مرتفع ، وانظر اللسان ٥٠/٩ أيضاً ففيه كرر هذا البيت .

رجلٍ منا إلى ظلٍّ شجرة أو سمرة ليموت تحتها ، فإذا راكب على بعير له يُوضع ، فلما رآه بعضنا قال والراكب يسمع :

لما رأتْ أن الشريعةَ هَمُّهـــا
وأن البياض من فَرائصها دامي
تيممتِ العَيْنَ التي عند ضَــارِجٍ
يَفِيءُ عليها الظل عَرْمَضُها طـامي

قال : فقال الراكب : يا عبدَ الله ! من يقول هذا الشعر ؟ قال : امرؤ القيس بن حجر ، قال : والله ما كذب وإن عنده الآن لضارجاً عليه العرمض يفيء عليه الظل ، قال : فنظرنا فإذا ليس بيننا وبينه إلا قدر عشرين ذراعاً ، فقال النبيُّ ﷺ : « ذاك رجل مذكور في الدنيا ، مَنْسِيٌّ في الآخرة ، بيده لواء الشعراء يقودهم إلى النار » (١) . .

---

(١) ورد هذا الخبر في الأغاني ١٢٣/٧ بإسناد آخر عن عبد الله بن جعفر ، وفي خزانة الأدب ٣٣٥/١ ، وفي اللسان ١٣٩/٣ ، وأورده ابن قتيبة مرة في عيون الأخبار ١٤٣/١ ، ومرة في الشعر والشعراء ١١١/١ ، ١٢٧ ، وقد علق الشيخ أحمد محمد شاكر في تحقيقه للشعروالشعراء على ذلك بتعليق أوضح فيه مدى الصحة في هذا الحديث ، بقوله: هذا من أشهر الأخبار لدى الإخباريين والأدباء ولكنها غير معروفة عند المحدثين وهم الحجة فيما ينسب إلى الرسول من أخبار ، فإني لم أجد أحداً منهم رواها أو أشار إليها ، إلا حديث « امرؤ القيس صاحب لواء الشعر إلى النار » فقد رواه أحمد في المسند ٢٢٨/٢ من حديث أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي صلىاللهعليهوسلم وهو حديث ضعيف جداً،ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٢١٨/٢ عن المسند ، فقال : هذا منقطع وورد من وجه آخر عن أبي هريرة ، ولا يصح من غير هذا الوجه ، ورواه أيضاً البزاز كما في مجمع الزوائد ١١٩/٨ ، وجمع الفوائد ١٦٨/٢ ، وإسناده عند أحمد : ثنا هشيم ، ثنا أبو الجهم الواسطي ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، وأبو الجهم هذا يذكر في بعض كتب الرجال باسم أبي الجهم الإيادي ، وهو مجهول ، وضعفه أبو زرعة الرازي ، وقال ابن عدي : شيخ مجهول لا يعرف له اسم ، وخبره منكر ، ولا أعرف غيره ، وقال ابن عبد البر : لا يصح حديثه ، وفيه علة أخرى : أنه موقوف على أبي هريرة ، فقد رواه البخاري في كتاب الكنى المطبوع في حيدر أباد سنة ١٣٦٠ هـ صفحة ١٠ برقم =

قال القاضي : قوله في هذا الخبر والشعر : وأن البياض من فرائصها دامي (الفرائص) جمع فريصة وهو الموضع الذي يترعد من الدابة ، قال النابغة الذبياني [1] :

شَكَّ الفريصَةَ بالمِدْرَى فأنفذَهـا
شَكَّ المُبَيْطِرِ إذ يَشْفِي من العَضُدِ

ومن ها هنا أُخذ قولهم : فلان تَرْعَد فرائصه إذا وصف بشدة الخوف ، ومن ذاك الخبر المرويُّ أن النبيَّ ﷺ صلى بأصحابه ورأى رجلين تَرْعَدُ فرائصهما [2] .

وأما قوله : تيممت العين ، فمعناه قصدت وتعمدت ، يقال : يممت كذا وكذا إذا قصدته ، ومن ذلك قول الله عز وجل ﴿ فتيمَّمُوا صَعِيداً

= ١٤٥ ، قال : ثنا أبو الجهم الإيادي ، قال مسعد ، ناهشيم ، قال : ناشيخ يكنى أبا الجهم ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة . قال : « صاحب لواء الشعر إلى النار امرؤ القيس، لأنه أول من أحكم الشعر »، وفي مجمع الزوائد١/١١٩ : عن عفيف الكندي ،قال : بينما نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل وفد من اليمن فذكروا امرأ القيس بن حجر الكندي وذكروا بيتين من شعره فيهما ذكر ضارج(ماء من مياه العرب)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذاك رجل مذكور في الدنيا منسي في الآخرة ... الخ » رواه الطبراني في الكبير عن طريق سعد بن فروة بن عفيف ، عن أبيه ، عن جده ولم أر من ترجمهم . وانظر تعجيل المنفعة ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ولسان الميزان ١٨١/٣ ، ٣٥٩/٦ ، والكنى والأسماء للدولابي ٢٣٧/١ ، والمناوي على الجامع الصغير ١٨٦/٢ ، ورواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣٧/٩ بإسناده عن أبي هفان المهزمي الشاعر ، عن الأصمعي ، عن ابن عون ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « امرؤ القيس قائد الشعراء إلى النار » وهو خبر باطل ، كما قال ابن حجر في لسان الميزان ٤٩/٣ ، ٢٥٠ ، ٤٤٩/٦ .

(١) ديوانه ١٠ ، وشك : نظم ، والمدرى : القرن ، أراد فأنفذ القرن في جنب الكلب ، والمبيطر : البيطار ، ويشفى : يبرئ ، والعضد : داء يأخذ الإبل في اعضادها من ثقل حمل ، يقال : عضد البعير يعضد عضداً إذا اشتكى عضده .

(٢) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٣٢/٣ ، والنص فيه « فجيء بهما ترعد فرائصهما »

طَيِّباً ﴾ (١) يعني اقصدوا ، وذكر أنها في قراءة عبد الله بن مسعود . فأقول : والمعنى واحد ؛ أممت وتيممت مثل عمدت وتعمدت ، ويقال : أممت ، قال الله عز وجل ﴿ ولا آمِّينَ البَيْتَ الحَرَامَ ﴾ (٢) يعني قاصدين وعامدين، وقال عزّ ذكره : ﴿ ولا تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ (٣)، وقرأ مسلم بن جندب : (٤) (ولا تَيَمَّموا (٥)) أي توجهوا، ومن هذا الباب قول الشاعر :

إني كذاك إذا ما ساءَني بلـدٌ
يَمَّمْتَ صَدْرَ بعيري غَيْرَهُ بَلَدَا (٦)

ويروى : أممت ، قال الأعشى :

تَيَمَّمْتُ قيساً وكم دُونَه
من الأرض من مَهْمَهٍ ذِي شَزَن (٧)

وقال آخر :

---

(١) الآية ٤٣ من سورة النساء .

(٢) انظر البحر المحيط ١٩٢/٢ .

(٣) سورة المائدة ، آية ٢ .

(٤) أبو عبد الله الهذلي مولاهم المدني القاص ، تابعي مشهور ، وهو الذي أدب عمر بن عبد العزيز ، وكان عمر يقول عنه : من سره أن يقرأ القرآن غضاً فليقرأه على قراءة مسلم ؛ وكان من فصحاء أهل زمانه ، توفي بالمدينة عام ١٣٠ هـ ، انظر غاية النهاية ٢٩٧/٢ .

(٥) انظر تفسير القرطبي ١١٣٤ ، وفي اللفظة لغات ، منها : أممت الشيء مخففة الميم الأولى ، وأممته بتشديدها ، ويممته وتيممته ، وحكى أبو عمرو أن ابن مسعود قرأ : ولا تؤمموا ، بهمزة بعد التاء المضمومة وتشديد الميم المكسورة .

(٦) البيت دون نسبة في القرطبي ١٨٠٢ .

(٧) البيت من قصيدة له يمدح بها قيس بن معدي كرب الكندي ، انظره في الديوان ٢٠٧ ، والمهمه : المفازة البعيدة ، والشزن : الغليظ من الأرض ، وفي الأصل : يزن ، تحريف .

تَيَمَّمْتُ هَمْدانَ الذين هُمُ هُمُ
إذا ناب خَطْبٌ جُنَّتِي وسِهَامِي [1]

وقال خَفّافُ بن نُدْبَة [2] :

فإن تكُ خَيْلي قد أُصِيبَ صَمِيمُها
فعَمْداً على عَيْني تيممتُ مَالِكــا

ومن هذا قولهم : أمرٌ أمَمٌ أي قَصْد ، قال الأعشى :

أتانـــا عن بني الأحـــرا ... رِ قولٌ لم يكن أمَمَا [3]

وقال ابنُ قيس الرُّقَيَّات :

كُوفيّةٌ نـــازحٌ مَحلّتُهـــا ... لا أَمَمٌ دَارُهَا ولا صَقَــبُ

الأمم : القصد ، والصقب : القرب ، ومنه : الجار أحقُّ بصقبه [4] ،
وقال الشاعر :

ولو نَارُ لَيْلى بالعَذِيبِ بَدَتْ لَنَا
لَحَبَّتْ إلينا دَارَ من لا يُصَاقِبُ

---

(١) البيت لسيدنا علي كرم الله وجهه من قصيدة قالها يوم صفين ، انظرها في العمدة ٣٤/١ .
(٢) خفاف بن ندبة السلمي الأنصاري ، كانت أمه ندبة أمة سوداء حبشية نسب إليها ، وكان شاعراً فارساً في الجاهلية ، وأسلم قبل فتح مكة وشهد مع الرسول صلوات الله عليه غزوتي حنين والطائف ، ثم كان معه لواء بني سليم في فتح مكة ، توفي من زمن عمر بن الخطاب ، ترجمته في الإصابة ٤٤٨/١ ، والمؤتلف ١٠٨ .
والبيت في ديوانه ٦٦ ، وهو يقوله حين قتل مالك بن حمار الشمخي سيد بني شمخ ثأراً بمعاوية بن الشريد السلمي . والخيل في البيت يعني بها الفرسان ، والصميم : الشريف الخالص . وعلى عيني : أي عمداً وبجد ويقين .
(٣) البيت من قصيدة له يفتخر فيها بيوم ذي قار ، انظر ديوانه ١٩٣ . وهو يعني ببني الأحرار : الفرس ، والأمم : الواضح .
(٤) أي بما يليه ويقرب منه ، وهم يقولون ذلك في الشفعة .

وقال الأعشى :

فما أنْسَ مِلْ الأشْيَاءِ لا أنسَ قَوْلَها
لَعَلَّ النَّوَى بعد التَّفَرُّقِ تُصْقِبُ (١)

وهذا باب يكثر ويتسع جداً ، وفيما ذكرنا منه ها هنا بل في بعضه كفـــاية .

ومعنى قوله : يفيء عليها الظل ، معنى يفيء : يرجع ، يقال فاء الظل أي رجع قبل الزوال ، ولا يقال له حينئذ فَيْءٌ ، وإنما يقال له فيء بعد الزوال لرجوعه ، وكلا الوجهين ظِلٌّ ، قال حُمَيْد بن ثَــوْر الهلاليّ :

فلا الظِّلُّ من بَرْدِ الضُّحَى نَسْتَطِيعُهُ
ولا الفَيْءُ من بَرْدِ العَشِيِّ نَذُوقُ (٢)

ومن هذا سُمِّيَ ما رَدَّ اللهُ على المؤمنين من مال المشركين فَيْئاً ، وقال الله عز وجلّ : ﴿ وما أفَاءَ اللهُ على رَسُولِهِ منهُم ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ وما أفاء اللهُ على رَسُولِهِ مِنْ أهْلِ القُرَى ﴾ (٤) ، وقال تقدَّسَ اسمه : ﴿ فَقَاتِلُوا التي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إلَى أمْرِ الله ﴾ (٥) ،وقال : ﴿ فَإنْ فَاءُوا ﴾ (٦) أي رجعوا إلى غشيان من آلوا من نسائهم، وهذا الباب أيضاً واسع بَيِّن .

---

(١) البيت في ديوانه ١١ ، وتصقب : تدني .
(٢) البيت في ديوانه ٤٠ برواية :
فلا الظل منهــا بالضحى تستطيعــه ولا الفيء منها بالعشي تذوق
وما هنا موافق لرواية اللسان والأغاني .
(٣) سورة الحشر الآية ٦ .
(٤) سورة الحشر الآية ٦ .
(٥) سورة الحشر الآية ٧ .
(٦) سورة الحجرات الآية ٩ .

وقول امرئ القيس : عرمضها طامي ، العَرْمَض : الطُّحْلب الذي يكون في الماء ويقال له عرمض وعَلْفَق ونَوْر ، وقوله : طامي ، يعني أنه عال يقال : طما الوادي إذا امتلأ وعلا ماؤه ، قال الأعشى [1] :

ما جُعِل الجُدُّ الظَّنُون الذي
جُنِّب صَوْبَ اللّجَبِ المَاطِرِ [2]

مثلُ النَّواتِيِّ إذا ما طما
يَقْذِفُ بالبُوصيِّ والماهر [3]

(من مصارع العُشّاق) [4]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثنا محمد بن مرزبان ، قال : حدثنا إبراهيم بن محمد الطائف ، قال : حدثنا يوسف بن محمد الصيمري ، قال : حدثنا محمد بن مسعدة الأخفش ، قال : حدثنا أبو محظورة الوراق ، قال : حدثنا أبو مالك الراوية قال : سمعت الفرزدق يقول : أبق غلامان لرجل من بني نَهشل يقال له الخضر . فحدثني الخضر قال : خرجت أبغيهما وقصدت ناحية اليمامة على ناقة لي عَيْساء كوماء، قال ابن الأنباري : العَيْساء : البيضاء ، والكوماء : العظيمة السنام — فنشأت سحابة فرعدت

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٦ .

(٢) البيتان التاليان في ديوانه ٩٣ من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة ويمدح عامر بن الطفيل في المنافرة التي جرت بينهما ، وانظرهما في اللسان ٣٤/٧ ، ٣٥ .
الجد : بضم الجيم والدال : البئر ، والظنون : الذي لا يوثق بمائها والمقفرة، واللجب : الموج المضطرب ، ورواية الديوان : الزاخر بدل الماطر .

(٣) رواية الديوان واللسان : الفراتي بدل النواتي أي المنسوب إلى الفرات ، والبوصي : الملاح ، والماهر : السابح .

(٤) القصة التالية في الأغاني ٤٤/٨ — ٤٦ ، مع اختلاف في بعض الرواية وترتيب الأبيات .

وبرقت وحلت عزَالِيهَا [١] ، فملت إلى بعض ديار بني حنيفة وقصدت داراً وطلبت القرى ، فقيل لي : ادخل فأنخت ناقتي ودخلتُ وجلست تحت ظلة من جريد – قال ابن الأنباري : الجريد ما جُرد من النخل – وفي الدار جُوَيْرية سُويداء فدخَلَتْ جاريةٌ كأنها سبيكة فضة ، وكأن عينيها كوكبان ، فقالت : لمن هذه الناقة ؟ قالت السويداء : لضيفكم هذا ، فسلّمتْ عليَّ وقالت : مِمن الرجل ؟ قلت : من بني حنظلة ، قالت : من أيهم ؟ قلت : من بني دارم ، قالت : من أيِّهم ؟ قلت : من بني نهشل ، قال : وأنت من الذي يقول فيهم الفرزدق [٢] :

إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتاً دعائمه أعزُّ وأطـــولُ
بيتاً بناه لنا المَليكُ وما بـنى ... ملك السماء [٣] فإنه لا يُنْقـلُ
بيتاً زُرَارةُ مُحْتَبٍ بِفِنَائـه ... ومُجَاشِعٌ وأبو الفوارس نهشلُ

فأعجبني ذلك من قولها: فقالت: إلا أن ابن الخَطَفَي [٤] نقض عليه ، فقـال :

أخزى الذي سَمَكَ السَّمَاءَ مُجَاشِعاً ... وبنى بناءَك بالحضيضِ الأسفـل
بيتاً يُحَمِّم قَيْنُكُم بفِنَائِـــه ... دَنِساً مقاعدُه خبيث المدخل [٥]

(١) العزالي : جمع عزلاء ، وهي مصب الماء من القربة ونحوها ، ويقال : أرسلت السماء عزاليها : انهمرت بالمطر الغزير .
(٢) البيتان التاليان في ديوانه ٢/١٥٥ .
(٣) رواية الديوان : حكم السماء .
(٤) ابن الخطفي : تعني به جريراً ، وهو جده فهو جرير بن عطية بن الخطفي ، انظر البيتين في ديوانه ٣٥٧ .
(٥) يحمم : يشعل فيه فيسوده بالدخان ، والقين : الحداد ، وفي الأصل بيتاً يحمم فيكم ببنائه وهي تحريف .

فخجلت واستحييت ، ثم قلت لها : أَيِّمٌ أنت أم ذاتُ بَعْل ؟ فقالت :

إذا رَقَدَ النيامُ فإن عَمْراً تُؤَرِّقُهُ الهمومُ إلى الصباحِ
تقطَّع قلبه الذكرى وقلبي فما هو بالخَلِيِّ ولا بصاحِ
سقى الله اليمامةَ دارَ قومٍ بها عَمْرو تَحِنُّ إلى الرَّواحِ

فقلت لها : من عمرو هذا ؟ فقالت :

سألتَ ولو علمتَ كففتَ عنهُ ومن لك بالجواب سوَى الخَبيرِ
فإن تك سائلاً عنه فعمرو مع[1] القمر المضيءِ المستنيرِ

ثم قالت : أين تَؤُمّ ؟ قلتُ : اليمامة ، فتنفّسَت الصُّعَداء ، ثم قالت :

تُذَكّرُني بلاداً حَلّ أهلي[2] بها أهلُ المودّةِ والكرامه
ألا فسقي الإله أجشَّ صوبٍ يَسِحُّ بِدَرِّهِ بلدَ اليمامه
وحَيّا بالسلام أبا نُجَيْدٍ وأهلٍ للتحية والسّلامه

ثم قالت :

يُخَيّلُ لي أيا عَمْرَو بن كعب[3] بأنك قد حُمِلْتَ عَلَى سَرِيرِ
فإن يكُ هكذا يا عَمْرُو إنّي مُبَكِّرةٌ عليك إلى القُبُورِ

ثم شهقت شهقة فماتت ، فسألتُ عنها ، فقيل لي : هي من ولد محرِّق ابن النعمان بن المنذر ، وعمرو بن كعب هوىً لها باليمامة ، فركبتُ ناقتي

---

(١) في الأغاني : هو بدل مع .
(٢) في الأغاني : خير بدل حل .
(٣) في الأغاني : يخيل لي هيا عمرو بن كعب .

فصرت إلى اليمامة . فسألت عن عمرو بن كعب ، فخُبِّرْتُ أنه مات في ذلك الوقت الذي قالت الجارية فيه ما قالت .

(أعطِه لكلِّ بيتٍ ألف دينار)

حدثنا الحسن بن أحمد بن محمد بن سعيد ، أبو علي الكلبي ، قال : حدثني إبراهيم بن محمد الدجاجي ، قال : حدثني عمرو بن سعيد بن سلم الباهلي (١) ، قال : كنتُ في حَرَسِ المأمونِ بحُلْوان حين قفل من خُرَاسان أو حين قفل من العراق ، ــ أبو عليٍّ يشك ــ قال القاضي : والصواب قفل من خراسان أو قفل إلى العراق ، والقفول الرجوع لا ابتداء السفر ، والمأمون رجع من خراسان إلى العراق بعد قتل الأمين واستتباب الخلافة له ، قال : فخرج لينظر إلى العسكر في بعض الليل ، فعرفتُه ولم يعرِفْني فأغفلتُه ، فجاء من ورائي حتّى وضع يده على كتفي ، فقال لي : من أنت : قلت : عمرو عَمَرَكَ الله ، ابن سعيد أسْعَدَكَ الله ، ابن سَلْم سَلّمكَ الله ، فقال : أنت الذي كنتَ تكلَؤُنا في هذه الليلة ؟ فقلت : الله يكلَؤُكَ يا أمير المؤمنين ، فأنشأ المأمون يقول :

إن أخاك الحقَّ من يَسْعَى مَعَكْ (٢)
ومن يضرُّ نفسه لينفعكْ
ومن إذا رَيْبُ زمانٍ صَدّعَكْ
فرّق من جميعه ليَجْمَعَكْ (٣)

---

(١) عمرو بن سعيد بن سلم الباهلي ، من أسرة كلها ولاة ، فقد ولي هو على الري وبلخ ، وكان جده مسلم والياً على البصرة مرتين ، مرة لابن هبيرة ومرة لأبي جعفر المنصور ، وكان سيد قومه ، هذا وقد ذكر ابن قتيبة في «المعارف» أن سعيداً هو أخو عمرو لا أبوه، انظر صفحة ٤٠٧ من المعارف .

(٢) الخبر في المستطرف ٥٦/١ ، عيون الأخبار ٤/٣ ، ومجمع الأمثال ٣٤/١ .

(٣) رواية هذا البيت في عيون الأخبار :

إن أخاك الصدق من كان معك =

ثم قال : يا غلام ! أعطه لكل بيت ألف دينار ، فوددت أن تكون الأبيات طالت علي فأجد الغنى ، فقلت : يا أمير المؤمنين وأزيدُك بيتاً من عندي ، فقال : هات ، فقلت :

وإن غدوتَ ظالماً غدا معك [1]

فقال : أعطه لهذا ألف دينار ، فما برحتُ من موقفي حتى أخذتُ خمسة آلاف دينار .

(التعليق على الخبر)

قال القاضي : فإن قال قائل : كيف أعطى المأمون عن قوله :

فإن غدوتَ ظالماً غَدا مَعَكْ

ولمَ وافقه على تصويب مساعدة الظالم وممالأته ، قيل : إنه لم يظهر في قول هذا القائل ما يوجب مظافرة الظالم في عمله ، وقوله : غدا معك ، يتجه فيه أن يكون معناه غدا معك ليكفكَ عن الظلم ، بالوعظ لك والرِّفق بك والاستعطاف على ما تُسَوِّلُ لك نفسك ظلمه ، فيصرفك عن الظلم ، ويَثْنِيك عن معرة الإثم .

وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال : « انْصُر أخاك ظالِماً أو مظلوماً » فقيل له : يا رسول الله ! أنْصُره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً ؟ ، قال : « تحجبه عن الظلم فذلك نُصْرُك إياه » [2] .

= وفي مجمع الأمثال : إن أخا الهيجاء من يسعى معك .

(١) وفي العيون : وإن رآك ظالماً سعى معك .

(٢) انظر الحديث في صحيح البخاري ، كتاب المظالم ، باب « آمن أخاك ظالماً أو مظلوماً » ١٦٨/٣ ، وفي صحيح مسلم ، كتاب البر ، باب « نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً » ١٩/٨ .

وفي مجمع الأمثال ٣٣٤/٢ ، عن أبي عبيد قال : أما الحديث فهكذا ، وأما العرب فكان =

(الأمر لا حيلة له)

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثني أبو عجلان ، قال : سمعت الفضل بن مروان يقول : كان ابن المقفع يقول : إذا نزل بك أمر مَهِمٌ فانظر فإن كان مما له حيلة فلا تَجزَع .

(ضَعُفَ قلبي عن الرد)

حدثنا محمد بن أحمد بن أبي الثلج ، قال : حدثنا حسين بن فهم ، قال : قال ابن الموصلي (١) ، حدثني أبي ، قال : أتيت يحيى بن خالد بن

= مذهبها في المثل نصرته على كل حال .

قال المفضل : أول من قال ذلك جندب بن العنبر بن تميم بن عمرو ، وكان رجلا دميماً فاحشاً ، وكان شجاعاً ، وأنه جلس هو وسعد بن زيد مناة يشربان فلما أخذ الشراب فيهما قال جندب لسعد وهو يمازحه : يا سعد ، لشرب لبن اللقاح وطول النكاح وحسن المزاح ، أحب إليك من الكفاح ودعس الرماح . قال سعد : كذبت ، والله إني لأعمل العامل ، وأنحر البازل ، وأسكت القائل . ثم تلاحيا ، فقال سعد – وكان عائفاً – : أما والذي أحلف به لتأسرنك ظعينة ، بين العرينة والدهينة ، ولقد أخبرني طيري ، أنه لا يفكك غيري ، فقال جندب : كلا ، إنك جبان ، تكره الطعان ، وتحب القيان ، فتفرقا على ذلك ، فغبرا حيناً ، ثم إن جندباً خرج على فرس له يتصيد ، فأتى على أمة لبني تميم ، يقال إن أصلها من جرهم ، فقال لها : لتمكنني مسرورة ، أو تقهرين مجبورة ، ثم نزل عن فرسه مدلا ، فلما دنا منها قبضت على يده فما زالت تعصرهما حتى صار لا يستطيع تحريكهما ثم كتفته بعنان فرسه وراحت به مع غنمها ، فبينما هو كذلك إذ مر به سعد في إبله فقال : يا سعد أغثني ، قال سعد : إن الجبان لا يغيث ، فقال جندب :

يا أيهـــا المرء الكريـــم المشكـــوم انصر أخاك ظالماً أو مظلـــوم

فأقبل إليه سعد فأطلقه ، ثم اتجه سعد إلى المرأة فقال لها : لولا أن يقال قتل امرأة لقتلتك ، فقالت : كلا ، لم يكن ليكذب طيرك ، ويصدق غيرك ، قال : صدقت . .

وقوله : انصر أخاك ظالماً ، يجوز أن يكون ظالماً أو مظلوماً حالين من قوله أخاك ، ويجوز أن يكونا حالين من الضمير المستكن في الأمر ، يعني : انصره ظالماً إن كنت خصمه أو مظلوماً من جهة خصمه ، أي لا تسلمه في أي حال كنت .

(١) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، أعظم المغنيين في العصر العباسي ، يروي القصة عن أبيه =

برمك فشكوت إليه ضِيقَة ، فقال : ويحك ! ما أصنع بك ، ليس عندنا في هذا الوقت شيء ، ولكن ها هنا أمر أدلُّك عليه فكن فيه رجلاً ، فقد جاءني خليفة صاحب مصر يسألني [1] أن أستهدي صاحبه شيئاً ، وقد أبيتُ عليه ذلك فألحَّ عليَّ ، وقد بلغني أنك أُعْطِيتَ في جاريتك فلانة ألف دينار ، فهوذا أستهديه إياها وأُخبره أنها قد أعجبتني ، فإياك أن تُنْقِصها عن ثلاثين ألف دينار ، وانظر كيف تكون ؟ قال : فوالله ما شعرت إلا بالرجل قد وافاني فساومني الجارية ، فقلت : لا أنقصها من ثلاثين ألف دينار ، فلم يزل يساومني حتى بذل لي عشرين ألف [2] دينار ، فلما سمعتها ضَعُفَ قلبي عن رَدِّها ، فبعتُها وقبضتُ المال العشرين ألفاً ، ثم صرت إلى يحيى بن خالد ، فقال لي : كيف صنعتَ في بيعك الجارية ، فأخبرته وقلت : والله ما ملكتُ نفسي أن أجبتُ إلى العشرين حين سمعتُها ، فقال : إنك لخسيس ، وهذا خليفةُ صاحب فارس قد جاءني في مثل هذا ، فخذ جاريتك فإذا ساومك بها فلا تنقصها عن خمسين ألف دينار ، فإنه لا بد أن يشتريها منك بذاك ، قال : فجاءني الرجل فاستَمْتُ عليه خمسين ألف دينار ، فلم يزل يساومني حتى أعطاني

= إبراهيم بن ميمون الموصلي المغني العظيم ، وإبراهيم لم يكن موصلياً في الحقيقة فأصله من فارس ، من بيت شريف في العجم ، لكن قيل له الموصلي لأنه لما نشأ وأدرك صحب الفتيان واشتهى الغناء فطلبه ، فاشتد أهله عليه في ذلك فهرب منهم إلى الموصل ومكث سنة ، فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانه من الفتيان : مرحباً بالفتى الموصلي فبقي عليه ، ولد الموصلي سنة ١١٥ وتوفي ببغداد سنة ١٨٨ هـ ، انظر الأغاني ٥/١٥٣ – ١٥٥ ، والخبر الذي هنا وارد في صفحة ١٩٤ من الجزء ، وانظره أيضاً في أخبار الأذكياء ٤٩ ، ونهاية الأرب ٤/٣٣٩ مع اختلاف في بعض ألفاظ الرواية .

(١) في الأغاني ونهاية الأرب : خليفة صاحب اليمن والثاني خليفة صاحب أرمينية ، وإن كان صاحب النهاية قد عكس ، فقدم صاحب أرمينية على صاحب اليمن . وتتفق الرواية في في أخبار الأذكياء مع ما هنا .

(٢) في الأصل : عشرون ألف ، وهي خطأ نحوي كما لا يخفى .

ثلاثين ألف دينار ، فضعف قلبي عن رَدّها ولم أصدق بها وأوجبتها له، ثم صرت إلى يحيى بن خالد فقال : بكم بعت الجارية ؟ فقلت : بثلاثين ألف دينار ، فقال : ويحك ! ألم تؤدِّبْكَ الأولى عن الثانية ؟ قال : قلت : ضَعُفْتُ والله عن رَدّ شيء لم أطمع فيه ، قال : فقال : هذه جاريتك فخذْها إليك ، قال : فقلتُ : جاريةٌ أفدتُ بها خمسين ألف دينار ثم أملكها ! أشهدك أنها حُرَّةٌ وأني قد تَزَوَّجتُها .

(نصيحة أعرابي)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، عن عمه الأصمعي ، قال : رأيت أعرابياً يعظ آخر ويحذّره ، وقال : إن فلاناً وإن ضحك لك فإنه يضحك منك ، وإن أظهر الشفقة عليك إن عقاربه تسري إليك ، فإن لم تجعله عدوّاً لك في علانيتك ، فلا تجعله صديقاً لك في سريرتك .

(قريش أسخى أم أمية)

حدثنا عبيد الله بن محمد بن جعفر الأزدي ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، قال : حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا سليم بن حرب ، قال : حدثنا أبو هلال الرباضي ، عن حميد بن هلال ، قال : تفاخر رجلان رجل من قريش ورجل من بني أمية ، فقال هذا : قومي أسخى من قومك ، وقال هذا: لا ، قومي أسخى من قومك، فقال : سَل في قومك حتى أسل في قومي ، فافترقا على ذلك ، فسأل الأمويّ عشرة من قومه فأعطوه مائة ألف عشرة آلاف عشرة آلاف ، قال : وجاء الهاشميُّ إلى عبيد الله بن عباس فسأله فأعطاه مائة ألف ، ثم أتى الحسن بن علي فسأله فقال له : هل أتيت أحداً قبلي ؟ قال : نعم ، عبيد الله بن عباس فأعطاني مائة ألف ، فأعطاه الحسن مائة ألف وثلاثين ألفاً ، ثم أتى الحسين بن علي فسأله ،

فقال : هل سألت أحداً قبل أن تأتيني ، قال : نعم ، أخاك الحسن فأعطاني مائة ألف وثلاثين ألفاً .

فقال ، لو أتيتني قبل أن تأتيه أعطيتك أكثر من ذلك ، ولكن لم أكن لأزيد على سيدي ، فأعطاه مائة ألف وثلاثين ألفاً ، قال : فجاء الأمويُّ بمائة ألف من عشرة ، وجاء الهاشمي بثلثمائة وستين ألفاً من ثلاثة ، فقال الأموي : سألت عشرة من قومي فأعطوني مائة ألف ، وقال الهاشمي سألت ثلاثة من قومي فأعطوني ثلثمائة ألف وستين ألفاً ، قال : ففخر الهاشميُّ الأمويَّ فرجع الأمويُّ إلى قومه فأخبرهم الخبر ، فردّ عليهم المال فقبلوه ، ورجع الهاشميُّ إلى قومه فأخبرهم الخبر فرد عليهم المال فأبوا أن يقبلوه ، وقالوا : لم نكن لنرتجع شيئاً قد أعطيناه .

(سمى الله المستهزئَ جاهلاً)

حدثنا يعقوب بن محمد بن صالح الكريري ، قال : حدثني عبد الجليل ابن الحسين ، قال : كان مما عُرِف عن أحمد بن المعذَّل [1] وهو صبيٌّ له ذُؤابة في مجلس أبي عاصم [2] ، ومر لأبي عاصم حديثٌ فيه فِقْه ، فقال أحمد : إنه مما أُلْقِح إلينا [3] عن مالك بن أنس في هذا الخبر ،

---

(١) هو أحمد بن المعذل بن غيلان ، قال عنه الجاحظ في البيان ١٠٣/١ : كان يذهب مذهب مالك رحمه الله ، وكان ذا تبحر في المعاني ، وتصرف في الألفاظ ، وقال عنه أبو الفرج في الأغاني ٥٤/١٢ : هو أخو عبد الصمد بن المعذل ، كلاهما كان شاعراً ، وكان أحمد عفيفاً ذا مروءة ودين وتقدم في المنزلة ، وجاه واسع في بلده وعند سلطانه ، لا يقاربه عبد الصمد فيه ، فكان يحسده ويهجوه فيحلم عنه ، وعبد الصمد أشعرهما .

(٢) هو أبو عاصم النبيل ، الضحاك بن مخلد الشيباني البصري ، كان فقيهاً ثقة ، كثير الحديث ، وكان فيه مزاح ، ولد سنة ١٢٢ هـ وتوفي سنة ٢١٣ ، انظر تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ ٣٣٣/١ .

(٣) ألقح الينا : لعله يعني ما نقل إلينا من رأي فاستقر في عقولنا ، كما تحمل الرياح حبوب اللقاح من عضو التذكير إلى عضو التأنيث ، وقد يكون من قولهم : جربت الأمور فلقحت =

فسمع أبو عاصم ، فقال : لازرعك الله ، فخجل أحمد ، فلما كان المجلس الثاني مرّ لأبي عاصم حديث فيه فقه ، فقال : أين أنت يا منقوص ؟ أنَسٌ ألقح إليكم عن مالك ، قال : فخجل أحمد ثم وثب ، فقال : يا أبا عاصم ! إن الله خلقك جَدّاً فلا تهزلنّ ، فإن الله عزّ وجل سمّى المستهزئ في كتابه جاهلاً فقال : ﴿ إنّ اللهَ يَأمُرُكُم أن تَذبَحُوا بَقَرَة ، قَالُوا : أتتخِذُنا هزُواً ؟ قال : أعُوذُ بالله أنْ أكُون من الجَاهِلِين ﴾ (١) قال : فخجل أبو عاصم وكان لا يحدّثُ حتى يحضر أحمد فيقعده إلى جنبه .

(أخبار أصحاب الغلمان)

(النوبختي وزرزر المغنى)

حدثنا عبيد الله بن محمد الكاتب ، قال : كان عليٌّ بن العباس النّوْبَختِيُّ مع جماعة من أهله على سطح دار أبي سهل النوبختي في ليلة من ليالي الصيف يشربون ومعهم إبراهيم بن القاسم بن زُرْزُر المغني ، وكان إذ ذاك أمرد حسن الوجه ، وكان في السماء غيم ينجاب مرة ويتصل أخرى ، فانجاب الغيمُ عن القمر فانبسط فقال عليٌّ بن العباس ، وأقبل على إبراهيم :

لَمْ يَطْلُعِ البَدْرُ إلاّ من تَشَوّقِهِ
إليكَ حتى يُوَفّي وَجْهَكَ النّظَرَا

ولم يتمم البيت حتى استتر القمر ، فقال :

= عقله ، أو قولهم : النظر في العواقب تلقيح للعقول ، ويكون المعنى : ما استنارت به عقولنا من آراء مالك رضي الله عنه .

(١) سورة البقرة الآية ٦٧ .

ولا تغيَّبَ إلاَّ عند خَجْلَتِه
لَمَّا رآك تولّى عنك فاستَتَرا

(المعتز ويونس بن بغا) (١)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عباد ، قال : حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك، قال: شرب المعتز ويونس بن بُغا بين يديه يسقيه والجلساء والمغنون حُضور قد أعدّ الخِلَع والجوائز ، إذ دخل بُغا فقال : يا سيدي ! والدة عبدك يونس في الموت وهي تُحِبُّ أن تراه ، فأذن له فخرج ، وفَتَر المعتز لبُعْده ونَعِس ، فقام الجلساءُ وتفرّق المغنون إلى أن صليت المغرب وعاد المعتز إلى مجلسه ، ودخل يونس وبين يديه الشموع فلما رآه المعتز دعا برطل فشربه وسقى يونس رطلاً ، وغنى المغنون وعاد المجلس أحسن ما كان ، فقال المعتز :

تَغيبُ فَلاَ أفْرَحْ فَلَيْتَكَ لاَ تَبْرَحْ
فإن جئتَ عَذَّبْتَنِي فإنك لا تَسْمَحْ
فأصْبحتُ ما بين ذَيْن ولي كبد تُجْرح
على ذاك يا سيِّدي دُنُوُّكَ لِي أصْلَحْ (٢)

ثم قال : غنوا فيه فجعلوا يفكرون ، وقال المعتز لابن القصّار الطُّنبوري (٣) : ويلك ألحان الطنبور أملح وأخف فغنِّ لنا ، فغنى فيه لحناً ، فقال : دنانير الخريطة ، وهي مائة دينار فيها مائتان (٤) مكتوب على

---

(١) الخبر التالي في مختار الأغاني ٣٩٦/٦ ، ٣٩٧ .
(٢) في مختار الأغاني : أروح .
(٣) اسمه في مختار الأغاني : سليمان القصار الطنبوري .
(٤) هكذا في الأصل ولعلهما كانا كيسين في كل منهما مائة .

كل دينار منها ضرب هذا الدينار الحَسَنِيُّ لخريطة أمير المؤمنين ، ثم دعا بالخلع والجوائز لسائر الناس ، فكان ذلك المجلس من أحسن المجالس .

(وناسكٌ يقتلُه الوَجْد) (١)

حدثنا جعفر بن محمد بن النصير بن القاسم الخَوّاص ، قال : حدثنا أبو العباس بن مسروق ، قال : حدثني فضل اليزيدي(٢) ، عن إسحاق بن إبراهيم ابن المهدي عن عمر الهلالي ، قال : شهدتُ أبا يحيى التّيْمِي ، يقول : كان يختلف معنا رجل من النُّسّاك يقال له أبو الحسن إلى مِسْعر بن كِدَام (٣) ، وكان يختلف معه فتىً حسن الوجه يفتن الناس إذا رأوه ، فأكثر الناسُ القول فيه وفي صحبته إياه ، فمنعه أهله أن يصحبه وأن يكلمه ، فذُهِل عقله حتى خُشِيَ عليه التلف ، فبلغ ذلك مسعراً ، فقال : قولوا له : ألاّ يقربَنِي ولا يأتي مجلسي ، فإني له كاره ، فلقيتُه فأخبرتُه ذلك ، فتنفس الصُّعَداء وأنشأ يقول :

يــا من بدائع حسن صورته ... تَثْنِي إليه أعِنّةُ الحَدَقِ
لي منك ما للناس كلهمِ ... نَظَرٌ وتسليم على الطرقِ
لكنهــم سعدوا بأمنهــمُ ... وشقيتُ حين أراك بالفَرَقِ

قال : ثم صرخ صرخة وشخص ببصره نحو السماء ، وسقط فحرّكته فإذا هو ميت .

---

(١) الخبر التالي في مصارع العشاق ١٤٠ .
(٢) سند الرواية في مصارع العشاق يختلف في هذا الجزء ، ففيه : حدثنا جعفر بن محمد ، قال : حدثنا فضل اليزيدي ، وحذف منه أبو العباس بن مسروق .
(٣) هو مسعر بكسر الميم وفتح العين ، بن كدام بكسر الكاف ، بن ظهير الهلالي أبو سلمة الكوفي ، من رجال الحديث الأفاضل الأثبات ، وفيه يقول ابن المبارك :
من كان ملتمســاً جليســاً صالحــاً ... فليأت حلقة مسعر بن كدام
توفي حوالى سنة ١٥٥ هـ . انظر المعارف ، تهذيب التهذيب .

(لو أمر الله العباد بالجزع)

حدثنا الحسن بن أحمد الكلبي ، قال : حدثنا محمد بن زكريا ، قال : حدثني مهديٌّ بن سابق ، قال : قال يحيى بن خالد : لو أمر الله تعالى العباد بالجزع دون الصبر لكان قد كلّفهم أشد المعنيين على القلوب ، وقال الشاعر :

بكى جزعاً لِفُقْدانِ الحَبيبِ ... وأسْبَلَ دَمْعَ مَلْهُوفٍ كَئيبِ
وكان الصبرُ أجملَ لو تَعَزَّى ... وأشْفَى للصُّدُورِ من النَّحِيبِ
فلو جعل الإله الحُزْنَ فرضاً ... لكان الصَّبْرُ من جُلِّ الخُطُوبِ
لكان الحزنُ فيه غير شَكٍّ ... أشدَّ المعنيين على القُلوبِ

(الأمين يتوجع لإصابة خادمه كوثر)

حدثنا الصولي ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن خَلاّد ، قال : حدثني محمد بن عمر ، قام كوثر خادم الأمين محمد ليرى الحرب ، فأصابتْه رجمةٌ في وجهه فجلس يبكي فوجّهُ محمدٌ من جاء به ، وجعل يمسح الدمع عن وجهه ، ثم قال :

ضَرَبُوا قُرَّةَ عَيْنِي ... ولأجلي ضَرَبُوه
أخَذَ اللهُ لِقلْبِي ... من أُناسٍ أحْرَقُوه

فأراد زيادة في الأبيات ، فقال للفضل بن الربيع : من هاهنا من الشعراء ؟ فقال : الساعة رأيت عبد الله بن أيوب التيمي [1] . فقال : علَيَّ به ، فلما دخل أنشده البيتين وقال : قل عليهما ، فقال :

---

(١) أبو محمد ، مولى بني تيم ، من شعراء الدولة العباسية ، وأحد الخلعاء المجان الوصافين للخمر ، كان صديقاً لإبراهيم الموصلي وابنه إسحاق ونديماً لهما ، ثم اتصل بالبرامكة ومدحهم»، وقد استنفد شعره أو أكثره في وصف الخمر ، انظر الأغاني ٤٤/٢٠ .

ما لِمَن أهْوَى شَبيــه فيه الدُّنْيـا تَتيــه
وَصْلُهُ حُلْــو ولكن هَجْرُهُ مُرٌّ كريــه
من رأى النّاس له الفَضْـ ـل عليهــم حَسَدُوه
مثل ما قد حَسَدَ القَا ئِمُ بالمُلْكِ أخُــوه

فقال : قد أحسنت ، هذا والله خيرٌ مما أردت ، بحياتي عليك يا عباسيّ [1] إلا نظرت فإن كان جاء على الظهر ملأت أحمال ظهره دراهم ، وإن كان جاء في زورق ملأته له ، فأوقر له ثلاثة أبغل دراهم [2] .

(المأمون يعاتبه بسبب هذا البيت فيلجأ إلى الفضل بن سهل)

قال الصولي : فحدثنا الحسن بن علي العنزيّ ، قال : حدثني محمد بن إدريس ، قال : لما قتل الأمين خرج أبو محمد التيمي إلى المأمون فامتدحه ، فلم يأذن له فصار إلى الفضل بن سهل ولجأ إليه وامتدحه ، فأوصله إلى المأمون ، فلما سلّم عليه ، قال له : يا تَيْمِي :

مثــل ما قد حسد القـــا ئم بالملك أخــوه ؟

فقال أبو محمد التيمي :

نَصِرَ المأمونُ عبدُ الله لما ظَلَمُوه
نَقَضَ العهدُ الذي كان قَدِيماً أكّدُوه [3]
لم يعاملْــه أخُوه الذي أوصى أبــوه

ثم أنشده قصيدة امتدحه بها أولها :

---

(١) المرَاد بالعباسي الفضل بن الربيع .
(٢) انظر هذا الخبر والذي يليه في الأغاني ٤٨/٢٠ ، ٥٠ ، تاريخ بغداد ٣٢٩/٣ .
(٣) في الأغاني : نقضوا .... وكانوا .

جَزِعَتْ ابنَ تَيْم أنْ عَلاكَ مَشيبُ [1]
وبان الشَّبَابُ والشَّبَابُ حَبِيبُ

فلما فرغ منها قال المأمون : قد وهبتك لله ولأخي أبي العباس [2] ، يعني الفضل بن سهل ، وأمرت لك بعشرة آلاف درهم .

(خمسة آلاف في تفسير كلمة)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا أبو حاتم،عن الأصمعي، قال : دخلتُ على الرشيد هرون ومجلسه حافل ، قال : يا أصمعي ! ما أغفلك عنا وأجفاك لحضرتنا ! قلت : والله يا أمير المؤمنين ما ألاقَتْنِي بلادٌ بعدَكَ حتى أتيتك ، قال : فأمرني بالجلوس فجلستُ حتى خَلا المجلس فجلستُ وسكت عني حتى تفرق الناس إلا أقلهم ، فنهضتُ للقيام فأشار إليَّ أن أجلس، فجلست ولم يبقَ غيري وغيره ومن بين يديه من الغلمان ، فقال لي : يا أبا سعيد : ما ألاقَتْنِي؟ قلت : أمسكتني [3] يا أمير المؤمنين :

كَفَّاكَ كَفٌّ ما تَلِيقُ دِرْهَمَاً
جُوداً وأُخْرَى تُعْطِ بالسَّيفِ الدَّمَا

أي ما تمسك درهماً ، فقال : أحسنتَ وَهكذا فكن وقرنا في الملاَءِ وعلِّمنا في الخلاء ، وأمر لي بخمسة آلاف دينار .

---

(١) في الأغاني : أتاك .

(٢) في الأغاني : لأخي العباسي ، يعني الفضل بن سهل ، وهو الصحيح .

(٣) انظر هذا التفسير في مجالس ثعلب ٥٩٣/٢ ، واللسان (ليق) ، وانظر البيت في الإنصاف ٣٨٧/١ ، والقرطبي ٣٣٢٥ ، وفيه شاهد آخر ، وهو حذف الياء من الفعل المضارع (تعط) دون أن يتقدمه جازم مجتزئاً بالكسرة التي قبلها دالة عليها ، وهم يعللون ذلك بكثرة الاستعمال مثل قولهم : لا أدر بحذف الياء ، قال الزجاج : والأجود في النحو إثبات الياء ، ولا يجوز القياس على ما ورد منه .

(أبيات غزلية)

أنشدنا الصولي ، قال أنشدنا المبرد :

أَنْتِ إلْفُ العيُـُـــو ن فاكتحلي أو تَـمَـرَّهِي[1]
لستُ عنكمُ ولو قُتِلْـ ـتُ بَدَا الدهر أنتَهِي
قَادَنِي نَحْـوَكِ الشّقَا ءُ كَذا كُنْتُ أشْتَهي

* * *

(١) تمرهي : لا تكتحلي ، يقال : مرهت العين أي خلت من الكحل .

المجلس الثالث عشر

(حديث الغار)

حدثنا محمد بن نوح بن عبد الله المعروف بالجُنْدَيْسَابُوري ، إملاء في يوم السبت لليلتين خلتا من المحرم سنة عشرين وثلثمائة ، قال : حدثنا عليّ بن حرب الجنديسابوري قال : حدثنا عثمان بن أبي مقسم ، عن نافع ، أن ابن عمر أخبره أن نبي الله ﷺ حدثهم : أن ثلاثة نفر انطلقوا يتماشون فأصابهم المطر فأووا إلى غار في جبل ، فوقعتْ عليهم صخرة ، فقال بعضهم لبعض : ادْعُوا الله أن يُفَرِّج عنا فُرْجة نرى منها السماء ، فقال أحدهم : اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان وكان لي امرأة وصِبْوَة ، وكنت أرعى عليهما فإذا مشيت حلبتُ لهما في إنائهما ثم سَقَيْتُهُما ، وأني جئتُ ذات ليلة وقد دنا السحر وقد ناما ، وكنت قد حلبتُ لهما في إنائهما فقمت على رؤوسهما والصِّبْوَان يَتَضاغَوْن عند رِجْلَيَّ أكرهُ أن أوقظهما وأكره أن أسْقِيَ الصِّبْوان قبلَهُما ، اللهم إن كنت تعلم أني إنما فعلتُ ذلك من مخافتك فافرُج عنا فرجة نرى منها السماء ، قال : فأفرجت منها فرجة رأوا منها السماء .

قال : وقال الآخر : اللهم إن كنت تعلمُ أنه كانت لي ابنة عم وأني

راودتـُها عن نفسها فأبت علي حتّى أتيتـُها بمائة دينار ، فلما قعدْتُ بين رجليها ، قالت : يا عبد الله اتق الله ولا تكسر الخاتم إلا بحقـّه ، فقمتُ عنها وتركتـُه لها ، اللهم إن كنت تعلم أني إنما فعلت ذلك مخافتك ، فافرُج لنا فرجة نرى منها السماء ، فأفرجت فرجة أخرى فرأوا منها السماء .

قال : وقال الثالث : اللهم إنك تعلم أني استأجرت أجيراً يعمل لي في فَرَق من زيت ، فلما عمل أتاني يطلب أجره ، فقلت : اعمد إلى هذا الفـَرَق الزيت فخذه ، فرغبتْ عنه نفسـُه ، فعدتُ إليه ، فجمعتـُه فبعت منه حتّى كان بَقـَراً ورُعـَاتـَها ، فأتاني فقال : يا عبد الله اتق الله وأعطني أجْرَتي ، فقلت : املك هذه البقرات ورعاتها . فاستاقها ، اللهم إن كنت تعلم أني إنما فعلت ذلك مخافتك فافرج عنا الحـَجـَر ، فأفرج عنهم الحـَجـَر ، فخرجوا يتماشـَوْنَ إلى أهاليهم » (١) .

حدثنا محمد بن نوح ، قال : حدثنا علي بن حرب الجنديسابوري ، قال : حدثنا سليمان ، قال : أخبرنا جرير ، عن عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ نحوه .

(التعليق على الحديث)

قال القاضي : حديثُ الغار هذا معروفٌ عند أهل العلم ، وقد ورد الخبر به عن رسول الله ﷺ من وجوه ، وكتبناه من طرق شتّى عن الشيوخ ، وأتينا بهذا لأنه حـَضـَرنا في هذا الوقت دون غيره .

وفيه ما يدعو إلى فعل الخير واصطناع المعروف والإشفاق من الظلم ، والحذر من وخيم مـَغـَبـّته وسُوءِ عاقبته ، وفيه بيان أن أكثر فعل البرّ

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث نافع ، انظر المسند ١١٦/٢ ، وانظر رواياته المختلفة في تاريخ بغداد ٢٠٨/٦ ، ٢٠٩ ، وانظر كذلك مجمع الأمثال ٢٩٦/٢ .

عُدة لصاحبه ، وذخر يورثه النجاة من المَخُوفات ، ويعطيه الإغاثة عند اللزبات (١) .

وقد حدثنا محمد بن حمدان بن سفيان الطرائفي ، قال: حدثنا محمد ابن العباس بن النصير التّنيسي ، قال : حدثنا عمر بن أبي سلمة ، عن صدقة بن عبد الله الدمشقي ، عن الأصبغ ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله ﷺ : « صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِىءُ غَضَبَ الرَّب ، وصنائعُ المعروفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوء ، وأكثِرُوا مِنْ قَوْلِ لاَ حَوْلَ ولا قُوّةَ إلاَّ باللهِ ، فإنّها كَنْزٌ من كُنُوز الجَنّة » (٢) .

(كثير من أصحاب الحديث لا يضبط اللغة)

وروى لنا الجُنْديسابُوري هذا الخبر ، فقال فيه : الصَّبْوَة والصَّبْوان كأن اللافظ اعتبر فيه لفظ الصَّبوة . وقولهم : صبا يصبو ، والسائر في كلام العرب الصِّبية في جمع صبيٍّ والصبيان ، وأصحابُ الحديث لا يضبطُ كثيرٌ منهم مثلَ ذلك فيُحيله ولا يضبطه ، ورسولُ الله ﷺ أفصح العرب ، وكلامه جارٍ على أوضح الإعراب ، وأعلى مراتب الصواب .

(إعراب المفعول له)

وقول من حكى عنه في هذا الخبر : إنما فعلتُ ذلك مخافتك ، المعنى به لمخافتك ومن مخافتك ولأجل مخافتك ، وهذا الذي ينتصب عند النُّحاة

---

(١) اللزبات : الشدائد .

(٢) أخرج الترمذي عن أنس : « أن الصدقة لتطفىُ غضب الرب ، وتدفع ميتة السوء » ، انظر تحفة الأحوذي ، أبواب الزكاة ، باب « ما جاء في فضل الصدقة» ، الحديث رقم ٦٥٨ : ٣٢٩/٢ - ٣٣٠ .

لأنه مفعول له ، يقال : دنوت ابتغاءَ الخير ، ونأيتُ حذار الشر ، قال الله عز وجل : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ (١) أي لحذر الموت ، أو من حذره ، وقد قيل إن المعنى ، أنهم جعلوا أصابعهم في آذانهم حذر الموت ، وأن حذر الموت منصوب لأنه مفعول ثان ، فقولك : جعلت مالك في بيتك عدة لزمانك ، وسلاحك في رَحْلك جُنّةً من عدوك (٢) ، ومن هذا النحو ، قول الشاعر (٣) :

وأغفرُ عَوْرَاءَ الكَريم ادِّخَارَهُ
وأعرض عن ذَنْبِ اللئيم تَكَرُّمَا

(لغز آخر ينطبق على تسعة إخوة)

حدثنا أبي رضي الله عنه ، قال : حدثنا أبو أحمد محمد بن جعفر الختلي ، قال : حدثنا عبد الله – يعني ابن عمرو البلخي – قال : حدثني إبراهيم بن عبد الله الخُتّلي ، قال : حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثني أبو عمرو العمري ، قال : أخبرني حسين بن حسن بن سلمة بن مُزينة العامري ، عن أبيه : أن امرأة من بني عامر كان لها بنون عشرة ، فخرج تسعة منهم في بعض حاجتهم ، فأصابتهم السماء فابتدروا كهفاً فتحدّرت صخرةٌ فردمت عليهم باب الكهف ، فمكثوا فيه لا يقدرون على الخروج منه حتى ماتوا عن آخرهم ، فلما طال ذلك على أمهم ، قالت لابنها العاشر : انطلق فاقْفُ آثار إخوتك فما أراني إلا وقد رزئتهم ، قال :

---

(١) سورة البقرة الآية ١٩ .

(٢) فكلمتا عدة وجنة مفعول ثان لجعل ، لأنها تنصب مفعولين ، لكنّ ذلك لا ينطبق على بيت الشعر التالي ، لأن غفر لا تنصب مفعولين ، هذا وقد ذكر الفراء في إعراب حذر الموت أنها تمييز ، انظر تفسير القرطبي ١٩٠ .

(٣) البيت لحاتم الطائي وهو في ديوانه ٨١ ، ورواية الشطر الثاني فيه :

وأصفح عن شتم اللئيم تكرما

وانظره في الكتاب لسيبويه ١/١٨٤ وتفسير القرطبي بالرقم السابق .

يقول ابنها : كيف ذاك يا أمه ؟ قالت : يا بنيَّ إنِّي والله أجد كَبِدي تحترقُ احتراقاً ، كلما قلت قد سكن عاد تَلَهُّباً ، فانطلقْ هل تُحِسُّ لهم أثراً ، أو تعلم لهم خبراً ، قال : فخرج الفتى يقفو آثار إخوته حتى انتهى إلى ذلك الكهف فاطلع فيه فإذا إخوته موتى مُجَدَّلين ، فرجع يريد أمه باكياً ، فلما أتاها قالت : ما وراءك يا قيس ؟ قال : خيْرٌ يا أمَّه ، قالت : عليَّ ذلك يا بني ، قال :

لا تأسَفِنَّ على شيءٍ فُجِعْتِ به
إنَّ المنايا خِلاَل الوَعْثِ والجَدَدِ [1]
رَبَّيْتِهِمْ تسعةً حتى إذا اتَّسقُوا
أصبحْتِ منهم كقَرْنِ الأعْضَبِ الفَرَدِ
وكل أمٍّ وإن سُرَّتْ بما ولدتْ
يوماً سَتَثْكِلُ ما ربّتْ من الولدِ

قال : فنحبت العجوزُ نحيباً شديداً ، ثم قالت :

بُنَيَّ لا صبرَ لي فيما فُجِعْتُ به
عن تسعةٍ مثلهم غرَّاءُ لم تَلِدِ
زُهْرٌ جَحَاجِحَةٌ بيضٌ خضارمةٌ
وفي الهَزَاهِزِ والرَّوْعَاتِ كالأسْدِ [2]

(الأعضب وما قيل فيه من اللغة والفقه)

قال القاضي : الأعضبُ القرن : المكسور ، وقيل : إنه المكسور

---

(١) الوعث : الطريق الخشن الغليظ العسير ، والجدد : الطريق السهل الواضح ، ومنه قولهم : « من لزم الجدد أمن العثار » .

(٢) الخضارمة : جمع خضارم بضم الخاء ، وهو السيد الحمول الجواد ، الكثير العطاء والمعروف ، والهزاهز : الفتن يهتز فيها الناس .

نصفه ، وقيل : ثلثه ، وبين الفقهاء خلاف في جواز الأضْحية بالمعضوب القرن ، وفي القدر المانع من تجويز الضحية به كاختلاف أهل اللغة ، ويقال لذي الزَّمانة والكسر (١) من الناس : المعضوب ، ومن هذا الباب قول لبيد بن ربيعة يرثي أرْبَدَ أخاه (٢) :

يا أرْبَدَ الخَيْرِ الكِرَامُ جُدُودُه
خَلَّيْتَنِي أمشِي كَقَرْنٍ أعْضَبِ

(شعر لا يستنكر إنشاده في المسجد)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة ، قال : قـدم أعرابي من اليمن فدخل مسجد رسول الله ﷺ فجلس في حلقة فيها الحسن بن عليٍّ رضي الله عنه، فقال : هل فيكم من يُنشد ، فقيل له : إنك لجاهل ، أتستنشد ابن رسول الله ﷺ ، فقال : والله لأنشدنَّ ما لا يُنْكِره ، ثم إن أحب قال ، وإن أحبَّ سكت ، ثم أنشأ يقول :

رُبَّ أمورٍ قَدْ بَرَيْتُ لحَاهَــا
وقَوَّمْتُ من أصلابها ثم رِشْتُها (٣)

---

(١) الزمانة : المرض الذي يدوم ، والكسر : الانكسار والهزيمة .

(٢) هو أربد من جزء بن خالد بن جعفر بن كلاب أخو لبيد من أمه ، وكان أربد قد ذهب هو وعامر بن الطفيل في وفد بني جعفر بن كلاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفق معه عامر على قتل الرسول الكريم ، إلا أنهما لم يتمكنا من ذلك ، ودعا الرسول صلى الله عليه وسلم على عامر بقوله : « اللهم اكفني عامراً بما شئت » وبينما هما عائدان إذ أصابت أربد صاعقة فقتلته وأصيب عامر بالطاعون فمات في بيت امرأة سلولية، انظر سيرة ابن هشام وتفسير الطبري ١٣/٨٠ – ٨٥ ، والبرصان والعرجان ٢٥٧ .

(٣) اللحاء : قشر كل شيء ومعنى براه أي جعله أسهماً ، ورشتها : أي جعل فيها ريشاً وهو يعني بهذا البيت أنه ينظم الأمور ويديرها إدارة حسنة ، ويقال في المثل : فلان يبري ويريش : أي أنه ينظم الأمور ويديرها إدارة حسنة ، أو يضر وينفع ، ولا يبري ولا يريش : لا يضر ولا ينفع .

أقيمُ بدار الصدق ما لم أُهَنْ بهــــا
وإن خِفْتُ من دارٍ هَوَانا تَرَكْتُها
وأصْبِحُ خالي المالِ حتى تَخَالُني
بخيلاً وإن حَقٌّ عراني أهَنْتُها
ولست بولاّجِ البيوتِ لِفَاقَــة
ولكنْ إذا استغنيتُ عنها وَلِجْتُها
إذا قَصُرت أيدي الرجال عن العُلا
مددتُ يدي باعاً إليها فنِلْتُهــا
ومكرمةٍ كانتْ سَجِيَّةُ والِــدي
فعلّمَيهــا والدي فعلمتهــا
وقد علمت أعلامُ قومِــيَ أنّني
إذا نال أظفاري صديقاً قَلَمْتُهــا
رجاءَ غَدٍ أن يعطِفَ الوُدُّ بيننــا
ومظلمة منهم بجنبي عَرَكْتهــا
وإني سألقى الله لم أرْمِ حُــرّةً
ولم تأتمني سِرَّ قومٍ فخُنْتُهـــا
ولا باغيــاً خَمْراً وأسماع قَيْنَة
ولا قَائلاً في الشعر أني شَرِبْتُها
ولا غــائراً ما لم تُغِرْني حليلــتي
متى ما أغِرْ إن لم تُغِرْني ظَلَمْتُها

فقال الحسن رضي الله عنه : ما رأيتُ كاليوم شعراً أرصن ، وأمر له بصلة لم يقبلها ، وانصرف .

(أكله كُلّه)

حدثنا محمد بن إبراهيم بن عرفة المهلبي ، قال : حدثني أبو عتبة

البصري ، قال : قدم عمارة بن عقيل [١] البصرة ، فأتاه الناس يكتبون عنه ، فقال لرجل حضره : أنشدني بعض ما قاله الفرزدق لجدي ، وبعض ما قال جدي للفرزدق ، فأنشده قول الفرزدق [٢] :

حلفتُ بربٍّ مكة والمُصلّى ... وأعناقِ الهَديِ مُقلّدَاتِ [٣]
لقد قلّدْتُ جِلفَ بَني كُليبٍ ... قَلائدَ في السوالِفِ باقياتِ [٤]
قلائدَ ليس من ذهبٍ ولكن ... قَلائدَ من جهنمَ مُنْضِجَاتِ [٥]

حتى أتى عليها فجعل يتلظّى ، ثم قال : هات ما قال له أبي ، فأنشده [٦] :

تُعَلِّلُنا أمامةُ بالعِدَاتِ ... وما يَشْفِي القلوبَ الصّادِيَاتِ
ولولا حُبُّها وإلهِ موسى ... لَوَدَّعْتُ الصِّبَا والغانياتِ
إذا رَضِيَتْ رَضِيتُ وتَعْتَرِيني ... إذا غَضِبَتْ كَهَيْضَاتِ السُّبَاتِ [٧]
وما صَبْري عن الذَّلْفاءِ إلا ... كصبرِ الحُوتِ عن مَاءِ الفُرَاتِ

---

(١) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفي ، كان شاعراً فصيحاً ، قدم من اليمامة فمدح المأمون ووجوه قواده ، واتصل بإسحاق بن إبراهيم المصعبي وله فيه ملح كثير ، واجتمع الناس وأخذوا شعره وخصوصاً علماء اللغة ، وبقي إلى أيام الواثق ومدحه ، انظر معجم الشعراء ٢٤٧ ، الأغاني ٢٠/١٨٣ – ١٨٨ .

(٢) الأبيات في ديوانه ١/١٠٨ ، والنقائض ٧٦٨ .

(٣) المصلى : يريد به المسجد الحرام ، والمقلدات : الهدى المقلدة بالنعال ليعلم أنها هدية إلى البيت الحرام .

(٤) الجلف : الجبان النخب الجوف ، والسوالف : صفاة الأعناق ، الواحدة سالفة وهي عرض العنق من جانبيه .

(٥) الرواية في الديوان والنقائض : مواسم بدل قلائد التي في الشطر الثاني ، ولعلها جمع ميسم وهي ما يكوى به ، ومنضجات : محرقات .

(٦) الأبيات التالية وما بعدها في ديوان جرير ٦٩ ، النقائض ٧٧٥ ، من قصيدة يهجو بها الزبرقان بن بدر وبني طهية ويجيب الفرزدق على قصيدته السابقة .

(٧) الهيضة : التكسير والتفتير ، وفي الأصل : البيضات تحريف ، والسبات : النوم .

ثم قال : ماذا ؟ قــد قطّع الفرزدقُ عِرْضه وهو في أمامة ؟ حتّى إذا بلغ إلى قوله :

رَجَوْتُمُ يا بني وَقْبان [1] مَوْتِي ... وأرجُو أن تطولَ لكم حيَاتي
إذا اجتمعُوا عليَّ فخلٍّ عنهــم ... وعن بازٍ يَصُكُّ حُبَارِيَــات
إذا طَرِب الحمامُ حمامُ نجــدٍ ... نَعَى جارَ الأقارع والحُتاتِ [2]

فقام يحجلُ طَرَباً ، وقال : أكله كله .

(أبشر بطول سلامة يا مِرْبَع)

قال أبو عبد الله بن عرفة : وقد تمثل بهذا البيت الحسن بن قَحْطبة [3] حين هَمّ أبو جعفر المنصور بالبيعة للمهدي أبي عبد الله ، فدخل عليه الحسن بن قَحْطبة فقال : يا أمير المؤمنين ! ما تنتظر بالفتى المُقْبل المبارك ، جَدِّدْ له البيعة فما أحد ممتنعٌ وراء هذا السِّتْر ، ومَن أبَى فهذا سيفي ، وبلغ الخبر عيسى بن موسى [4] ، فقال : والله لئن ظَفِرْت به لاشَرِب البارد ، وبلغ الحسن بن قحطبة الخبر والمنصور فدخل الحسن

---

(١) بنو وقبان : هم مجاشع رهط الفرزدق .
(٢) الأقارع : يريد بهم الأقرع وفراساً ابني حابس ، والحتات هو بشر بن يزيد بن عامر بن علقمة بن حوى بن سفيان بن مجاشع ، والحتات لقب له ، انظر النقائض ٧٧٠ .
(٣) هو الحسن بن قحطبة بن شبيب الطائي ، من كبار القواد العباسيين ، كان أبو مسلم الخراساني بعد أن ضبط خراسان قد بعث أباه قحطبة في جمع كثير إلى العراق ليقاتل من بها من أصحاب مروان بن محمد ، فسار قحطبة وفض جموعهم في كل بلد صادفها ، حتى دخل واسط فقتل بها من أتباع يزيد بن عمر ، فتولى ابنه الحسن قيادة الجيوش فسار بها حتى دخل الكوفة ، وكانُ له أثر كبير في القضاء على الأمويين ، انظر المعارف ٣٧١ ، ٣٧٢ .
(٤) هو عيسى بن موسى بن محمد بن عبد الله بن العباس ، أحد الولاة العباسيين وقوادهم ، وهو ابن أخي السفاح والمنصور ، وكان ولياً لعهد المنصور إلا أن هذا عزله عن ولاية العهد وجعلها لابنه المهدي ، انظر المعارف ٣٧٦ ، ٣٧٨ .

ابن قحطبة على المنصور وعنده عيسى بن موسى ، فتمثل المنصور بقول جرير :

زَعَمَ الفرزدقُ أنْ سيقتلُ مِرْبَعاً
أبشر بطول سَلامةٍ يا مِرْبَع

مربع رجل من بني جعفر بن كلاب [١] ، كان يروى شعر جرير فنذر الفرزدق دَمَه ، فقال جرير [٢] :

زعم الفرزدقُ أن سيقتل مربعاً
أبشر بطول سلامة يا مربعُ
إن الفرزدق قد تبيّن لُؤْمُه
حيث التَقى حُشَشَاؤه والأخْدَعُ [٣]

فلما خلع المنصور عيسى بن موسى مَرَّ في موكب ، فقال إنسان : من هذا ؟ فسمعه مُخَنَّث ، فقال : هذا الذي أراد أن يكون غداً فصار بعد غد ، وقد رُوينا في خبر آخر : أن عيسى بن موسى قال لمخنّث يتهدَّدُهُ : أما تَعْرِفُني ؟ فقال : بلى ، أنت الذي كنت غداً فصرتَ بعد غد [٤] .

وقول جرير : حيث التقى حُشَشَاؤُه ، الحُشاشاوان : هما العظمان الناشزان وراء الأذنين ، والواحد حُشَشَاء وهما لغتان إحداهما هذه

(١) مربع لقبه واسمه وعوعة من بني جعفر بن كلاب ، كذا ذكر في اللسان (ربع) ، وفي جمهرة الأنساب ٢٨٣ : أنه مربع بن وعوعة بن سعيد بن قرط بن عبد الله بن أبي بكر ابن كلاب .

(٢) البيتان التاليان في ديوانه ٢٧٢ .

(٣) الأخدع : أحد عرقين في جانبي العنق ، وهما أخدعان .

(٤) انظر أخبار الظراف والمتماجنين ٢٢ .

مثل فُعلاء ، والأخرى حشاء على فُعْلال مثل قسطاس [1] وفُسْطَاط من الصحيح ، وكذلك قُوياء وليس في الأسماء على هذا الوزن غيرهما .

وأما فُعَلى فقد حكى الفراء ويعقوب وغيرهما فيه ثلاثة أحرف ، وحكى غيرهما فيه رابعاً وخامساً وسادساً ، فأما الأحرف الثلاثة فأُدَمَى اسم مكان [2] ، وأُربَى من أسماء الداهية ، كما قال الشاعر :

هِيَ الأُرْبَى جَاءَتْ بأمِّ حَبَوْكَرَى [3]

وشُعَبَى اسم بلدة ، قال جرير :

أعبداً حَلَّ في شُعَبَى غَرِيبــاً
أَلُؤْماً لا أبَا لَكَ واغْتِرَابَــا [4]

وأما الحروف الأخر فحكاهنَّ فيما رُوى لنا أبو عمرو الشيباني وابن الأعرابي ،

حدثنا أبو عمر محمد بن عبد الواحد [5] ، قال : أخبرنا ثعلب ، قال : جاءت حروف لم يأتِ بها يعقوب ولا الفراء ، أتى بها أبو عمرو الشيباني

---

(١) الصحيح أن يقول مثل قرطاط وفسطاط ، ذلك لأن قسطاس مكسور الفاء فلا ينطبق على ما يريد أن يثبته ، انظر كتاب سيبويه ٣٢١/٢ ، وانظر خلق الإنسان للأصمعي ١٦٩ .

(٢) أدمى : قيل هي اسم جبل ، وقيل : أرض ذات حجارة في بلاد قشير ، وقيل إنها من بلاد بني سعد ، وقيل غير ذلك ، انظر معجم البلدان ١٧٠/١ .

(٣) عجز بيت لعمرو بن أحمر الباهلي ، وصدره :

فلما عسى ليلي وأيقنت أنهــا

انظر اللسان ٢٣٤/٥ .

(٤) قاله جرير في هجاء العباس بن يزيد الكندي ، وشعبي اسم موضع في جبل طيئ ، انظر ديوانه ، واللسان ٤٨٥/١ ، وسيبويه ١٧٠/١ ، والخزانة ١٨٣/٢ ، ١٨٩ .

(٥) في أ : أبو عمرو ، وهو خطأ ، فهو أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد .

وابن الأعرابي ، وهي : جُمَدى اسم موضع وجُسَقى اسم بلد ، وجُبنَى اسم جبل[1] .

(دَعْ لله إحداهما تنل الأخرى)

حدثنا علي بن محمد بن الجهم ، أبو طالب الكاتب ، قال : حدثنا العباس بن الفضل الرَّبَعي ، قال : وحدثني عليٌّ بن محمد بن خلف العطار ، قال : حدثني الحسن بن الحسين الأشقر ، قال : كنت أطوف مع عبد الله بن حسن بن حسن فإذا نحن بامرأة حسناء تطوف ، قال : فقال لها عبدُ الله بن حسن بن حسن :

أَهْوَى هَوَى الدِّينِ واللّذّاتُ تُعْجِبُنِي
فكيف لي بهوى اللّذّاتِ والـــــدِّينِ

فقالت : يا ابن رسول الله دَعْ لله إحداهما تنل الأخرى ، فقال : هل من زوج ؟ قالت : كانَ فدُعي ، قال : مُنْذُ كم ؟ قالت : منذ سنة ، فقال : الحمد لله على تمام النعمة ، قال : هل لك في التزويج ؟ قالت : والله ما كان ذاك رأيي ، ولكن لك فنعم ، فتزوَّجها .

(عبد الله بن طاهر يجيز العتّابي ثلاث مرات)

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثني أحمد بن أبي طاهر ، قال : حدثني أبو هفان ، قال : حدثني أبي ، قال : دخل العتّابي[2] على عبد الله بن طاهر فأنشده :

---

(١) ذكر السيوطي في المزهر أن الذي زاده أبو عمر الزاهد هو : جنفي اسم موضع ، وقال أبو حيان : وينظر أهو بالحاء أو بالجيم ، وحلكى : دويبة . انتهى ، وزاد القالي في المقصور : أرثى . حبة تطرح في اللبن فتخثره ، والأدمى : حجارة حمر في بلاد بني قشير وهو غير الأدمي السابق ، والجعبي : عظام النمل التي تعض ولها أفواه واسعة .

(٢) هو كلثوم بن عمرو بن أيوب العتابي ، جده السابع هو عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة =

حُسْنُ ظَنِّي وحُسْنُ ماعَوَّدا الـ ... ـله سُوائِي بك الغَدَاةَ أَتَى بِي
أيُّ شيءٍ يكونُ أحْسَنَ من حُسْـ ... ـنِ يقينٍ حَدَا إليك رِكَابِي

فأمر له بجائزة ، ثم دخل عليه مرة أخرى فأنشده :

جُودُك يَكْفِينيك فِي حَاجَتِي ... ورُؤْيَتِي تَكْفِيكَ مِنِّي السُّؤَال
كيف أخْشَى الفَقْرَ ماعِشْتَ لِي ... وإنّما كَفّاكَ لِي بيتُ مَالِ

فأجازه أيضاً ، ثم دخل عليه اليوم الثالث فأنشده :

اكْسُنِي ما يبيدُ أصلحك اللـ ... ـه فإنِّي أكْسُوكَ ما لاَ يبِيدُ

فأجازه وكساه وحمله [1] .

(قصة أبياتٍ من الشعر لعبد الله بن طاهر)

حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمي ، أبو عبد الله الكاتب ، قال : أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن هشام ، قال : كُنّا عند أبي العباس محمد بن عبد الله بن طاهر [2] يوماً ، ودخل محمد بن عيسى الكاتب ، فقال أبو العباس : أعطوه قدحاً ، فأبى واعتذر ، فقبل عذره وجلس وغَنّينا وشربنا ، ثم تغنى كُنيز دبّة [3] صوتاً فالتفت أبو العباس

= وهو شاعر مترسل بليغ مطبوع من شعراء الدولة العباسية ، وكان منقطعاً إلى البرامكة فوصفوه للرشيد ووصلوه به فبلغ عنده منزلة عظيمة ، وكان يحيى بن خالد البرمكي يقول لولده : إن قدرتم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرو ، فضلا عن رسائله وشعره ، فلن تروا أبداً مثله ، ترجمته في الأغاني ١٣/١٠٩ – ١٢٥ ، وانظر الخبر في ١١٦ منه .

(١) انظر هذا الخبر رواية عما هنا في تاريخ بغداد ٤٨٧/٩ .

(٢) محمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي ، كان شيخاً فاضلا وأديباً شاعراً ، وهو أمير ابن أمير ابن أمير ، ولي إمارة بغداد أيام المتوكل ، وكان مألفاً لأهل العلم والأدب ، توفي سنة ٢٥٣ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٤٢٢/٥ .

(٣) كنيز دبة : مغن اشتهر بالحذق في صناعة الغناء، ووضع ألحاناً تداولها الناس، وكان يحضر =

فنظر إلى قَدَحٍ فيه أربعةُ أرطالٍ في يد محمد بن عيسى فقال ، ما هذا يا أبا جعفر ؟ فقال : أعز الله الأميرَ ، لِي ولهذا الشعر حديث ؛ كنتُ مع أبي العباس عبد الله بن طاهر [1] جالساً فشكا إليَّ وجدَه وعِشْقه لإنسان فقــال :

أعْيانِيَ الشّادِنُ الرَّبِيبُ

فقلت : دَارِه ، فقال :

أكتبُ أشكُو فلا يُجِيبُ

فقلت : دَاوِه ، فقال :

فكيفَ أرجُو دواءَ دائِـــي وإنّما دَائِيَ الطّبيـــبُ

ثم افترقنا فلم أسمع أحداً يذكره حتى سمعتُ هذا يُغني به الساعة [2] .

= مجالس المقتدر العباسي ، وله أخبار ، توفي سنة ٣٠٦ هـ ، انظر ابن الأثير حوادث ٣٠٦ ، والأغاني ٥/٢٢١ ، ٢٢٢ .

(١) من الملاحظ أن كنية عبد الله بن طاهر وكنية ابنه محمد واحدة وهي أبو العباس وهذا صحيح كما ذكرت المراجع ، وليس خطأ كما قد يتبادر إلى الذهن .

(٢) وردت هذه القصة في المنتظم ٥/١١٩ ، ونشوار المحاضرة نقلا عنه في ٤/١١٧ ، برواية أخرى هي :

حدث سليمان بن يحيى بن معاذ ، قال : قدم علي نيسابور إبراهيم بن شبابة الشاعر البصري فأنزلته علي ، فجاء ليلة من الليالي وهو مكروب قد هاج ، فجعل يصيح بي : يا أبا أيوب ، يا أبا أيوب ، فخشيت أن يكون قد غشيته بلية ، فقلت : ما تشاء ؟

فقال : أعياني الشادن الربيب .

فقلت : بماذا ؟

فقال : أشكو إليه فلا يجيب .

فقلت : داره وداوه .

فقال :

مــن أين أبغي دواء دائــي وإنمــا دائي الطبيب

(أبيات ثلاثة لأبي نواس تُساوي شعر أبي العتاهية كله)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا الحسن بن عبد الرحمن الربعي ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : حدثنا محمد بن أحمد بن مطهر الكوفي ، قال : قال أبو العتاهية ، قال : قلت عشرين ألف بيت في الزهد ووددِتُ أنّ لي مكانها الأبيات الثلاثة التي لأبي نواس[1] :

يــا نواسيّ تَوَقّــرْ[2] وتَعَــزَّى وتَصَبّــر
إن يكنْ ســاءكَ دَهْرٌ[3] فَلَمَا سَرَّكَ أكْــثر
يا كثيرَ الذّنْبِ عَفْو الـــلّهِ من ذَنْبك أكــبر

قال الحسن بن عبد الرحمن ، قال أبو مسلم الكاتب : هذه الأبيات مكتوبة على قبر أبي نواس ، فزادني أبي فيها بغير هذا الإسناد :

أعظمُ الأشياءِ في[4] أصْــغر عفو اللهِ يَصْغُــــرِ
ليس للإنســـان إلاّ ما قَضَى اللهُ وقَدَّرْ
ليس للمخلـــوق تَدْبيــرٌ بَلِ اللهُ المدَبِّــرْ

= فقلت : إذن يفرج الله عز وجل .

فقال :

يا رب فرج إذن وعجــل فــإنك السامع المجيب

فقال : ثم انصرف .

(١) انظر هذا الخبر مروياً عما هنا في تاريخ بغداد ٤٤٦/٧ ، ٤٤٧ والأبيات وما قبلها في ديوان أبي نواس ١٩٦ ، وما عدا الأخيرين في البيان والتبيين ٢٠٠/٣ والثاني والثالث في الموشح ٤٢٥ ، مع اختلاف في الرواية .

(٢) رواية المراجع السابقة كلها : تفكر .

(٣) رواية هذا الشطر في المراجع : ساءك الدهر بشيء .

(٤) في الديوان : عن بدل في .

(ريبةُ الرّشيد في النمري)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا عونُ بن محمد ، أن سعيد ابن سلم قال : حضرتُ النمريَّ (١) يُنشدُ الرشيدَ شِعْراً فمر فيه وصفٌ لسيوفـــه :

لَيْسَتْ كأسيافِ الحُسَيْنِ و لا
بَنِي حَسَنٍ ولا آل الزُّبَيْر الكُلَّلِ
هَرُونُ في الخُلفاء مثلُ محمــد
في الأنبياء مفضّـــلٍ لمفضّـــلِ

فقال له الرشيد : ما يولعُك بذكر قوم لا ينالهم ذمٌّ إلا شاطرتَهم إياه ، قد رابني منك هذا وفيك ، لا تَعُدْ له ، وإنما نفارقهم في المُلْك ثم لا افتراقَ في شيء بعده .

(شعر يَعْزِلُ قاضياً عن القضاء) (٢)

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقري ، قال : أخبرنا مسبح بن حاتم ، قال : أخبرني يعقوب بن إسرائيل ، قال : أخبرني محمد بن علي بن أمية ، قال : كنا بحضرة المأمون بدمشق فغنى علّويه (٣) :

---

(١) هو منصور بن الزبرقان بن سلمة النمري ، شاعر من شعراء الدولة العباسية من أهـل الجزيرة ، وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي وراويته وهو الذي وصله بالرشيد ، فحظي عنده ، وكان يتقرب إليه بهجاء العلويين ، مع أنه كان يتشيع في الباطن ، وقد حدثت بينه وبين العتابي جفوة فسعى به العتابي لدى الرشيد وذكر له قصيدة هجا فيها بني العباس ، فطلبه الرشيد وأرسل اليه من يقتله ، فوجده قد مات ، انظر الأغاني ١٣/١٤٠ - ١٥٧ ، أمالي المرتضى ٢/٢٧٧ .

(٢) الخبر التالي في الأغاني ١١/٣٤٠ ، ومعجم الشعراء ٢٢٥ .

(٣) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن سيف المعروف بعلويه ، كان مغنياً حاذقاً ، ومؤدياً محسناً وصانعاً متفنناً وضارباً متقدماً ،مع خفة روح وطيب مجالسة وملاحة نوادر ، وكان ــ

بَرِئْتُ من الإسلام إن كان ذا الذي
أتاكِ به الواشُون حَقّاً كما قالوا
ولكنهم لما رَأَوْكِ سريعةً [1]
إليَّ تواصَوْا بالنميمة واحْتَالُوا
فقد صِرْتِ أُذْناً للوشاةِ سميعةً
ينالون من عِرْضي ولو شئتِ ما نالوا

فقال المأمون لعلُّويه : لمن هذا الشعر ؟ قال : للقاضي ، قال : أي قاض ؟ قال : قاضي دمشق [2] ، فأقبل على أخيه المعتصم ، فقال له : يا أبا إسحاق اعزله، قال : قد عزلته ، قال : فليحضُر الساعة ، فأحضِرَ شيخٌ خضيبٌ رَبْعة من الرجال ، فقال له المأمون : من تكون ؟ فنسب نفسه ، فقال : تقول الشعر ؟ قال : قد كنتُ أقوله ، قال : يا علُّويه أنشده الشعر فأنشده ، فقال : هذا شعرك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، ونساؤُه طوالقٌ وعبيدُه أحرار ومَالُه في سبيل اللهِ إن كان قال شِعراً إلاّ منذ ثلاثين سنة وإلا في زُهد أو معاتبة صديق ، قال : يا أبا إسحاق اعزله ، فما كنت لأُوَلّي الحُكْم بين المسلمين من يبدأ في هَزله وجدّه بالبراءة من الإسلام ، ثم قال : اسقوه ، فأتي بقدح فيه شراب فأخذه بيده وهي ترعد ، ثم قال : يا أمير المؤمنين! الله الله ما

= إبراهيم الموصلي علمه وخرجه وغني به جداً ، فبرع وغنى لمحمد الأمين وعاش إلى أيام المتوكل ، انظر ترجمته وأخباره في الأغاني ١١/٣٣٣ - ٣٦٣ ، البرصان والعرجان ١٠٨ ، ١٠٩ .

(١) في الأغاني : غربة .
(٢) ذكر أبو الفرج في الأغاني أن هذا القاضي هو عبد الله بن محمد الخلنجي ، وأنه كان ابن أخت علويه وكان علويه يعاديه لمنازعة كانت بينهما ، فاستعفى الخانجي من القضاء ببغداد وسأل أن يولى بعض الكور البعيدة فولى جند دمشق أو حمص ، وكان ذلك زمن الأمين ، فلما ولي المأمون الخلافة غناه علويه هذا الشعر وأن صاحبه هو القاضي عمرو بن أبي بكر أخا عمر بن أبي بكر المؤملي الذي يروي عنه الزبير بن بكار .

ذقته قط ، قال : أفحرام هو ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، فقال المأمون : أولى لك بها ، أي نجوت . ثم قال لعلويه : لا تقلْ برئتُ من الإسلام ، ولكن قُل :

حُرِمتُ منائِي منك إن كان ذا الذي
أتاك به الواشُون حقاً كما قالوا

قال محمد بن الحسن المقري : هذا القاضي هو عمر بن أبي بكر الموصلي ، روى عنه الزبير بن بكار وإبراهيم بن المنذر [1] .

(تعليق نحوي : مد المقصور وقصر الممدود)

قال القاضي : مَدَّ المأمون المُنى في هذا وهو مقصور ، وكان نحاة البصرة من متقدميهم ومتأخريهم لا يُجيزون ذاك في شِعْر ولا نثر ، إلا الأخفش فإنه كان يجيزه في الشعر ، وهو مذهب متقدمي نُحاة الكوفيين ، وكان الفَرَّاء يجيزه في بعض الوجوه ويأباهُ في بعضها ، فأما قصر الممدود في الشعر فجائز عند جميع النحويين [2] ، ولو جعل مكان

(١) إبراهيم بن المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة المدني ، أبو إسحاق الحزامي محدث روى عن مالك وابن عيينة وغيرهما ، ووثقه ابن معين والنسائي والدارقطني ، صنف كتاب المغازي في الحديث ، توفي عام ٢٣٦ هـ ، انظر اللباب ٢٩٦/١ ، تهذيب التهذيب ١٦٦/١ ، ١٦٧ .

(٢) وذلك ما عدا الفراء أيضاً ، فمذهبه عدم جواز قصر الممدود أو مد المقصور إلا بشروط معينة ، وقد ذهب إلى أنه لا يجوز أن يمد من المقصور ما لا يجيء في بابه ممدود ، نحو فعلى تأنيث فعلان نحو سكرى وعطشى ، فهذا لا يجوز أن يمد لأن مذكره سكران وعطشان ، وفعلي تأنيث فعلان لا تجيء إلا مقصورة . كذلك لا يجوز أن يقصر من الممدود ما لا يجيء في بابه مقصور ، نحو تأنيث أفعل نحو بيضاء وسوداء فهذا لا يجوز أن يقصر ، لأن مذكره أبيض وأسود ، وفعلاء تأنيث أفعل لا يكون إلا ممدوداً ، وكذلك حكم كل ما يقتضي القياس أن يكون ممدوداً ، فأما ما عدا ما يوجب القياس أن يكون مقصوراً أو ممدوداً من المقصور والممدود فإنه يجوز أن يمد منه المقصور ويقصر منه الممدود إذا كان له نظير من =

هذا : حُرمت رجائي أو شفائي أو ما أشبهها لكان وجهاً صحيحاً لا ينكر ولا يختلف في جوازه .

(عمر رضي الله عنه يعزل والياً بسبب شعره)[1]

ونظيرُ عزل هذا القاضي عن عمله لما أنكره إمامهُ من القول السيِّيء في شعره ، الخبر الوارد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من عزله النعمان ابن عديّ بن نَضْلة ، وذلك ما حدثناه علي بن محمد بن الجهم أبو طالب الكاتب ، قال : حدثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن منصور البصري ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، قال : حدثني أبي ، عن محمد بن إسحاق ، قال : أنبئت أن عَدِيَّ بن نَضْلة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب[2] ممن هاجر إلى أرض الحبشة ومات بها ، وكان معه ابنه النعمان بن عدي وهو الذي استعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على مَيْسان[3] ، فقال أبياتاً من الشعر فعزله ، فقـــال :

= المقصور أو الممدود ، فيجوز عنده مد « رحى ، وهدى ، وحجى » لأنها إذا مدت صارت إلى مثال سماء ودعاء ورداء ، ويجوز عنده قصر « سماء ، ودعاء ، ورداء » لأنها إذا قصرت صارت إلى مثال رحى وهدى وحجى، فأما ما لا مثال له من المقصور والممدود إذا مد وقصر فلا يخرج عن بابه من المد والقصر ، فهذا تفصيل المذاهب ، انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف ٧٤٥ ، ٧٤٦ .

(١) الخبر التالي بنصه في سيرة ابن هشام ٣٦٦/٢ ، ومع اختلاف في بعض ألفاظ الرواية في أمالي القالي ١٢١/٢ ، وسمط اللآلي ٧٤٥ ، ومعجم البلدان مادة ميسان ٧١٤/٤ ، ٧١٥ ، والعقد الفريد ٣٣٩/٤ ، ونهاية الأرب ١٠١/٤ .

(٢) انظر ترجمته في الإصابة ، الاستيعاب ، السيرة لابن هشام ٣٦٥/٢ .

(٣) ميسان بالفتح ثم السكون : كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان ، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما فتحت في أيامه ولاها النعمان بن عدي بن نضلة ، انظر معجم البلدان .

ألا هل أتى الحسناءَ أنَّ حَليلَها
بمَيْسَان يُسْقَى في زُجاجٍ وحِنْتَم (١)
إذا شئتُ عادتْني دَهاقِينُ قريةٍ
ورقّاصة تَجْذُو على كلِّ مِنْسَمِ (٢)
فإن كنت نَدْمَاني فبالأكبر اسْقِني
ولا تَسْقِني بالأصْغَرِ المُتَثَلِّمِ
لعل أميرَ المؤمنين يسوءُه
تَنَادُمُنا بالجَوْسَقِ المتهدم (٣)

فلما بلغت عمر الأبيات ، قال : أجل والله إن ذلك ليسُوءُني ، فمن لقيَه منكم فليخبرْه أنّي قد عزلتُه ، فقدم علي عُمر فاعتذر ، وحلف ما صنع مما قال شيئاً ، ولكني كنت امرأً شاعراً وجدتُ فضلاً من قول كما يقول الناس ، فقال عمر : والله لا تَعْمَل لي عملاً ما بقيتُ وقد قلتَ ما قلت (٤) .

(تعليق لغوي وبلاغي)

قال القاضي : قوله تجذو على أطراف أصابع رجليها : أي تقوم ، يقال منه : جذا يجذو على أصابع رجليه ، وجثا يجثو على ركبتيه .

وسمّى الرِّجْلِ مِنْسماً استعارة وهو في الأصل للبعير ، كما روى

(١) الحليل : الزوج ، والحنتم : جرار مدهنة بخضرة تضرب إلى الحمرة .
(٢) في كل المراجع : غنتني بدل عادتني ، والدهاقين : جمع دهقان وهو العارف بأمور القرية وأهلها ، وفي الأمالي والسمط : وصناجة بدل رقاصة ، والصناجة التي تضرب بالصنج .
(٣) الجوسق : البنيان العالي ، وقيل : الحصن ، وفي معجم البلدان : أن هذه الأبيات كتبها النعمان إلى امرأته يغيظها ، إذ كان قد أرادها على الخروج معه إلى عمله فأبت عليه .
(٤) انظر نص الرسالة التي أرسلها سيدنا عمر إليه في معجم البلدان ، وفيه أن عمر رضي الله عنه لم يول أحداً من قومه بني عدي غيره لما كان في نفسه من صلاحه .

عن النبي ﷺ أنه قال في المستحاضة « لتستثفر »[1] ، وهو في الأصل للدواب ذوات الحافر ، وكما قال : « من حفظ ما بين فَقَمَيْهِ وما بين رجليه دخل الجنة[2] » يريد الفم والفرج ، وأصل الفقم للحية ، ومن المنسم قول زهير[3] :

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يُضَرَّس بأنيابٍ ويُوطأ بِمِنْسَمِ

والذي يسمى من الإنسان الظفر يقال له من ذوات الخُفّ المنسم .

(من الشعر العفيف)[4]

حدثنا يعقوب بن محمد بن صالح الكريري ، قال : حدثنا أحمد بن إسماعيل القيسي ، قال : حدثنا عبد الله بن شبيب المدني ، قال : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : أنشدنا عبد الله بن مُصعب لخيرة بنت أبي ضَيْغَم البَلَوِيّة[5] :

وبِتنْا خِلاَفَ الحَيِّ لا نحنُ منهمُ
ولا نَحن والأعداءُ مُختلطانِ[6]
وبتنا يقينا بَارِدَ الطّلِّ[7] والندى
من الليل بُرْدَا يَمْنَةٍ عَطِـرَانِ

---

(١) تستثفر : أي تأخذ خرقة عريضة بين فخذيها تشدها في حزامها ، وأصل الثفر : سير في مؤخر السرج ونحوه يشد على عجز الدابة تحت ذنبها ، انظر اللسان « ثفر » والنهاية في غريب الحديث والأثر ٢١٢/١ .

(٢) الحديث الشريف في مسند الإمام أحمد ٣٩٨/٤ ، رواية عن أبي موسى الأشعري .

(٣) ديوانه ١٢ .

(٤) الخبر التالي في أمالي القالي ٨٣/٢ .

(٥) في الأصل حبرة والتصحيح من الأمالي ، قيل : وكانت خيرة هذه تهوى ابن عمها فحجبها أبوها عنه .

(٦) في الأمالي : بالأعداء .

(٧) في الأمالي : ساقط الطل .

نذودُ بذكر الله عنّا من الخَنا[1] إذا كان قَلْبانا بنا يَـرِدَانِ
ونصدر عن رِيٍّ العفاف وربّمـا نقعنا غليل الصَّدْر بالرَّشَفَانِ[2]

(أبيات تمثّل بها ابن الزبير منصرفه يوم الجمل)

حدثنا عبد الباقي بن قانع ، قال : حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن صالح بن شيخ ، قال : حدثنا الرياشي ، قال : حدثنا محمد بن الحكم الجبلي ، قال : حدثنا محمد بن حلحلة القرشي ، عن أبي ريحانة ، قال : لما انصرف الزبير يوم الجمل تمثل :[3]

أمرتُهُمُ أمري بمنْعَرَجِ اللّـوى
ولا أمْر للمَعْصِيِّ إلاّ مُضيّعـا[4]
فقلت لكأْسٍ ألْجميهـا فإنمـا
حَلَلْتُ الكثيب من زرود لأُفزعا[5]

---

(١) في الأمالي : من الشذى ، وهو الأذى ، قال : وفي رواية من الصبا .
(٢) في الأمالي : أمر العفاف ، وفيها : نقعنا غليل النفس .
(٣) الأبيات التالية للكلحبة العرني : هبيرة بن عبد مناف بن عوف بن ثعلبة بن يربوع ، وكان الكلحبة قد نزل بزرود وهي أرض بني مالك بن حنظلة وهو رجل من يربوع ، فأغارت بنو تغلب على بني مالك ، وقد سقيت فرس الكلحبة الفراغ أجمع وهو حوض عظيم من أدم ، فأخبر بشرب فرسه ، والماء مما يعوق الخيل عن الجري لكن الكلحبة لما جاءه النذير أمر ابنته كأس بإلجام فرسه ، وكانت تسمى العرادة ، ثم ركب فاستنقذ ما أخذ القوم ، وأفلته خزيمة بن طارق رئيس القوم ، وذلك لبطء فرسه حين شربت ، فقال الكلحبة قصيدته هذه التي منها الأبيات وأولها :
فإن تنج منها يا خزيم بن طـارق فقد تركت ما خلف ظهرك بلقعا
انظرها في المفضليات ٢٠ – ٢٣ ، وانظر نوادر أبي مسحل ١٥٣ ، والأضداد لابن الأنباري ٩٠ .
(٤) رواية المفضليات : أمرتكم أمري ، يريد أنه أمرهم بشيء فلم يقبلوا منه ، ومنعرج اللوى : انثناء الرمل وانعطافه : فاللوى مقصور : هو الرمل .
(٥) كأس : اسم ابنته وقيل جاريته ؛ ورواية المفضليات نزلنا .. لنفزعا، ونفرغا : أي =

كأنّ بلَيْتَيْها وبَلْدَةِ نَحْرِهــا
من النَّبْلِ كُراثُ الصَّرِيم المُنَزّعا (١)
إذا المرء لم يَغْش الكريهةَ أوشَكَتْ
حِبَال الهُوَيْنا بالفتى أن تُقَطعــا

قال الرياشي : اللّيْتَانِ صحفتا العنق من الناقة ، وهما تحت القُرط من المرأة ، قال القاضي : من الليت قول الشاعر :

وفرعٍ يَصِيرُ الجيدَ وحفٍ كأنــه
على اللّيْتِ قِنوانُ الكُروم الدّوالحُ (٢)

وقال آخر :

إذا هي قامتْ تَقْشعرُّ شُواتُهــا
ويَبْرُقُ بين اللّيْتِ منها إلى الصُّقْلِ (٣)

قال الرياشي في قوله وبلدةِ نحرها : البلدة من الإنسان اللّبة ، ومن البعير الكِركرة ، وكُرّاث الصريم : نبت له ثلاثة عروق ينبتُ في الرمل فإذا أخرجه كان أسفله كأنه قُذذ السهم ، فشبه النبل بذاك ، والصريم : الرمل ، وأنشد الرياشي :

= نغيث من استغاث بنا ، والفزع من الأضداد : الفزع : المستغيث ، والفزع : المغيث .

(١) الليتان : صفحتا العنق وليسا خاصين بالناقة كما ذكر المؤلف ، فالشاعر هنا يقصد عنق فرسه الذي رشق بالنبل ، والصريم : قطع من الرمل ، الواحدة صريمة ، والكراث : نبت الواحدة كراثة ، وهي ثلاث ورقات تشبه قذذ السهم ، وإنما خص الصريم لأن الكراث لا ينبت إلا في الرمل ، وإنما قال المنزعا لأن ساق الكراثة تكون غائبة في الرمل فإذا نزعت أشبهت النبل بكمالها ، وجعل النبل بليتي الفرس ليعلم أنه مقبل في الحرب ولو كان منحرفاً أو مولياً لم يصب ليتها .

(٢) البيت في الأضداد ٤١٩/١ ، والوحف : الكثير الأسود وهو صفة للفرع ، والقنوان جمع قنو وهو العذق بما فيه من الثمر ، والدوالح : المثقلة بحملها من الثمر .

(٣) البيت في خلق الإنسان للأصمعي ٢١٤ ، والرواية فيه : تشرق بدل يبرق .

أُنيخَتْ فألقتْ بلدةً فوق بلـدةٍ   قليلٌ بها الأصواتُ إلا بُغَامُها(١)

يقال لصوت البعير بُغام ، قال الشاعر :

حَسِبْتَ بُغَامَ راحلتي عَنَاقـاً   وما هِيَ وَيْبَ غيرك بالعَنَاقِ (٢)

* * *

(١) البيت لذي الرمة ، انظره في ديوانه ، وسيبويه ٣٧٠/١ ، والمغنى ١٠٦ ، واللسان ٦٣/٤ ، وقال فيه : البلدة : بلدة النحر وهي ثغرة النحر وما حولها وقيل وسطها ، وقيل : هي الفلكة الثالثة من فلك زور الفرس وهي ستة ، وقيل : هو الصدر من ذي الخف والحافر ، والمعنى الذي يقوله الشاعر : هو أن ناقته بركت فألقت صدرها على الأرض ، وأراد بالبلدة الأولى ما يقع على الأرض من صدرها ، وبالثانية الفلاة التي أناخ فيها ناقته ، وقوله : إلا بغامها صفة للأصوات على حد قوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) أي غير الله ، والبغام : صوت الناقة ، وأصله للظبي فاستعاره للنـاقة .

(٢) أنشد ابن منظور هذا البيت ومعه بيت آخر في اللسان (عنق) مرويين عن ابن الأعرابي ونسبهما لقريط يصف الذئب فالخطاب له ، ثم أورده وحده في (بغم) ونسبه لذي الخرق الطهوي ، وهو كذلك في نوادر أبي مسحل ١١٦ ، وانظره في مجالس ثعلب ٦١/١ ، والإنصاف ٣٧٢/١ . والبغام : صوت الناقة لا تفصح به ، وهو كذلك صوت الظبية ، والعناق : الأنثى من المعز ، ومعنى البيت أن الشاعر يخاطب الذئب فيقول له : حسبت صوت راحلتي صوت عناق ، فحذف صوت الثانية لدلالة الأولى عليها ، إذ لا يصح تشبيه صوت الناقة بالعناق نفسها ، وذلك موجود في كلامهم مثل : بنو فلان يطؤهم الطريق أي أهل الطريق .

المجلس الرابع عشر

(الصاحب مسئول عن صاحبه)

حدثنا محمد بن هرون ، أبو حامد الحضرميّ ، قال : حدثنا زيد بن سعيد ، قال : حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز ، قال : حدثنا مروان بن سالم ، عن يحيى بن الحكم ، عن عبد الله ، قال : « صحب النبي ﷺ صاحباً فدخل رسول الله ﷺ غَيْضَةً فقطع غُصْنَين ، أحدهما أعوج والآخر مستقيم ، فدفع إلى صاحبه المستقيم وأمسك الأعوج ، فقال الرجل : يا رسول الله ! أنت أحقُّ بهذا ، فقال : كلا ، ما من صاحبٍ يَصْحَبُ صاحباً إلا وهو مسئولٌ عنه يوم القيامة ولو ساعةً من نهار » .

حدثنا أحمد بن عيسى بن السكين البلدي ، قال : حدثنا أبو سهل أحمد ابن محمد بن عمر بن يونس بن القاسم اليمامي ، قال : حدثنا عمر بن يونس ، قال : حدثنا أبي ، عن حمزة بن عبد الله بن عمر ، قال : كان ابن عمر يحدث أن رسول الله ﷺ دخل غَيْضةً ومعه صاحب له ، فأخذ منها مسواكين أراكا ، أحدهما مستقيم والآخر مُعْوَج ، فأعطى صاحبه المستقيم وحبس المعوج ، فقال : يا رسول الله ! أنت أحقُّ بالمستقيم منّي ، قال : كلا ، إنه ليس من صاحبٍ يصاحب صاحباً ولو ساعة من نهار

إلا سأله الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة عن مصاحبته إياه ، فأحببتُ ألا أستأثر عليك بشيء » . (١)

(العبرة من الحديث)

قال القاضي : تأملوا – رحمكم الله – ما في هذا الخبر من ذكر ما أتى به من أخلاق رسول الله ﷺ الشريفة العلية ، وعشرته لمن صاحبه الكريمة الرضية ، والإفضال والإيثار ، وعزوفه عن الاستبداد والاستئثار ، ومن أولى بذلك ممّن القرآنُ العظيم أدبُه ، ومُنزِلُ الوحي الحكيم مؤدِّبُه ، وقد روى أن عائشة رضي الله عنها سئلت عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : « كانَ خُلُقُه القرآن » (٢) .

قال القاضي : وأعظم بقول الله عز وجل ﴿ وإنّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٣) نُبْلاً ومَجْداً وفَضْلاً وجَدّاً ، وقد جاء في الأثر : أنه كان أحيا من عَذْراء في خدرها ، وأنه كان أشد الناس فيما كان من أمر الله عز وجلّ ، فيرضى أحسن الرضا حين التواضع ، ويعطي أجزل العطاء عند السّماحةِ والاسترفاد ، ويغضب للهِ عزَّ وجلَّ أشد الغضب عند ظهور الغيِّ والعِناد ، والعبَثِ والفسَاد ، وكان في أمر ربه ونصرة دينه كالحسام الباتر ، والضِّرغام الحَادِرِ ، فأكرم بنفسه السمحة الزكية الشريفة الأبية ، وسجاياه السهلة الرضية ، وعطاياه الفاضلةُ السنية ، اللهم فلَكَ الحمدُ على توفيقك إيانا لتصديقه ، وهدايتك لنا به ، اللهم فأسْعِدنا باتّباع أوامره ، والوقوف عند زواجره ، والاستمرار على سُنّته ، والسعادة بشفاعته .

---

(١) لم أعثر على هذا الحديث والذي قبله فيما بين يدي من مراجع .
(٢) الحديث في مسند الإمام أحمد ٥٤/٦ ، ٩١ .
(٣) سورة القلم ، الآية ٤ .

(جدُّ أعشى همدان وصاحبه)

حدثنا ابن دريد ، قال : أخبرنا السكن بن سعيد ، عن العباس بن هشام، عن أبيه، عن عوانةَ بن الحكم ، قال : حدثني شيخان من هَمْدَان، قالا : كان نظام بن جشم بن عمر بن مالك بن عبد الجن الهمداني ، وهو جَدُّ أعشى همدان ، واسم الأعشى عبد الرحمن بن الحارث بن نظام [١] ، مؤاخياً لأشْوَع بن أبي مَرْثَد الهَمْداني وكانا مغوارين فاتكين قُرْضُوبَيْن جَوَادين — قال ابن دريد : القرضوب : الذي يأخذ كل ما لاح له — لا يَلِيقَان شيئاً ، قال القاضي : يقال للصوص : قراضبة ، ويقال للفقير : قرضوب ، قال الشاعر :

قومٌ إذا صَرَّحَتْ كَحلٌ فَدَارُهُمُ
كَهفُ الضَّعيفِ ومأوى كُلِّ قُرْضوبِ [٢]

رجع الحديث : لا يَليقان شيئاً ، فخرجا يريدان الغارة على مَهْرة ابن حيدان [٣] ، وكان يختلسان الصِرمة [٤] ثم يشلانها مجاهرة [٥] ، فإن

---

(١) ويقال إنه عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام ، كما في الأغاني ١٣٨/٥ ، والمؤتلف والمختلف ١٤ ، وما جاء هنا متفق مع ما ورد في اللباب ١٠٧/٢ .

(٢) البيت لسلامة بن جندل ، انظره في اللسان ٣٤٣/٣ ، ١٠٤/١٤ ، مجمع الأمثال ٤٠٥/١ ، والرواية فيها كلها : بيوتهم بدل فدارهم ، ومأوى الضريك بدل كهف الضعيف ، وصرحت كحل : مثل يقال إذا أصابت الناس سنة شديدة ، يقال صرح بضم الراء صراحة وصروحة إذا خلص، وكذلك صرح بالتشديد، وكحل: السنة والجدب ، معرفة لا تدخلها الألف واللام ، فإذا قيل : صرحت كحل كان معناه خلصت السنة في الشدة والجدوبة ، وقيل : كحل اسم للسماء ، يقال : صرحت كحل إذا لم يكن في السماء غيم .

(٣) مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، قبيلة تنسب إليهم الابل المهرية ، ولهم باليمن مخلاف يسمى مهرة بإسقاط المضاف إليه ، بينه وبين عمان نحو شهر ، وكذلك بينه وبين حضرموت ، انظر معجم البلدان ٧٠٠/٤ .

(٤) الصرمة بكسر الصاد : القطعة من الإبل .

(٥) شل الدابة : طردها وساقها .

أدْركا رَمَيَا فلم يَسْقُط لهما سَهم ، قال ابن الكلبي : قال أبي ، قال عوانة : سمعتُ من أثق به من رجال همدان يخبر أن السرب من القطا كان يمرُّ بهما طائراً فيقولان : أيُّها تريدون ؟ فيومِّأ إلى الواحدة منها فيرميانها فلا يخطئان ، وكذلك الظِّباء ، وبين بلاد همدان وبلاد مَهْرة مَفَازة مُنْكَرة ، لا تسلكها الخيلُ وتسوخُ [١] فيها أخفاف الإبل ، فتصب فيها أوديـــة مَهْرة وأودية الحُوف [٢] ، وهيَ سبخة ملحة نشاشة [٣] ، لا تُنبت عوداً ليس العكْرِش [٤] ، قال : ففوَّزُوا أياماً وشَوّل ماؤهما [٥] وخافا الهلاك ، فأبصرا يوماً مع ذرور الشمس طيراً تَحُوم على غَمْضٍ من الأرض [٦] ، فقال أحدهما لصاحبه : ألا ترى ما أراه ، فقال : بلى والله إنها لتحوم على لحم أو ماء ، وأيها كان فهو مَلْكٌ أو وَشَل [٧] فقصدا الجهة حتى هبطا غَائطاً ذا خَبْراوات ونُقْعَان [٨] ، فأناخا وشربا وسَقَيا وعَضَّدَا لراحلتيهما [٩] ، واستظَلاّ ببعض تلك الشجر ، فبيناهما كذلك إذ مر بهما أمْعُوز ، وهو جماعة من الظباء ، فرمياه فصرعا ظَبْيَيْن وأورقا وأوْريا واشْتَوَيَا وقعدا يرقُبان الليل

---

(١) تسوخ فيها الأقدام أي تنوص ، وفي أ : تسوق تحريف .

(٢) الحوف يطلق على حوف مراد وحوف همدان مخلافان باليمن ، ويرويان بالجيم فيقال الجوف ، انظر معجم البلدان ١/٣٦٥ .

(٣) النشاشة : التي جفت وذهب ماؤها .

(٤) العكرش : نجيل شيطاني معمر منبسط مداد ينمو في النزوز ، ويضرب فيها بجذور تنبت من عقد ، تخرج منها سيقان هوائية وأوراقه رمحية ، ونوره سنبلة على هيئة الرأس .

(٥) شول ماؤهما : بقيت منه بقية قليلة .

(٦) الغمض من الأرض : المنخفض انخفاضاً شديداً .

(٧) الملك : ما تملكه اليد من مال وخول ، والوشل : الماء المتجمع في غدير أو حفرة .

(٨) الخبراوات : جمع خبر ، وهو مجمع الماء في الجبل ، والنقعان جمع نقع ، وهو الماء المتجمع في الغدير .

(٩) عضدا لراحلتيهما : أي قطعا لها بالعضد وهو آلة تقطع بها فروع الأشجار بعض مـــا تأكلـــه .

ليستدلاّ بالنجوم ، فإذا سوادٌ مقبل فأخْمَرا راحلتيهما ، قال ابن دريد : أي وارياها تحت الشجر ، قال القاضي : وهو الخَمْر ، قال الشاعر :

ألا يا زَيْدُ والضَّحّاكُ سِيـــرا فقد جاوَزْتُما خَمْر الطّرِيـقِ

وطلعا دوحة فتغيبا في شعابها فإذا صِرْمةٌ زُهْرٌ كالصوار [١] يَحْدُوها عبدٌ أسود وهو يقول :

رُوحِي إلى خَيْرِ أبي المعـــارك لمبركٍ من أرحب المبـــارك
فإن بَيَّتَ أضيافــه هُنَالـــك فأبشري بوقع عضبٍ بَاتِك [٢]
يبترُ منك أسْوُقَ البوَاتِـــك [٣]

فما غاب الأول عن أعيننا حتى بَدَتْ صِرمةٌ أخرى يحدُوها عبد أسود ، وهو يقول :

رُوحي إلى مبركك الدَّماثِــر إلى فتَى كُهبان والمَهَاجِرِ [٤]
وعصمــةِ المعــترّ والمُهاجِـر واللّيثِ في اليوم العُماسِ الخادِرِ [٥]

— قال ابن دريد : العماس الشديد —

فإن مُنيتِ بمُضاف زائــر فأيقِني بوقع عَضْبٍ بَاتِـــر
ثم اعتراقٍ بشِفَارٍ جَـــازِر مُخَطْرَفٍ للجِلّةِ البَهَازِرِ [٦]

فلما غاب الراعيان عن أعيننا خرجنا نقتفي آثار الإبل ، حتّى قربنا من

---

(١) الزهر : الحسنة الألوان ، والصوار : بضم الصاد وكسرها : القطيع من البقر .
(٢) العضب : السيف القاطع ، وكذلك الباتك .
(٣) البواتك : جمع باتك وهو السمين .
(٤) الدماثر بضم الدال : السهل من الأرض ، والكهبة : الدهمة أو غبرة مشربة بحمرة .
(٥) الخادر : المستتر في أجمته ، وهو صفة لليث .
(٦) المخطرف : السريع في مشيته ، أو الذي يسير خطوتين في خطوة من سرعته ، والجلة بكسر الجيم : المسان من الإبل ، والبهازر جمع بهزرة كقنفذة وهي الناقة السمينة .

الحلة فأنخنا فلما هدأت الرِّجل خرجنا مصلتين حتّى انتهينا إلى المبرك فاستَشَرْنا من إطراره صِرْمة فشَلَلْناها ليلتنا ، حتّى إذا انحسر خِدرُ الليل (١) وذرَّ الشُروقُ إذا شبحٌ يهوى إلينا هُوِيَّ العُقاب ، فما ارتدَّ الطَّرفُ حتى أثبتناه نَظَراً ، فإذا رجل على ناقة كأنها ظَبْي صَرَع ، قال القاضي : الصَّرَع الذي بين الكبير والصغير ، قال الأعشى يصفُ وَعْلاً :

قد يترك الدَّهْرُ في خَلْقَاءَ راسيــة
وَهْياً ويُنْزِلُ منها الأعْصَمَ الصَّرَعا(٢)

فأيّهَ بالصَّرمة (٣) فانكفأتْ راجعة ، فأقبلنا نَصُورها أي نَعْطِفها ونُمليها كما قال الشاعر :

وفرع ٍ يُصِيرُ الجيدَ وحفٍ كأنّــه
على اللّيتِ قِنوانُ الكُرُوم الدَّوالحُ (٤)

وقال الشاعر : (٥)

وجَاءَتْ خُلْعَةٌ دُهْسٌ صَفَايــا
يَصُور عُنُوقها أحْوَى زَنِيــمُ

---

(١) خدر الليل : ظلمته .

(٢) ديوانه ١٠٦ ، والخلقاء : الهضبة الملساء ، والواهي : الضعيف ، والبيت شديد التحريف في الأصل .

(٣) أيه بالصرمة : أي صاح بها وناداها .

(٤) سبق البيت وشرحه .

(٥) هو المعلى بن جمال الطائي ، كما في اللسان ١٤٥/٦ ، ٢٩٢/٧ ، ٤٣٣/٩ ، ١٦٧/١٥ ، والخلعة بضم الخاء وكسرها : خيار المال ، والدهس : جمع دهساء وهي من الضأن ما كان لونها مشرباً بحمرة ، ويصور : يميل ، وعنوقها : جمع عناق وهي الأنثى من ولد المعيز والضأن من حين الولادة إلى تمام حول ، وأحوى يعني به تيساً خالط حمرته سواد ، والزنيم : ذو الزنمة وهي ما يقطع من أذن الشاة فيترك معلقاً .

ويقال أيضاً : صار يصير كما قال الشاعر : وفرع يصير ... البيت وقد قرئ : (فَصُرهن إليك وقصِرهن ...) [1] المعنى الميل ، وقيل : القطع ، وبيان هذا في كتبنا في علوم القرآن مستقصاة .

رجع الحديث ، وهي سُرَع إلى تأبيهه ، فلما دنا منا قال : خَلّيا عنها لا أم لكما ، فقلنا : ولا نُعْمَى عَيْن ، وبَوّأنا له سهمين فأقحم عن راحلته كالوعل المذعور ، وانتضى سيفَه وثنّى رأسه في دَرَقته ، فوالله ما أرسلنا سهمينا حتى خالطَنا ، فضرب عُرقوبي ناقةِ صاحبي فغادرها نُكُوس [2] ، وأهوى للأخرى فبتر عُرقوبها وهو يقول :

عَلامَ أسْقي رَسْلها [3] وأمنحُ
وأُشْبع الضيفَ بها وأجْرَحُ
إن لم أقاتلْ دُونها وأضْرَحُ
عنها إذا خام الكَمِيُّ الشحشحُ [4]

ثم قال : استأسرا ، فتذامرنا [5] وإن أنفسنا لتنازعنا إلى ما قال ، فكررنا عليه بأسيافنا فوثب وثبات الفهد ، فوقف حُجْرة [6] وفَوّت النّبل ثم كرّ راجعاً ، فضرب درقة صاحبي فاقتدَّها ، فلما رأينا ذلك استسلمنا وقلنا : عياذاً بك بابن الكرام ، فقال : بمعاذٍ عُذْتما ، وسألنا عن أنسابنا فأخبرناه ، فقال : ارتدفا على راحلتي واصرفا وجهتها شطر مطلع الشمس تبلغكما الحيّ [6] ، فخبّت بنا الناقةُ تهوي لا تُمَلّكنا من

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٦٠ .
(٢) نكوس : أي مقلوبة .
(٣) الرسل : البعير اللين السير .
(٤) الكمي : المقدام الشجاع الجريء والشحشح كذلك .
(٥) تذامرنا : حض بعضنا بعضاً على قتاله .
(٦) وقفه حجرة : أي ناحية .

أمرنا شيئاً حتى وردتْ بنا الحَيّ، فكلا ولا إذ أقبل ضاحكاً كأنه لم تَمْسَسْهُ مشقة، وقد مشى مسيرة ليلة للراكب المُجِدّ، فقال: دونكما الصرمة التي اطردْتُماها وناقتين من سُرِّ إبلي برحليهما [1] وحملنا وسَرّحنا، فقال: اسمعا ما أقول لكما، فقال:

أقول لِخَارِبَيْ هَمْدَان لَمّـــا ... أثارا صِرْمة حُمْرا وعِيسَا [2]

ألم تعلما أنْ لن تَفُوتَـــا ... وأن لن تُعْجِزا اللَّيْثَ الهَمُوسا [3]

فظنٌّ عاجــز أن تَسْلُبَـــاني ... ومن ذا يسلب الليثَ الفَرِيسـا

ومــن دون الــذي أملتُمـاه ... ضِرابٌ يقطُر البطلَ البَليسا [4]

إذا أنا لم أذدْ عن مُدْفَـآت [5] ... فيحدُو بيدَها الحَزْنَ الشريسا

فَمِمَّ أُجَنِّبُ الأضيافَ ذَمِّي ... إذا النكْباءُ أوجفت البَئِيسَا [6]

ومِمّا أحَسِّبُ الجُمَمَ اللّواتـي ... يظل لها الرجال إليّ شُوسَا

ومما أُنْعِشُ العُفَى إذا مــا ... تراءى وَجْهُ دهرهم عَبُوسا

أهيبا خاربي هَمْــدان منهـا ... بزُهْر تَطرد الفقر الضُّرُوسـا

وأوبا سَالِمَيْنِ بها ولَمّــا ... أثِرْ لكما النّآدَ المَرْمَرِيسا [7]

قال ابن دريد: يريد الداهية، قال القاضي: أحسب الجمم معناه أنيلهم ما يكفيهم يقال: أحسبني الطعام وغيره يحسبني أي كفاني، وقولهم

---

(١) سر كل شيء: أكرمه وخالصه.

(٢) الخارب: اللص، وعيسا أي بيضاً، ويقال: هي كرائم الإبل، وهذا البيت وحده في اللسان ٨/٣٠.

(٣) الهموس: الأسد الخفي الوطء.

(٤) يقطر: يصرع.

(٥) المدفآت من الإبل: ما زادت على مائة.

(٦) أوجفت: أسرعت، والبئيس: الفقير.

(٧) النآد: الداهية، المرمريس: الشديدة.

حسبك معناه كافيك، وقيل في قوله تعالى : ﴿ عَطَاءً حِسَاباً ﴾ [(١)] معناه عطاء كافياً يحسبهم أي يكفيهم وقوله : الجُمم جمعُ جُمة وهم القوم يسألون في الدية ، وقوله : شوساً جمع أشوس وهو الذي ينظر نظراً شديداً ، قال الشاعر :

خَلا أن العِتَاقَ من المَطَايَـا أحَسْنَ بِهِ فَهُنَّ إليه شُوسُ[(٢)]

وقوله : ومما أنعش العُفّى ، معنى أنعش أرفع ، وقولهم : نعشك الله أي رفعك إما بسد خلتك أو بإقالة عَثْرتك وما أشبههما ، ومنه قيل لسرير الميت نعش لأنه يُرفع عليه ، وقوله : العفّى جمع عاف وهو السائل للحاجة وطالبها ، يقال : عفا فلان فلاناً يعفوه إذا سأله ورغب إليه في حاجته ، وروى عن النبي ﷺ أنه قال يوم أُحُد « لولا أن يُحْزِن ذلك نساءَنا لتَركْنا حَمْزةَ بالعراء تأكلُه عافيَةُ الطّيْر » [(٣)] يقال : عافٍ وجَماعة عَافية مثل كاف وجماعة كافية ، ويقال للعافي : معتف ، وهو مفعل منه قال الشاعر :

تَرَى حَوْلَهُنَّ المُعْتَفِين كأنّهُــم
على صَنَمٍ في الجَاهلية عُكّــفُ

وجمع العافي أيضاً عفاة ، مثل كاف وكفاة وساق وسقاة وقاض

(١) سورة النبأ ، الآية ٣٦ .

(٢) البيت لأبي زبيد الطائي ، انظره في ديوانه ٩٦ ، وأمالي القالي ١٧٦/١ ، اللسان ٣٤٩/٧ ، وتفسير القرطبي ٤٢٨٣ ، وأحسن به أصله أحسسن ، فحذف إحدى السينين ، ويروى : حسين به ، ويقول الفراء : تقول : من أين حسيت هذا الخبر يريدون من أين تخبرته ، وحسست بالخبر وأحسست به أي أيقنت ، قال : وربما قالوا : حسبت بالخبر وأحسيت به يبدلون من السين ياء .

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد عن أنس، المسند : ١٢٨/٣ ، والترمذي في أبواب الجنائز ، باب « ما جاء في قتل أحد وذكر حمزة » ، انظر تحفة الأحوذي ، الحديث ١٠٢١ : ٩٦/٤ .

وقضاة في أشباه لهذا كثيرة جداً ، ومن هذا قول الأعشى [١] :

تَطُوفُ العفـــاة بأبوابـــــه ... كَطَوْفِ النّصَارى ببيتِ الوَثَنْ

وجمع العافي في الشعر الذي بلغ في هذا الخبر عُفّى على وزن فُعّل مثل غاز وغُزّىً وهاد وهُدًّى ، قال الله عزّ وجل : ﴿ أو كَانُوا غُزّىً ﴾ [٢] ومثله في الصحيح راكع ورُكّع وساجِد وسُجّد ، قال الراجز يخاطب النبي ﷺ [٣] :

إن قُرَيْشاً أخْلَفُوكَ المَوْعِدَا ... وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ المُؤَكّدَا

وَقَتَلُونَا رُكّعاً وسُجّـــدا

وقال الله تعالى : ﴿ الرُّكّع السُّجُود ﴾ [٤]

(خبر مقتل أبي مسلم صاحب الدولة) [٥]

حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة ، قال : حدثنا أبو العباس المنصوري ، قال : لما قتل أمير المؤمنين المنصور أبا مسلم ، قال : رحمك الله أبا مسلم ، بايَعْتَنَا وبايَعْنَاك ، وعاهدْتَنا وعاهدناك ، ووفيتَ لنا ووَفَيْنا لك ، وإنا بايَعْنَاك على ألا يَخْرُج علينا أحدٌ في هذه الأيام إلا قتلناه فخرجتَ علينا فقتلْنَاك .

---

(١) البيت من قصيدة يمدح بها قيس بن معدي كرب الكندي ، انظر الديوان ٢٠٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٦ .

(٣) هو عمرو بن سالم الخزاعي، يقوله مستنصراً رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا ما كان بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم من العهد بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عقده وعهده، انظر الخبر والأبيات في سيرة ابن هشام ٣/٣٩٤.

(٤) سورة الحج ، الآية ٢٦ .

(٥) الخبر التالي في تاريخ الطبري ٩/١٦٢ ، تاريخ بغداد ١٠/٢٠٩ ، أسماء المغتالين من الأشراف ١٩٣ .

ولما أمر المنصور بقتله وقد دَسّ له رجالاً من خاصته ، وقال لهم : إذا سمعتم تصفيقي فاضربُوه ، فضربه شبيب بن داج ثم ضربه القواد ، فدخل عيسى بن موسى وقد كان كلّم المنصور في أمره ، فلما رآه قتيلاً استرجع ، فقال له المنصور : احمد الله تعالى فإنك هجمت على نِعمة ولم تهجم على مُصيبة ، فقال أبو دلامة :

أبا مُسْلِمٍ ما غَيّرَ اللهُ نِعْمَةً
على عَبْدِه حتَى يُغَيِّرُها العَبْدُ
أبا مسلمٍ خَوَّفْتَني القتْلَ فانْتَحى
عليكَ بما خَوَّفْتَنِي الأسَدُ الوَرْدُ

(خبر للمؤلف مع بعض الرؤساء في شأن أبيات لأبي تمام)

حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمي ، قال : أخبرني أحمد بن الحسين بن هشام قال : أنشدني أبو تمام (١) :

يقولون هل يَبْكي الفتَى لِخَريدة
متَى ما أراد اعتَاضَ عَشْراً مكَانَها
وهل يستعيضُ المرءُ من خَمْسِ كَفِّهِ
ولو بُدّلت حُرَّ اللُّجَيْنِ بنَانَهَا
وكيف علَى نارِ الليالي مُعَرَّسي
إذا كان شيبُ العارِضيْن دُخَانَهَا

قال القاضي : كان بعض رؤساء الزمان أنشد بعض هذه الأبيات ، فاستحسنها جداً ، وقال – ونحن بحضرته جماعة – : أتعرفون لهذه الأبيات أولاً ؟ فقلت له : هذه كلمة لأبي تمام مشهورة أولها :

---

(١) ديوانه ٤/١٤٢ ، ١٤٣ ، والبيت الثالث هنا هو الثالث في الديوان ، والأول والثاني هنا ترتيبهما في الديوان السابع والثامن .

ألم ترَني خلّيتُ نفْسي وشأْنَها
فلم أحْفِلِ الدُّنيا ولا حِدْثَانَها
لقد خوفتني الحادِثاتُ صُرُوفَها
ولو آمنتني ما قبلتُ أمانَها

وأنشدتُه منها :

يقولون هل يبكي الفتى لخريدة
إذا ما أراد اعتاض عشراً مكانَها
وهل يستعيض المرء من خَمْسِ كفه
ولو صاغ من حُر اللجين بنانَها

فطرب عند الانتهاء إلى هذا وجعل يردده ويتعايا فيه إلى أن حفظه ، وقال : هذا ألذُّ من كلّ شراب وغناء .

(الحسينُ يرفض تزويج زينب من يزيد)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي الفضل العباس بن ميمون ، قال : حدثني سليمان بن داود المقري الشاذَكُوني ، قال : أخبرني محمد بن عمر بن واقد السلمي ، عن عبد الله بن جعفر المدني ، عن أم بكر بنت المِسْوَرِ بن مَخْرمة ، قال : سمعتُ أبي يقول : كتب معاويةُ إلى مروان وهو على المدينة أن يزوّج ابنه يزيد بن معاوية زينبَ بنت عبد الله بن جعفر ، وأمها أم كلثوم بنت علي وأم أم كلثوم فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ويقضي عن عبد الله بن جعفر دَيْنه ، وكان دَيْنُه خمسين ألف دينار ، ويعطيه عشرين ألف[1] دينار ، ويَصْدُقُها أربع

---

(١) في أ : خمسونَ ألف دينار ويعطيه عشرون ألف .. الخ ، وهي خطأ من جهة النحو كما لا يخفى .

مائة دينار ويكرمها بعشرة آلاف دينار . فبعث مروان بن الحكم إلى عبد الله بن جعفر فأجابه، واستثنى عليه رضا الحسين بن علي رضي الله عنه، وقال: لن أقطع أمراً دونه مع أنّي لستُ أولى بها منه وهو خَال، والخالُ والد. قال : وكان الحسين رضي الله عنه بينبع[1] ، فقال له مروان : ما انتظارك إياه بشيء ، فلو حَزَمْتَ ؟ فأبى وتركه ، فلم يلبثوا إلا خمس ليال حتّى قدم الحسين رضي الله عنه، فأتاه عبد الله بن جعفر ، فقال : كان من الحديث ما تسمع وأنت خالُها ووالدها، وليس لي معك أمر فأمْرُها بيدك ، فأشهد عليه الحُسين جماعةً بذلك ، ثم خرج الحسين رضي الله عنه فدخل على زينب فقال : يا بنت أختي إنه قد كان من أمر أبيك أمر ، وقد ولاّني أمْرَكِ وإني لا آلوك حُسن النظر إن شاء الله ، فإنه ليس يخرج منا غريبةً فأمرك بيدي ، قالت : نعم بأبي أنت وأمي ، فقال الحسين رضي الله عنه: اللهم إنك تعلم أنّي لم أرد إلا الخير ، فقيِّضْ لهذه الجارية رضاك من بني هاشم ، ثم خرج حتّى لَقِي القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب[2] ، فأخذ بيده فأتى المسجد ، وقد اجتمعت بنو هاشم وبنو أمية وأشراف قريش وهَيّأوا من أمورهم ما يصلحهم ، فتكلم مروان فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إنَّ يَزيد بن أمير المؤمنين يُريد القرابة لُطفاً والحق عطفاً ، ويريدُ أن يتلافى ما كان صلاح هذين الحَيّيْن مع ما يُحِبُّ من أثره عليهم، ومع المعاد الذي لا غناء به عنه مع رضا أمير المؤمنين ، وقد كان من أمر عبد الله بن جعفر في ابنته ما قد حَسُن فيه رأيه، وولّى أمرها خالها الحسين ابن علي رضي الله عنهما، وليس عند الحُسين خلافٌ لأمير المؤمنين إن شاء

(١) ينبع : حصن به نخيل وماء وزرع ، وبها وقوف لعلي بن أبي طالب يتولاها ولده ، وهذا أحد الأقوال في هذه البلدة ، انظر معجم البلدان ١٠٣٩/٤ .

(٢) ذكر ابن قتيبة أن التي تزوجها القاسم بن محمد هي أم كلثوم بنت عبد الله وأمها زينب بنت علي ، على حين ذكر المؤلف آنفاً عكس ذلك فقد ذكر أنها تسمى زينب بنت أم كلثوم ، انظر المعارف ٢٠٧ .

الله . فتكلّم الحسين فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الإسلام يرفع الخسيسة ويتم النقيصة ويُذهب الملامة ، فلا لوم على امرئ مسلم إلاّ في مأثم ، وإن القرابة التي عَظّم الله حَقّها وأمر برعايتها ، وسأل الأجر في المودة عليها والمحافظة في كتاب الله عز وجل قَرابتُنا أهل البيت ، وقد بدا لي أن أُزوج هذه الجارية من هو أقرب إليها نسباً وألطف سبباً ، وهو هذا الغلام ، يعني القاسم بن محمد بن جعفر ، ولم أرد صَرْفها عن كثرة مالٍ نازعتْها نفسُها ولا أبوها إليه ، ولا أجعل لامرىء في أمرها متكلماً ، وقد جعلتُ مهرها كذا وكذا ، فلها في ذلك سعة إن شاء الله . فغضب مروان ، وقال : أغَدْراً يا بني هاشم ؟ ثم أقبل على عبد الله بن جعفر ، فقال : ما هذه بأبادي أمير المؤمنين عندك ، وما غبتَ عما تسمع ، فقال عبد الله : قد أخبرتُك الخبرَ حيث أرسلت إليّ وأعلمتُك أني لا أقطع أمراً دونه ، فقال الحُسين : على رِسْلِك أقْبِلْ عليّ ، فأول الغَدْرُ منكم وفيكم ، انتظر رويداً حتى أقول ، نَشدتكم الله أيها النّفَر ثم أنت يا مِسْوَرُ بن مخرمة ، أتعلم أن حسن بن علي خطب عائشة بنت عثمان حتى إذا كنا بمثل هذا المجلس من الإشفاء على الفراغ ، وقد ولّتْك يا مروان أمرَها ، قلت : إنه قد بدا لي أن أزوّجها عبد الله بن الزُّبير ، هل كان ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟ يعني المِسْور ، قال : اللهم نعم ، فقال مروان : قد كان ذلك وأنا أجيبك وإن كنت لم تسألني ، قال الحسين : فأنتم موضعُ الغَدْر .

(عمرو بن حُريث يتزوج ابنة عديّ بن حاتم على حُكمه)

حدثنا ابن دريد : قال : حدثني عمي ، عن أبيه ، عن ابن الكلبي ، عن محمد بن سليم أبي هلال الراسبي ، عن حميد بن هلال الحُدْري ،

قال : خطب عمرو بن حريث (1) إلى عدي بن حاتم (2) فقال : لا أزوجك إلاّ على حكمي ، فرجع عمرو وقال : امرأة من قريش على أربعة آلاف درهم أعجب إليّ من امرأة من طيّيءٍ على حكم أبيها ، فرجع ثم أبت نفسه فرجع إليه ، فقال : عَلَى حُكْمِي ؟ قال : نعم ، فرجع عمرو بن حريث فلم ينم ليلته مخافة أن يَحْكم عليه بما لا يطيق ، فلما أصبح بعث إليه أنْ عَرّفْني ما حكمتَ به عليّ ، فأرسل إليه : إني حكمتُ بأربع مائة درهم وثمانين درهماً سنة رسول الله ﷺ ، فبعث إليه بعشرة آلاف درهم وكسوة فردّها وفرّق الثياب في جلسائه ، وقال :

يرى ابنُ حُرَيْثٍ أنَّ هَمِّيَ مَالُهُ ... وما كُنتُ موصُوفاً بحبِّ الدَّراهمِ

وقالت قُريش لا تحكّمه إنــه ... على كلِّ ما حال عَديٌّ بنُ حَاتم

فيذهب منك المالُ أولَ وهْلة ... وحَمَامَها والنَّخْلَ ذاتَ الكمائم

فقلتُ معاذ الله من ترك سُنّة ... جرَت من رسول الله واللهُ عاصمي

وقلت معاذ الله مِنْ سُوءِ سُنــة ... يُحَدِّثها الركبان أهلَ المواسم

(بين حفص بن غياث القاضي وأبي الديك المعتوه)

حدثنا محمد بن الحسن بن زيــاد المقري ، قال : أخبرنا القتــات بالكوفة (3) ، قال : أخبرنا أبو نعيم ، قال : كنتُ جالساً عند حفص بن

(1) ذكره ابن قتيبة بقوله : هو من بني مخزوم ، وتزوج بنت عدي بن حاتم على حكم عدي ، فحكم عدي بأربعمائة درهم ، وتزوج بنت جرير بن عبد الله البجلي ، وله عقب بالكوفة وذكر عظيم ، انظر المعارف ٢٩٣ .

(2) هو أبو طريف عدي بن حاتم الطائي ، قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأكرمه ، وشهد مع علي رضي الله عنه يوم الجمل ففقئت عينه وقتل ابنه محمد يومئذ ، ثم شهد يوم صفين ومات في زمن المختار بن أبي عبيد وله مائة وعشرون سنة ، المعارف ٣١٣ .

(3) في أ : العتات ، وصحته كما أثبتنا ، فهو أبو عمر القتات الكوفي ، محمد بن جعفر بن محمد بن حبيب بن أزهر ، قدم بغداد وحدث بها عن أبي نعيم الفضل بن دكين ، وأحمد =

غياث بعد أن ولي القضاء ، فدخل عليه أبو الديك المعتوه وكان ذاهب العقل مُحتالاً للمعاش ، وكان دخوله في يوم من أيام الشتاء شديد البرد فرآه حافياً حاسراً فرحمه ، فدعا الجارية فسارّها فجاءته بعمامة وخفين ، فقال : ارفعيه إلى أبي الديك ، قال : فلفّ العمامة على رأسه ولبس الخفَّ ثم قام بين يديه فأخذ قميصه وكان خَلِقا رَثّاً فجَال بإصبعه ثم قال: أيها القاضي ! جزاك الله عن الأطراف خيراً ، وحرّك قميصه بإصبعه أي انظر إلى قميصي ورقّته ورثاثته ، فضحك حفصُ بن غياث ثم قام فدخل ثم خرج وقد خلع الجُبَة التي عليه وقميصها ، ولبس غيرهما وأمر بدفعهما إلى أبي الديك فلبسهما أبو الديك ثم قال : أيها القاضي ! يحكى أن عبد الملك ابن مروان قال لبعض ولده : أي الثياب أعجب إليك ؟ قال : ما رأيتهُ على غيري يا أمير المؤمنين ، قال : فأي الرجال اخترتَ لنفسك ؟ قال : أحسنهم اختياراً يا أمير المؤمنين . وقد اخترت لنفسك أيها القاضي الثواب وحسن الثناء وسررت أبا الديك كل السرور إلاّ قُطيرة ، فقال له حفص : يا أبا الديك ! وما القُطَيرة ؟ قال : شيء أنصرف به إلى عيالي ، قال حفص : حُبّاً وكرامة ، والله ما في منزلي ذَهَبٌ ولا فضة ولكن أستقرضُ لك ، يا غلام ! قل لفلان أقرضنا ديناراً أدفعه إلى أبي الديك ، قال : يقول له أبو الديك : أيها القاضي ! والله ما أجدُ لك مَثَلاً إلاّ قول الشاعر :

يُعَيِّرُني بالدَّيْـــنِ قَوْمِي وإنما
تَقَرّضت في أشياءَ تُكْسِبُهُم مَجْدَا(١)

وقول صاحبه :

وما كنتَ إلاّ كالأصَمّ بنِ جعفـــرٍ
رأى المالَ لا يَبْقَى فأبْقَى به حَمْدا(٢)

= ابن يونس ومنجاب بن الحارث ، روى عنه إسماعيل بن علي الخطبي ومحمد بن عمر الجعابي وغيرهما ، وكان ضعيفاً ، توفي سنة ٣٠٠ هـ ، انظر تاريخ بغداد ١٢٩٨ .

(١) البيت للمقنع الكندي ، وقد سبق برواية : تداينت بدل تقرضت .

(٢) البيت في الفاضل للمبرد ٣٣ دون نسبة ، والرواية فيه : كالأغر ابن جعفر بدل الأصم .

المجلس الخامس عشر

(قول الرسول في مخاطبة قتلى بدر)

حدثنا علي بن عبد الله بن مبشر الواسطي، قال: حدثنا محمد بن إسحاق قال: حدثنا نصر بن حماد البجلي، قال: حدثنا شعبة، عن السدي، عن مقسم، عن ابن عباس، قال: وقف رسول الله ﷺ على قتلي بدر فقال: «جَزَاكم اللهُ عنّي من عِصَابة شَرّاً، فقد خَوَّنْتُموني أميناً وكَذَّبْتمُوني صَادقاً، ثم التفت إلى أبي جهل بن هشام فقال: هذا أعتى على الله من فرعون، إن فرعون لما أيقن بالهلكة وحّد الله عز وجل، وإن هذا لما أيقن بالهلكة دعا باللاَّت والعُزَّي [1]».

قال القاضي: وفي هذا الخبر ما ينبّه أولى الألباب من المؤمنين على نعمة الله عز وجل عليهم في هدايته إياهم إلى الإيمان به، وتوفيقهم لتصديق نبيه، والإقرار بصحة نبوته، والاعتراف بوفور أمانته، والإذعان لاتّباعه

---

(١) لم أعثر على هذا الحديث بنصه فيما بين يدي من مراجع، والذي في سيرة ابن هشام ٦٣٩/٢، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على أهل القليب فقال: يأهل القليب، بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني النـاس، وأخرجتموني وآواني النـاس، وقاتلتموني ونصرني الناس، ثم قال: هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً».. الخ.

والجد في طاعته ، وأنْ بَصّرهم من دينه ما عَمِي عنه أعداؤه ، وعَصَمهم من الضلالة التي هلك فيها عُصاة عباده ، وعتاة خلقه ، فالحمد لله على نعمته علينا في دِيننا ودنيانا ، وله الشكر على إحسانه إلينا في جميع شئوننا ، ونظره لنا فيما يصلحنا ، ويعود علينا بالفوز في معادنا ، والنجاة من العطب يوم حشرنا .

(جارية ظريفة ترد على أبي الشعثاء حين أخبرها بحبه)(١)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا الرياشي ، عن ابن سلام ، قال : أخبرني علي بن هشام أو من أخبرني عن علي بن هشام ، قال : كان بالكوفة رجل يكني أبا الشعثاء ، عفيفاً مَزّاحاً ، وكان يدخل على سَراة أهل الكوفة ، فمزح مع جارية لبعضهم وأخبرها أنه يهواها ، وكانت شاعرة ظريفة ، فقالت :

لأبي الشّعْثَاء حبٌّ باطِنٌ ... ليس فيه تُهْمَةٌ للمُتّهِمْ(٢)
يا فؤادي فازدَجِرْ عَنْه وإنْ ... عَبَثَ الحبُّ به فاقْعُدْ وقُمْ
جاءني منه كلام صائبٌ ... ورسالاتُ (٣) المحبِّين الكَلِم
صائدٌ تأمنه غُزْلانه ... مثل ما تأمن غزلانُ الحَرَمْ
صَلّ إن أحببتَ أن تُعْطى المُنَى ... يا أبا الشّعثاءِ لله وصُمْ
ثم ميعادُك بعد الموتِ (٤) في ... جَنّة الخُلْدِ إنَ اللهُ رَحِم
حيثُ نلقاك غلاماً ناشِئاً ... كاملا (٥) قد كَمُلَتْ فيك النِّعَم

---

(١) يرد الخبر التالي في الأغاني ٣٤٥/١٣ ، وفيه أن هذه الجارية كانت جارية محمد بن كناسة الشاعر وكانت شاعرة مغنية يقال لها دنانير ، وكان أهل الأدب وذوو المروءة بالكوفة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر .

(٢) في الأغاني : نهضة بدل تهمة .

(٣) في الأغاني : ووسيلات .

(٤) في الأغاني : يوم الحشر .

(٥) رواية الأغاني : يافعاً .

(ابن الزبير يغضبُ من ابني العباس بن عبد المطلب) [1]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا عامر بن عمران أبو عكرمة الضبي ، قال : دخل عبد الله بن صفوان على عبد الله بن الزبير ، فقال : أنت والله كما قال الشاعر :

فإن تُصبك من الأيام جائحةٌ
لم نَبْكِ منك على دُنْيا ولا دِينِ [2]

قال : وما ذاك ؟ قال : هذان ابنا العباس بن عبد المطلب [3] ، أحدهما يُفتي الناس في دينهم والآخر يطعم فما بَقّيا لك ، فأرسل إليهما : إنكما تريدان أن ترفعا رايةً قد وضعها الله ، ففرقا مَنْ قِبلَكما من مُرّاقِ العراق ، فقال عبد الله : أي الرجلينْ نطردُ عنا ؟ أقابس علم أم طالب نَيْل ، وبلغ الخبر أبا الطفيل [4] ، فقال [5] :

لادرَّ دَرُّ الليالي كيف يُضحِكُنا
منها عجائبُ أنباءٍ وتُبكينا

(١) الخبر التالي في الأغاني ١٥/١٥٢ ، وخزانة الأدب ٢/٩٢ .

(٢) البيت لذي الإصبع العدواني ، انظر ديوانه ٨٩ ، وقد ورد في هامش عيون الأخبار ٢/٣١ لذي الإصبع أيضاً ، وقال المعلق : هو من قصيدة شهيرة له في المفضليات ، ولكن هذا البيت لم يرد فيها ، وانظره دون نسبة في العقد الفريد ٥/٢٩٦ ، والمصون ٢١ .

(٣) يعني بهما عبد الله بن عباس الحبر الجليل ، وأخاه عبيد الله ، وكان كريماً سخياً ، وهو أول من فطر جيرانه ، وأول من وضع الموائد على الطرق ، وأول من حيا على الطعام وأول من أنهبه ، انظر العقد الفريد ١/٢٩٤ .

(٤) هو أبو الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه ، له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم ورواية عنه ، وكان مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وروى عنه ، وله محل خاص منه ، انظر ترجمته وأخباره في الأغاني ١٥/١٤٧ - ١٥٦ وانظر الإصابة قسم الكنى ٦٧٠ ، وجمهرة الأنساب ١٨٣ .

(٥) ترد الأبيات التالية في المراجع التي ذكرت مع اختلاف كثير في ألفاظ الرواية فلتراجع ثمة .

مثل ما تَحْدِثُ الأيام من عَجَبِ
وابن الزُّبير عن الدنيا يُلَهِّينا

كنا نَجِيء ابن عباسٍ فيُقْبِسُنا
علماً ويُكْسبنا أجراً ويَهدينا

ولا يزالُ عُبيدُ الله مُتْرَعةً
جِفَانُه مُطْعِماً ضيفاً ومِسْكينا

فالدِّينُ والعلم والدنيا ببابهما
ننالُ منها الذي شئنا إذا شينا

ففيم تَمْنَعُنا منهم وتَمْنَعُهُم
منا وتؤذيهم فينا وتُؤْذينا

إن الرسول هو النور الذي كشفت
به عِمَايَةُ ماضينا وبَاقِينا

وأهلُه عصمةٌ في ديننا ولهم
حقٌ علينا وحقٌ واجبٌ فينا

ولستَ فاعلمْ بالاوْلَى به نَسَبَا
يابن الزُّبَيْر ولا الأوْلَى به دِينا

لن يَجْزِيَ الله من أجْزى لبُغضهم
في الدين عِزّاً ولا في الأرض تَمْكينا

(زواج شرحبيل بن الحارث الغساني من مية بنت عمرو ثم تطليقه لها بأمر أبيه)

حدثنا ابن دريد ، قال : أخبرنا السكن بن سعيد ، عن محمد بن عباد ، عن ابن الكلبي ، قال : قدم شرحبيل بن الحارث الغسّاني — وكان من أهل بيت الملك — موسماً من مواسم العرب ، وحضرت ذلك العام بكر بن وائل ، فخطب شرحبيلُ مَيّةَ بنت عمرو بن مسعود بن عامر بن عمرو

ابن أبي ربيعة بن ذُهل بن شيبان وهو أصم بني ربيعة ، فقال له أبوها : هي لك وقومها بيدك ، فوالله ما في غسان ملك أحبّ إليّ صهراً منك ، فأنكحه إياها ، فاحتملها شرحبيل إلى أبيه الحارث بن مرة ، فكانت معهم وانقطعت إليهم بكر بن وائل وذلك في أيام الطوائف قبل ملك بني نصر بالحيرة ، فبينا هو نائم ذات ليلة وهي بين يديه ، إذ أقبل أسودُ سالخ يهوى إلى الفتى فاتحاً فاه والسِّراج تَزهر ، حتى إذا أهوى إليه أخذتْ بحَلْقه فخنقته حتى مات ، ثم جعلتْه بين أثناء الفراش ، وكان أبوه إذا أصبح غدا عليه هو وأمه تعظيماً له ، ثم يأتيه الناس فيسلمون عليه فلما اجتمع الناس أهوت إلى الأسود فأخرجتْه ميتاً ، فذعر الشيخ فقال : من قتل هذا ؟ فقالت : أنا قتلتُه ولو كان أشدّ منه لقتلته ، فقال : يا شرحبيل خلّ عنها ، فهي – وأبيها – للرجال أقتل ، فكره شرحبيل أن يعصي أباه فسار بها وبما لها حتى إذا دنا من أرض بكر بن وائل بعث معها من يُلحقها بقومها ، فقالت : لو مضيتَ بي إلى أبي كان أحبّ إليّ ، فقال : واسوْءتاه ! أنظر إلى أبيك وقد طلقتُك في غير ذنب ، فقدمت على أبيها ، فدعا قبيصة ابن هانىء بن مسعود فأنكحها إياه ، فقال شرحبيل :

أزوَّجْتَني غَرّاءَ من خَيْرِ نِسْوَةٍ
نَماها إلى العليـــاء عَمْرٌو وعَامِرُ

فلما ملأت صدري سُروراً وبهجة
عزمتَ بحقٍّ ليس لي فيه عــاذِرُ

فطلقتها من غير ذنب أتت بـــه
إليّ سوى أنّي بميّــة غــــادِرُ

سَرَى في سواد الليل أسودُ سَالِـخٌ
إليَّ وقد نامتْ عيونٌ سَوامِـــرُ

فأهوت لـــه دون الفراش بكفِّهـا
فأصبح مقتولاً فهــل أنت شاكرُ

فقال أبوه :

لَعَمْري لئن طلقتهـا إن مثلهـا
إذا طلب القـوم النساء قليـل
ولكنني حاذرتُهـا أن تُعِيدَهـا
فتصبحَ محجوبـاً وأنت قتيـل
وأصبح في غسان أبكـي بعَبْـرةٍ
عليكً ورُزئي عنـد ذاك جليـل

(من مخارج أبي يوسف الفقهيّة)

حدثنا محمد بن أبي الأزهر ، قال : حدثنا حماد بن إسحاق الموصلي ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني بشر بن الوليد وسألته من أين جاء ؟ قال : كنت عند أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي ، وكنا في حديث طريف ، قال : فقلت له : حدثني به قال : قال لي يعقوب : بينا أنا البارحة قد أويتُ إلى فراشي ، فإذا داقٌ يدق الباب دقّاً شديداً ، فأخذتُ عليَّ إزاري وخرجتُ ، فإذا هرثمةُ بن أعيُن فسلّمتُ عليه فقال : أجِبْ أمير المؤمنين ، قلت : يا أبا حاتم ! لي حُرمة وهذا وقتٌ كما ترى ، ولستُ آمن أن يكون أمير المؤمنين دعاني لأمر من الأمور ، فإن أمكنك أن تدفع بذلك إلى غَدٍ فلعلّه أن يَحْدُثَ له رأي ، فقال : ما إلى ذلك سبيل ، قلت : فما كيف كان السبب ؟ قال : خرج إليَّ مسرور الخادم فأمرني أن آتي أمير المؤمنين بك ، قلت : تأذن لي أن أصبَّ عليَّ ماءً وأتحنّط ، فإن كان أمرٌ من الأمور كنت قد أجدت وأحكمت أمري ، وإن رَزَقَ الله تعالى العافية فلن يضرّ ، فأذن لي فدخلت فلبست ثياباً جُدداً وتطيبتُ بما أمكن من الطّيب ، ثم خرجنا حتى أتينا دارَ أمير المؤمنين الرشيد ، فإذا مسرور واقفٌ فقال له هرثمة : قد جئتُ بـه ، فقلت لمسرور : يا أبا هاشم ! خدمتي وحُرمتي وميلي ، وهذا وقتٌ ضيق ، قد ترى لِمَ طلبني

أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، قلت : فمن عنده ؟ قال : عيسى بن جعفر ، قلت : ومن ؟ قال : ما عنده ثالث ، قال : مُرّ ، فإذا صرت في الصحن فأْته في الرواق وهو ذاك جالسٌ ، فحرِّك رجلَك بالأرض فإنه سيسألُك ، فقل له : أنا ، فجئتُ ففعلت ، قال : من هذا ؟ قلت : يعقوب ، قال : ادخل ، فدخلتُ فإذا هو جالسٌ وعن يمينه عيسى بن جعفر ، فسلمت فرد عليَّ السلام ، وقال : أظننا رَوَّعناك ؟ قلت : إي والله وكذاك مَنْ خلفي ، قال : اجلس فجلستُ حتى سكن رَوْعي ، ثم التفت إليَّ فقال : يا يعقوب ! تَدْرِي لم دَعوتُك ؟ قلت : لا . قال : دعوتُك لأشهدك على هذا ، إن عنده جارية سألته أن يَهبَها لي فامتنع ، وسألتُه أن يبيعها فأبى ، ووالله لئن لم يفعل لأقتلنّه ، قال : فالتفتُّ إلى عيسى ، فقلت : وما بلغ الله بجارية تمنعُها أمير المؤمنين وتُنزل نفسك هذه المنزلة ؟ قال : فقال : عَجِلتَ عليَّ في القول قبل أن تعرفَ ما عندي ؟ قلت : وما في هذا الجواب ؟ قال : إن عليَّ يميناً بالطلاق والعتاق وصَدَقَة ما أملك ألاَّ أبيع هذه الجارية ولا أهبَها ، فالتفت الرشيدُ فقال : هل له في ذلك من مَخْرج؟ قلت : نعم ، يَهَبُ لك نِصفَها ويَبِيعُك نِصْفَها ، فيكون لم يهب ولم يَبع ، قال عيسى : ويجوزُ ذلك ؟ قلت : نعم ، قال : فأُشْهِدك أني قد وهبتُ له نِصْفَها وبعتُه النصف الباقي بمائة ألف دينار ، فقال : الجارية ، فأُتِيَ بالجارية وبالمال ، فقال : خُذْها يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيها ، قال : يا يعقوب ! بقيتْ واحدة ، قلت : وما هي ؟ قال : هي مملوكة ولا بدّ أن تُستبرأ ، ووالله لئن لم أبِتْ معها ليلتي إني لأظُنّ نَفْسِي ستخرج ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! تَعْتِقُها وتتزوجُها فإنّ الحُرَّة لا تُستبرأ ، قال : فإنّي قد عتقْتُها فمن يُزَوِّجنيها ؟ قلت : أنا ، قال : فافعل ، فدعا بمسرور الخادم وحسين فخطبتُ فحمدت الله وزوَّجته على عشرين ألف دينارٌ ، ودعا بالمال ودفعه إليها ، ثم قال : يا يعقوب ! انصرف ، ورفع رأسه إلى مسرور فقال : يا مسرور ! قال : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال :

احمل إلى يعقوب مائتي ألف درهم وعشرين تختاً ثياباً ، فحُمِل ذلك معي . قال : فقال بشر بن الوليد : فالتفتَ إليَّ يعقوب فقال : هل رأيتَ بأساً فيما فعلتُ ؟ قلت : لا ، قال : فخُذْ منها حقّك ، قلت : وما حقّي ؟ قال : العُشْر . فشكرتُه ودعوتُ له ، وذهبتُ لأقوم فإذا بعجوز قد دخلتْ فقالت : يا أبا يوسف ! ابنتك تُقْرِئُك السلام وتقول لك : والله ما وصل إليَّ في ليلتي هذه من أمير المؤمنين سوى المهر الذي قد عرفتَه ، وقد حملتُ إليك النصف منه وخلّفت الباقي لما أحتاج إليه ، فقال : رُدّيه فوالله لاقبلْتُها ، أخرجتُها من الرِّق وزوجتها أمير المؤمنين وترضى لي بهذا ، فلم نزَلْ نَطلب إليه أنا وعمّتي حتى قبلها وأمر لي بألف دينار .

(إسقاط استبراء الأمة وتولية عقد نكاحها)

قال القاضي : إسقاط أبي يوسف الاستبراء في هذه المسألة هو مذهبه ومذهب من تقدمه ومن اتّبعه من أصحابه ، فأما مذهبُ الجمهور من الحجازيين وغيرهم فعلى أن الاستبراء ها هنا باقٍ بحاله ، وأما تَوَلّيه عَقْدَ نكاح هذه المعتقة فإن مذهب أبي يوسف ومتقدمي أصحابه من أهل العراق ومتأخريهم أن مولى الأمة المُعْتِق لها أولى بعقد النكاح له ولغيره عليها ، ومذهب عامة أهل العلم من الحجازيين وغيرهم من الشاميين والعراقيين — وكان الشافعيُّ يرى أنه يَعْقدُ عليها النكاح لغيره ولا يعقده لنفسه — وأنه إذا أراد أن يتزوجها تولّى العقدَ له عليها الحاكم ، ورأيت أبا جعفر شيخَنا رحمهُ اللهُ قد أفتى بهذا في مسائله ، والقول الأول أولى بالحق عندي وأشبه بقوله ، وبيان هذا الباب وشرحه مستقصىً فيما رسمناه من كتبنا في الفقه ، وبالله التوفيق .

(عمة محمد بن أحمد بن عيسى تستشفع له لدى المعتضد) (١)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : كان مع المعتضد أعرابيٌّ فصيح يقال له شعلة بن شهاب اليشكري ، وكان يأنسُ به فأرسله إلى محمد بن عيسى بن شيخ وكان عارفاً به ليرغّبه في الطاعة ويُحذّره العصيان ويرفق به ، فقال شعلة بن شهاب فصرت إليه فخاطبته أقرب خطاب فلم يجبني ، فوجهت إلى عمته أم الشريف فصرت إليها فقالت : يا أبا شهاب ! كيف خلفت أمير المؤمنين ، فقلت : خلفتهُ والله أماراً بالمعروف فعّالاً للخير ، متعزّزاً على الباطل متذلّلاً للحقّ ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، فقالت لي : أهل ذلك هو ومستحقّه ومستوجبه ، وكيف لا يكون كذلك وهو ظلٌّ الله عز وجلّ الممدودُ على بلاده ، وخليفته المؤتمن على عباده ، وأعزّ به دينه ، وأحيا به سُنته ، وثبتت به شرائعه ، ثم قالت : يا أبا شهاب فكيف رأيت صاحبنا ؟ قلت : رأيت حدَثاً معجباً قد استحوذ عليه السفهاء واستبدّ بآرائهم وأنصت لأفواههم ، يزخرفون له الكذب ويُوردونه الندم ، فقالت : هل لك أن ترجع إليه بكتابي قبل لقاء أمير المؤمنين ، فلعلك تحُلُّ عقدةَ السفهاء ؟ قال : قلت : أجل ، فكتبتْ إليه كتاباً حسناً لطيفاً معجباً أجزلتْ فيه الموعظة وأخلصت فيه النصيحة بهذه الأبيات :

اقبل نصيحةَ أمٍّ قلبُها وَجِلٌ
عليك خوفاً وإشفاقاً وقُلْ سدَدَا
واستعمل الفكر في قولي فإنك إنْ
فكّرتَ ألفيتَ في قولي لك الرَّشَدا

---

(١) كان محمد بن أحمد بن عيسى قد خرج على الخلافة وتحصن بآمد ، فخرج إليه المعتضد وحاصرها بجنده ونصب المجانيق عليها واقتتلوا ، فبعث رئيسها يطلب الأمان ، فأمنه فخرج إليه فخلع عليه ، وقد أورد ابن الجوزي القصة التالية في المنتظم ١٥/٦ – ١٧ ، حوادث سنة ٢٨٦ ، رواية عن أبي بكر الصولي كما هنا .

ولا تثق برجال في قلوبهم
ضغائن تبعثُ الشنآن والحسدا
مثل النعاج خمولا في بيوتهم
حتى إذا أمنوا ألفيتهم أسدا
وداوِ داءك والأدواء ممكنة
وإذ طبيبك قد ألقى إليك يدا
أعط الخليفة ما يُرْضِيه منك ولا
تمنعْه مالاً ولا أهلاً ولا ولدا
واردد أخا يشكرٍ ردّاً يكونُ له
رِدْءاً من السُّوءِ لا تُشْمِتْ به أحدا

قال : فأخذت الكتابَ وصرت به إلى محمد بن أحمد بنِ عيسى ، فلما نظر فيه رمى به إليّ ثم قال : يا أخا يشكر ما بآراء النساء تتمّ الأمور ، ولا بعقولهنّ يُساسُ الملك ، ارجع إلى صاحبك . فرجعت إلى أمير المؤمنين فأخبرته الخبر على حقّه وصدقه ، فقال : وأين كتابُ أم الشريف ؟ فدفعتُه إليه فقرأه وأعجبه شعرها ، ثم قال : والله إني لأرجو أن أشفّعها في كثير من القوم ، فلما كان من فتح آمد ما كان ، أرسل المعتضد فقال : يا شُعلة ! هل عندك علم من أم الشريف ؟ قال : قلت لا والله يا أمير المؤمنين ، قال : فامض مع هذا الخادم فإنك ستجدها في جملة نسائها ، قال : فمضيت فلما بصرت بي من بعيد سفَرَتْ عن وجهها ، وأنشأت تقول :

رَيْبُ الزمان وصَرْفُه	مُعْتَادَةٌ كشف القناعا
فأذلَّ بعد العزّ منا الـ	صَّعْب والبَطَل الشُّجَاعا
ولكم نصحتُ فما أطعْـ	ـتُ وكم حرِصْت بأن أطاعا
فأبى بنا المقدار إلاّ	أن نُقَتَّم أو نُباعا
يا ليت شعري هل ترى	يوماً لفُرْقتنا اجتماعا

قال : ثم بكت حتى علا صوتها وضربت بيدها على الأخرى ، وقالت : يا أبا شهاب إنّا لله وإنا إليه راجعون ، كأني والله كنت أرى ما أرى ، فقلت لها : إن أمير المؤمنين وجّه بي إليك وما ذاك إلاّ لجميل رأيه فيك ، فقالت ، هل لك أن توصل لي رقعةً إليه ، قلت : فدفعَتْ إليَّ رقعة فيها :

قل للخليفة والإمام المُرْتَضَى ... ابن الخلائف من قريش الأبْطَحِ
عَلَم الهُدى وسِرَاجه ومَنَارُه ... مِفتاحُ كُلِّ عظيمةٍ لم تُفْتَحِ
بك أصلح الله البــلاد وأهلها ... بعد الفساد وطال ما لم تصلح
فتزحزتْ بك هَضْبَةُ العَرَبِالّتي ... لولاك بعد الله لم تَتَزَحْزَحِ
أعطاك ربك ما تحبُّ فأعطه ... ما قد يُحِبُّ وجُد بعفوكواصفح
يا بهجة الدنيا وبدر مُلُوكهـا ... هبظَالِمِيَّ ومُفْسِدِيّلمُصْلِحي

قال : فأخذت الرقعة وصرت بها إلى المعتضد ، فلما قرأها ضحك ، وقال : لقد نصحت لو قُبل منها فأمر أن تحمل إليها خمسون ألف درهم وخمسون تَخْتاً من الثياب ، وأمر بأن يحمل مثل ذلك إلى محمد بن أحمد ابن عيسى .

(حكم ما بعد لولا من الضمير المتصل)

قال القاضي : قول أم الشريف له في هذا الشعر :

لولاك بعد اللهِ لم تَتَزَحْزَحِ

جائز عند جميع متقدمي النُّحاة ومتأخريهم ، كُوفيِّهم وبَصْرِيِّهم إلا أبا العباس محمد بن يزيد فإنه كان لا يجيزه ويطعن فيما ورد في الشِّعر منه ، وينسُب قائله إلى الشذوذ ومفارقة السماع والقياس ، ومما جاء في الشعر من هذا قول ابن أم الحكم (١) :

---

(١) هكذا في أ، وصحة هذا الاسم يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي، وبيته هذا من=

وأنتَ امرؤٌ لولايَ طِحْتَ كما هَوَى
بأجرامه مِن قُلّةِ النِّيقِ مُنْهَوِي (٢)

وقال آخر :

تقول لي من داخِلِ الهَوْدَجِ لولاكَ هذا العام لَمْ أَحْجُجِ

وقول الآخر :

أتُطْمع فينا من أراقَ دِمَاءَنَا
ولولاك لم يَطْمعْ بأحْسَابِنَا حَسَنْ (٣)

وقد اختلف النحويون في موضع ما يلي لولا من المضمر المتصل من الإعراب ، وكان سيبويه والكسائيُّ يقولان : هو مجرور وإن كان الظاهر إذا حلَّ محلهُ رفع ، وكان الفراء والأخفش يحكمان على موضعه بالرفع ، وإن كان آتياً على الصورة التي صيغت في الأصل إلى ضمير المجرور لغلبة الاشتراك في صيغة المضمر بينه وبين المنفصل وهو كثير في هذا الباب ، ومنه قول الشاعر :

= قصيدة شهيرة له في الأغاني ١٢/٢٧٦ ، وبهجة المجالس ١/٤١١ ، والبيت الوارد هنا منها من شواهد سيبويه ١/٣٨٨ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٤٣٧ ، والخزانة ٣/٢٦٢ ، ومحل الشاهد فيه قوله لولاك ، حيث وضع الضمير المتصل الذي حقه أن يكون في موضع الجر أو موضع النصب بعد لولا ، وهو وارد كثيراً في كلام العرب المحتج بكلامهم ، ورد هذا على المبرد الذي ينكر ذلك ، انظر الإنصاف في مسائل الخلاف ٦٩١ .

(٢) معنى طاح : سقط وهلك ، وهوى : سقط من أعلى إلى أسفل ، والأجرام : جمع جرم ، وجرم كل شي جثته ، والقلة ومثلها القنة : أعلى الجبل ، والنيق : أرفع مكان فيه .

(٣) ينسب هذا البيت لعمرو بن العاص ، يقوله لمعاوية بن أبي سفيان في شأن الحسن بن علي رضي الله عنهم ، وقبل البيت قوله :

معاوي إني لم أبايعك فلتــــة وما زال ما أسررت مني كما علن

والبيت من شواهد ابن يعيش في المفصل ٤٣٨ ، والأشموني ٥٢٤ ، والخزانة ٣/٢٦٠ ، انظر الإنصاف في مسائل الخلاف ٦٩٣ .

فأحْسِنْ وأجْمِلْ في أسيرك إنّــه
ضَعِيفٌ ولم يـأْسِرْ كإيّاكَ آسِرُ [1]

وقالوا : أنت كأنا وأنا كأنت ، ولاستقصاء هذا الباب والاحتجاج فيه موضع هو أولى به من هذا الموضع ، والأفصح والأوضح في العربية سماعاً وقياساً : لولا أنا ولولا أنت ، والقضاء [2] على موضع هذا المضمر المنفصل فإنه في موضع رفع كما هو في الظاهر كذلك ، كقولك : لولا زيدٌ ولولا عبد الله ، غير أن الوجه الآخر جائز ، كما قال جمهور النحويين لروايتهم إياه عن العرب وما استشهدوا به من أشعارها ، وليس بمطّرَحٍ لاحق باللحن المرغوب عنه كما زعم أبو العباس محمد بن يزيد [3] .

(عظة واعتبار)

حدثنا أبو الحسين أحمد بن جعفر بن موسى البرمكي المعروف بجحظة ، قال : قال لي صافي الحرمي [4] : لما مات المعتضد بالله كفّنتُه والله في ثَوْبين قُوهِيّ قيمتُهما ستة عشر قيراطاً [5] .

(خبر مَقْدم وكيع وابن إدريس وحفص على الرشيد)

حدثنا ابن مخلد ، قال : حدثنا حماد بن المؤمل ، أبو جعفر الضرير الكلبي ، حدثني شيخ على باب بعض المُحَدِّثين ، قال : سألت وكيعاً

---

(١) البيت دون نسبة في مجالس ثعلب ١/١٣٣ ، والخزانة ٤/٢٧٤ .
(٢) القضاء : الحكم .
(٣) انظر الآراء في الحكم على ما بعد لولا بالتفصيل في الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري صفحات ٦٩١ – ٦٩٢ .
(٤) صافي الحرمي : كان مولى المعتضد ، وكان صاحب الدولة كلها وإليه أمر دار الخليفة ، توفي سنة ٢٩٨ هـ ، انظر المنتظم ٦/١٠٨ .
(٥) انظر هذا الخبر مروياً عن ما هنا في تاريخ بغداد ٤/٤٠٧ .

عن مَقْدَمِه وهو وابن إدريس وحفص على هارون الرشيد ، فقال لي : ما سألني عن هذا أحدٌ قبلك، قدمنا على هارون أنا وعبد الله بن إدريس وحفص بن غياث ، فأقعدنا بين السّريرين فكان أول من دعا به أنا ، فقال لي هارون : يا وكيع ! فقلت : لبيك يا أمير المؤمنين قال : إن أهل بلدك طلبوا مني قاضياً وسَمّوْك لي فيمن سَمّوْا ، وقد رأيت أن أشركك في أمانتي وصالح ما أدخل فيه من أمر هذه الأمة ، فخذ عَهْدَكَ وامض . فقلت : يا أمير المؤمنين ! وإحدى عيني ذاهبة والأخرى ضعيفة ؟ فقال هارون : اللهم غُفْراً ، خُذْ عهدك أيها الرجل وامض ، فقلت : يا أمير المؤمنين والله لئن كنت صادقاً إنه لا ينبغي أن تقبل مني وإن كنت كاذباً فلا ينبغي أن تُوَلِّيَ القضاء كذاباً ، فقال : اخرج ، فخرجت ، فدخل ابن إدريس فكأن هارون قد وُسم له من ابن إدريس واسم ، يعني خُشُونة جانبه ، فدخل فسمعنا صَوت رُكبتيه على الأرض حين بَرَكَ ، وما سمعناه يُسلِّم إلاّ سلاماً خفياً ، فقال له هارون : أتدري لم دعوتُك ؟ قال : لا ، قال: إن أهل بلدك طلبوا مني قاضياً وأنهم سَمّوْك لي فيمن سَمّوا ، وقد رأيتُ أن أشركك في أمانتي وأدخلك في صالح ما أدخل فيه من أمر هذه الأمة ، فخُذْ عهدك وامض ، فقال له ابن إدريس : لستُ أصلح للقضاء ، فنكث هارون بإصبعه وقال له : وددت أني لم أكن مَثَلْتُكَ ، قال له ابن إدريس : وأنا وددتُ أني لم أكن رأيتُك ، فخرج ثم دخل حفص بن غياث ، فقال له كما قال لنا ، فقبل عهده وخرج ، فأتانا خادم معه ثلاثة أكياس في كل كيس خمسة آلاف دينار ، فقال : إن أمير المؤمنين يقرئكم السلام ويقول لكم : قد لزمتكم مؤونة في شخوصكم فاستعينوا بهذه في سفرتكم ، قال وكيع : أَقْرِئْ أمير المؤمنين السلام وقُل : قد وَقَعتْ مني بحيث يحبُّ أمير المؤمنين وأنا عنها مُسْتَغْنٍ ، وفي رعية أمير المؤمنين من هو أحوج إليها مني ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يصرفها إلى من أحبّ ، وأما ابن إدريس فصاح به : مُرَّ من ها هنا

وقبلها حفص ، وخرجت الرُّقعة إلى ابن إدريس من بيننا : عافانا الله وإياك سألناك أن تدخل في أعمالنا فلم تفعل ، ووصلناك من أموالنا فلم تقبل ، فإذا جاءك ابني المأمون فحدّثه إن شاء الله ، فقال للرسول : إذا جاء مع الجماعة حدثنا إن شاء الله ، ثم مَضَيْنا ، فلما صرنا إلى الياسرية [1] حضرت الصلاة فنزلنا نتوضأ للصلاة ، قال وكيع : فنظرتُ إلى شُرَطيٍّ محموم نائم في الشمس عليه سَوَادُه فطرحتُ كسائي عليه ، وقلت : تَدَفّأ إلى أن نتوضأ ، فجاء ابنُ إدريس فاستلبه ثم قال : رَحِمْته لا رحمك الله ، في الدنيا أحد رحم مثل ذا ؟ ثم التفت إلى حفص وقال : قد علمتُ حين دخلت إلى سُوق أسد [2] فخضبتَ لِحيْتك ودخلت الحَمّام أنك ستَلِي القضاء ، ولا والله لا كلّمتُك حتى تموت ، فما كلّمه حتى مات [3] .

(المأمون يترك جاريته الحبيبة إلى بلاد الروم) [4]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن مالك النحوي ، قال : أخبرنا يحيى بن أبي حماد الموكبي ، عن أبيه ، قال : لما وصفت للمأمون جارية بكل ما توصف به امرأة من الكمال والجمال ، فبعث في شرائها فأتى بها وقت خروجه إلى بلاد الروم ، فلما هَمّ بلبس

---

(١) الياسرية : منسوبة إلى ياسر اسم رجل ، قرية كبيرة على ضفة نهر عيسى بينها وبين بغداد ميلان ، وعليها قنطرة مليحة فيها بساتين ، انظر معجم البلدان ١٠٠٢/٤ .

(٢) سوق أسد : بالكوفة ، تنسب إلى أسد بن عبد الله القسري ، أخي خالد بن عبد الله أمير العراقين ، انظر معجم البلدان ١٩٢/٢ .

(٣) ترد هذه القصة كما هنا في تاريخ بغداد ٤١٩/٩ ، وترد في ١٨٩/٨ منه برواية أخرى ملخصها أن الثلاثة دخلوا على الرشيد فعرض عليهم القضاء فأما وكيع فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أبصرت بها منذ سنة ووضع إصبعه على عينه ، وعنى إصبعه ، فأعفاه ، وأما حفص فقال : لولا غلبة الدين والعيال ما وليت .

(٤) الخبر التالي في مصارع العشاق ٢٥٧ .

درعه خطرت بباله فأمر فأخرجت إليه ، فلما نظر إليها أعجب بها وأعجبت به ، فقالت : ما هذا : قال : أريد الخروج إلى بلاد الروم : قالت : قَتَلْتني والله يا سيّدي ، وجرَتْ دموعها على خدها كنظْم اللؤلؤ ، وأنشأت تقول :

سأدْعُو دعوة المضطر ربّاً
يُثيبُ على الدعاء ويَسْتَجيبُ
لعل الله أن يكفيك حربـاً
ويجمعنا كما تهوى القلوبُ

فضمها المأمون إلى صدره وأنشأ متمثلاً يقول :

فيا حُسْنَها إذ يَغْسِل الدمعُ كُحْلَهـا
وإذ هي تَذْرِي الدمْعَ منها الأنـامل
صبيحة قالت في العتاب قَتَلْتَـني
وقَتْلِي بما قالت هُناك تحـاولُ

ثم قال لخادمه : يا مسرور احتفظ بها وأكرم محلها وأصلح لها كل ما تحتاج إليه من المقاصير والخدم والجواري إلى وقت رجوعي ، فلولا ما قال الأخطل حين يقول :

قومٌ إذا حَارَبُوا شَدُّوا مآزرهم
دُون النساء ولو بَاتَتْ بأطْهَارِ

ثم خرج فلم يزل يتعهدُهَا ويُصْلِح ما أُمِرَ به ، فاعتلّت الجارية علّة شديدة أشفق عليها منها وورد نعي المأمون ، فلما بلغها ذلك تنفّست الصُّعَداء وتُوفيت ، وكان مما قالت وهي تَجُود بنفسها :

إنّ الزمان سقانا من مرارته بعد الحلاوة أنفاساً فأروانـا

أبدى لنا تـارةً فأضحكنـا ... ثم انثنى تارة أخرى فأبكانـا

إنا إلى الله فيما لا يزال بنا ... من القضاء ومن تلوين دُنيانا

دُنيا نَراها تُرينا من تَصَرُّفها ... ما لا يدومُ مصافاةً وأحزانـا

ونحنُ فيها كأنّا لا نُزايلها ... للعيش أحياؤُنا يبكون مَوْتانا

* * *

المجلس السادس عشر

(حديث : ما ذئبان جائعان في حظيرة)

حدثنا محمد بن إسماعيل بن إسحاق الفارسي ، قال : حدثنا أحمد بن زهير أبو بكر بن أبي خيثمة ، قال : حدثنا قطبة بن العلاء ، قال حدثني سفيان الثوري ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما ذئبان جائعان في حظيرة وثيقة يأكلان ويفترسان ، بأضرَّ فيها من حُب المال والشرف في دين المرء المسلم » (١) .

(تعليق المؤلف)

قال القاضي : هذا خبر صحيح مشهور ، قد رويناه من غير وجه ،

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد عن كعب بن مالك ، انظر المسند ٣/٤٥٦ ، ٤٦٠ ، والترمذي في أبواب الزهد ، في تحفة الأحوذي ، الحديث ٢٤٨٢ : ٧/٤٦ ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، ويروى عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يصح إسناده .

ومعنى الحديث ، ليس ذئبان جائعان أرسلا في جماعة من جنس الغنم بأشد إفساداً لتلك الغنم ، من حرص المرء على المال والجاه ، فإن إفساده لدين المرء أشد من إفساد الذئبين الجائعين لجماعة من الغنم .

وفي جملة ألفاظه اختلافٌ في اللفظ دون المعنى ، في بعضها : ما ذئبان ضاريان ، وفيه تنبيهٌ على أن أَوْلى الأمور بالمرء حِفْظُه دِينَه ، وإشفاقُه من دخُول الخلل فيه ، فإن حب المال والشرف والسعي في اكتسابهما ، والحرص على حيازتهما والانهماك في مسابقة أهلهما إليهما ، ومغالبته عليهما ، مما يؤدي إلى هدم الدين وتوهين أركانه ، وطمس معالمه وحط بنيانه ، مع ما فيه من حمل المرء منه على أسباب الهلكة ، وَجده فيما يورطه في حبائل الرذائل ، وبُعده عن شريف الفضائل ، فقلّ من سلم ممن وصفنا حاله من البغي والعدوان والحسد والطغيان ، وقد يحرم مع هذا مما أمّل إدراكه ، وطمع في بلوغه ، فحصل من الكد والجد ، والعناء والشقاء ولاستيلاء النحوس عليه وانحطاط الجد ، فنسأل الله تعالى توفير حَظّنا من رحمته وعصمته ، وأن يتمم ما ابتدأنا به من نعمته ، فلقد هلك من هلك من الناس في ركوبهم ما حَذّر منه رسول الله ﷺ ، وأوضحَ البيان عنه .

وقد ذكر عن الحجاج بن أرطاة [1] وكان من المَشْهورين بالفقه والقضاء والرواية والتصرف في الآراء ، أنه قال : أهلكني حب الشّرَف . وروى عنه أنه كان لا يشهد جُمعة ولا جماعة ويقول : أكره مزاحمةَ الأنذال .

(أمر الحجّاج بن علاط السُّلَمي وحيلته في جمع ماله من مكة)

حدثنا أحمد بن إبراهيم الخليل الكاتب النهرواني ، قال : حدثني أبوعبد الله عبد العزيز بن علي بن المنتصر ، قال : حدثني أحمد بن محمد بن المنتصر ، قال حدثنا هرون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي

---

(١) هو الحجاج بن أرطاة ، أبو أرطاة النخعي الكوفي ، كان مع أبي جعفر المنصور وقت بناء مدينته ، ويقال إنه ممن تولى خططها ونصب قبلة جامعها ، وهو أحد العلماء بالحديث الحفاظ له ، وكان شريفاً سرياً فيه تيه ، أخرجه أبو جعفر مع ابنه المهدي إلى خراسان فلم يزل معه حتى توفي بالري ، في خلافة أبي جعفر . انظر تاريخ بغداد ٢٣٠/٨ .

الكوفي ، قال : حدثنا جعفر بن محمد المعيدي ويعقوب ، قالا : حدثنا يوسف بن بهلول ، قال : حدثني ابن إدريس ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ انصرف حتى قدم المدينة في آخر صفر ، وكان افتتاح خيبر في عقب المحرم [1] ، قال : ولما أسلم الحجاج بن علاط السلمي ثم البَهْزي [2] شهد خيبر مع رسول الله ﷺ ، قال أحمد بن إبراهيم : وأخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن محمد بن مزيد النحوي بإسناد له ، قال : ولما أسلم حجاج بن علاط السلمي وكان قد أسلم ولم تعلم قريش بإسلامه ، فاستأذن رسول الله ﷺ يوم خيبر في أن يصير إلى مكة فيأخذ ما كان له من مال ، وقال الهاشمي في حديثه : قال الحجاج : يا رسول الله ! إن لي مالاً بمكة عند أبي طلحة ، وعلى التجار ، وعند صاحبتي أم شيبة بنت أبي طلحة أخت بني عبد الدار ، وأنا أتخوّف إن علموا بإسلامي أن يذهب ، فَأْذَنْ لي باللّحوق به لعلّي أُخلّصه .

وقال أبو العباس في حديثه : فاستأذن رسول الله ﷺ في يوم خيبر بأن يصير إلى مكة فيأخذ ما كان له من مال بها ، وكانت له أموال متفرقة وهو رجل غريب فيهم ، إنما هو أحد بنيّ سليم بن منصور ثم أحد بني بهز ، فأذن له رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! إني أحتاج إلى أن أقول ، قال : فقل . وقال الهاشمي في حديثه : لا بدّ لي من أن أقول ، قال : قل وأنت في حِلٍّ . قال أبو العباس : وهذا كلام حَسَنٌ يقال على جهة الاحتيال غير الحق ، فأذن له فيه رسول الله ﷺ لأنه من باب الحيلة

---

(١) وذلك سنة سبع من الهجرة ، حين رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية ، انظر سيرة ابن هشام ٣/٣٢٨ .

(٢) هو الحجاج بن علاط بن خالد بن ثويرة السلمي البهزي ، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وهو بخيبر فأسلم ، ثم سكن المدينة واختط بها داراً ومسجداً ، ترجمته في الإصابة ٧/١٦ ، طبقات ابن سعد ٤/٢٦٩ .

وليس من باب الفساد والشر ما يقال في هذا المعنى ، يقول كما قال الله عز وجل :﴿ أم يَقُولُون تَقَوَّله ﴾[1] . وقال الهاشمي في حديثه : فخرج الحجاج ، قال : فلما انتهيتُ إلى ثَنيّة البيضاء [2] وجدتُ بها رجالاً من قريش يتسمعون الأخبار وقد بلغهم أن رسول الله ﷺ قد سار إلى خيبر ، وكانوا قد عرفوا أنها أرض الحجاز وبها منعة ورجال . وقال أبو العباس في حديثه : فلما أبصروني قالت قريش : هذا لَعَمْرُ الله عنده الخبر ، أخْبِرْنا يا حجّاجُ فقد بلغنا أن القاطِعَ قد سار إلى خيبر .

وقال أبو العباس في حديثه : وقال الهاشمي في حديثه وهي بلد يهود وريف الحجاز قال : قلت : قد بلغني أنه قد سار إليها وعندي من الخبر ما يسركم ، قال : فالتَبطوا بجَنْبَتَي ناقتي [3] يقولون : هِي يا حجّاجُ ، قال : قلت : هُزِمَ هزيمةً لم تَسْمَعُوا بمثلها قطُّ ، وقتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط ، وأَخَذُوا محمداً أسيراً ، وقالوا : لن نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصابهم من رجالهم ، فقاموا فصاحُوا بمكة وقالوا : قد جاءكم الخبر ، هذا محمد إنما تنتظرون أن يُقْدَمَ به عليكم ، وهذا الكلام كله من حديث الهاشمي . قال : فقلت : أعينوني على جمع مالي بمكة على غُرمائي فإني أبادر خيبر فأصيب من فَلّ [4] محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هناك ، قال : فجمعوا مالي كله كأحَثّ جمع سمعتُ به ، وجئتُ صاحبتي ، فقلت : مَالِي قَبْل أن يسبقني التجار [5] ، فلما سمع العباس بن عبد المطّلب

---

(١) سورة الطور الآية ٣٣ .

(٢) قال ياقوت : والبيضاء : ثنية التنعيم بمكة ، لها ذكر في كتب السيرة ، انظر معجم البلدان ٧٩٢/١ .

(٣) التبطوا بجنب ناقتي : أي مشوا إلى جنبها ملازمين لها ، مطيفين بها كمشي العرجان لازدحامهم حولها .

(٤) الفل : يعني بها غنائم الهزيمة .

(٥) زاد في السيرة قوله : وكان لي عندها مال موضوع .

ذلك ، حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من خيام التجار ، وقال أبوالعباس في حديثه : فأتاني العبّاسُ وهو كالمرأة الوالهة فقال : ويحك ياحجّاج ! ما تقول ؟ قال : فقلت : أكاتِمٌ أنت عليَّ خبَري ؟ وقال الهاشميّ في حديثه : فقال : يا حجاج ! ما هذا الذي جئتَ به ؟ قال : قلت : وهل عندك حفظٌ لما يوضع عندك ؟ قال : نعم . قال : استأخر حتى ألقاك على خلاء ، فإني في جمْع مالي كما ترى ، وقال أبو العباس في حديثه : وقلت : فالبث عني شيئاً يَخْفَ موضعي ، فانصرف عني حتى إذا فرغتُ من كل شيء وأجمعت أمري على الخروج لقيته فقلت : احفظ عليَّ حديثي فإني أخشى الطّلب ، قال : أفْعَلُ قال : إني والله تركتُ ابن أخيك عَرُوساً على ابنة مَلِكهم صفية بنت حُيَيّ ، وقال أبوالعباس في حديثه : خلّفتُ رسول الله ﷺ قد فتح خيبر ، وخلفته عروساً على ابنة ملكهم وما جئتكم إلاّ مُسْلماً . وقال الهاشميُّ في حديثه : ولقد افتتح خيبر ونقل ما كان فيها وسَاقَ وصارت له ولأصحابه . وقال أبوالعباس في حديثه : فاكتُم الخبر ثلاثاً حتى أُعْجِز القوم ثم أَشِعْه فإنه والله الحق . قال الهاشمي في حديثه : فاكتم عليَّ ثلاثاً ، وما جئتُ إلاّ لأخذ مالي فَرَقاً من أن أُغْلَب عليه ، فإذا مضت ثالثة فأظْهِرْ أمرك ، والأمر واللهِ على ما تحب ، قال : فلما كان اليوم الثالث لبس العباس الحُلّة وتخلّق ثم أخذ عصاه وخرج يطوف بالبيت ، فلما رأته قريش قالت : يا أبا الفضل هذا والله التجلد لِحَرّ المُصيبة ، قال : كلاّ ومَنْ حلفتم به ، لقد افتتح رسول الله ﷺ خيبر فنزل عروساً على ابنة ملكهم ، قالوا : ومن جاءك بهذا الخبر ؟ قال : قلت : الذي جاءكم بما جاءكم ولقد دخل عليكم مسلماً وأخذ ماله وانطلق فلحق برسول الله ﷺ يَصْحَبُه ويكون معه ، قالوا : أفلت عدوُّ الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ، قال : ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر .

وقال هارون في حديثه ، قال صالح ، قال محمد بن حميد ، حدثنا جرير ، عن شيخ ، قال : لما أخبر العباس يوم خيبر أن النبي ﷺ حيّ

أعتق غلامه الذي خبّره ، وقال في رواية أخرى : فلما سمع بذلك العباس أراد أن يقوم فلم يقدر ، ودعا بابن له يقال له قُثَم ، وكان شبيهاً برسول الله ﷺ وجعل يرتجز وينشد ، ولأعداء الله يقول :

ابْنِي قُثَمْ ذو الأنْف الأشَمْ
شَبِيهُ ذي الكرم بِرَغْم من رَغِمْ
نَبِيٍّ ذي النعم

وقال هارون في حديث آخر : حدثنا أبو مسلم ، عن علي بن المديني ، عن زيد بن عياض بن جعدة ، قال : ولما فتح الله عزّ وجل لرسوله ﷺ خيبر خرج الحجاج بن علاط السلمي إلى مكة وقد أسلم ليأخذ مالاً له عند امرأته ، وكان مكثراً له من ماله معادن الذهب بأرض سليم ، وذكر كلام الحجاج بطوله، وبلغ العباس فأراد النهوض فلم يقدر ، وأمر بباب الدار ففتح ثم دعا غلامه أبا رافع فقال : انطلق إلى الحجاج فقل له : إن الله أعلى وأجل من أن يكون الذي تبلغ حقاً ، فأبلغه وأشار إليه ، قل لأبي الفضل عندي ما تُسَرُّ به، فرجع فلم يستطع أن يكتم الخبر فرحاً ، فقام إليه العباس فقبل ما بين عينيه . فقال هارون في حديثه : أخبرنا أبو الفضل الربعي ، قال : حدثني أحمد بن محمد بن أيوب ، عن ابراهيم بن سعيد ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان مع النبي ﷺ في يوم حنين من أهل بيته سبعة ثامنهم مولى لهم : العباس بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، والفضل بن العباس وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب [1] وزيد بن حارثة ، وأسامة بن زيد ، وعقيل بن أبي طالب ، وثامنهم أيمن بن أم أيمن ، وكان العباس آخذاً بعنان بغلة النبي ﷺ وأبو سفيان آخذاً بثفرها [2] ،

---

(١) ذكر في سيرة ابن هشام ٤٤٣/٣ أن ابن أبي سفيان بن الحارث واسمه جعفر كان ممن ثبتوا مع الرسول ، ولم يذكر فيهم زيد بن حارثة .

(٢) الثفر : سير في مؤخر السرج ونحوه يشد على عجز الدابة تحت ذنبها .

فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال : من هذا يا عم ؟ فقال له العباس : أخوك وابن عمك أبو سفيان بن الحارث . قال : نعم أخي وخير أهلي .

وقال العباس في ذلك اليوم [1] :

نَصَرْنا رسولَ الله في الحَرْبِ سَبْعَةً
وقد فَرَّ من قَد فَرّ عنه فأقْشَعُوا [2]

وثامنُنا لاقى الحِمَامِ بِنَفْسه
لما مَسّهُ في الله لا يتوجّع

وقولي إذا ما الفضل شَدّ بسيفه
على القوم أخرى يا بُنَيّ فيرجِعُوا

قال القاضي : هكذا هو في كتابي فإن يكن في أصل الشيخ على هذا ، فتقدير الكلام اشدد أخرى فيرجعوا فدخلت الفاء جواباً ، وإن كانت الرواية في الأصل فيرجع على الخبر عن الواحد بالمعنى فهو يرجع .

(الحجاج وفراشة التي كانت تجهز الخوارج)

حدثنا ابن دريد ، قال : حدثنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة ، وذكره أبوحاتم عن العتبي أيضاً ، قال : كانت امرأة من الخوارج من الأزد يقال لها فراشة ، وكانت ذات نَبَهٍ في رأي الخوارج تُجَهِّزُ أصحاب البصائر منهم ، وكان الحجاج يطلبها طَلَباً شديداً ، فأعوزته فلم يظفر بها ، وكان يدعو الله أن يمكنه من فراشة أو من بعض مَن جهزته ، فمكث ما شاء الله

---

(١) ورد البيتان الأولان من الأبيات الثلاثة الآتية في تفسير القرطبي ٢٩٣٧ في تفسير سورة التوبة ، والرواية فيه : تسعة بدل سبعة في البيت الأول ، وعاشرنا بدل ثامننا في البيت الثاني ، وذلك على أساس أن الذين صمدوا مع الرسول كانوا عشرة فعلا، هم أبو بكر وعمر ثم سبعة من أهله ومولى لهم وهم الذين ذكرهم المؤلف ، وقد استشهد واحد منهم هو أيمن بن أم أيمن مولاهم ، انظر سيرة ابن هشام ٤٤٣/٣ .

(٢) أقشعوا : تفرقوا .

ثم جيء برجل فقال : هذا ممن جهّزته فراشة ، فخرّ ساجداً ثم رفع رأسه ، فقال له : يا عدوّ الله ، قال : أنت أولى بها يا حجاج ، قال : أين فراشة ؟ قال : مرت تطير منذ ثلاث . قال : أين تطير ؟ قال : تطير ما بين السماء والأرض ، قال : أعن تلك سألتك عليك لعنة الله ؟ قال : عن تلك أخبرتك عليك غضب الله ، قال : سألتك عن المرأة التي جَهّزتْك وأصحابك ، قال : وما تصنع بها ؟ قال : دلنا عليها ، قال : تصنع بها ماذا ؟ قال : أَضْرِبُ عنقها . قال : ويلك يا حجاج ، ما أجهلك ! تريد أن أدلك وأنت عدو الله على من هُوَ وَلِيُّ الله؟ قد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين. قال : فما رأيك في أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : على ذاك الفاسق لعنة الله ولعنة اللاعنين ، قال : ولم لا أم لك ؟ قال : إنه أخطأ خطيئة طبقت بين السماء والأرض ، قال : وما هي ؟ قال : استعماله إياك على رقاب المسلمين، فقال الحجاج لجلسائه: ما رأيكم فيه؟ قالوا: نرى أن تقتله قِتلةً لم يقتل مثلها أحد ، قال : ويلك يا حجاجُ ، جلساء أخيك كانوا أحسن مجالسة من جلسائك ، قال : وأي أخويَّ تريد ؟ قال : فِرعون حين شاور في موسى فقالوا : أَرْجِه وأخاه [1] ، وأشار عليك هؤلاء بقتلي ، قال : وهل حفظتَ القرآن ؟ قال : وهل خَشِيت فراره فأحفظه ؟، قال : هل جمعتَ القرآن ؟ قال : ما كان متفرقاً فأجمعه ، قال : أقرأته ظاهراً ؟ قال : معاذ الله بل قرأته وأنا أنظر إليه، فقال : فكيف تراك تلقى الله إن قتلتُك ؟ قال : ألقاه بعملي وتلقاه بدمي ، قال : إذاً أُعجِّلُك إلى النار ، قال : لو علمت أن ذلك إليك أحسنت عبادتك واتقيتُ عذابك ولم أبغ خلافك ومناقضتك ، قال : إني قاتلك، قال : إذاً أخاصمك لأن الحكم يومئذ إلى غيرك ، قال : نُقْمِعُك عن الكلام السيء ، يا حِرَسِي ! اضرب عنقه ، وأومى إلى السيَاف ألاّ يقتله ، فجعل يأتيه من

(١) سورة الأعراف الآية ١١١ .

بين يديه ومن خلفه ويروعه بالسيف ، فلما طال ذلك عليه رَشَح جبينه ، قال : جزِعت من الموت يا عدوّ الله ؟ قال : لا يا فاسق ، ولكن أبطأتَ عليّ بمالي فيه راحة ، قال : يا حرسيّ أعظم جرحه ، فلما أحس بالسيف قال : لا إله إلا الله ، ووالله لقد أتمّها ورأسه في الأرض [1] .

(حمدان البرتي يهيم بامرأة طقطق الكـــوفي) [2]

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقري ، قال : حدثنا أحمد بن الصلت ، قال ، كان حمدان البرتي على قضاء الشرقية ، فقدمت امرأة طقطق الكوفي طقطقاً إليه فادعت عليه مهراً أربعة آلاف درهم ، فسأله القاضي عما ذَكَرَتْ ، فقال : أعز الله القاضي ، مهرها عشرة دراهم ، فقال لها البرتي : أسفِري ، فسَفَرتْ حتى انكشف صَدْرها ، فلما رأى ذلك قال لطقطق : ويلك ! مثل هذا الوجه يستأهل أربعة آلاف دينار ليس أربعة آلاف درهم ، ثم التفت إلى كاتبه فقال له : في الدنيا أحسن من هذا الشذر [3] على هذا النحر ؟ فقال له طقطق ، فديتك ، إن كانت قد وقعت في قلبك طلقتها ، قال له البرتي : تَهَدَّدُها بالطلاق وقد قال الله عز وجل : ﴿فلما قَضَى زَيْدٌ منها وَطراً زَوَّجْنَاكَها﴾[4] إن طلقتها كان ها هنا ألف ممن يتزوجها ، فقال طقطق : إني والله ما قضيتُ وَطَرِي منها ، وأنا طقطق ليس أنا زيد ، فأقبل البرتي على المرأة : فقال لها : يا حبيبتي ما أدري كيف كان صبرك على مباضعة هذا البغيض ؟ ثم أنشأ يقول :

---

(١) ترد هذه القصة باختصار عما هنا في البيان والتبيين ١٤٩/٢ ، وترد عبارة : إن وزراء أخيك فرعون .. الخ على لسان امرأة من الخوارج حرورية في العقد الفريد ١٧٥/٢ .
(٢) القصة التالية في مصارع العشاق ٢٧٦ .
(٣) الشذر : اللؤلؤ الصغار .
(٤) سورة الأحزاب الآية ٣٧ .

تَرَبّصْ بها رَيْبَ المَنُونِ لَعَلّهَا
تُطَلّقُ يَوْماً أو يَمُوتَ حَلِيلُهــا

فقام طقطق فتعلق به وصيف غلام البرتي فصاح به : دعه يذهب عنا في سقر ، ثم قال لها : إن لم يَصِرْ لك إلى ما تريدين فصيري إلى امرأة وصيف حتى تُعْلمني فأضعه في الحبس، فكتب صاحبُ الخبر بما كان ، فعلِق به البرتي وصانعه على خمس مائة دينار على ألاّ يرفع الخبر بعينه ، ولكن يكتب أن عجوزاً خاصمت زوجها فألط [1] فاستغاثت بالقاضي فقال لها : ما أصنع يا حبيبتي هو حُكْم ولا بدّ أن أقضي بالحق ، وانصرف البرتي متيماً ، فما زال مُدَنفاً يبكي ويهيم فوق السطوح ، ويقول الشعر فكان مما قاله :

واحَسْرتي عــلى ما مضى ليتني لم أكُن أعْرِف القَضَا
أحببتُ امرأة وخِفْت اللـّـ ـه حقاً فما تَمّ حتى انقضى

وغير ذلك من شعر لا وزن له ولا روى ، إلى أن ارعوى ورجع .

(لطّ وألطّ وأيهما أصح)

قال القاضي : هكذا في الخبر ألطّ ، والمعروف في العربية لط ، وقالوا في اسم الفاعل ملط على غير القياس لأن قياس ألط ملط وقياس لط لاط ، غير أن السماع لا اعتراض لأحد فيه ، ولا يترك للقياس بل يترك القياس له .

(بينما يبول من فزعه إذ يبول على قبره) [2]

حدثنا أحمد بن جعفر بن موسى البرمكي المعروف بجحظة ، قال :

---

(١) ألط به : جحله حقه ، أو اشتد في مرائه وخصومته .
(٢) الخبر التالي في الفرج بعد الشدة ٩٥ .

قال لي ميمون بن هرون الكاتب : جرد شُعَيْب بن عُجَيف رجلاً ليضربه بالسياط في مال اختانه منه ، فبال الرجل لما رأى السياط فجرى بوله من باثكة سراويله فأطلقه ، وشخص مع المعتصم يريدون بلاد الروم ، فمات شعيب بن عجيف في الطريق ، وخرج الرجل خلف العسكر يطلب الرزق ، فغمزه البول في السحر وهو ببعض القرى ، فرأى ركاماً فبال عليه فقال له رجل من القرية : بئسما فعلت ، بلت على قبر شعيب بن عجيف ، فقال الرجل : لا إله إلا الله ، بينا أنا أبول من فزعه إذ بلت على قبره .

(إلا يكن أخاً بالنسب فإنه أخ بالأدب) [1]

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا موسى بن محمد بن موسى ابن حماد ، قال : سمعت علي بن الجهم ، وقد ذكر دعبلاً وكفره ولعنه ، وقال : كان قد أغرى بالطعن على أبي تمام وهو خير منه ديناً وشعراً ، فقال له رجل : لو كان أبو تمام أخاك ما زاد على كثرة وصفك له ، فقال : إلاّ يكن أخاً بالنسب فإنه أخٌ بالأدب والدين والمروءة ، أما سمعت قوله فيّ :

إن يُكْدِ مُطّرِفُ الإخاءَ فإنّنا ... نَغْدُو ونَسري في إخاء تالدِ
أو يختلفْ ماء الوصال فماؤُنــا ... عَذْبٌ تحدَّر من زُلاَلٍ باردِ
أو يفترق نسبٌ يؤلِّف بيننا ... أدبٌ أقمناه مقــام الوالــدِ

(أبيات متفاضلة في المدح لبعض الشعراء)

حدثنا محمد بن أحمد الحكيمي ، قال : حدثنا عبد الله بن عمرو الوراق ، قال : حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن بشر ، قال : أنشد أبو السمط بن أبي الجنوب بن أبي حفصة لرؤبة :

---

(١) الخبر التالي في تاريخ بغداد ٥١/٨ : رواية عما هنا .

إن جئت أعطاني وإن أنا لم أجي
تَنَفَّذَ أمْري فوق ما كنت أرْتَجِي [(١)]

فقال: لي والله أجودُ من هذا في عبد الله بن طاهر، وهو متوجه إلى نصر بن شيث [(٢)] فوجه إليّ بعشرين ألفاً، فقلت [(٣)]:

لَعَمْرِي لنعم الغيث غيثٌ أصابنا ببغداد من أرض الجزيرة وَابِلُه
ونعم الفتى والبيدُ بيني وبينه بعشرين ألفاً صَبَّحَتْنا رسائلُه
وكنا كحيٍّ صبّح الغيثُ أهلَه ولم يَحْتَمِلِ أظعانُه وحمائلُه

وأنشدنا هذا الشعر عمارة بن عقيل، فقال: لي — والله — في خالد بن يزيد [(٤)] أحسن من هذا، ثم أنشد:

لم أستطع سيراً لِمدحة خالد فجعلتُ مَدْحِيهِ إليه رَسُولا
فليرحلَنَّ إليَّ نائلُ خالِدٍ وليكفيَنَّ رواحِلي التَّرْحِيلا [(٥)]

وأنشد هذه الشعرالمسمعي، فقال: أنشدني الأصمعي أجود من هذا:

---

(١) لم يرد هذا البيت في ديوان رؤبة ولا في زيادات شعره.
(٢) من بني عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، خرج على المأمون بكيسوم من نواحي الجزيرة وظل يحاربه خمس سنوات حتى أرسل إليه المأمون عبد الله بن طاهر فاستنزله من حصنه وأمنه ثم أرسله إلى المأمون، انظر جمهرة الأنساب ٢٩١، المعارف ٢٩٠، كامل ابن الأثير حوادث سنة ٢٠٩ هـ.
(٣) أورد الشريف المرتضى في أماليه ٤٣/٢ بيتين من الأبيات الثلاثة الآتية ضمن هذه القصة، ونسبهما لمروان بن أبي حفصة في عبد الله بن طاهر وقد أتاه نائله من الجزيرة.
(٤) هو خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني، أحد الأمراء الولاة الأجواد في العصر العباسي، ولاه المأمون مصر ثم الموصل، مات في طريقه إلى أرمينيا لإخماد ثورتها سنة ٢٣٠ هـ، انظر الأعلام ٣٤٣/٢ والمراجع التي في هامشه.
(٥) البيتان في ديوانه ٧٠ نقلا عن أمالي المرتضى.

جزى اللهُ خيراً — والجزاءُ بكفِّه —
بني السِّمْط أخدانَ السّماحةِ والحمدِ [1]
أتاني وأهلي بالعراقِ جَدَاهُم [2]
كما انقضَّ غيثٌ في تِهَامَةَ أو نَجْدِ

(زيارة حرقة بنت النعمان لسعد بن أبي وقاص) [3]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا أبو بكر محمد بن يعقوب الدينوري ، قال : حدثنا حسّان بن أبان البعلبكي ، قال : لما قدم سعد بن أبي وقاص القادسية أميراً أتتْه حرقة بنت النعمان بن المنذر في جوَارٍ في مثل زِيِّها ، تطلب صِلَتَه ، فلما وقفن بين يديه ، قال : أيتكن حرقة ؟ قلن : هذه ، قال : أنتِ حرقة ؟ قالت : نعم ، فما تكرارك استفهامي ؟ إن الدنيا دار زوال وإنها لا تدوم على حال ، تنتقل بأهلها انتقالاً ، وتُعقبهم بعد حال حالاً ، إنا كنا ملوكَ هذا المِصْرِ قبلك ، يُجْبى إلينا خَرَجه ، ويُطيعنا أهله ، مدة المدة وزمان الدولة ، فلما أدبر الأمر وانقضى ، صاح بنا صائحُ الدهر ، فصدع عصانا وشتّتَ ملأنا ، وكذاك الدهر يا سعد ، إنه ليس من قوم بحبرة إلاّ والدهر مُعقبهم عَبْرة ، ثم أنشأت تقول [4] :

فبينا نَسُوسُ النَّاسَ والأمر أمرنا إذا نحنُ فيهم سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ

---

(١) في أمالي المرتضى : والمجد .
(٢) في أمالي المرتضى : هم وصلوني والمهامه بيننا .
(٣) يرد الخبر التالي في بهجة المجالس لابن عبد البر ٢/٢٩٠ ، كما يرد في معجم البلدان مادة « دير هند » فقد ذكر ياقوت أن اسمها هند المشهورة بالحرقة ، كما ذكر أن هذه القصة حدثت بينها وبين خالد بن الوليد رضي الله عنه .
(٤) البيتان بالإضافة إلى المراجع السابقة في حماسة أبي تمام ١٤٣ ، والأول في مغني اللبيب ٥٢٤ ، واللسان ١١/٢٤٦ ، وفيه : نصفه إنصافاً ونصفه ينصفه نصفاً ونصافة ونصافاً : خدمه » وتتنصف أي تخدم ، قالت الحرقة .... الخ .

فأفٍّ لدنيا لا يدوم سرورهــا تَقَلّبُ تارات بنــا وتَصَرّفُ

فقال سعد : قاتل الله عَديَّ بن زيد[1] كأنه كان ينظر إليها حيث تقول :

إن للدهر صَوْلَةً فاحذَرَنْهــا لا تبيتن قد أمنت الشُرُورا
قد يبيت الفتى مُعَافىً فيُرْزَا ولقد كان آمنــاً مَسْرُورا

وأكرمها سعد وأحسن جائزتها فلما أرادت فراقه ، قالت : حتى أحيّيك تحيةَ أملاكِنا بعضَهم بعضا : لا جعل الله لك إلى لئيم حاجة ، ولا زال لكريم عندك حاجة ، ولا نزع من عبد صالح نعمة إلا جعلك سبباً لردّها عليه . فلما خرجت من عنده تلقاها نساءُ المِصْر فقلن لها : ما صنع بك الأمير ؟ قالت :

حَاطَ لي ذِمّتِي وأكرم وجهي إنما يُكْرِم الكريمُ الكَرِيمــا

(المغيرة بن شُعبة يعرض عليها الزواج فترفُض)

وقد روينا بإسناد لم يحضر الآن ولعله يأتي فيما بعد ، أنّ المغيرةَ بن شُعبة خطب حُرَقة هذه ، فقالت له : إنما أردتَ أن يقال : تزوج ابنةَ النعمانَ بن المنذر وإلا فأيُّ حظ لأعورَ في عَمّياء .

(أمُّ جعفر البرمكيِّ وما وصلتْ إليها حالتُها من عظة وعبرة)[2]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثني أبو بكر الضرير وجه المرة ، قال : حدثني غسان بن محمد بن القاضي ، عن محمد بن عبدالرحمن الهاشمي صاحب صلاة الكوفة قال : دخلتُ على أمّي في يوم

---

(١) البيتان التاليان في ديوانه : ٥٦ .

(٢) الخبر التالي في تاريخ بغداد ١٥٦/٧ نقلا عما هنا

أضحى وعندها امرأة برزة [1] في أثواب دنسة رثة ، فقالت لي : أتعرفُ هذه ؟ قلت : لا ، قالت : هذه عبادة أم جعفر بن يحيى بن خالد ، فسلّمت عليها ورحّبْت بها وقلت لها : يا فلانة ! حدّثيني ببعض أمركم ، قالت : أذكُر لك جملة كافية فيها اعتبار لمن اعتبر ، وموعظة لمن فكر ، لقد هجم عليّ مثل هذا العيد وعلى رأسي أربع مائة جارية ووصيفة وأنا أزعم أن جعفر ابني عاقٌّ بي ، وقد أتيتكم في هذا اليوم والذي يُقْنعني جلدُ شاتين أجعل أحدهما شعاراً والآخر دثاراً .

(زُبَيْري يقُتُّ بهاشم)

حدثنا إسماعيل بن يونس بن أبي اليسع أبو إسحاق السبيعي ، قال : حدثنا أبو زيد عمر بن شبة ، قال : لما قال الزبيري للرشيد فيما أغراه بيحيى بن عبد الله بن حسن وعند الرشيد يحيى ، فقال : إن هذا يخبرني عنك بأمور إن صحّت وجب عليّ تأديبك وإن أتى التأديبُ على نفسك . قال يحيى : يا أمير المؤمنين ! إنما الناس نحن وأنتم ، فإن خرجنا عليكم فيما أكلتم وأجعتمونا ، ولبستم وأعريتمونا ، وركبتم وأرحلتمونا ، فوجدنا بذلك مقالاً فيكم ووجدتُم بخروجنا عليكم مقالاً فينا يتكافأ فيه القول ، ويعود أمير المؤمنين فيه على أهله بالفضل ، يا أمير المؤمنين ! فلم تجرِّئ هذا وضرباؤه على أهل بيتك ؟ يسعى بهم عندك ، والله ما يسعى بنا إليك نصيحة منه لك ، وإنه ليأتينا فيسعى بك عندنا عن غير نصيحة منه لنا ، يريد أن يباعد بيننا ويشتفي من بعض ببعض ، ووالله يا أمير المؤمنين إنه للخائن بن الخائن ، يسقط بين اللحاء والقضيب ، يريد أن يُوهنهما جميعاً حَسَداً وبَغْياً وغِلاً ، ثم التفت إلى الزبيري متمثلاً بقول الشاعر :

وقد يُسَوِّدُ عصرُ السُّوء مثلَكُم ... وقد يعودُ رءوسُ الناس أذنابا

---

(١) امرأة برزة : أي تركت الحجاب وجالست الناس .

وقد قال بعض أهلك :

أليس من القاءِ الزمان على استه ... وقوفُ زبيريٍّ يقتٌّ بهاشم
إذا ما رآهم كان هَمْزاً ولامزاً ... لأعراضهم مَيْنا وبغياً لحازمِ

قوله : يقتّ معناهُ ينِمُّ ، وقال : « لا يدخُلُ الجنةَ قتّات » [1] وروى عن النبي ﷺ أنه لعن القَتّات يعني النمام .

(رجاء يُرْجِىءُ ما أُمِر به)

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثني أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ، قال : مدحتُ الحسن بن مخلد [2] فأرسل إلي أني قد أمرت لك بمائة دينار ، فالحق رجاء [3] ، فلقيتُ رجاء فقال : لم يأمرني بشيء ، فكتبت إليه :

أما رجاءٌ فأرْجَى ما أمرتَ بِه ... وكيف إن كنتَ لم تَأْمُره يأتمرِ
بادر بجودك إمّا كنتَ مقتدراً ... فليس في كل حالٍ أنت مُقْتَدِرُ

---

(١) الحديث الشريف أخرجه البخاري ومسلم عن حذيفة ، انظر البخاري كتاب الأدب ، باب « ما يكره من النميمة» ، ٢١/٨ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب « بيان غلظ تحريم النميمة » : ٧١/١ .

(٢) الحسن بن مخلد بن الجراح ، كان يخلف إبراهيم بن العباس الصولي على ديوان الضياع في عصر المتوكل ، ثم صار وزيراً للمعتمد ، انظر إعتاب الكتاب ١٥١ ، ١٦٢ .

(٣) هو رجاء بن أبي الضحاك ، كان على الخراج في خلافة المعتصم وكان شاعراً ، انظر الفهرست لابن النديم ٢٣٦ ، تهذيب ابن عساكر ٣١٩/٥ .

المجلس السابع عشر

(حديث : فليقل خيراً أو لينصت)

حدثنا محمد بن يوسف بن يعقوب ، أبو عمر القاضي ، قال : حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن معاوية النيسابوري ، قال : حدثنا نهشل بن سعيد، قال : حدثنا داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو لينصت » .

قال القاضي : هذا حديث غريب ، والأخبار متظاهرة عن النبي ﷺ أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقـُل خيراً أو ليصمت » . وفي بعض الروايات : أو ليسكت (١) . ولما أملّ علينا أبو عمر هذا الخبر

---

(١) الحديث في البخاري ، كتاب الأدب ، باب « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره » : ١٣/٨ ، وباب إكرام الضيف : ٣٩/٧ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب « الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا من الخير » : ٤٩/١ .
هذا وقد ذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٢٧٠/٣ - ٢٧٤ ، أن محمد بن معاوية النيسابوري أحد رواة الحديث الأول ، له روايات منكرة عن الليث بن سعد وأبي عوانة وسليمان بن بلال وشريك بن عبد الله وغيرهم ، وقد أجمعوا على أنه متروك الحديث غير ثقة .

أقبل على من يليه كالمبتسم وإلى جنبه أبو بكر النيسابوري كالمتعجب المستغرب لهذه اللفظة ، ومعنى هذه الألفاظ تتفق .

ونحوٌ منه ما ورد الخبر به من قوله : « رحم الله امرأً تكلّم فغنم أو سكت فسَلِم » .

وفي الكلام مما هو خير وصدق وعدل ، وحق الأجر والفائدة ، والغنيمة الباردة ، وفي الصمت في مواطن الصمت الراحة والسلامة ، والتنزه عما عاقبته المكروه والندامة ، وقد ذُكر في فضل النطق ومدح الصمت نثراً ونظماً ما يطول إتيانه ويكثر تعداده ، وليس هذا موضع الإتيان به ، وجملة القول أن لكلٍّ واحد من الأمرين موضعاً هو فيه أولى من صاحبه ، وقد يعتدلان في بعض الأحوال ويتقاربان، وإن كانا في بعضها يتفاوتان ويتفاضلان . وقد حدثنا عثمان بن أحمد بن عبد الله الدقيقي قال : حدثنا الحسن بن عمر السّبيعي ، قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : الصَّبر هو الصَّمت ، والصَّمت هو الصبر ، ولا يكون المتكلم أورع من الصامت إلا رجل عالمٌ يتكلم في موضعه ويسكت في موضعه .

(خالد بن الوليد وعبد المسيح بن عمرو الغساني في فتح الحيرة) (١)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثنا العكلي ، قال : حدثنا محمد بن مرزوق ، قال : حدثنا هشام بن محمد بن السائب ، عن عوانة بن الحكم ، وشرقي بن قطامي وأبي مخنف قالوا : لما انصرف خالد بن الوليد من اليمامة ، وضرب عسكره على الجَرْعة (٢) التي بين الحيرة والنهر ،

---

(١) انظر الخبر التالي في البيان والتبيين ٢/١٤٦ ، والمعمرين ٤٧ ، وأمالي المرتضى ١/٢٦٠ ، مع اختلاف في ألفاظ الرواية .

(٢) الجرعة : الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل .

وتحصّن منه أهلُ الحيرة في القصر الأبيض (١) وقصر ابن بُقَيلة (٢) وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى نَفِدَت ، ثم رموه بالخزف من آنيتهم ، فقال له ضرار بن الأزْور : ما لهم مكيدةٌ أعظمَ مما ترى ، فبعث إليهم : ابعثوا إليّ رجلاً من عُقلائكم أسائله ويُخبرني عنكم ، فبعثوا له عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بُقيلة الغساني ، وهو يومئذ ابن خمسين وثلثمائة سنة ، فأقبل يمشي إلى خالد فلما رآه قال : ما لهم أخزاهم الله بعثوا إليّ رجلاً لا يفقه ، فلما دنا قال : أنعم صباحاً أيها الملك ، فقال خالد : قد أكرمنا اللهُ عزّ وجل بغير هذه التحية ، بالسلام ، ثم قال له خالد : من أين أقصي أثرك ؟ قال : من ظهر أبي . قال : من أين خرجت ؟ قال : من بطن أمي . قال : على ما أنت : قال : على الأرض . قال : فيم أنت ويحك ؟ قال : في ثيابي . قال : أتعقل ؟ قال : نعم وأقيد ، قال : ابنُ كم أنت : قال : ابن رجل واحد . قال خالد : ما رأيت كاليوم قط ، أسائلُه عن شيء وينحو في غيره ، قال : ما أجبتك إلا عما سألت عنه ، فاسأل عما بدا لك ، قال : كم أتى عليك ؟ قال : خمسون وثلثمائة سنة ، قال : أخْبرني ما أنتم ؟ قال : عربٌ استنبطنا ونبطٌ استعربنا (٣) ، قال :

---

(١) القصر الأبيض من قصور الحيرة ذكر بالفتوح أنه كان بالرقة ، وقال ياقوت : أظنه من أبنية الرشيد ، وجد على جدار من جدرانه مكتوباً : حصن عبد الله بن عبد الله ولأمر ما كتمت نفسي وغيبت بين الأسماء اسمي في سنة ٣٠٥ هـ الخ ، انظر معجم البلدان ١٠٦/٥ .

(٢) هو قصر بني بقيلة ، بناء بالحيرة ، وأنشد السجستاني والمرتضى لعبد المسيح :

لقد بنيت للحدثـــان قصراً ... لو ان المرء تنفعه الحصـــون
رفيع الرأس أقعس مشمخراً ... لأنـــواع الرياح به حنـــين

(٣) النبط : قوم من الساميين يرجعون إلى أصلين : أحدهما آرامي والآخر عربي ، كانت لهم دولة في القرن السابع قبل الميلاد ، وسقطت في القرن الثاني بعد الميلاد ، وامتدت أملاكهم من الجزء الجنوبي الشرقي من فلسطين إلى رأس خليج العقبة، وكانت عاصمتهم=

فحربٌ أنتم أم سِلْم ؟ قال : بل سِلْم . قال : فما بال هذه الحصون ؟ قال : بنيناها لنحبس السفيه حتى ينهاه الحليم ، قال : ومعه سَمٌّ ساعة يقلّبه في يده ، فقال له : ما هذا معك ؟ قال : هذا السم ، قال : وما تصنعُ به ؟ قال : أتيتُك فإن رأيت عندك ما يسرني وأهل بلدي حمدت الله تعالى ، وإن كانت الأخرى لم أكن أول من ساق إليهم ضيماً وبَلاءً فآكلُه وأستريح ، وإنما بَقِيَ من عُمريَ اليسير ، فقال : هاته فوضعه في يد خالد ، فقال : بسم الله وبالله ربِّ الأرض ورب السماء ، الذي لا يضرُّ مع اسمه داء ، ثم أكله فتجلته غَشْية فضربَ بذقنه على صدره ثم عرق وأفاق ، فرجع ابن بقيلة إلى قومه ، فقال : جئتُ من عند شيطان أكل سَمّ ساعة فلم يَضُرَّه ، أخرجوهم عنكم ، فصالحوهم على مائة ألف ، فقال له خالد : ما أدركت ؟ قال : أدركت سفن البحر ترفأ إلينا في هذا الجرف ، ورأيت المرأة من أهل الحيرة تخرج إلى الشام في قُرى متواترة ما تُزَوَّدُ رغيفاً ، وقد أصبحت خراباً يبابا ، وكذلك دأب الله في العباد والبلاد ، وقال عبد المسيح حين رجع :

أبعد المُنْذِرِين أرى سَوَامـا ... تَرَوَّحُ بالخورنق والسّديـر (١)
تحاماها فوارسُ كلِّ حَـيٍّ ... مَخافة ضَيْغم عالي الزئـير
وبعد فوارس النعمان أرعـى ... رياضاً بين ذروة والحفير (٢)
فصرنا بعد هُلْك أبي قبيس ... كمثل الشاء في اليـوم المطير
تَقَسّمها القبائل من مَعَدٍّ ... علانية كأيسـار الجـزور (٣)

= سلع أي الصخرة ، وهي التي سماها اليونان بطرة ، وسموا البلاد كلها « آربيابطره » أي بلاد العرب الصخرية . والنبط أيضاً : المشتغلون بالزراعة .
انظر المعجم الوسيط .

(١) السوام : الرعاة ، والخورنق والسدير : قصران كانا بالحيرة زمن المناذرة .

(٢) الرواية في المعمرين : بين مرة والحفير ، وفي أمالي المرتضى : مراعي نهر مرة ، وانظر معجم البلدان في هذه المادة .

(٣) أيسار الجزور : قطعه المقسمة يقال : يسر القوم البعير : إذا جزروه ، وقطعوه بينهم .

وكنا لا يباح لنـا حَرِيـمٌ فنحن كفضرة الناب الفَخُور
كذاك الدهر دولته سجالٌ تَصَرَّفُ بالمَسَاءةِ والسُّرورِ

قال القاضي : قول عبد المسيح لخالد لما سأله ما أنتم ؟ قال : عرب استنبطنا ونبط استعربنا ، معناه أنا عرب ونبط خالط بعضنا بعضاً وجاوره ، فأخذ كل فريق منا من خلائق صاحبه وسيرته .

حدثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي الرحال الصالحي ، قال : حدثنا العباس بن محمد الدوري ، قال : حدثنا محمد بن بشر ، قال : حدثنا فضيل الخياط ، عن جعفر بن أبي جعفر : أنه كان يتعوذ من النبطي إذا استعرب والعربي إذا استنبط ، فقيل له : كيف يستنبط العربي ؟ قال : يأخذ بأخلاقهم ويتأدب بآدابهم .

(خبر الغضبان بن القَبَعْثَري مع الحجاج) (١)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا

---

(١) الغضبان بن القبعثري الشيباني ، كان من زعماء مروانية أهل العراق الذين كان عبد الملك يرعى جانبهم ، انظر الطبري ١٨٤/٧ ، وانظر نص الخطاب الذي أرسله معه الحجاج في الكامل للمبرد ٨٣/٢ .
ويلاحظ أن المبرد ذكر أن الكتاب كان مرسلا إلى قطري بن الفجاءة على حين يذكر المؤلف هنا أنه إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث .
انظر أيضاً الخبر الوارد كما هنا في ثمرات الأوراق ٢٣٢/٢ ، على أنه من الملاحظ أن القصة كما وردت بصورتها هنا تتوزع عناصرها على قصص شتى في مختلف المراجع سوف نشير إليها عند كل عنصر ، وثمة صورة أخرى للقصة ساقها الميداني في مجمع الأمثال ٧٧/٢ مؤداها أن الغضبان كان مع عبد الله بن الجارود حين خلع هو وأهل البصرة الحجاج وانتهبوه ، وقال حينئذ كلمته الشهيرة : يا أهل العراق تعشوا الجدي قبل أن يتغداكم ، فلما قتل الحجاج ابن الجارود أخذ الغضبان وجماعة من نظرائه فحبسهم وكتب إلى عبد الملك بقتل ابن الجارود وأخذهم ، فأرسل عبد الملك عبد الرحمن بن مسعود الرازي وأمره أن يؤمن كل خائف وأن يخرج المحبوسين فأرسل الحجاج إلى الغضبان فلما دخل عليه قال له=

أحمد بن عبيد بن ناصح ، قال : حُدِّثْت أن الحجاج بن يوسف بعث الغضبان بن القبعثَرَي ليأتيه بخبر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وهو بكِرْمَان ، وبعث عليه عيناً وكان كذلك يفعل ، فلما انتهى الغضبان إلى عبد الرحمن قال له : ما وراءك ؟ قال : شر ، تَغَدَّ بالحجاج قبل أن يتعشى بك ، وانصرف الغضبان فنزل رملة كرمان وهي أرضٌ شديدة الرمضاء ، فبينا هو كذلك إذ ورد عليه أعرابي من بني بكر بن وائل على فرس له يَقُود ناقة ، فقال : السلام عليك ، قال الغضبان : السلام كثير وهي كلمة مقولة ، قال الأعرابي : ما اسمك ؟ قال : آخذ . قال : أفتعطي ؟ قال : لا أحب أن يكون لي اسمان ، قال : من أين أقبلت ؟ قال : من الذَّلُول ، قال : وأين تريد ؟ قال : المشي في مناكبها ، قال : من عُرِض اليوم ؟ قال : عرض المتقون . قال : فمن سَبَق ؟ قال : الفائزون [1] ، قال : فمن غلب ؟ قال : حزب الله ، قال : فمن حِزْب الله ؟ قال : هم الغالبون ، قال : فعجب الأعرابي من منطقه ، قال : أما تَقْرِض ؟ قال : إنما تَقْرض الفأرة ، قال : أتسمع ؟ قال : إنما تسمع القينة ، قال : أفتنشد ؟ قال : إنما تنشد الضالة ، قال : أفتقول ؟ قال : إنما يقول الأمير ، قال : أفتتكلم ؟ قال : كلٌّ متكلم ، قال : أفتنطق ؟ قال : إنما ينطق كتاب الله ، قال : أتسمع ؟ قال : حدثني أسمع ، قال :

= الحجاج : إنك لسمين ، فقال الغضبان : من يكن ضيف الأمير يسمن ، فقال : أأنت قلت لأهل العراق : تعشوا الجدي قبل أن يتغداكم قال : ما نفعت قائلها ولا ضرت من قيلت فيه ، فقال الحجاج : أو فرقاً خير من حب ، فأرسلها مثلا ، تضرب في موضع : رهبوت خير من رحموت أي لأن يفرق منك فرقاً خير من أن تحب .

(١) هذه الإجابات كلها من أسلوب الحكيم ، وهو أن يترك جواب لفظ السائل إلى خبر هو أنفع ، وهذه العبارة أتت في كلام بلال بن رباح رضي الله عنه حين أقبل من جهة الحلبة فسأله رجل : من سبق ؟ فقال : سبق المقربون ، فقال : إنما أسألك عن الخيل ، قال : وأنا أجيبك على الخير . انظر البيان ٢٨٢/٢ ، ١٦٠/٣ ، ونسب القول إلى عامر بن عبدقيس في عيون الأخبار ٣٧/١ .

أفتسجع ؟ قال : إنما تسجع الحمامة ، قال الأعرابي : تالله ما رأيت كاليوم قط ، قال : بلى ولكنك نسيت ، قال الأعرابي : فكيف أقول ؟ قال : لا أدري والله ، قال الأعرابي : كيف ترى فرسي هذه ؟ قال الغضبان : هو خير من آخر شر منه وآخر خير منه أفره منه ، قال الأعرابي : إني قد علمتُ ذلك ، قال : لو علمت لم تسألني ، قال ، قال الأعرابي : إنك لمنكر ، قال الغضبان : إنك لمعروف . قال : ليس ذاك أريد ، قال : فما تريد ؟ قال : أردتُ إنك لعاقل ، قال : أفتعقل بعيرك هذا ؟ قال الأعرابي : أفتأذن لي فأدخل عليك ؟ قال الغضبان : وراؤك أوسع لك ، قال الأعرابي : قد أحرقتْني الشمس ، قال : الساعة يفيء عليك الفيء ، قال الأعرابي : إن الرمضاء قد آذتني ، قال : بُلْ على قدميك [1] ، قال : قد أوجعني الحر ، قال الغضبان : ما لي عليه سلطان ، قال الأعرابي : إني لا أريد طعامك ولا شرابك ، قال : لا تعرّض بهما فوالله لا تذوقهما ، قال الأعرابي : سبحان الله ، قال : من قبل أن تطلع رأسك ، قال الأعرابي : أما عندك إلا ما أرى ؟ قال : بلى ، هِرّاوتان أضرب بهما رأسك [2] ، فقال الأعرابي : الله ، قال : ظَلَمك أحد ؟ فلما رأى الأعرابي ذلك قال : إني لأظنك مجنوناً ، قال الغضبان : اللهم اجعلني ممّن يَرْغب إليك ، قال : إني لأظنك حروريا ، قال : اللهم اجعلني ممن يتخير الخير ، ثم قال له الغضبان : أهذا بعيرك يا أعرابي ؟ قال : نعم فما شأنه ؟ أرى فيه داء فهل أنت بائعه ومشترٍ ما هو شر منه . فولى الأعرابي وهو يقول : والله إنك

---

(١) وهذه العبارة مأخوذة مما ورد عن أزهر بن عبد الحارث وقد أتاه رجل من بني يربوع ، فقال : ألا أدخل ؟ قال : وراءك أوسع لك ، قال : قد أحرقت الشمس رجلي ، قال : بل عليهما تبردا ،... الخ ، انظر البيان ١٤٨/٢ ، وانظر مجمع الأمثال ٣٧١/٢ .

(٢) وهذه تشبه ما ورد عن الحطيئة وكان يرعى غنماً له وفي يده عصا فمر به رجل فقال : يا راعي الغنم ما عندك ؟ قال : عجراء من سلم ، يعني عصاه ، قال : إني ضيف قال : للضيفان أعددتها ، انظر البيان ١٤٧/٢ .

لمرح أحمق . فلما قدم الغضبان على الحجاج قال : كيف تركت أرض كرمان ؟ قال : أصلح الله الأمير ، أرض ماؤها وشل ، وثمرها دقل[1] ولصها بطل ، فالجيش فيها ضعاف ، إن كثروا فيها جاعوا، وان قلوا بها ضاعوا[2] ، فقال الحجاج له : أما إنك صاحب الكلمة التي بلغتني عنك حين قلت تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك ؟ قال الغضبان : أما إنها — جعلني الله فداءك — لم تنفع من قيلت له، ولا تضر من قيلت فيه، فأمر الحجاج به إلى السجن ، فلما ذهب به مكث فيه حتى إذا بنى الحجاج خضراء واسط أعجبته كما لم يعجبه بناء قط فقال لمن حوله : كيف ترون قبتي هذه ؟ قالوا : أصلح الله الأمير ، ما بنى ملك قط مثلها ، وما نعلم للعرب مأثرة أفضل منها ، قال الحجاج : أما إن لها عيباً ، وسأبعث إلى من يخبرني به ، فبعث إلى الغضبان فأقبل يرسف في قيده ، فلما دخل عليه سلّم ، فقال الحجاج : كيف ترى قُبَّتي هذه ؟ قال : أصلح الله الأمير هذه قبة بنيت في غير بلدك لغير ولدك ، لا يسكنها وارثك ولا يدوم لك بقاؤها كما لم يئيم هالك ولم يبق فان ، وأما هي فكأن لم تكن ، قال : صدقت ، ردُّوه إلى السجن فإنه صاحب الكلمة التي بلغتني عنه ، قال : أصلح الله الأمير ، ما ضرت من قيلت فيه ولا نفعت من قيلت له ، قال : أتراك تنجو مني لأقطعن يديك ورجليك ولأكوين عينيك ، قال : ما يخاف وعيدك البريء ولا ينقطع منك رجاء المسيء ، قال : لأقتلنك إن شاء الله ، قال : بغير نفس ، والعفو أقرب للتقوى ، قال له الحجاج : إنك لسمين ، قال :

---

(١) الوشل : القليل ، والدقل : الضعيف الرديء .

(٢) وهذه العبارة مأخوذة بنصها مما روى عن عبد الله بن عمر أن عمر رضي الله عنه قال : من يخبرنا عن قندابيل ، فقام رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، ماؤها وشل وتمرها دقل ولصها بطل ، إن كان بها الكثير جاعوا وإن كان بها القليل ضاعوا ، قال عمر : لا يسألني الله عن أحد بعثته إليها أبداً ، انظر عيون الأخبار ١٩٩/٢ ، وانظر ما يشبه هذا أيضاً في البيان ٢٨٥/١ .

لمكان القيد والرتعة (١) ومن يكن جار الأمير (٢) يسمن . قال الحجاج رُدُّوه إلى السجن، قال : أصلح الله الأمير ، قد أثقلني الحديد فما أطيق المشي ، قال : احملوه لعنهُ الله ، فلما حملته الرجال على عواتقها قال : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لنا هَذَا وما كُنَّا لهُ مُقْرِنِين (٣) ﴾ ، قال : أنزلوه أخزاه الله ، قال ﴿ اللّهم أنْزِلْني مَنْزِلاً مُبَارَكاً وأنت خَيْرُ المنزلين ﴾ (٤) ، قال : جَرُّوه أخزاه الله ، قال : ﴿ بسم الله مَجْرِيها ومُرْسَاها إنَّ رَبِّي لَغفور رَحِيم ﴾ (٥) ، قال : ويحكم ، اتركوه فقد غلبني بخُبثه .

(معنى الوشل في اللغة)

قال القاضي : قول الغضبان في وصفه للحجاج كرمان : ماؤها وشل ، يعني به الماء القليل كماء الأنهار الصغار والجداول التي ليست كالبحور والأودية العظيمة يريد الخبر عن قلته كما قال الشاعر : (٦)

اقرأ على الوَشَل السلام وقُلْ لـه ... كُلُّ المشارب مُذْ فُقِدت ذَمِيمُ

وقال جرير :

إن الذين غدوا بلُبُّك غـادروا ... وَشَلا بعينك لا يزال مَعِينا (٧)

---

(١) الرتعة : الاتساع في الخصب ، وأول من قال : « القيد والرتعة » هو يزيد بن عمرو بن الصعق الكلابي ، وكان قد أسر في بني شاكر ، فلما رجع إلى قومه رجع بادناً وقد كان ضعيفاً فسألوه مالك عدت بادناً ؟ فقال : القيد والرتعة ، انظر مجمع الأمثال ٢/١٠٠ .

(٢) انظر هذه العبارة في عيون الأخبار ١/٨٠ ، ٣/٣٢٥ ، فصل المقال ٥٠

(٣) سورة الزخرف ، الآية ١٣ .

(٤) سورة يوسف ، الآية ٥٩ .

(٥) سورة هود ، الآية ٤١ .

(٦) البيت لأبي القمقام الأسدي ، انظر اللسان « وشل » : ١٤/٢٥٢ ، وقد ذكر أن الوشل في هذا البيت اسم موضع بعينه .

(٧) ديوانه ٤٧٦ ، والمعين : الظاهر .

وجمع الوشل أوشال ، كما قال امرؤ القيس :

عَيْناك دمعهما سِجَالُ   كان شأنيهما أوشالُ [1]

وفسر قوم أوشال بأنه ما قطر من الجبل .

(جعفر بن محمد يزوج حسين بن زيد ويوصله إلى الثراء)

حدثنا محمد بن أحمد بن سعيد الكوفي ، قال : حدثني أحمد بن يوسف ابن يعقوب بن حمزة بن زياد الجعفي ، قال : حدثني سليمان بن مقبل أبو أيوب الهاشمي المدني ، قال : حدثني سُلَيم بن جعفر الجعفري ، عن حسين بن زيد ، أنه كان نشأ في حجر أبي عبد الله يعني جعفر بن محمد [2] ، فلما بلغ مبالغ الرجال قال له أبو عبد الله : ما يمنعُك أن تتزوج فتاة من فتيات قومك ؟ قال : فأعرضت عن ذلك فأعاد علي غير مرة ، فقلت له : من ترى أن أتزوج ؟ قال : كُلْثُم بنت عبد الله الأرقط ، فإنها ذات جمال ومال، قال : فأرسلت إليها فثارت على رَسُولي وضحكتْ منه وتعجّبَتْ كلَّ العجب لإقدامي وجُرأتي على خِطْبتها ، فأتيت أبا عبد الله فأخبرته ، فقال لمعتب : آتني بثوبين يَمَنِيَّيْن مُعْلَمين [3] فأتى بهما فلبستهما ، ثم

---

(١) ديوانه ١٨٩ ، وفي الأصل : عينيك ، وهي تخالف رواية الديوان التي أثبتناها هنا ، وإن كانت تصح على أنها مفعول لفعل محذوف ، إلا أنها لما كانت مطلع قصيدة فقد رأينا أن إثباتها بالرواية الشهيرة أولى .

والسجال : جمع سجل ، وهو يعني أنها تصب صبا بعد صب ، وقوله : كأن شأنيهما ، الشئون : ملاقي قبائل الرأس ، الواحدة قبيلة وشأن ، والأوشال : جمع وشل : وهو الماء القليل كما سبق القول .

(٢) هو أخو يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ذكره ابن قتيبة في المعارف ٢١٦ وذكر أنه أبو ميمونة زوج المهدي ، وله ولد ، أما جعفر بن محمد فهو ابن عمه محمد بن علي بن الحسين ، وهو الإمام الكبير الحكيم التي تنسب إليه فرقة الجعفرية ، توفي بالمدينة سنة ١٤٦ هـ ، وله عقب ، انظر المعارف ٢١٥ .

(٣) أعلم الثوب : جعل له علماً (سمة) من طراز وغيره .

قال : تعرّض أن تمرَّ قرب منزلها وتستسقي ماء واحرص على أن تعلم بمكانك ، قال : فوقفتُ بالباب فعلمت مكاني ففتحت منظراً لها فأشرفتْ علي وأنا لا أعرفها فنظرت إليَّ وقالت : تسمع بالمُعَيْدِيّ خيرٌ من أن تراه – قال القاضي : أكثر الكلام : تسمع بالمعيديّ لا أن تراه ، ثم انصرفتُ فأتيت أبا عبد الله فأخبرته ، وكنت ربما غِبْتُ عن المدينة أتصيّد ، فقال لي : إذا شئت ، فغبت عن المدينة أياماً ثم نزلت المدينة فإذا مولاةٌ لها قد أتتني ، فقالت : نحن نريد أن نُعَمِّرَك للعُرْس [١] وأنت تطلب الصيد وتضحي للشمس [٢] ، قد جئتُ طلبتُك غيرَ مرة ، وبعثتْ معي ألفَ دينار وعشرة أثواب وتقول لك : تقدمْ إذا شئت فاخطبني وأمهرنيها ، فإن لك عندي عِشْرة جميلة ومواتاة ، قال : فغدوتُ فملكتُها وبعثت إليها بالألف الدينار وأمرتها بالتهيؤ ، ثم أتيتُ أبا عبد الله فأخبرته فقال : تهيّأ للسفر وانظر من يَخْرُجُ معك من مواليك على جَمَلٍ عليه زَادُك ، فسميتُ له الموالي ، فقال : إذا كان ليلة الخميس فادخُل إلى مسجد النبيّ ﷺ فسلّم على جَدِّك وودِّعْه ينتظرك بعيرُ زياد بن عبد الله ، ففعلت ما أمرني به ، فأتيتُه فأجده والقاسم بن إسحاق بن إبراهيم بن حسن ، فلما وقفتُ عليه أمر لي بثياب السفر وخلا بي فقال : استشْعِر تقوى الله تعالى ، وأحْدِث لكلِّ ذنب توبة ، لذنب السِّرِّ توبة ولذنب العلانية توبة ، وامض لوجهك ، فقد كتبتُ لك إلى معن بن زائدة [٤] كتاباً ، وغَيَّبْتُك في سفرك ثلاثة

(١) نعمرك للعرس : أي نجعلك أهلا له .
(٢) يضحى للشمس : يصيبه حرها .
(٣) ملكها : تزوجها .
(٤) هو معن بن زائدة الشيباني ، أحد أجواد العرب وفرسانهم ، وكان في أيام بني أمية متنقلا بين الولايات ومنقطعاً إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقين ، فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس ، وقتل يزيد هرب معن خوفاً من المنصور ثم دخل بعدها في شيعة المنصور وصار من خواصه ، ثم قتل بسجستان إذ كان والياً عليها سنة ثمان وخمسين ومائة . انظر الأغاني في غير موضع وتاريخ بغداد .

أشهر إن شاء الله ، فإذا قدمت صنعاء فانزل منزلاً ولا تحمل [٥] على مَعْنٍ بأحد ، وتأتَّ له أن تَدْخُل عليه بإذنٍ عام مع الناس ، فإذا دخلتَ عليه فعرِّفْه من أنت ، فإن رأيت منه جَفْوةً أو نبوة فاغتفرْها وأعرض عنها ، فإنك ستصيبُ منه عشرين ألف دينار سوى ما تصيب من غيره ، فخرجتُ حتى قدمت صنعاء ، ففعلت جميع ما أمرني به ودخلتُ عليه بإذن عام ، فإذا أنا به قاعداً وحده وإذا برجل جَهْم الوجه مُخْتَضِبٌ بالسواد والناس سِماطان [١] قيام ، فأقبلت حتى سلّمت عليه فردّ السلام ، فقال : من أنت ؟ فأخبرته بنسبي ، فصاح : لا والله ، ما أريد أن تأتوني ، ولَبَابُ أميرِ المؤمنين أعْوَدُ عليكم من بابي ، فقلت له : على رسلك ، أنا أستغفر الله من حسن الظن بك ، وانصرفت من عنده ، فأدركني رجل من أهل البلد فأخبرتُه خبري ، فقال : قد عوَّضَك الله خيْراً مما فاتك ، ثم بعث غلاماً فأتاه بثلاثة آلاف دينار فدفعها إليّ ، وسألني عما أحتاج إليه من الكسوة فكتبتها له ، فلما كان بعد العشاء دخل إلى صاحب المنزل فقال : هذا الأمير معن بن زائدة يدخل إليك ، فلما دخل أكبَّ على رأسي ويدي ، ثم قال : سيدي وابن سادتي اعذرني فإني أعرف ما أداري ، فلما قرّ قراره أعلمتُه بالكتاب الذي معي من أبي عبد الله فقبله وقرأه ، ثم أمر لي بعشرة آلاف دينار ، ثم قال : أي شيء أقْدَمك ؟ فأخبرتُه خبري ، فأمر لي بعشرة آلاف دينار أخرى وبعشرة من الإبل وثلاث نجائب برجالها وكساني ثلاثين وَشْياً وغيرها وقال لي : جُعِلت فداك ، إني أظن أبا عبد الله متطلّعاً إلى قُدومك ، فإن رأيت أن تُخففَ الوقْفة وتمضي فعلتَ ، وودَّعَني ، فتلومت [٢] بعد ذلك أياماً ، وقضيتُ حوائجي ثم خرجت حتى قدمت مكة موافياً لعُمْرةِ شهر رمضان ، فإني لفي الطواف حتى لقيتُ

---

(٥) تحمل بفلان على فلان بالشفاعة والحاجة أي اعتمد .

(١) السماط : الصف ، يقال : مشى بين سماطين من الجنود وغيرهم .

(٢) تلوم : أي انتظر قضاء حاجته .

مَعْتباً مولى أبي عبد الله ، فسلّمت عليه وسألته ، فقال : هو ذا أبو عبد الله قد وافى وإن أحْدَثَ ما ذَكَرك البارحة ، فمضيتُ حتى أتيتُه فسلّمت عليه وساءلته وقبلت رأسه ، فقال : تركت مَعْناً ؟ فأخبرته بسلامته ، فقال : أصبتَ منه بعد ما جَبَهك وصاح عليك عشرين ألفاً سوى ما لقيت من غيره ؟ قلت : نعم ، جعلت فداك . قال : فإنَّ مَعَنا جماعةً من أصحابك ومواليك وقد كانوا يدعون لك ويذكرونك فمر لهم بشيء ، قلت : ذاك إليك جعلني الله فداك ، قال : فأعطهم ما رأيت ، كم في نفسك أن تُعْطِيَهم ؟ فقلت : ألف دينار ، قال : إذاً تُجْحِف نفسك ، ولكن فَرِّق عليهم خَمْسَ مائة دينار ، وخمس مائة دينار لمن يَعْتريك بالمدينة ، ففعلتُ ذلك ، فقدمت المدينة واستخرجت عيني بذي المروة وبالمضيق (١) بالسُّقْيا ، وبنيتُ منازلي بالبقيع ، فتَرَوْني أؤدّي شُكْرَ أبي عبد الله وولده أبداً ، وضممتُ إليَّ أهلي ورزقتُ منها عَلِيّاً والحَسَنَ ابنيَّ والبنات .

(مُصعب بن الزبير يتمثل عند هزيمته ببيتي شعر)

حدثنا إسماعيل بن يونس بن أبي اليسع ، أبو إسحاق ، قال : حدثنا زبير بن بكار ، قال : حدثني إبراهيم بن محمد بن حمزة ، عن جدّي عبد الله بن مصعب عن أبيه ، قال : لما تَفَرَّق عن مصعب جُنده ، قال له أوِدّاؤُه : لو اعتصمتَ ببعض القلاع وكاتبتَ من قد بَعُد عنك من أوليائك كمثل المُهَلّب وابنه الأشتر وفلان وفلان فإذا اجتمع لك من تَرْضاه لقيتَ القوم بأكفائهم ، فقد ضَعُفت جداً واختلَّ أصحابك . فلبس سلاحه وخرج فيمن بقي معه من أصحابه وهو يتمثل بشعر قيل إنه لِطَريف

---

(١) ذو المروة : قرية بوادي القرى، وقيل هي بين خشب ووادي القرى، ووادي القرى: واد بين المدينة والشام ، انظر معجم البلدان ٥١٢/٤ ، ٨٧٨ ، والمضيق : قرية في لحف آرة بين مكة والمدينة ، المعجم ٥٦٠/٤ .

العَنْبري ، وكان طريفُ العنبري يُعَدُّ بألف فارس من فرسان خراسان :[1]

علام تقولُ السّيف يُثْقِلُ عاتقــي
إذا أنا لم أركبْ به المركب الصَّعْبــا
سأحْميكُمُ حتّى أموتَ ومن يَمُتْ
كَرِيماً فلا لَوْمٌ عليه ولا عَتْبــا

(جمع القلعة قلاع خلافاً لابن الأعرابي)

قال القاضي : في هذا الخبر ، أنه قيل لمصعب : لو اعتصمت ببعض القلاع وهي جمع قلعة ، وهذا صحيح في القياس ومثله في قياس العربية رقبة ورقاب وعقبة وعقاب في أحرف كثيرة ، وقد جاء في الأخبار عن السّلف الذين كلامهم حُجة في اللغة لسبقهم اللحن ، وزعم ابن الأعرابي أن القلعة لا تجمع قِلاعاً ، والذي قاله خطأ من جهة السماع والقياس معاً ، وقد حكى القلاع في جمع القلعة عددٌ من علماء اللغويين منهم أبو زيد وغيره.

(نديم ينتقم من صاحب بيت المال)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا عمرو بن محمد الرومي ، قال : كان على بيت مال المعتصم رجلٌ من أهل خراسان يكنى أبا حاتم ، فخرجت لي جائزةٌ فمطلني بها ، وكان ابنه قد اشترى جارية مغنية تسمّى قاسم بستين ألف درهم ، قال : فعملت فيه شعراً وجلستُ ألاعب المعتصم

---

(١) المعروف أن طريفاً العنبري هذا كان من فرسان العرب في الجاهلية وذلك قبل فتح خراسان ، وهو طريف بن تميم بن نامية من بني عدي من جندب بن العنبر ، وكان يسمى ملقى القناع إذ كان فرسان العرب في المواسم والجموع وفي أسواق العرب يتقنعون مخافة أن يعرفهم أعداؤهم أما هو فلا ، وكان قد قتل شراحيل الشيباني أخا حمصيصة ، وكان حمصيصة قد وافى عكاظ فعرف طريفاً وتوعده ، ثم قتله بعد ذلك في يوم مبايض ، انظر البيان ١٠١/٣ ، معاهد التنصيص ٧١/١ .

بالشِّطْرنج في يوم الحمار ، وكان يشرب يوماً ويستريح يوماً فيلعب فيه ونلعب بين يديه ، فجعلت أنشد :

لتنصفنِّي يـا أبـا حـاتـم ... أو لتصيرنَّ إلى حاكـم
فتعطيَ الحقَّ عـلى ذلـة ... بالرغم من أنفك ذا الراغم
يا سارقاً مال إمام الهـدى ... سيظهر الظلم عـلى الظالـم
ستين ألفاً في شِرَا قَاسِمٍ ... من عَلِ هذا الملك الفَّئمِ

فقال له : ما هذا الشعر ؟ فتفازعت كأني أنشدته ساهياً وبلجلجت ، فقال : أعده فقلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يُعفيني ، وإنما أريدُ أن يحرص على أن يسمعه ، فقال : أعده ويلك، فأعدته ، فقال : ما هذا ؟ فقلت : أظن صاحب بيت المال مطل بعض هؤلاء الشعراء بشيء له فعمل فيه هذا الشعر ، قال : فما معنى قاسم ؟ قلت : جارية اشتراها ابنه بستين ألف درهم ، قال : وأراني أنا الملك النائم صدق والله قائل هذا الشعر ، والله لو عرفته لوصلتُه لصدقه ، رجل مُمْلِق ولّيته بيت المال ليعيش برزقه منذ سنتين ، من أين لابنه هذا المال ؟ ثم قال لإيتاخ : قيّد صاحب بيت المال وابنه حتى تأخذ منهما مائتي ألف درهم وولّ بيت المال غيره .

(حِكَم من كلام الخليل بن أحمد)

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقري ، قال : أخبرنا عبد الله محمد بن المروزي بمرو ، قال : أخبرنا يحيى بن أكثم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : سمعتُ الخليل بن أحمد يقول : التواني إضاعة ، والحزم بضاعة ، والإنصاف راحة ، واللّجاج وَقَاحة .

(ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

حدثنا الحسن بن علي بن زكريا البصري ، قال : حدثنا الهيثم بن عبد الله

الرمّاني ، قال : حدثني المأمون ، قال : حدثني الرشيد ، قال : حدثني المهديُّ ، قال : حدثني المنصور ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس ، قال : قال علي بن أبي طالب عليه السلام : من الدَّهَاء حسنُ اللقاء .

(صحبة لطيفة)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، عن المغيرة بن محمد المهلبي ، قال : حدثني مروان بن موسى بن عبد الله المدني مولى عثمان بن عفان ، قال : حدثني موسى بن جعفر بن أبي نمير مولى زريق ، قال : بعثني علي بن المهدي من مصر إلى الرشيد هرون أمير المؤمنين على البريد فلحقتُ شيخاً في طريقي على دابة دميم ، فقال لي : يا هذا ، إن دابتي هذه قد أتعبتني فهل لك أن أسايرك وتحبس عليّ ، فإن عندي والله ظاهراً وباطناً ، قال : قلت له : أفعل ، قال : فقلت له يوماً : أما ظاهرك فحُسْنُ محادثتكَ وظرفك ، فما باطنك ؟ قال أغَنِّي والله أحسنَ غناء في الأرض ، قال : فغناني :

بزينب ألمم قبل أن يرحل الرَّكْب
وقُلْ إنْ تَمَلِّينَا فما مَلَّكِ القَلْبُ

قال القاضي : الشعر لنصيب .

* * *

المجلس الثامن عشر

(حديث : جالس الكبراء)

حدثنا إبراهيم بن حماد ، قال : حدثنا محمد بن يحيى الجنبسي ، قال : حدثنا حسن بن قتيبة المدائني ، قال : حدثني عبد الملك بن حسين أبو مالك النخعي ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي جحيفة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « جَالِس الكبراءَ ، وسائل العُلماء ، وخاطِب الحُكماء » .

حدثنا محمد بن سليمان بن محمد ، أبو جعفر الباهلي ، قال ، قال ، حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الجرجرائي ، قال : أخبرنا طلق بن غنام ، قال : حدثنا أبو مالك ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي جحيفة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « جالسوا الكبراء ، وخالطوا الحكماء ، وسائلوا العلماء » .

(تعليق المؤلف)

قال القاضي : وفي هذا الخبر إرشاد من النبي ﷺ أمته إلى مخالطة ذوي الفضل في مخالطتهم ومجالستهم ومعاشرتهم ، فحقيق على كل ذي لب تقبل ذلك والرجوع إليه، والعمل عليه، ففيه امتثال أمر النبي ﷺ والأخذ

بسنته والتأدب بأدبه ، وفيه السلامة من مَعَرَّة الجُهال ، ومضرة الضلاّل ، واكتساب الآداب والفوائد ، وحيازة المصالح والمراشد ، وحُسن الثناء والمحامد ، والأمن في العواقب ، والتنزه عن المعايب ، ونسأل الله توفيقاً لما نغتبط به في ديننا ودنيانا وآخرتنا .

(عبد الملك يوجه نظر الحجاج إلى إسرافه وردّ الحجاج عليه)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا أبو حاتم ، قال : أخبرنا أبو عبية ، قال : لما قتل الحجاجُ ابنَ الأشعث وصَفَتْ له العراقُ قَدَّم قيساً واتسع له في إنفاق الأموال ، فكتب إليه عبد الملك : أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين أنك تنفقُ في اليوم ما لا ينفقُ أمير المؤمنين في الأسبوع ، وتنفقُ في الأسبوع ما لا ينفقه أمير المؤمنين في الشهر ، عليك بتقوى الله في الأمر كله وكن لوعيده تخشى وتضرع ، ووفّر خراج المسلمين وفيأهم ، وكن لهم حصناً يجير ويمنع ، فكتب إليه الحجاج :

لعمري لقد جاء الرسول بكتبكم — قراطيس تملي ثم تطوى فتطبع
كتاب أتاني فيه لين وغلظة — وذكّرت والذكرى لذي اللب تنفع
وكانت أمور تعتريني كثيرة — فأرضخ أو أعتل حيناً فأمنع
إذا كنت سوطا من عذاب عليهم — ولم يك عندي في المنافع مطمع
أيرضى بذاك الناس أم يسخطونه — أم احمد فيهم أم ألام فأقدع
وكانت بلاداً جئتها حيث جئتها — بها كل نيران العداوة تلمع
فقاسيت فيها ما علمت ولم أزل — أصارع حتى كدت بالموت أصرع
فكم أرجفوا من رجفة قد سمعتها — ولو كان غيري طار مما يروع
وكنت إذا هموا بإحدى هَنَاتِهم — حَسَرت لهم رأسي ولا أتقنع
فلو لم يذد عني صناديد منهم — تقسّم أعضائي ذئاب وأضبع

فكتب إليه عبد الملك : اعمل برأيك .

(الحجاج يؤمن الناس إلا أربعة)

حدثنا عبيد الله بن محمد بن جعفر الأزدي ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، قال : حدثني علي بن الحسن بن موسى ، عن عبد الله بن حمد التيمي ، قال : حدثني محمد بن حفص ، عن عبيد الله بن عبد الله بن فضالة الزهراني ، قال : نادى منادي الحجاج بن يوسف يوم رستقا باذ (١) : آمن الناس كلهم إلا أربعة : عبد الله بن الجارود وعبد الله بن فضالة (٢) وعكرمة بن ربعي (٣) وعبد الله بن زياد بن ظبيان (٤) ، قال : فأتي برأس عبد الله بن الجارود فلم يصدق فرحاً به ، وقال : عمموه لي أعرفه فإني لم أره قط إلا معمماً فعمم له فعرفه ، فأمر المنادي فنادى : أمن الناس إلا ثلاثة : عبد الله بن فضالة وعبيد الله بن زياد بن ظبيان وعكرمة بن ربعي ، فأما عبيد الله بن زياد فإنه انطلق إلى عمان فأصابه الفالج بها فمات ، وأما عكرمة ابن ربعي فإنه لحقته خيل الحجاج في بعض سكك المربد فعطف عليهم فقتل منهم نيفاً وعشرين رجلاً ثم قتلوه ، وأما عبد الله بن فضالة فإنه أتى خراسان فلم يزل بها حتى ولي المهلب خراسان فأمر بأخذه حيث أصابه ، وقيل له : أكنّ ذلك ولا تبده فيحذر ويحرز (٥) فاحرص على أسره دون قتله ،

---

(١) رستقباذ : بلدة بنواحي دستوا ببلاد فارس ، وكان عبد الله بن الجارود العبدي رأس عبد القيس واجتمعت عليه القبائل من أهل البصرة وأهل الكوفة فولوه أمرهم برستقباذ ، فقاتلوا الحجاج فظفر بهم ثم أخذه فصلبه ، انظر المعارف ٣٣٩ .

(٢) الزهراني ، ذكره ابن دريد في الاشتقاق ٤٨٤ بقوله : كان من رجال الأزد في دهره .

(٣) هو عكرمة بن ربعي بن عمير بن صبيح بن لأي بن موألة ، كان من أجواد الإسلام بل كان واحداً من ثلاثة أجواد بالكوفة ، الثاني عتاب بن ورقاء والثالث أسماء بن خارجة ، وانظر المحبر ١٥٤ ، والعقد الفريد ١/٣٤٠ ، ٦/٩٨ ، وعمل كاتباً لبشر بن مروان بالكوفة ، أنظر الأغاني ٧/١٧٨ .

(٤) هو عبيد الله بن زياد بن ظبيان التيمي ، كان فاتكاً من الشجعان ، وكان مقرباً من عبد الملك بن مروان ، وهو الذي قتل مصعب بن الزبير وحمل رأسه إلى عبد الملك ، انظر الطبري ٧/١٨٦ .

(٥) يحرز : يمتنع ويتحصن .

قال : فبعث المهلب ابنه حبيبا أمامه فساق من سوق الأهواز إلى مرو على بغلة شهباء في سبع عشرة ليلة فأخذه غارا [1] بمروو وهو لا يشعر ، ثم كتب إلى الحجاج يعلمه ذلك، فجاء المغيرة بن المهلب إلى منزل حبة ابنة الفضل امرأة عبد الله بن فضالة وهي ابنة عم عبد الله ، فأرسل إليها أن حبيبا قد أخذ عبد الله ، وقد كتب إلى الحجاج يعلمه بذلك ، فإن كان عندك خير فشأنك وعولي عليّ من المال ما بدا لك ، فأرسلت إليه : لا ولا كرامة ، تقتلونه وآخذ منكم المال ، هذا ما لا يكون ، فتحولت إلى منزل أخيها لأمها خولى بن مالك الراسبي وأرسلت إلى بني سعد فاشتُرى لها باب عظيم وألقته على الخندق ليلاً ثم جازت عليه فغشي عليها ، فلما أفاقت قالت : إني لم أكن أتعب ، فمتى أصابني هذا فشدوني وثاقاً ثم سيروا بي ، فخرجت مع خادمها وغلامها ودليلها ، لا يعلم بها أحد ، فسارت حتى دخلت دمشق على عبد الملك بن مروان ، فأتت أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان ، وكانت أمها بنت ذؤيب بن حلحلة الخزاعي ، قالت : يا أم أيوب قصدتك لأمر بهظني وغم كظمني وأعلمتها الخبر وقصت عليها القصة ، فقالت أم أيوب : قد كنت أسمع أمير المؤمنين يكثر ذكر صاحبك ويظهر التلظي عليه ، قالت : وأين رحلتي إليك ؟ قالت : سأدخلك مدخلاً وأجلسك مجلساً إن شفّعت ففيه ، وإن رددت فلا تنصبي ، فلا شفاعة لك بعده فأجلستها في مجلسها الذي كانت تجلس فيه لدخول عبد الملك ليلاً ، وجلست أم أيوب قريباً منها فقالت لها : إذا دخل فشأنك ، فدخل عبد الملك ليلاً مغتراً [2] ،فلما دنا أخذت بجانب ثوبه ثم قالت: هذا مكان العائذ بك يا أمير المؤمنين ، ففزع عبد الملك وأنكر الكلام ، فقالت أم أيوب : ما يفزعك ياأمير المؤمنين من كرامة ساقها الله عز وجل إليك ! فقال : عذت معاذا ، فمن أنت ؟ قالت : تؤمن يا أمير المؤمنين من جئتك فيه من كان من خلق الله

---

(١) غارا : أي غافلا .

(٢) مغتراً : غافلا .

تعالى ممن تعرف أو لا تعرف ، ممن عظم ذنبه لديك أو صغر شامياً أو عراقياً أو غير ذلك من الآفاق ؟ قال : نعم ، هو آمن ، قالت : بأمان الله عز وجل ثم أمانك يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، فمن هو أيتها المرأة ؟ قالت : عبد الله بن فضالة ، قال : أرسلي ثوبي أنبئك عنه ، قالت : أغدراً يا بني مروان ؟ قال : لا ، أرسلي ثوبي أحدثك ببلائي عنده وهو آمن لك ولمعاذك قالت : فحدثني يا أمير المؤمنين ببلائك عنده ، قال : ألم تعلمي أني وليته السوس وجندي سابور [1] وأقطعته كذا وكذا وفرضت له كذا ونوهت بذكره ورفعت من قدره ؟ قالت : بلى والله يا أمير المؤمنين ، أفلا أحدثك ببلائه عندك ؟ قال : بلى ، قالت : أتعلم يا أمير المؤمنين أن داره هدمت ثلاث مرات بسببك لا يستتر من السماء بشيء ، قال : نعم ، قالت : أفتعلم يا أمير المؤمنين أنك كتبت إلى وجوه أهل البصرة وأشرافها وكتبت إليه فلم يكن منهم أحد أجابك ولا أطاعك غيره ، قال : نعم ، قالت : أفتعلم أنه كان قبل زلته سيفاً لك على أعدائك وسلماً وبساطاً لأوليائك قال : نعم ، حسبك قد أجبت وأبلغت ، قالت : أفيذهب يوم من إساءته بصالح أيامه وطاعته وحسن بلائه ، قال : لا ، هو آمن ، قالت : يا أمير المؤمنين إنه الدما وإنه الحجاج وإنه إن رآه قتله ، قال : كلا ، قالت : فالكتاب مع البريد يا أمير المؤمنين ، قال : فكتب لها كتاباً مؤكداً : إياك وإياه أحسن جائزته ورفده وخل سبيله ، ثم وجه به مع البريد ، ثم أقبل عليها فقال : ما أنت منه ؟ قالت : امرأته وابنة عمه ، قال : فضحك وقال : أين نشأت ، قالت : في حجر أبيه ، قال : فوالله لأنت أعرب منه وأفصح لسانا ، فهل معه غيرك ؟ قالت : نعم ، ابنة عبيد بن كلاب ،

---

(١) السوس : بلدة بخوزستان فيها قبر دانيال النبي ، انظر معجم البلدان ١٨٩/٢ ، وجندي سابور مدينة بخوزستان أيضاً بناها سابور بن أردشير فنسبت إليه وأسكنها سبي الروم وطائفة من جنده ، وكانت مدينة حصينة واسعة بها النخل والزروع والمياه ، معجم البلدان ١٣٠/٣ .

قال : النميري [1] قالت : نعم ، وكذا وكذا جارية ، قال : فأنا أوليك طلاقها وعتق جواريه ، قالت : بل تهنيه نساءه كما هنأته دمه ، فأقبل على أم أيوب فقال لها : يا أم أيوب لا نساء إلا بنات العم . ثم قال : أقيمي عند أم أيوب حتى يأتيك الكتاب بمحبتك إن شاء الله ، وقدم الكتاب وقد قدم به على الحجاج من خراسان ، فأقامه للناس في سراويل وقد كان نزع ثيابه قبل ذلك وعرضه على الناس في الحديد ليعرفوه ، فلما أمسى دعا به الحجاج فقال له عبد الله : أتأذن لي في الكلام ؟ قال : لا كلام سائر اليوم ، قال : فكساه وحمله وأجازه وخلى سبيله ، وانصرف إلى أهله فسألهم عن حبة ، فأخبر بأمرها وقيل له : ما ندري أين توجهت ، ثم بلغه ما صنعت ، فكتب إليها : إنك قد صنعت ما لم تصنعه أنثى فأعلميني بمقدمك أتلقاك ويتلقاك الناس معي ، فلم تعلمه حتى قدمت ليلاً وهو عند ابنة عبيد بن كلاب ، فقالت : لا والله لا يؤذن لي الليلة ، فلما أصبح ، أخبر بمكانها فأتاها .

(خبر الحجاج بن عبد الله الثعلبي مع عبد الملك)

حدثنا عدد من الشيوخ منهم محمد بن عبد الواحد أبو عمر [2] هذا الخبر على لفظه ، قال : أخبرنا ثعلب ، عن عبد الله بن شبيب ، قال أخبرني

(١) ويسمى أيضاً أبو بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة النميري ، انظر جمهرة أنساب العرب ٢٨٢ .

(٢) هو محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم أبو عمر المطرز المعروف بغلام ثعلب ، وذلك لأنه صحب الإمام أحمد بن يحيى ثعلب حتى لقب بذلك ، وهو أحد أئمة اللغة المكثرين من التصنيف ، وأملى من حفظه في اللغة نحو ثلاثين ألف ورقة ، من كتبه المطبوعة : المداخل والعشرات وجزء في الحديث والأدب ، توفي سنة ٣٤٥ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٢/٣٥١ ، تذكرة الحفاظ ٣/٩٦ .

زبير [١] ، قال أخبرني عمي [٢] ، قال : كان عبد الله بن الحجاج الثعلبي [٣] من أشد الناس على عبد الملك بن مروان في طاعة ابن الزبير مع القيسية ، فلما قتل ابن الزبير أرسل عبد الملك يطلب عبد الله بن الحجاج فلم يظفر به ، فلما خاف عبد الله بن الحجاج أن يظفر به أقبل فدخل على عبد الملك في اليوم الذي يطعم فيه أصحابه فمثل بين يديه ثم ، قال :

منع الفرار فجئت نحوك هاربـا   جيش يجر ومقنب [٤] يتلمـع

فقال : أي الأخابث أنت ؟ فقال :

ارحم أصيبيتي هُديت فإنهم   حَجَل تدرج بالشَّرِبّة جوعُ [٥]

فقال : أجاع الله بطونهم ، فقال :

مال لهم فيمن يظن جمعتـه   يوم القليب فحيز عنهم أجمع

فقال : أحسبه كسب سوء ، فقال :

---

(١) المقصود به الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي ، وهو عالم بالأنساب وأخبار العرب ، ولد بالمدينة وولى قضاء مكة ، وتوفي بها عام ٢٥٦ هـ ، له تصانيف كثيرة منها الموفقيات نسبة إلى الموفق العباسي وكان مؤدبه في صغره ، انظر تاريخ بغداد ٤٦٧/٨ .

(٢) هو مصعب بن عبد الله الزبيري ، أبو عبد الله ، كان علامة بالأنساب غزير المعرفة بالتاريخ ، وكان ثقة في الحديث ... شاعراً ، ولد بالمدينة وسكن بغداد ، وتوفي بها سنة ٢٣٦ هـ ، له كتاب نسب قريش ، انظر طبقات ابن سعد ١١٧/٥ ، الكامل لابن الأثير ٤٩/٤ .

(٣) هو عبد الله بن الحجاج بن محصن بن جندب المازني الثعلبي الخطفاني .

(٤) المقنب : الجماعة من الفرسان والخيل دوي المائة تجتمع للغارة .

(٥) الحجل جمع حجلة بفتح الحاء والجيم وهي طائر في حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين طيب اللحم ، والشربة : موضع بين السليلة والربذة ، وقيل : إذا جاوزت النقرة وماوان تريد مكة وقعت في الشربة ، ولها ذكر كثير في أيام العرب وأشعارهم ، انظر معجم البلدان .

أدنو لترحمني وتقبل توبتي وأراك تدفعني فأين المدفع

قال : إلى النار ، فقال :

ضاقت ثياب الملبسين ونفعهم عني فألبسني فثوبك أوسع

قال : فنزع مطرفا [1] كان عليه فطرحه عليه ، ثم قال له : آكل ؟ قال : كل . فلما وضع يده على الطعام قال : أمنت وربِّ الكعبة ، قال : كن من كنت إلا عبد الله بن حجاج ، قال : فأنا عبد الله بن حجاج ، قال : أولى لك .

وقد روى لنا هذا الخبر عن طريق آخر ، وفيه : أن عبد الله قال له : لا سبيل لك إلى قتلي ، قد جلست في مجلسك وأكلت طعامك ولبست من ثيابك [2] .

(من جود خالد بن عبد الله القسري)

حدثنا أبي رضي الله عنه ، قال : حدثنا أبو أحمد الختلي ، قال : أخبرنا أبو حفص يعني النسائي ، قال : وقرأت في كتاب عن عبد الملك بن قريب الأصمعي ، قال : دخل أعرابي على خالد بن عبد الله القسري [3] ، فقال : أصلح الله الأمير ، إني قد امتدحتك ببيتين ولست أنشدكهما إلا بعشرة

---

(١) المطرف بضم الميم أو كسرها : رداء أو ثوب من خز مربع ذو أعلام .

(٢) الخبر كما هنا في تهذيب ابن عساكر ٣٤٨/٧ ، وانظره مع اختلاف في بعض ألفاظ الرواية في المفضليات ١١٠ ، ١١١ ، عيون الأخبار ١٠٣/١ ، ١٠٤ ، اللسان ١٥١/١٣ .

(٣) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري ، أبو الهيثم ، أمير العراقين وأحد خطباء العرب وأجوادهم ، يماني الأصل من أهل دمشق ، ولي مكة سنة ٨٩ هـ للوليد بن عبد الملك ثم ولاه هشام العراقين الكوفة والبصرة سنة ١٠٥ هـ فأقام بالكوفة وطالت مدته ثم عزله هشام سنة ١٢٠ هـ ، وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي وأمره أن يحاسبه ، فسجنه يوسف وعذبه ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ ، انظر الأغاني ٥٣/١٩ ، ٦٤ ، تهذيب ابن عساكر ٦٧/٥ — ٨٠ ، الكامل لابن الأثير ٢٠٥/٤ .

آلاف وخادم ، فقال له خالد : قل . فأنشأ يقول :

لزمت نعــم حتى كأنك لم تكـن
سمعت من الأشياء شيئاً سوى نعم
وأنكرت لا حتى كأنك لم تكـن
سمعت بها في سالف الدهر والأمم

فقال خالد بن عبد الله : يا غلام ! عشرة آلاف وخادماً يحملها .

ودخل عليه أعرابي : فقال : إني قد قلت فيك شعراً ، فأنشأ يقول :

أخالد إني لم أزرك لحاجـــة — سوى أنني عاف وأنت جواد
أخالد إن الأجر والحمد حاجتي — فأيهما أتاني فأنت عمــاد

فقال له خالد بن عبد الله : سل يا أعرابي ، قال : وقد جعلت المسألة إليّ أصلح الله الأمير ؟ قال : نعم . قال : مائة ألف درهم ، قال : أكثرت يا أعرابي ، قال : فأحطك أصلح الله الأمير ؟ قال : نعم ، قال : قد حططتك تسعين ألفاً ، قال له خالد : يا أعرابي ما أدري من أي أمريك أعجب ؟ فقال : له : أصلح الله الأمير : إنك لما جعلت المسألة إليّ سألتك على قدرك وما تستحقه في نفسك ، فلما سألتني أن أحط حططت على قدري وما أستأهله في نفسي ، فقال له خالد : والله يا أعرابي لا تغلبني ، يا غلام ، مائة ألف . فدفعها إليه (١) .

(شعر لبشار بن برد في قينة) (٢) .

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا العباس بن الفضل الربعي ، قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، قال : كانت بالبصرة

---

(١) انظر هذين الخبرين في تهذيب ابن عساكر ٥/٧٠ .
(٢) الخبر التالي في الأغاني ٣/١٦٥ ، ومصارع العشاق ٢٩٣ .

لرجل من آل سليمان بن علي جارية ، وكانت محسنة بارعة الظرف والجمال ، وكان بشار بن برد صديقاً لمولاها ومداحاً له ، فحضر مجلسه والجارية تغنيهم ، فشرب مولاها وسكر ونام ونهض للانصراف من كان بالحضرة ، فقالت الجارية لبشار : أحب أن نذكر مجلسنا هذا في قصيدة مليحة وترسل بها إليّ على ألا تذكر فيها اسمي واسم سيدي ، فقال بشار وبعث بها مع رسوله إليها :

وذات دل كأن الشمس صورتها ... باتت تغني عميد القلب [1] سكرانا
(إن العيون التي في طرفها حور ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا) [2]
فقلت : أحسنت يا سؤلي ويا أملي ... فأسمعيني جزاك الله إحسانا
(يا حبذا جبل الريان [3] من جبل ... وحبذا ساكن الريان من كانا)
قالت : فهلا فدتك النفس أحسن من ... هذا لمن كان صب القلب حيرانا
(يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا)
فقلت : أحسنت أنت الشمس طالعة ... أضرمت في القلب والأحشاء نيرانا
فأسمعينا غناء مطرباً هزجاً ... يزيد حبا محباً فيك أشجانا
يا ليتني كنت تفاحاً تمخضه ... وكنت من قضب الريحان ريحانا
حتى إذا وجدت ريحي فأعجبها ... وكنت في خلوة مثلت إنسانا
فحركت عودها ثم انثنت طرباً ... تبدي الترنم لا تخفيه كتمانا [4]
أصبحت أطوع خلق الله كلهم ... نفساً لأكثر خلق الله عصيانا
فقلت : اطربينا يا زين مجلسنا ... فغننا ، أنت [5] بالإحسان أولانا
فغنت الشرب صوتاً مؤنقاً رصفا ... يُذكي السرور ويبكي العين أحيانا

---

(١) عميد القلب : مريضه ، يقال : قلب عميد إذا هده العشق وكسره .
(٢) هذا البيت والبيت الرابع لجرير بن عطية ، وقد ضمنهما بشار قصيدته .
(٣) الريان : جبل في ديار طيىء لا يزال يسيل منه الماء ، وهو في مواضع كثيرة منها .
(٤) رواية الأغاني : تشدو به ثم لا تخفيه كتماناً .
(٥) رواية الأغاني : فهات إنك .

لا يقتل الله من دامت مودتـــه   والله يقتل أهل الغدر من كانا

قال القاضي : قول بشار في هذا الشعر : حتى إذا وجدت ريحي فأعجبها ، على لفظ التذكير والريح مؤنثة ، وقد يكون فعل هذا في ضرورة الشعر وجعل الضمير الذي في « فأعجبها » عائداً على الريح وهي مؤنثة ، إما لأن تأنيثها ليس بحقيقي ، وإما لأنه أراد بقوله : ريحي نسيمي ونحوه ، وقد جاء في الشعر مثله كما قال الشاعر :

فلا مزنـــة ودقت ودقهـــا   ولا أرض أبقل أبقالها [1]

وقد اختلف النحويون [2] في الفرق بين التأنيث الحقيقي والتأنيث الذي هو غير حقيقي فقال بعضهم : التأنيث الذي هو حقيقي ما لا يطلق لفظه على مذكّره لاختصاص مؤنثه بلفظه كامرأة وناقة ، وأما التأنيث الذي ليس بحقيقي، فكقولهم شاة للذكر من هذا النوع والأنثى، كما قال الأعشى [3] :

فلما أضاء الصبحُ قام مبـــادراً   وكان انطلاق الشاة من حيث خيما

قيل إن الشاة ها هنا الثور ، وقوله دابّة وحية لذكرهما وأنثاهما ، وهذا مذهب الكوفيين ، فأما البصريُّون فيرَوْن الفصل بين هذين التأنيثين ومقابلهما من التذكيرين من قبل اختلافهما من جهة الفروج المختلفة فيهما ، كرجل وامرأة وجمل وناقة وفتى وفتاة ، وفي تذكير بشار المضمر في قوله « فأعجبها » وجهٌ آخر حسن ليس فيه ما في الوجه الذي قدمنا ذكره من الضرورة ، وهو جائز مطّرد في النثر والشعر ، ولم أر أحداً ممن يتعاطى هذا الشأن من أهل العلم والأدب أتى به وهو أن يكون

---

(١) سبق البيت وشرحه في صفحة

(٢) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف ١/١٤٠ .

(٣) البيت التالي في ديوانه ١٨٨ .

لما قال : وجدت ريحي فلم يستو له التأنيث متى رد الضمير إلى الريح لئلا ينكسر الشعر ويفسد الوزن ردّه إلى الوجود ، كأنه قال : وجدت ريحي فأعجبها وجود ريحي ، واعتمد على دلالة الفعل الذي هو وجدت وعلى المصدر الذي هو وجود ، وهذا صحيح مستفيض في كلام العرب ، وقولهم : من كذب كان شَرّاً له ، فدل قولهم كذب على الكذب ، وقد قال الله تعالى جَدُّه: ﴿ ولا تَحْسَبَنّ الّذِين يَبْخَلُون بما آتاهُمُ اللهُ من فَضْلِه هُوَ خَيْراً لَهُم بَلْ هُو شَرٌّ لهم ﴾[1] المعنى : لا تحسبن البُخل ، فدلّ يبخلون على البخل ، ومن هذا الباب : قول الشاعر :

إذا نَهِي السّفِيهُ جَرَى إليه وخَالَفَ والسّفِيهُ إلى خِلافِ[2]

أراد جرى إلى السّفَه ، فدل قوله السفيه على السفه ، وهذا باب واسع جداً .

(عُبيد الله بن يحيى بن خاقان يتنبأ بالأحداث)

حدثنا علي بن محمد بن الجهم ، أبو طالب الكاتب ، قال : حدثني أبو العباس محمد بن عبد الله بن طاهر ، قال : حدثني أبي ، عن أحمد بن إسرائيل ، قال : صِرْتُ يوماً إلى عُبيد الله بن يحيى بن خاقان[3] فلما صرت في صحن الدار رأيته مُضْطَجِعاً على مُصَلاّه مُولياً ظهره باب مجلسه ، فهممتُ بالرجوع ، فقال لي الحاجب : أُدْخُلْ فإنه منتبه ، فلما سمع حِسّي جلس ، فقلت : حَسِبْتُك نائماً ، قال : لا ، ولكني

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٨٠ .

(٢) البيت دون نسبة في خزانة الأدب ٣٨٤/٢ ، وشرح الكافية ٤/٢ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ١٤٠/١ .

(٣) هو عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، أبو الحسن ، وزير من المقدمين في العصر العباسي ، استوزره المتوكل والمعتمد ، وكان عاقلا حازماً ، استمر في الوزارة إلى أن توفي عام ٢٦٣ هـ ، انظر الطبري ٢٣٦/١١ ، الديارات ٨٢ ، المنتظم ٣٢/٥ .

كُنْت مُفَكراً ، قلت : فيماذا أعزَّك الله ؟ قال : فكرتُ في أمر الدنيا وصلاحها في هذا الوقت واستهوائِها ودُرُورِ الأموال وأمنِ السّبيل وعزِّ الخلافة فعلمتُ أنها أمكر وأنكر وأغدر من أن يدوم صَفَاؤها لأحد ، قال : فدعوتُ له وانصرفت ، فما مضت أربعون ليلةً منذ ذلك اليوم حتى قُتِل المتوكل ونزل به من النّفْيِ ما نزل .

(وتنبؤٌ آخر للإمام أبي جعفر الطبري)

حدثني بعضُ شيوخنا : أن بعضَهم حدّثه : أنه لما كان من خلع المُقْتَدِر في المرة الأولى ما كان ، وبُويع عبد الله بن المُعتزّ بالخلافة ، دخل على شيخنا أبي جعفر الطبري رضي الله عنه فقال له : ما الخَبر ، وكيف تركتَ الناس ؟ أو نحو هذا من القول ، فقال له : بُويع عبد الله بن المعتز ، قال : فمَنْ رُشّح للوزارة ؟ قال : محمد بن داود بن الجَرّاح ، قال : فمن ذُكِر للقضاء ؟ قال الحَسَنُ بن المُثَنى (١) ، فأطرق مَلِيّاً ثم قال: هذا أمرٌ لا يتمّ ولا ينتظم ، قال : قلت له : فكيف ؟ فقال : كل واحدٍ من هؤلاء الذين سَمّيت مُتَقَدِّمٌ في معناه على الرُّتْبة من أبناء جنسه ، والزمان مُدبر والدُّنْيا مُوَلّية ، وما أرى هذا إلاّ إلى اضمحلال وانتقاص ولا يكون لمدته طول ، فكان الأمر كما قال ، ورأيت صحة قوله في أسرع وقت (٢) .

(صَدّقه حين كذب وكَذّبه حين صدق)

حدثني شيخ من أهل بغداد بجسر النّهَروان يُعرف بالقُدّامي ذهب عني اسمه ، وكان ذا أدب ومعرفة ، بإسنادٍ ذهب عني حفظه :

---

(١) صحة هذا الاسم هو : أبو المثنى أحمد بن يعقوب القاضي ، كما ذكر في تاريخ الطبري ١٢/١٩٦ ، والفرج بعد الشدة ، وشذرات الذهب ٢/٢٢٤ .

(٢) أنظر هذا الخبر نقلا عما هنا في تاريخ بغداد ١٠/٩٩ ، ممعاهد التنصيص ١/١٤٧ .

أن إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ [١] ، قال لمحمد بن شجاع الثّلجي [٢] : أريد أن تُوَجِّه إليّ رجلاً من أفاضل أصحابك أستكفيه شيئاً من أموري ، قال : فأرسلتُ إليه بعضَ من كان يَلزم مجلسي ويأخذ الفقه عني ، وله دِينٌ وعِلمٌ فمضى إليه ثم عاد إليّ فأخبرني أنه كَلّفه تفرقة مال دفعه إليه فصرفه في وجوه البر ، فلما كان في العام القابل سأل إسحاق أيضاً أبا عبد الله بن شجاع إنفاذ الرجل إليه ففعل ، فلما كان من الغد أرسل الرجل إلى ابن شجاع يذكر أن إسحاق حبسه ، فارتاع لذلك وأتى إسحاق فقال له : لم حبست صاحبنا ؟ قال : هذا رجلٌ خائن ، وكان ابن شجاع قبل أن يَلْقى إسحاق قد دخل على صاحبه في محبسه فسأله عن قصته ، فقال له : أعطاني في العام الماضي عشرة آلاف درهم وقال : اصرفها في ذوي الحاجة بها ، وفكّرتُ في الذي آتيه فيها ، فحدّثتني نفسي أن آخذها لنفسي وأسُدَّ بها خَلّتي وأنفقها على عِيالي وأرُمَّ بها حالي ، إذ كنتُ في عُسرة وضيق من المعيشة وعلى حدٍّ من الفاقة ، وقلت تارة : إن كنت أصرفها فيما يخصني موافقاً لجملة ما رسمه لي على طريقة من الخيانة إذ لم يأمر لي بهذا المال، فكان ما قاله يقتضي دفعه إلى غيري، ثم قلت : إن غيري إنما أُرَجِّحُ أنه محتاج أو مستحق إلى ظاهر وظَنٍّ غالب ، وأنا من صورة أمري على يقين وعلم بالباطن ، وغَلّبت هذا على عزيمتي ، فصرفتُ المال في صلاح شئوني وقضاء ديوني والتوسعة على عيالي ، ثم رجعتُ إليه فقال لي : ما صنعت ؟ فأخبرته أني أتيت بما كلفنيه وامتثلت أمره فيه ، فقال: امض جزاك الله خيراً ، فلما كان هذا العام أعطاني مثل

---

(١) هو إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي ، والي بغداد من قبل المأمون ، توفي سنة ٢٣٥ هـ ، انظر المنتظم ٤٦/٥ .

(٢) محمد بن شجاع الثلجي ، حدث عن يحيى بن آدم وابن علية ووكيع ، وصحب الحسن بن زياد اللؤلؤي ، إلا انه كان رديء المذهب في القرآن ، قال عنه أحمد بن حنبل : الثلجي مبتدع صاحب هوى ، وبعث الخليفة المتوكل إلى أحمد يسأله في تولية الثلجي القضاء ، فقال : لا ولا على حارس ، توفي سنة ٢٦٦ هـ ، انظر المنتظم ٧٥/٥ .

نفسي لا عذر لك في أداء الأمانة واستفراغ الجهد والطاقة والتنزه عن السفسفة أو الخيانة ، فأتعبت نفسي وأعملت فكري وكددت جسمي في تحري أهل المسكنة وتوخي ذوي الحاجة حتى بلغت الغاية ، وصرفت المال بأسره في هذه الطبقة ، ولم آخذ لنفسي منه مثقال ذرة ثم جئته فقال : ما صنعت ؟ فأخبرته أنني أتيتُ ما أمرني به ، فقال : كذبت وأمر بي إلى السجن ، فقال له ابن شجاع : أهكذا كان الأمر ؟ قال : نعم قال : فهل كان غير هذا ؟ قال : لا ، قال ابن شجاع : فقلت لإسحاق : إن عندي في هذا شيئاً أذكُره لك ، وقصصت عليه القصة على وجهها ، فنكث في الأرض وقال : قد صدق الرجل فيما ذكره وأمر بتخليته ، فقلت له : كيف علمت بصدقه بعد ما كان منك ؟ قال : أمْرُنا هذا جارٍ على الإدغال [١] وخلاف الصِّحّة ، فإذا عُوملنا بمثل عملنا سَكَنّا إليه وأحسنّا الظّن بعامله ، وإذا أتى ما يُخالفه أنكرناه ونفرنا عنه ولم نصدق صاحبه .

قال القاضي : حدثني الشيخ بهذه الحكاية بلفظ غير هذا عبّرت عنه بلفظي ولم أخل بمعناه ، وبالله التوفيق .

* * *

(١) الإدغال : إفساد الأمر أو إدخال ما يفسده ويخالفه فيه .

المجلس التاسع عشر

(ائتوني بسكين أشقه بينكما)

حدثنا عبد الله بن محمد بن زياد أبو بكر النيسابوري ، قال : حدثنا أحمد بن حفص ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن موسى بن عقبة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ : « بينا امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب فذهب بأحدهما : فقالت هذه لصاحبتها : إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى : إنما ذهب بابنك ، فتحاكمتا إلى داود فقضى للكبرى ، فخرجتا إلى سليمان فأخبرتاه ، فقال: ائتوني بسكّين أشُقُّه بينكما ، فقالت الصغرى: يرحمك الله هو ابنها ، فقضى للصغرى به » (١) ، قال أبو هريرة : والله إن سَمِعْتُ بالسكين قطُّ قبل ذلك اليوم وما كنتُ أقول إلا المُدْيَة .

قال القاضي : السِّكِّين والمدية معاً اسمان لهذه الأداة التي تذبح

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن طريق أبي الزناد ٢/٣٢٢، ٣٤٠، وكذلك أخرجه البخاري عن أبي الزناد في كتاب الفرائض ، باب « إذا ادعت المرأة ابناً » : ٨/١٩٤ ، ١٩٥ ، ومسلم ، كتاب المساجد ، باب « بيان اختلاف المجتهدين » : ٧/١٣٣ .

الحيوان ويُنحر بها وهما موجودان في كلام العرب ، ولعلّ أبا هريرة لم يعرف السكين ولم تكن من لغة قومه ، فأما المُدية فمؤنثة بحرف التأنيث الذي فيها وهو الهاء وجمعها مدى مثل زبية [1] وزبى ورُقية ورقى وكنية وكنى ، قال الشاعر :

من كـــل كومـــاء سَحُوف إذا
جَفّتْ من اللحم مُدَى الجازِرِ [2]

وقد اختلف أهل العلم بالعربية في تذكير السكين وتأنيثه ، فذكّر بعضهم وأنكر تأنيثه، وأنثه آخرون وأبَوْا تذكيره،وأجاز فريقٌ الوجهين معاً فيه ، وهذا أولى الأقوال بالصواب عندنا فيه ، لأن أُولِي المعرفة بهذا الباب قد حكَوْها وأتوا بشواهد رَدُّوها فيها ، وأنا ذاكرٌ ما ورد في ذلك عنهم بمشيئة الله وتوفيقه .

قال أبو حاتم السجستاني : السكين تُذكر ، قال : وسألت أبا زيد الأنصاري والأصمعي وغيرهما ممن أدركنا فكلُّهم يذكّره وينكر التأنيث ، قال : أنشدني الأصمعي للهذلي [3] :

يُرى ناصحاً فيما بَدَا وإذا خَـــلاَ
فذلك سِكّينٌ على الحَلْقِ حَاذِقُ

وقال أبو هفان : قال أبو عمر الجرمي في تذكير حاذق : هذا كما

---

(١) الزبية : الرابية لا يعلوها الماء ، وحفيرة يشتوى فيها ويختبز ، أو حفرة في موضع عال تغطي فوهتها فإذا وطئها الأسد وقع فيها ، الجمع : زبى ، وفي المثل : « بلغ السيل الزبى » يضرب للأمر إذا اشتد حتّى تجاوز الحد .

(٢) البيت التالي للأعشى ، وهو في ديوانه ٩٥ ، والكوماء : الناقة العظيمة ، والسحوف : السمينة التي يقشر اللحم عن ظهرها ، وفي الأصل : سحوق وهي تحريف .

(٣) هو أبو ذؤيب الهذلي ، انظر ديوان الهذليين ١٥١/١ ؛ واللسان ٣٢٣/١١ ، ٧٣/١٨ ، وتفسير القرطبي ٣٤٠٨ ، والحاذق : القاطع أو الماضي المجيد .

يقول شَفْرة قاطع وحاذق ، وامرأة حائض وعاقر ، قال أبو بكر بن الأنباري : وهذا عندي ليس بمنزلة ذلك ، لأن الحيض لا يكون إلا للنساء ، والحذقُ يكون للمذكر والمؤنث فلا بدّ فيه من الهاء إذا وصف به المؤنث ، وهذا البيت يدل على تذكير السكين (١) .

قال القاضي : الذي ذَكَره ابنُ الأنباريّ في تذكير لفظ حائض من العلّة هو مذهب أصحابه الكوفيّين ، وقد خالفه فيه البصريّون على اختلاف بينهم على تعيين العلة سوى أبي حاتم السِّجستاني فإنه اختار فيه قول الكوفيين ، ولشرح هذا موضع هو أولى به . ولو سُلّم إلى ابن الأنباري اعتلاله في حائض لكان ما احتج به أبو عمر الجرمي من قولهم شفرة قاطع وحاذق كافياً فيما استدلّ به ولم يَقُل أبو بكر في هذا شيئاً ولا عرض للمعتل بطعن في اعتلاله ، وهذا يدلُّ على لزومه إياه وعجزه عن الانفصال منه ، وقد قالت العرب : امرأة عاشق وهذا مثل حاذق والعشق يكون للرجال والنساء .

وحدثنا أبو بكر الأنباري (٢) ، قال : وأخبرنا أبو العباس ، عن سلمة ، عن الفراء ، أنه قال : السكين ذكر وقد أُنِّثت ، وأنشد في التأنيث :

فَعَيّثَ في السّنام غَدَاةَ قُرٍّ بِسِكِّينٍ مُوَثّقة النِّصاب (٣)

وأنشد في التأنيث أيضاً :

إذا أعْرَضَت منها عَناقٌ (٤) رأيته
بسكِّينه من حَوْلها يَتَلَهّفُ

(١) انظر كتاب المذكر والمؤنث لابن الأنباري .
(٢) النص التالي في المذكر والمؤنث لابن الأنباري ، وانظر اللسان ٢/٤٧٦ ، ٣/١٨ .
(٣) عيث : أثر ، وموثقة النصاب : أي موثوق بها يعتمد عليها .
(٤) العناق : الأنثى من أولاد المعيز والغنم من حين الولادة إلى تمام الحول ، وأعرضت : سمنت .

يلوذُ بها عن عينها لا يَرُوعُهـا
كأنه من حَوْبائه الموتُ يُصْرَفُ (١)

وحدثنا ابن الأنباري ، قال : حدثنا عبد الله بن الحسن الحزامي ، قال : حدثنا يعقوب ، قال ابن الأنباري : وحدثني أبي ، عن محمد بن الحكم ، عن اللحياني ، قال : السكين تذكر وتؤنث ، قال اللحياني : لم يعرف الأصمعي في السكين إلاّ تذكير السكين وتأنيث السراويل ؛ وأنشدنا عن ثعلب :

ادنُ إلى الشّاةِ من خِيارهـا
واخرُج السكين من قِمْجارِها (٢)

القمجار : الغلاف ، فهذا شاهد التأنيث .

(ذكاء عبد الملك وعلمه)

حدثنا محمد بن الحسن بن دُريد ، قال : حَدّثنا العُكْلي ، عن الحرمازي قال : أنشد رجل من جلساء عبد الملك أبياتَ أُحَيْحَةَ بن الجُلاح (٣) :

استغنِ أو مُتْ ولا يَغْرُرْكَ ذُو نَشَبٍ
من ابنِ عَمٍّ ولا عَمٍّ ولا خالِ

---

(١) الحوباء : النفس ، والرواية في المذكر والمؤنث ، حوبائها بدل حوبائه .
(٢) البيت في اللسان (قمجر) .
(٣) أحيحة بن الجلاح الأوسي ، كان سيد الأوس في الجاهلية ، وكانت سلمى أم عبد المطلب ابن هاشم تحته ، وكانت شريفة لا تنكح الرجال إلا وأمرها بيدها ، فتركته لشيء كرهته منه ، فتزوجها هاشم فولدت له عبد المطلب ، وكان أحيحة حازماً شديد العقل ، وقد حاول تبع ملك اليمن قتله فلم يتمكن منه ، وإلى جانب هذا كان كثير المال شحيحاً عليه ، يبيع بيع الربا حتى كاد أن يحيط بأموال المدينة ، انظر أخباره في الأغاني ١١٤/١٣ — ١٢٢ ، الخزانة ٣٣/٢ ، وانظر أبياته التالية أيضاً في العقد ٣٠/٣ ، عيون الأخبار ٢٤٠/١ معجم البلدان مادة « زوراء » .

يَلْوُون ما عندهم من حَقٍّ جارهم
وعن عَشيرتهم والمال بالوالي [1]

واجْمَع ولا تَحْقِرَنْ شَيْئاً تُجَمِّعُه
ولا تُضَيِّعَنْهُ يوماً على حَـال

إنّي مقيمٌ على الزَّوْراء أعْمُرُهـا
إنَّ الكريمَ على الأقوام ذو المال [2]

لها ثَلاثُ بِئَارٍ في جَوَانبهـا
وكُلُّها عَقِبٌ تُسْقَى بإقْبَال [3]

كلُّ النداء إذا ناديتُ يَخْذُلُني
إلاّ نَدَائِي إذا ناديتُ يـا مـالي

مـا إن يقولُ لشيء جين أفعلـه
لا أستطيعُ ولا يَنْتُو على حـال

فقال رجل من جُلساء عبد الملك ، وما الزوراء يا أمير المؤمنين ، والله لو أرسلت فيها الأشقر [4] ما ترك حَوْضاً ، فقال له عبد الملك : إن أبا عمرو كان من رجال قومه وكان يرى أنه عَنَى هذا ، فعجب الناس من ذكاء عبد الملك ومن معرفته بكُنْيَةِ أحيحة .

* * *

(١) يلوون أي يجحدون ، وفي الأصل يكون وهي تحريف ، ورواية المراجع : أقربهم بدل جارهـم .

(٢) الزوراء : أرض سميت باسم بئر فيها ، كان فيها ثلثمائة ناضح وهو البعير أو الثور أو الحمار الذي يستقى عليه الماء .

(٣) العقب : آخر كل شيء وخاتمته .

(٤) الأشقر : أي فرسه الأشقر ، وفي الأغاني : لو طولت لأشقرك لجال عليها .

(قصة غريبة مما كان يرد على القضاة) [1]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، فقال : حدثنا ابن أبي الدنيا ، قال حدثنا داود بن محمد بن يزيد ، عن أبي عبد الله النباجي ، قال : دخل ابن أبي ليلى [2] على أبي جعفر المنصور وهو قاضٍ فقال له أبو جعفر : إن القاضي قد يرد عليه من طرائف الناس ونوادرهم أمور ، فإن كان ورد عليك شيء فحدّثنيه ، فقد طال عليَّ يومي ، فقال : والله لقد ورد علي — منذ ثلاث — أمرٌ ما ورد عليَّ مثله ، أتتني عجوز تكاد أن تنال الأرض بوجهها أو تسقط من انحنائها ، فقالت : أنا بالله ثم بالقاضي أن يأخذ لي بحقّي وأن يُعينَني على خَصْمِي ، قلت : من خَصْمُكِ ؟ قالت : ابنة أخٍ لي ، فدعوتُ بها فجاءت امرأة ضخمةُ ممتلئة فجلست مُنْبَهِرة [3] ، فقالت العجوز : أصلح الله القاضي ، إن هذه ابنة أخي وأوصى إليّ بها أبوها ، فربّيْتُها فأحسنت التربية ، ووليتها فأحسنت الولاية ، وأدّبْتها فأحسنتُ التأديب ، ثم زوجتها ابن أخ لي ، ثم أفسدَتْ علي بعد ذلك زوجي ، فقلت لها : ما تقولين ؟ قالت : يأذن لي القاضي أن أسفر فأخبر بحجتي ؟ فقالت : يا عدوة الله تريدين أن تسفري فتفتني القاضي بجمالك ، فقال : فأطرقت خوفاً من مقالتها ، وقلت : تكلمي ، فقالت : صدَقَتْ أصلح الله القاضي ، هي عَمّتي أوصى بي إليها أبي وربتني فأحسنت وَوَلِيَتْنِي فأحسنت وأدّبتني فأحسنت ، وزوّجتني ابنَ عم لي وأنا كارهة ، فلم أزل حتى عطف الله بعضنا على بعض واغتبط

---

(١) انظر هذه القصة في أخبار الأذكياء لابن الجوزي .

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى بن بلال بن بليل من أحيحة بن الجلاح الأنصاري الأوسي ، ولد لست بقين من خلافة علي رضي الله عنه ، وأدرك مائة وعشرين من الصحابة الأنصار ، ولي القضاء لبني أمية ثم لبني العباس ، وكان من أصحاب الرأي ، وتوفي ابن أبي ليل سنة ١٤٨ هـ ، انظر المعارف ٤٩٦ ، تهذيب التهذيب .

(٣) منبهرة : متتابعة الأنفاس .

كلُّ واحد منا بصاحبه ، ثم نشأت لها بُنَيّة فلما أدركت حَسَدتْني على زوجي ودأبت في فساد ما بيني وبينه ، وحَسّنت ابنتها في عينه حتى عَلِقَها وخطبها إليها، فقالت :لا أزوجك حتى تجعل أمر امرأتك بيدي ففعل ، فأرسلت إليّ : أي بنية إن زوجك قد خطب إلى ابنتي فأبيت أن أزوجه حتى يجعل أمرك في يدي ففعل ، وقد طلقتك ثلاثاً ، فقلت : صبراً لأمر الله وقضائه ، فما لبثت أن انقضت عدتي فبعث إلي زوجها : إني قد علمتُ ظلم عمتك لك وقد أخلف الله عليك زوجاً فهل لك فيه ؟ قلت : من هو ؟ قال : أنا ، وأقبل يخطبني فقلت : لا والله حتى تجعل أمر عَمّتي في يدي ففعل ، فأرسلت إليها : إن زوجك قد خطبني فأبيتُ عليه إلا أن يجعل أمرَك في يدي ففعل ، وقد طلقتُك ثلاثاً ، فلم يزل حياً حتى توفي رحمة الله عليه ، ثم لم ألبثْ أن عطف الله قلب زوجي الأول فتذكر ما كان من موافقتي إياه فأرسل إليّ : هل لك في المراجعة ، قلت : قد أمكنك ذلك ، فخطبني فأبيت إلا أن يجعل أمر بنتها في يدي ففعل ، فطلقتها ثلاثاً ، فوثبت العجوز وقالت : أصلح الله القاضي ، فعلتُ هذا مرة وفعلتْه هي مرة بعد مرة ، فقلت : إن الله تبارك وتعالى لم يُوَقِّت لهذا وَقْتاً ، وقال ﴿ ومَنْ بُغِيَ عَلَيْه لَيَنْصُرَنّه اللهُ ﴾ [1] .

(التعليق على الخبر)

قال القاضي : إن زوج العمة لم يكن له أن يتزوج ابنة أخيها وهي في حِباله ، وأرى أن الجارية أرادت أن يتولى التفريق بينه وبينها ، استيفاء منها ومجازاة لها على فعلها ، وقد رُويت لنا هذه القصة عن طريق آخر وفيها مخالفة لهذه الرواية في السند والمتن معاً ، وأنا ذاكرها ليستوفي الناظر في كتابنا هذا الأمرين جميعاً بمشيئة الله وعونه .

---

(١) سورة الحج الآية ٦٠ .

حدثنا محمد بن داود بن سليمان النيسابوري ، قال : حدثنا أحمد بن جعفر بن محمد بن سهل السّامري بفلسطين ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد الإمام ، قال : حدثني محمد بن الخليل ، قال : أخبرني رُوح بن حرب السمسار ، قال : كنت في دار الطيالسة فإذا الهيثم به عَديّ[1] حاضر ، قال : سمعت محمد بن أبي ليلى يقول : كنت يوماً في مجلس القضاء فوردت على عجوز ومعها جارية شابة ، قال : فذهبت العجوز تتكلم قال : فقالت الشابة : أصلح الله القاضي ، مُرْها فلتسكُتْ حتى أتكلمَ بحُجّتي وحُجتّها ، فإن لحنتُ بشيء فلتردَّ عليَّ ، فإن أذنْتَ لي سَفَرْت ، قال : فقلت : أسفري ، قال : فقالت العجوز : إن سَفَرَتْ قضيتَ لها عليَّ ، قال : قلت : أسْفِري ، فأسْفَرت والله عن وَجْه ما ظننتُ أن يكون مثله إلا في الجنة ، فقالت : أصلح الله القاضي ، هذه عَمّتي ، مات أبي وتركني يتيمة في حجرها فربتني فأحسنت التّربية ، حتّى إذا بلغتُ مبلغ النساء قالت : يا بنية ! هل لك في التزويج ؟ قلت : ما أكره ذلك يا عمة ، هكذا كان ؟ قالت العجوز : نعم . قالت فخطبني وجوه أهلِ الكُوفة فلم ترض لي إلاَّ رجُلاً صيرفيّاً فزوجتني ، فكنا كأننا ريحانتان ما يظن أن الله تعالى خَلَق غيري ، ولا أظنّ أن الله عز وجل خلق غيره ، يَغْدُو إلى سُوقه ويروح علي بما رزقه الله ، فلما رأت العمة موقعَه مني وموقعِي منه حَسَدَتْنا على ذلك ، قالت : فكانت لها ابنة فسَوّقتها[2] وهيأتها لدخول زوجي عليّ فوقعت عينه عليها ، فقال لها : يا عَمّة ! هل لك أن تزوجيني ابنتك ؟ قالت : نعم بشرط ، قال لها :

---

(١) هو الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الثعلي الطائي النجدي الكوفي، مؤرخ عالم بالأدب والنسب اختص بمجالسة المنصور والمهدي والهادي والرشيد وروى أخبارهم ، وكان يتعرض لمعرفة أصول الناس ، وأورد في بعض كتبه معايبهم وأظهرها فكرهه الناس لذلك وطعنوا في نسبه ، له من الكتب : بيوتات العرب وبيوتات قريش ، ونسب طيىء ، ونزول العرب خراسان وغير ذلك ، توفي سنة ٢٠٧ هـ ، انظر معجم الأدباء ، لسان الميزان ٦/٢٠٩ .

(٢) سوقتها : لغة في زوقتها : أي زينتها وحسنتها .

وما الشرط ؟ قالت : تُصَيِّر أمر ابنة أخي إليّ ، قال : قد صيرتُ أمرها إليك ، قالت : فإني قد طلقتُها ثلاثاً بَتّةً ، وزوجتْ ابنتها من زوجي ، فكان يغدو عليها ويروح كما كان يغدو علي ويروح . فقلت لها : يا عمة ! تأذنين لي أن أنتقل عنك ، قالت : نعم ، فانتقلت عنها ، قالت : وكان لعمّي زوجٌ غائب فقدم فلما توسط منزله ، قال : مالي لا أرى رَبيبتَنا ؟ قالت : تزوجتْ وطلقها زوجُها فانتقلت عنا ، فقال لها : علينا من الحق ما نُعَزِّيها بمصيبتها ، قالت : فلما بلغني مجيئه تهيأتُ له وتَسَوَّفْتُ ، قالت : فلما دخل عليَّ سلم وعَزَّاني بمصيبتي ثم قال لي : إن فيَّ بقيةً من الشباب فهل لك أن أتزوجك ؟ قلت : ما أكره ذاك ولكن على شرط ، قال لي : وايش الشرط ؟ قلت : تُصَيِّر أمر عَمّتي بيدي ، قال : فإني قد صيرت أمرها بيدك ، قلت : فإني قد طلقتها ثلاثاً بَتّةً ، قالت : وقدم بثَقَلِه عليّ [1] من الغد ومعه ستة آلاف درهم ، فأقام عندي ما أقام ثم إنه اعتلَّ فتُوفي ، فلما انقضتْ عِدَّتي جاء زوجي الأول يُعَزِّيني بمصيبتي فلما بلغني مجيئه تهيأتُ له وتَسَوَّفت ، فلما دخل عليّ قال : يا فلانة ! إنك لتعلمين أنك كنت أحبَّ الناس إليّ وأعزهم عليَّ ، وقد حلّ لنا الرجعة فهل لك في ذلك ؟ قلت : ما أكره ذلك ولكن تُصَيِّر أمر ابنة عمّي بيدي ، قال : فإني قد فعلتُ صيرتُ أمر ابنة عمتك بيدك ، قلت : فإني قد طلقتها ثلاثاً بَتّةً ، أصلح الله القاضي ، فرجعت إلى زوجي ، فما استعداؤُها عليّ ، فقال ابن أبي ليلى : واحدةٌ بواحدة والبادي أظلم ، قومي إلى منزلك . قال ابن أبي ليلى : فحدثت الهادي [2] بذلك ، فقال : ويحك يا محمد ! ما سمعت حديثاً أحسن من هذا ، أنا أحب أن أحدث به الخيزران ، يعني أمه .

---

(١) الثقل : متاع المسافر .

(٢) هذا يتعارض مع الحقيقة من ناحية أن ابن أبي ليل توفي كما سبق القول عام ١٤٨ ﻫ والهادي تولى الخلافة عام ١٦٩ ﻫ ، وتوفي بعد سنة وشهر أي عام ١٧٠ عن خمسة وعشرين عاماً فيبعد أن يكون القاضي قد حدثه بهذا إذ توفي والهادي عمره نحو سنتين .

قال القاضي : رقصة هذا الخبر كقصة المقدم له في أنه لا يحل الجمع بين المرأة وعمتها في النكاح ، وأن التماس هذه الجارية من خاطبها تمليكها طلاق عمتها وبنتها من حباله لما وصفنا أنها أرادت أن تشفي غيظها وتتولى التفريق بينها وبين زوجها بنفسها مقابلة لها على ما ابتدأتها به مـــن إساءتها .

(أخاف أن يكون في قبولهما وهق رقبتي)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا موسى بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا محمد بن حسان ، قال : قال لي عمي : قدم محمد بن قحطبة [1] الكوفة فقال : أحتاج إلى مُؤَدِّب يؤدبُ أولادي ، حافظٌ لكتاب الله عزَّ وجل ، عَالِمٌ بسنة رسول الله ﷺ وبالآثار والفقه والنحو والشعر وأيام الناس فقيل له : ما يجمع هذه الأشياء إلاّ داود الطائي [2] وكان محمد بن قحطبة ابن عم داود ، فأرسل إليه يعرض ذلك عليه ويُسَنِّي له الأرزاقَ والفائدة ، فأبى داودُ ذلك ، فأرسل بدرة (فيها) [3] عشرة آلاف درهم ، وقال له : استعن بها على دهرك ، فردها ، فوجه إليه ببدرتين مع غلامين له مملوكين ، وقال : إن قَبِل البدرتين فأنتما حُرَّان . فمضيا بهما إليه فأبى أن يقبلهما فقالا له : في قبولهما عتق رقابنا ، فقال لهما : إني أخاف أن يكونَ في قَبُولهما وَهَقُ

(١) لعله صحة هذا الاسم حميد بن قحطبة بن شبيب الطائي وليس محمد ، فقد ذكر ابن حزم في الجمهرة ٤٠٤ أن أولاد قحطبة هم : الحسن وحميد وعبد الله وشبيب وليس من بينهم من اسمه محمد ، وكان حميد هذا من قواد الدولة العباسية وولاتها ، فقد ولي إمرة مصر سنة ١٤٢ هـ ، ووجهه المنصور لغزو أرمينية سنة ١٤٨ ، وكابل سنة ١٥٢ وولي إمرة خراسان في السنة نفسها ، انظر تاريخ الطبري حوادث ١٤٢ - ١٥٩ .

(٢) هو أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي ، من أكابر الزهاد ، وخيار التابعين كان قد سمع الحديث وتفقه وعرف النحو وأيام الناس ثم تعبد فلم يتكلم في شيء من ذلك ، توفي سنة ١٦٥ هـ ، ترجمته في تاريخ بغداد ٣٤٧/٨ ، المعارف ٥١٥ .

(٣) ساقطة من أ .

رقبتي [١] في النار ، رُدَّاها إليه وقولا له أن يَرُدَّهما على من أخَذْتُهما منه أولى من أن تُعْطِيَنِي إياهما .

(لو عُلِم السَّبَب)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : كنا عند المبرد فجاءه رجلٌ من ولد ابن الزيات فشكا إليه أمر ابنٍ له خُدع وليس يدري أين هو ، فقال له : إنه جميل الوجه ، وشاور أبا العباس في أمره ، فلما قام قال أبو العباس : أنشدنا الرياشي [٢] :

ولو كان هـذا الضَّبُّ لا ذَنَبٌ لـه
ولا كُشْيَةٌ ما مَسَّهُ الدهر لاَمِسُ
ولكنه من أجل طِيبِ ذُنَيْبِـه
وكُشْيَتِه دَبَّتْ إليه الدَّهَـارِسُ

قال القاضي : الكُشية : الشحمة ، ويقال : إن على جنبيّ ظهره من جهتي عنقه إلى ذَنبه شَحْمتين ممتدتين إليه هما كُشْيتاه ، وجمع الكشية كُشىً مثل كلية وكلى ، قال الشاعر :

إنك لو ذُقت الكُشَى بالأكباد
لم تُرسلِ الضَّبَّة إعْدَاءَ الوَادِ [٣]

والدهارس والدهاريس : الدواهي ، قال الشاعر [٤] :

---

(١) وهق رقبتي أي حبسها ، والوهق بفتح الهاء وتسكينها : الحبل في أحد طرفيه أنشوطة يطرحها الصائد في عنق الدابة والإنسان حتى يؤخذ .

(٢) هذا النص اللغوي في اللسان ٨٩/٢٠ .

(٣) رواية هذا البيت في اللسان :

إنك لو ذقت الكشى بالأكباد ما تركت الضب يعدو بالواد

(٤) هو المتلمس الضبعي ، وقد سبق بيته هذا .

حَنَّتْ إلى النخلة القُصْوى فقلتُ لها
حِجْرٌ حرام ألاَ تَلْكَ الدَّهَـــارِيس

(بأي شيء استحقَّ سعيدُ بن عبد الرحمن توليه القضاء) (١)

حدثنا محمد بن زياد المقري ، قال : أخبرنا محمد بن إسحاق السراج بنيسابور ، قال : أخبرنا داود بن رشيد ، قال : قلت للهيثم بن عَدِيّ : بأي شيء استحقَّ سعيدُ بن عبد الرحمن أن ولاَّه المهديُّ القضاءَ وأنزله منه تلك المنزلة الرفيعة ؟ قال : إن خبره في اتصاله بالمهدي طريف ، إن أحببتَ شَرَحْتُه لك ، قلت : قد والله أحببتُ ذلك ، قال : اعلم أنه وافى الربيع الحاجب حين أفضت الخلافةُ إلى المهدي ، فقال : استأذن لي على أمير المؤمنين ، فقال له الربيع : يا هذا ! وما حاجتك ؟ قال : أنا رجل رأيت لأمير المؤمنين أعزَّه الله رُؤْيا صالحة ، وقد أحببتُ أن تَذْكرني له ، قال له الربيع : يا هذا ! إن القوم لا يصدِّقُون ما يرونه لأنفسهم فكيف ما تراه لهم ، فاحتل بحيلة هي أرَدُّ عليك من هذه ، فقال له : إن لم تخبره بمكاني سألتُ من يُوَصِّلُني إليه ، فأخبرته أني سألتك الإذن لي عليه فلم تَفْعل ، فدخل الربيع على المهديّ فقال له : يا أمير المؤمنين إنكم قد أطمعتم الناس في أنفسكم ، فقد احتالوا لكم بكل ضرب ، فقال له المهدي : هكذا تصنع الملوك فما ذلك ؟ قال: رجل بالباب يزعم أنه رأى لأمير المؤمنين أيّده الله رؤيا حسنة ، وقد أحَبَّ أن يَقُصَّها عليه ، فقال له المهديُّ : ويحك يا ربيع ! إني والله أرى الرؤيا لنفسي فلا تَصِحُّ لي ، فكيف إذا ادَّعاها لي من لعلّه قد افتعلها ؟ قال : قد والله قلتُ له مثل ذلك فلم يقبل ، قال : فهات الرجل ، قال : فأدخل عليه سعيد بن الرحمن وكان له رواءٌ وجمال ومروءة ظاهرة ولحية عظيمة وعارضةٌ ولسان ، فقال

---

(١) انظر الخبر التالي في أخبار الأذكياء : ٩٦ .

له المهديُّ : هات بارك الله عليك ، ماذا رأيتَ ؟ قال : رأيتُ يا أمير المؤمنين آتياً أتاني في منامي فقال لي : إن أمير المؤمنين المهديَّ يعيش ثلاثين سنة في الخلافة ، وآية ذلك أنه يرى في ليلته هذه في منامه كأنه يُقَلِّبُ يواقيتَ ثم يَعُدُّها فيجدها ثلاثين ياقوتة كأنها قد وُهبت له ، فقال له المهديُّ : ما أحسن ما رأيت ! ونحن نمتحن رؤياك في ليلتنا المقبلة على ما خَبَّرتنا ، فإن كان الأمر على ما ذكرت أعطيناك ما تريد ، وإن كان الأمر بخلاف ذلك لم نعاقبك لعلمنا أن الرؤيا ربما صدقت وربما أخلفت ، قال له سعيد : يا أمير المؤمنين فماذا أصنع أنا الساعة إذا صرت إلى منزلي وعيالي وأخبرتهم أني كنت عند أمير المؤمنين أكرمه الله ثم رجعت صِفْراً [1] ؟ قال له المهديُّ : فكيف نعمل ؟ قال : يُعَجِّل لي لي أمير المؤمنين أعزه الله ما أحبّ وأحلف له بالطلاق أني قد صدقتُ ، فأمرَ له بعشرة آلاف درهم ، وأمر أن يُؤخذ منه كفيل ليحضُر في غير ذلك اليوم ، فقبض المال وقيل : من يكفُلُ بك ، فمد عينه إلى خادم له حسن الوجه والزي فقال : هذا يكفلُ بي ، فقال له المهدي : أتكفل به يا تَمَلُّك ، فاحمرّ وخجل وقال : نعم يا أمير المؤمنين ، فكفل به وانصرف سعيد بن عبد الرحمن بعشرة آلاف درهم ، فلما كان في تلك الليلة رأى المهديُّ ما ذكر له سعيد حرفاً حرفاً ، وأصبح سعيد فوافى الباب واستأذن فأذن له ، فلما وقعت عين المهدي عليه قال : أين مصداق ما قلت لنا ؟ قال له سعيد : وما رأى أمير المؤمنين شيئاً ؟ فضجع في جوابه [2] ، فقال له سعيد : امرأتي طالق إن لم يكن رأيتَ شيئاً ، قال له المهدي : ويحك ! ما أجرأك علي هذا الحلف بالطلاق ! قال : لأني أحلف على صِدْق ، قال له المهديُّ : فقد والله رأيت ذلك مُبيناً ، فقال له سعيد : الله أكبر ، فأنجز لي يا أمير المؤمنين ما وعدتني ، قال له : حُبّاً وكرامة ،

(١) صفراً : أي خالي اليدين .

(٢) ضجع : كسل وتراخى .

ثم أمرِ له بثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت ثياباً من كل صنف ، وثلاث مراكب من أنفس دوابّه مُحلاة ، فأخذ ذلك وانصرف ، فلحق به الخادم الذي كفل به ، وقال له : سألتُك بالله هل كان لهذه الرؤيا التي ذكرتَها من أصل ؟ قال له سعيد : لا والله ، قال الخادم : كيف وقد رأى أمير المؤمنين ما ذكرتَه له ؟ قال هذه من المخاريق [1] الكبار التي لا يأبه لها أمثالكم ، وذلك أني لما ألقيت إليه هذا الكلام خطر بباله وحدّث نفسَه وأسَر به قلبه وشغل به فكره ، فساعة نام خُيِّل له ما حلّ في قلبه وما كان شغل به فكره في المنام ، فقال له الخادم : قد حلفتَ بالطلاق ، قال : طلقت واحدة وبقيت معي على ثِنْتين فأزيدُ في مهرها عشرة دراهم وأتخلّص وأحصل على عشرة آلاف درهم وثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت من أصناف الثياب وثلاث مراكب فرهة ، فبهت الخادم في وجهه وتعجّب من ذلك ، فقال له سعيد : قد صَدَقْتُك وجعلت صِدقي لك مكافأتك على كفالتك بي فاستُر علي ، ففعل ثم طلبه المهديُّ لمنادمته ، وحَظِيَ عنده وقلّده القضاءَ على عسكر المهديّ فلم يزل على ذلك إلى أن مـات .

فهذا كان السبب في وُصلة سعيد بن عبد الرحمن بأمير المؤمنين المهدي ، فهل سمعت بأعجب من ذلك يا داود ؟ قال : لا .

(التعليق على هذه القصة)

قال القاضي : قول سعيد في هذا الخبر أنه طلّق واحدةً وبقيت معه على اثنتين وأنه يزيد في مهرها عشرة دراهم ، من كلام الحَمْقى العامّة وجُهّالهم ، لأنّ مُطلِق امرأته المدخول بها واحدة إن راجعَها في عِدّتها فلا مَهْرَ عليه لها ، وإن تزوّجها بعد بينونتها فعليه الصداق مبتدئاً

---

(١) المخاريق : الأكاذيب والحيل الخادعة .

غير زائد على قدرٍ منه متقدم ، وفي حمل سعيد نفسه في هذه القصة على الكذب وخاصة في الرؤيا وإطلاع الخادم على قبيح ما أتاه ، وكذبه فيما حكاه ، وجَعْلِه هذا مكافأة له على كفالته به ، واعتماده مسترسلاً إليه في سَتْر رذيلته عليه ، دليل على أنه كان بمحل من الغَرَق ، وأن عِظَمَ لحيته كان على شكلٍ يدل على السّفاهة والحمق . وقد حدَّثنا علي بن الفضل بن طاهر البلخي قال : حدثنا محمد بن أيوب بن يزيد ، قال : حدثنا أحمد بن يعقوب ، قال حدثنا مصعب بن خارجة ، عن أبيه ، من كانت لحيته طويلة فلا يلم في عقله شيء .

حدثنا الليث بن محمد بن الليث المروزي ، قال : سمعت عبد الله بن محمود ، يقال : نظر علي بن حجر إلى لحية أبي الدرداء ، قال : وهو طويل اللحية فأنشأ يقول :

ليس بطُولِ اللِّحَى يَسْتَوْجِبُون القَضَا
إن كان هذا كذا فالتَيْسُ عَدْلٌ رِضَا

قال : ومكتوب في التوراة : لا يَغُرَّنّك طول اللحى ، فإن التيس له لحية .

(حكاية عن القاضي العوفي ، وكان طويل اللحية) [1]

حدثنا محمد بن الحسن المقري ، قال : أخبرني الساجي بالبصرة ، قال : اشترى رجل من أصحاب القاضي العوفي جارية فغاضبته ولم تطعه ، فشكا ذلك إلى العوفي فقال : أنفذها إليّ حتى أكلمها فأنفذها إليه، فقال لها : يا عَزُوبُ يا لَعُوبُ يا ذات الجلابيب ، ما هذا التمنع المجانب للخيرات ، والاختيار للأخلاق المَشْنُوءات ، فقالت له : أيد الله القاضي : ليس لي

---

(١) الخبر التالي في تاريخ بغداد ٢٩/٨ - ٣٢ .

فيه حاجة فَمُرْهُ يَبيعني ، فقال لها : يا مُنْيَةَ كُلِّ حليم ، وبَحَّاث عن اللطائف عليم ، أما علمت أن فرط الاعتياصات من الموموقات على طالبي المودات والباذلين لكرائم المصونات مؤديات إلى عدم المفهومات ؟ فقالت الجارية : ليس في الدنيا أصلح لهذه العُثْنُونات على صدور أهل الركاكات من المواسي الحالقات ، وضحكت وضحك أهل المجلس . وكان العوفي عظيم اللحية .

قال القاضي [1] : العوفي هو الحسن بن الحسن بن عطية بن سعد بن جنادة ، ويكنى أبا عبد الله من أهل الكوفة وقد سمع سماعاً كثيراً ، غير أنه ضعيف في الحديث ، قدم بغداد وولي قضاء الشرقية بعد حفص بن غياث ثم نقل من الشرقية فولى قضاء عسكر المهدي في خلافة هارون ثم عزل ، فلم يزل ببغداد إلى أن توفي بها سنة إحدى أو اثنتين ومائتين [2] ، وكان من أعظم الناس لحية .

* * *

(١) في أ : قال أبو بكر ، وهي سهو من الناسخ .

(٢) أضاف إلى ذلك الخطيب البغدادي بقوله : وكان ضعيفاً في الحديث ضعيفاً في القضاء ، سليماً مغفلا ، انظر تاريخ بغداد ٣١/٨ .

المجلس العشرون

(حديث : إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة) [1]

حدثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي الرجال الصالحي ، قال : حدثنا أبو داود سليمان بن يوسف الحراني ، حدثنا سعيد بن بزيع ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني محمد بن محمد بن الوليد بن نويفع ، عن كريب مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : بعث بنو سعيد بن بكر ضمامَ بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ فقدم عليه فأناخ بعيره على باب المسجد ثم عَقَله ، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه ، وكان ضمام رجلاً جلداً [3] أشعر ذا غديرتين [4] فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟

---

(١) الحديث التالي أخرجه الإمام أحمد من طريق ابن إسحاق ، انظر المسند ١/٢٥٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، وانظر سيرة ابن هشام ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ففيها النص كما هنا كاملا .

(٢) ذكره ابن حجر في الإصابة الترجمة ٤١٧٣ ، وقال : نزل الكوفة وسكنها، قال: وزعم الواقدي أن قدومه كان سنة خمس وفيه نظر ، وذكر ابن هشام عن أبي عبيدة أن قدومه كانت سنة تسع .

(٣) الجلد : القوي ، والذي يصبر على المكروه .

(٤) الغديرة : الذؤابة المضفورة من الشعر .

فقال رسول الله ﷺ : أنا ابن عبد المطلب ، قال : محمد ؟ قال : نعم ، قال : فيا ابن عبد المطلب فإني سائلك ومُغْلِظٌ في المسألة ، فلا تَجِدَنّ[1] في نفسك ، قال : لا أجد في نفسي فَسَلْ عما بدا لك ، قال : أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك ، آلله بعثك إلينا رسولاً ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فَنَشَدَةٌ مثلُها ، آلله أمرك أن نَعْبد الله وحده لا شريك له وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فنشدةٌ مثلها ، آلله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخَمْس ؟ قال : اللهم نعم ، قال : ثم جعل يذكر شرائع الإسلام يناشده عند كل فريضة كما يناشده في التي قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد ألاّ إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأؤدي هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتني عنه ولا أزيد ولا أنقص ، قال : ثم انصرف إلى بعيره ، قال : فقال رسول الله ﷺ حين وَلّى : إن يَصْدُقْ ذو العَقيصتين[2] يَدْخُلِ الجنة . قال : فأتى إلى بعيره فأطلق عقاله ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه ، فكان أول ما تكلم به أن قال : بئست اللات والعزى، فقالوا : مه يا ضمام ، اتّق البرص ، اتق الجذام ، اتق الجنون ، قال : ويلكم ، والله ما يَضُرّان ولا ينفعان ، إنّ الله تعالى بعث رسولاً وأنزل كتاباً لينتقذكم به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه ، قال : فوالله ما أمسى في ذلك اليوم وفي حاضره[3] رجُل ولا امرأة إلاّ مسلمة ، قال : يقول ابن عباس : ما سمعنا بوافد قوم (ذكر كلمة) من ضمام بن ثعلبة .

---

(١) لا تجدن : لا تغضبن .

(٢) العقيصتان : الضفيرتان من الشعر .

(٣) الحاضر : الحي .

قال القاضي رحمه الله : لم يذكر لنا ما الكلمة ، ولعلّها ذهبتْ عن حفظ بعض الرواة أو سقطت من كتابه ، وينبغي أن يكون معناه أعظم بركة [1] أو ما أشبه هذا من الوجوه ، وفي هذا الخبر : ما أبان عن حُسْنِ دعاء النبي ﷺ ووطاءة كَنَفه ولين جانبه ، وإجابته إلى الحَلِف لما فيه من تسكين نفس مُسَاجله ، وتأميله زوال الريب عن قَلْبه ، وهو ﷺ أصدقُ الناس في قِيله ، وأوفاهم أمانة فيما هو بسبيله .

(كتاب قيصر إلى عمر رضي الله عنه بشأن النخلة)

حدثنا محمد بن منصور بن أبي الجهم الشيعي ، قال : حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا أبوقتيبة ، قال : حدثنا يونس بن الحارث الطائفي ، عن الشعبي ، قال : كتب قيصر إلى عمر : أخبرك أن رُسُلي أتتني من قبلك فزعمت أن قِبَلكم شَجَرَة ليستْ بخليقةٍ لشيءٍ من الخير ، تَخْرُج مثل آذان الحُمُر ثم تشقق عن مثل اللؤلؤ — أحسبه قال : الأبيض — ثم تخضر فتكون مثل الزمرد الأخضر ثم تحمرّ فتكون مثل الياقوت الأحمر ، ثم تينع وتنضج فتكون كأطيب فالوذج أُكِل ، ثم تيبس فتكون عصمة للمُقِيم وزاداً للمسافر ، فإن تكن رُسُلي صَدَقتني فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة . فكتب إليه عمر ؟ « مِنْ عبد الله عُمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم : إن رُسُلَك قد صدقتك . هذه الشجرة عندنا هي الشجرة التي أنبتها الله عزّ وجل على مريم حين نَفَست بعيسى ابنها عليه السلام فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله ، فإن مَثَل عيسى عندنا كمثل آدم ، خَلَقه من تُراب ثم قال له كن فيكون ، الحقّ من ربك فلا تكن من الممترين » .

---

(١) ذكرت المراجع التي أوردت الحديث أن هذه الكلمة هي : أفضل .

(بعض ما تلحن فيه العامة : الزُّمرُّد والزَّبَرجد)

قال القاضي رحمه الله : قد رُوينا هذا الخبر من طرق شتى ، وفي بعضها ألفاظ ليست في بعض ، وقوله الزمرد العامة يخطئون فيه فيقولون زُمُرُّد بالدال المهملة ، ويقولون الزبرجذ بالذال المعجمة ، والذي حكاه أهل اللغة عن العرب أنه الزمرذ بالإعجام والزبرجد بالإبهام على عكس ما يقوله من لا علم له به من العوام ، وذكر بعض أهل المعرفة أن من فضل النخل أن جميعه في بلاد الإسلام ، وأنه ليس في بلاد الشرك منه شيء .

(من شهداء الهوى) (١)

حدثنا محمد بن الحسن بن دُريد ، قال : أخبرنا العباس بن الفرج الرياشي ، قال : أخبرنا محمد بن سلام ، قال : كان بالمدينة فتىً من بني أمية من ولد سعيد بن عثمان بن عفّان (٢) وكان يختلفُ إلى قَيْنة لبعض قريش ، وكان طَريراً (٣) ظريفاً ، وكانت الجارية تُحبُّه ولا يعلم بحبها ، فأراد يوماً أن يشكو ذلك ، فقال لبعض إخوانه : امضِ بنا إلى فلانة ، وانطلقا فدخلا إليها وتوافى فتيان من قريش والأنصار ؛ فلما جلستْ مجلسها واحتجرت بمزهرها ، قال الأمويُّ تغنين :

أحبكمُ حبّاً بكلِّ جـوارحي ... فهل لكمُ عِلْم بما لكمُ عِنْدي
وتَجزُون بالودِّ المضاعَفِ مثله ... فإن الكريم من جزى الوُدَّ بالوُدِّ

قالت : نعم ، وأحسن منه ،وغنت :

لِلّذي وَدَّنا المودة بالضِّعْـ ... ـف وفَضْلِ البَادِي به لا يُجازَى

(١) القصة التالية في مصارع العشاق ٥٦ ، بسند آخر عن مصعب الزبيري .
(٢) ذكر في المرجع السابق أنه من ولد سعيد بن العاص .
(٣) الطرير : ذو الرواء والجمال .

لو بدا ما بنا لكم ملأ الأرْ ضَ وأقطارَ شامِها والحِجَـازَا

فعجب القوم من سرعته مع شغل قلبه ، ومن ذهنها وحسن جوابها فازداد بها كَلَفاً ، وصَرَّح عما في قلبه فقال :

أنت عُذْر الفتى إذاهَتَكَ السِّتْـ ـرَ وإن كان يُوسُفَ المَعْصُوما
من يَقُمْ في هَوَاكِ يَقْصُر عنِاللو مِ وإمّا زَالَ كان مَلُوما

وبلغ عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة خبرها ، فاشتراها بعشر حدائق ووهبها له وما يُصلحها ، فمكثت عنده حولاً ثم ماتت فرثاها ، فقـــال :

قَد تَمنَّيْتُ جَنّةَ الخُلْد بالجَهْـ ـد فأُدْخِلْتُها بلا استِئْهَالِ
ثم أخرجتُ إذ تَطَعَّمْت بالنِّعْـ ـمة منها والمَوْتُ أحمدُ حَالِي

وكرر هذا الشعر مراراً وقَضَى ، فدُفنا معا ، فقال أشعب : هذان شهيدا الهوى انحروا على قبره سبعين نحرة كما كبر رسول الله ﷺ على قبر حمزة سبعين تكبيرة .

قال : وبلغ أبا حازم [(١)] فقال : لو مُحِبٌّ في الله عز وجل يبلغ في الحب هذا المبلغ فهو وَلِيٌّ [(٢)] .

(من نزاهة حفص بن غياث في الحكم) [(٣)]

حدثنا محمد بن مخلد بن حفص حفص العطار : قال : حدثني يحيى

(١) هو مسلمة بن دينار ، أبو حازم الأعرج ، كان من النساك الزهاد ، ومن القصاص الخطباء ، كان يقص في مسجد المدينة ، وكان له حمار ينقله إلى المسجد ، يعد ثقة مأمون الحديث، توفي في خلافة المنصور بعد سنة ١٤٠ هـ ، انظر البرصان والعرجان ١٢٥ ، تهذيب التهذيب ١٤٣/٤ ، المعارف ٤٧٩ .

(٢) في أ : أولى ، والتصحيح من مصارع العشاق .

(٣) الخبر التالي ورد باختصار في أخبار الأذكياء ٧٢ ، وورد بتمامه كما هنا في تاريخ بغداد ١٩٠/٨ - ١٩٣ .

ابن الليث ، قال : باع رجل من أهل خراسان جمالاً بثلاثين ألف درهم من مَرْزُبان المجوسيّ وكيل أم جعفر [1] ، فمطله بثمنها وحبسه ، فطال ذلك على الرجل فأتى بعض أصحاب ابن غياث فشاوره ، فقال له : اذهب إليه فقل له : أعطني ألف درهم وأحيلُ عليك بالمال الباقي وأخرجُ إلى خُراسان ، فإذا فعل هكذا فالقني حتى أشير عليك ، ففعل الرجل وأتى مرزبان فأعطاه ألف درهم ، فرجع إلى الرجل فأخبره ، فقال : عُد إليه فقل له : إذا ركبت غداً فطريقُك على القاضي تَحْضُرُ وأوكِّل رجلاً يقبض المال وأخرج ، فإذا جلس إلى القاضي فادَّع عليه ما بقي لك من المال ، فإذا أقر حبسه حفص وأخذت مالك ، فرجع إلى مرزبان فسأله فقال : انتظرني بباب القاضي ، فلما ركب من الغد وثب إليه الرجل فقال : إن رأيت أن ننزل إلى القاضي حتى أوكِّل بقبض المال وأخرج فنزل مرزبان فتقدَّما إلى حفص بن غياث فقال الرجل : أصلح الله القاضي ، لي على هذا تسعة وعشرون ألف درهم ، قال حفص : ما تقول يا مجوسيُّ ؟ قال : صَدَقَ أصلَح الله القاضي ، قال : ما تقولُ يا رجل فقد أقر لك ؟ قال : يُعطيني مالي أصلح الله القاضي ، فأقبل حفص على المجوسي فقال : ما تقول ؟ قال : هذا المال على السيدة ، قال : أنت أحمق ، تقرُّ ثم تقول : على السيدة ، ما تقول يا رجل ؟ قال : أصلح الله القاضي ، إن أعطاني مالي وإلاّ حبستَه ، قال حفص : ما تقول يا مجوسيّ ؟ قال : المالُ على السيدة ، قال : خذوا بيده إلى الحبس ، فلما حُبس بلغ أم جعفر الخبر فغضبت فبعثت إلى السِّنْدي : وَجِّه إليّ مرزبان ، وكانت القضاة تَحبس الغرماء في الجِسر ، فعَجِلَ السِّنْدي فأخرجه ، وبلغ حفصاً الخبر فقال : أحْبِسُ أنا ويخرج السِّنْدي ، لاجلست مجلسي هذا أو يُرَدَّ مرزبان إلى

---

(1) أم جعفر ، هي زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور ، وهي زوج هارون الرشيد وأم الخليفة محمد الأمين .

الحبس ، فجاء السندي إلى أم جعفر فقال : اللهَ اللهَ فيَّ ، إنه حفص بن غياث وأخاف من أمير المؤمنين أن يقول : بأمر من أخرجته ، رُدِّيه إلى الحبس وأنا أكَلـمُ حفصاً في أمره ، فأجابته فرجع مرزبان إلى الحبس ، فقالت أم جعفر لهارون : قاضيك هذا أحمق ، حبس وكيلي واستَخف به فمرهُ لا ينظر في الحكم ويولي أمره إلى أبي يوسف ، فأمر لها بكتاب ، وبلغ حفصاً الخبر ، فقال للرجل : أحضرني شُهوداً حتى أسَجِّلَ لك على المجوسيِّ بالمال ، فجلس حفص فسجّل على المجوسي وورد كتاب هارون مع خادم ، فقال : هذا كتاب أمير المؤمنين ، قال : مكانك نحن في شيء حتى نَفْرُغ منه ، فقال : كتاب أمير المؤمنين ، فقال : انظر ما يقال لك ، فلما فرغ حفص من السِّجل أخذ الكتاب من الخادم فقرأه ، فقال : اقرأ على أمير المؤمنين السلام وأخبره أن كتابه ورد وقد أنفذْتُ الحكم ، فقال الخادم : قد والله عرفتُ ما صنعتَ ، أبيتَ أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين حتى تَفْرغ مما تريد ، ووالله لأخبرنّ أمير المؤمنين بما فعلت ، فقال له حفص : قل له ما أحببت ، فجاء الخادم فأخبر هارون فضحك ، وقال : مُرْ لحفص بن غياث بثلاثين ألف درهم ، فركب يحيى بن خالد فاستقبل حفصاً منصرفاً من مجلس القضاء ، فقال : أيُّها القاضي ! قد سررتَ أمير المؤمنين اليوم وأمر لك بثلاثين ألف درهم ، فما كان السبب في هذا ؟ قال : تَمّم الله سُرُور أمير المؤمنين وأحسن حفظه وكلاءته ، ما زدتُ على ما أفعل كلَّ يوم ، قال : عليَّ ذلك ؟ قال : ما أعلم إلا أن يكون سَجّلْتُ على مرزبان المجوسي بما وجب عليه ، فقال يحيى بن خالد : بهذا سُرَّ أمير المؤمنين ، فقال حفص : الحمد لله كثيراً ، فقالت أم جعفر لهارون : لا أنا ولا أنت إلا أن تعزل حفصاً ، فأبى عليها ، ثم ألحّت عليه فعزله عن الشرقية وولاه القضاء على الكوفة فمكث عليها ثلاث عشرة سنة ، وكان أبو يوسف [1] لما ولي حفص قال لأصحابه : تَعَالَوْا نكتبْ نوادرَ

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب من بجيلة ، وكان يروى عن الأعمش وهشام=

حفص ، فلما وردت أحكامه وقضاياه على أبي يوسف قال له أصحابه : أين النوادر التي زعمت نكتبها ؟ فقال : ويحكم ! إن حفصاً أراد الله فوفّقه . قال ابن مخلد : قال أبو علي : سمعت أبا (علي [1]) حسن بن حماد سجادة يقول : قال حفص بن غياث : والله ما وليت القضاء حتى حلّت لِيَ الميتة ، ومات يوم مات ولم يُخلّف درهماً وخلف عليه تسع مائة درهم دَيْناً ، قال سجادة : وكان يقال : خُتِم القضاء بحفص بن غياث .

(لا يَسْتَحْيِي أحَدُكُم من التّعَلُّم)

حدثنا محمد بن الفتح القلانسي ، قال : أخبرنا ابن أبي عمرو الشيباني ، عن أبيه ، عن أبي عبد الرحمن الطائي ، قال : قال لي عبد الله بن زيد القيسي : بينا أنا واقف على رأس ابن هبيرة [2] وبين يديه سماطان من وجوه الناس إذ أقبل شاب لم أر في مثل جماله وكماله ، حتى دنا من ابن هبيرة فسلم عليه بالإمرة فقال : له : أصلح الله الأمير ، امرؤٌ قدحته كُربة ، وأوحشته غُربة ، ونأتْ به الدار ، وحل به عظيم ، خذَله أخلاّؤُه ، وشمت به أعداؤه ، وأسلمه البعيد ، وجفاه القريب ، فقمت مقاماً لا أرى لي مُعَولا ولا حازبا إلا الرجاء لله تعالى وحُسن عائِدة الأمير ، وأنا

= ابن عروة وغيرهما . وكان صاحب حديث حافظاً ، ثم لزم أبا حنيفة فغلب عليه الرأي ، وتولي قضاء بغداد فلم يزل قاضياً بها إلى أن مات سنة ١٨٢ هـ في خلافة الرشيد ، انظر المعارف ٤٩٩ .

(١) زيادة يستقيم بها الكلام ، فاسمه الصحيح أبو علي الحسن بن حماد بن كسيب الحضرمي ، المعروف بسجادة ، سمع أبا بكر بن عياش وعطاء بن سلم وأبا خالد الأحمر وغيرهم ، وكان ثقة صاحب سنة ، توفي سنة ٢٤١ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٢٩٥/٧ .

(٢) هو عمر بن هبيرة بن سعد بن عدي الفزاري أبو المثنى ، ولى العراقين ليزيد بن عبد الملك ست سنين ، وفيه يقول الفرزدق ليزيد :

أوليت العراق ورافديـــه فزاريا أحذ يد القميص
تفتق بالعراق أبو المثنى وعلم قومه أكل الخبيص

انظر المعارف ٤٠٨ .

أصلح الله الأمير ممن لا تُجهل أسرته ولا تضيع حرمته ، فإن رأى الأمير – أصلحه الله – أن يسدَّ خلّتي ويجبر خصاصتي يفعل ، فقال ابن هبيرة : مَنِ الرجل ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

فَزَارةَ بيت العزِّ والعـزُّ فيهـم
فَزَارَة قَيسٍ حَسْبَ قيس فَعَالُهـا

لها العزة القصوى مع الشّرف الـذي
بناه لقيس في القـديم رِجالُهـا

وهل أحدٌ إن مدَّ يوماً بكفـه
إلى الشمس في مجرى النجوم ينالهـا

لهيهات ما أعيا القرونَ التي مضـت
مآثر قيس واعتلاهـا فعالهـا

فقال ابن هبيرة : إن هذا لأدبٌ حَسَنٌ مع ما أرى من حَداثة سنك ، فكم أتى لك من السن ؟ قال : تسع وعشرين سنة ، فلحن الفتى ، فأطرق ابن هبيرة كالشامت به ، ثم قال : أو لَحّان أيضاً مع جميل ما أتى عليه منطقك ؟ شِنْتَه والله بأقبح العيب ، قال : فأبصر الفتى ما وقع فيه ، فقال : إن الأمير أصلحه الله عظُم في عيني وملأت هيبته صدري ، فنطق لساني بما لم يعرفه قلبي ، فوالله (إلا [1]) ما أقالني الأمير عثرتي عندما كان من زلتي ، فقال ابن هبيرة : وما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم بها أوَدَه ، ويَحْضُرَ بها سُلْطَانَه ، ويُزَيّن بها مشهده ، وينوءَ بها على خصمه ، أو يَرْضَى أحدكم أن يكون لسانه مثل لسان عبده أو أكّاره [2] ؟ وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم ، فإن كان سبقك لسانك وإلا فاستعن ببعض ما أوصلناه إليك ، ولا يستحيي أحدكم من التعلم ، فإنه لولا هذا اللسان

---

(١) زيادة يستقيم بها السياق .
(٢) الأكار : الأجير .

لكان الإنسان كالبهيمة المهملة ، وفي رواية أخرى : أو كالصورة الممثلة[1] ، قتل الله الشاعر حيث يقول [2] :

ألم تر مفتاحَ الفؤاد لسانَــــــهُ
إذا هو أبْدى ما يَقُولُ من الفَمِ
وكائِنْ تَرَى من صاحبٍ لك مُعْجِبٍ
زيادتُه أو نَقْصُه في التكلـــم
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُه
فلم يبق إلاَّ صورة اللحم والـــدمِ

قال القاضي : في هذا الخبر : فإن رأى الأمير يفعل ، فالأحسن : فإن رأى فعل ، أو فإن ير يفعل ليتفق لفظ الشرط ولفظ الجزاء ، وفعل الجزاء مستقبل في المعنى وإن أتى به بلفظ المضي ، ومجيئه مختلط على ما في هذا الخبر صواب ، وقال زهير [3] :

ومن هاب أسباب المنايا ينَلْنَــهُ ولو نال أسباب السماء بسُلّمِ

---

(١) ينسب هذا القول إلى خالد بن صفوان ، انظر البيان والتبيين ١/١٧٠ ، وبهجة المجالس ٥٥/١ .

(٢) الأبيات الثلاثة الآتية دون نسبة في بهجة المجالس ٥٦/١ ، وورد البيتان الثاني والثالث في البيان والتبيين ١٧١/١ منسوبين للأعور الشني ، وعلق الأستاذ هارون على ذلك بأنهما ليسا له بل لزهير في معلقته ، ولكنهما لم يردا بين أبيات معلقة زهير في شرح ديوانه لثعلب ط دار الكتب ، وفيه أصح روايات المعلقة ، بل موجودان ضمن أبياتها في جمهرة أشعار العرب ٥١ ، وفي المعلقات ط مطبعة الموسوعات ، وفي هذه الطبعة علق الأستاذ الشنقيطي على البيتين بأنهما ليسا لزهير بل للخطفي جد جرير ،وفي حماسة البحتري ورد البيتان مرتين ، ونسبا في المرة الأولى ص ٢٠٥ إلى عبد الله بن معاوية الجعفري ، ونسبا في الثانيــة ص ١٣٦٧ إلى زهـير ، وفي فصل المقال ٤٨٢ تردد في نسبتهما بين الهيثم بن الأسود النخعي وبين الأعور الشني .

(٣) البيت ضمن معلقته ، انظر الديوان ١٤ .

(اللحّانون من الخاصّة)

حدثنا إسماعيل بن علي الخُطَبي ، قال : أخبرنا أبو أحمد البربوني ، قال : قال أبو أيوب يعني سليمان بن أبي شيخ (١) ، وقال أبو الزناد (٢) : كان الوليد بن عبد الملك بن مروان لَحّاناً (٣) كأني أسمعه على منبر النبي ﷺ وهو يقول : يا أهلُ المدينة . قال : وقال عبد الملك بن مروان لرجل من قريش : إنك لرجل لولا أنك لحّان ، فقال : وهذا ابنك الوليد يلحن ، قال : لكن ابني سليمان لا يلحن ، قال الرجل : وأخي فلان لا يلحن .

قال أبو أيوب : كان ربيعة الرأي (٤) لحّاناً ، ومالك بن أنس لَحّاناً .

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا عمر بن عبد الرحمن السُّلَمِيّ قال : حدثنا المازني ، قال : سمع أبو عمرو (٥) أبا حنيفة يتكلم

---

(١) هو سليمان بن أبي شيخ ، واسم أبي شيخ منصور بن سليمان ، الواسطي سكن بغداد في بركة زلزل ، وحدث عن سفيان بن عبيد وعبد الله بن إدريس وغيرهما ، وكان عالماً بالنسب والتواريخ وأيام الناس وأخبارهم ، توفي سنة ٢٤٦ هـ عن خمسة وتسعين عاماً ، انظر تاريخ بغداد ٩/٥٠ .

(٢) هو أبو الزناد عبد الله بن ذكوان القرشي المدني ، تابعي ثقة فقيه صالح الحديث ، وكان فصيحاً بصيراً بالعربية ، توفي سنة ١٣٠ هـ ، انظر تهذيب التهذيب .

(٣) انظر بعض الأمثلة من لحنه في البيان والتبيين ٢/٢٠٤ - ٢٠٦ ، العقد الفريد ٢/٤٨ ، وكان عبد الملك يقول في ذلك : أضر بالوليد حبنا له ، فلم نوجهه إلى البادية .

(٤) هو أبو عثمان ربيعة بن فروخ مولى آل المنذر التيميين ، كان أبو العباس السفاح قد قدمه إلى القضاء فلم يقبل ، ويسمي ربيعة الرأي أو ربيعة صاحب الرأي ، وأصحاب الرأي هم الحنفية في عرف الخراسانيين ، انظر الحديث عنهم في المعارف ٤٩٤ - ٥٠٠ ، توفي ربيعة عام ١٣٦ هـ بالأنبار ، المعارف ٤٩٦ .

(٥) هو أبو عمرو الشيباني إسحاق بن مرار بكسر الميم ، كان عالماً باللغة حافظاً لها جامعاً لأشعار العرب حتى إنه جمع شعر نيف وثمانين قبيلة ، وكان أحمد بن حنبل يحضر مجلسه ويكتب عنه ، توفي عن نحو مائة وعشرين عاماً ، سنة ست أو عشر ومائتين في خلافة المأمون ، ترجمته في إنباه الرواة ١/٢٢١ - ٢٢٩ ، وبغية الوعاة ١/٤٣٩ ، تاريخ بغداد ٦/٣٢٩ .

في الفقه ويلحن فأعجبه كلامه واستقبح لحنه ، فقال : إنه لَخَطّابٌ لو ساعده صواب ، ثم قال لأبي حنيفة : إنك أحوجُ إلى إصْلاح لِسانك من جميع الناس .

(جاريتان تغلبان عيسى بن أبان)

حدثني طاهر بن مسلم العبدي ، قال : حدثني الغلابي ، قال : حدثني أحمد بن سليمان قال : سمعت عيسى بن أبان [1] ، يقول : كنت عند المأمون فاستأذنته في الخروج إلى البصرة إلى عيالي ، فقال : أمير المؤمنين أشوق إليك منك إلى عيالك ، ولكن وَجِّهْ إليهم فيحملوا ، ثم قال لخادم على رأسه : قل لهم : يجيئوا ، قال : فإذا غلامٌ أمرد قد أقبل لم ترَ عيني أحسنَ منه مُغَلَّفٌ بالغالية يخطِر حتى جاء فسلم ، فقال له : مرحباً ثم أجلسه على فخذه اليمنى ، ثم أقبل آخر مثله فأقعده على فخذه اليسرى فجعلت أنظر إلى حُسْنهما ، فقال لي : يا عيسى ! بأيِّهما ترى أن أبدأ ، فقلت : أعيذ أمير المؤمنين بالله ، لقد نَزَّهَهُ الله عن هذا وصانه ، قال : يا عيسى ليس هو الذي ذهبتَ إليه ، إنهما جاريتان اشْتَهيْتُهما في زيّ الغلمان ، فقلت : أمير المؤمنين أعلى عيناً ، فقالت الأولى : والله يا عيسى ما تحسنُ الحكومة ، ألم تسمع إلى قول الله عز وجل [2] : (السّابقون الأولون) قال : فبقيتُ والله متعجباً وتمنّيت أني كنتُ اهتديت إلى ما قالت بجميع مِلْكي ، ثم قالت الأخرى : لا والله يا عيسى ، ما تبصر من

---

(١) هو عيسى بن أبان بن صدقة ، أبو موسى ، قاض من كبار فقهاء الحنفية ، كان سريعاً بإنفاذ الحكم ، عفيفاً ، خدم المنصور مدة ، وولى القضاء بالبصرة عشر سنين وتوفي بها سنة ٢٢١ هـ ، له كتب منها : إثبات القياس ، واجتهاد الرأي ، والجامع في الفقه ، انظر الجواهر المضية ٤٠١/١ ، تاريخ بغداد ١٥٧/١١ .

(٢) سورة التوبة .

الحكومة شيئاً ، ألم تسمع إلى قول الله عزَّ وجل : (وَلَلْآخرة خَيْرٌ لك من الأولى) (١) فتركته معهما وخرجت .

(أبو نواس يأخذ معنى حديث شريف وينظمه شعراً)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا محمد بن سعيد ، قال : حدثني أبو ثمامة القيسي ، قال : فحدثنا محمد بن المهلب ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : رأيتُ أبا نواس عنده روح بن القاسم ، فتحدثَ رُوح عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « القلوبُ جنودٌ مُجَنَّدة ، فما تعارفَ منها ائتلف وما تناكر منها اختلف (٢) » . قال أبو نواس : أنت لا تأنس بي وسأجعل هذا الحديث منظوماً بشعر ، قلت : فإن قلتَ ذلك فجئني به ، فجاءني فأنشدني :

يا قلبُ رفقاً ، أجدٌّ منك ذا الكَلَفُ
ومَنْ كَلِفْتَ به جَانٍ كما تَصِفُ
وكان في الحَقِّ أن يَهْواك مُجتهداً
بذاك خَبَّر منا الغابر السلفُ
إن القلوب لأجنادٌ مجندةٌ
لله في الأرض بالأهواء تعترفُ
فما تناكر منها فهو مختلفٌ
وما تعارفَ منها فهو مؤتلفُ (٣)

حدثنا الصولي : قال : حدثني محمد بن يزيد المهلبي ، قال : حدثني

---

(١) سورة الضحى ٤ .
(٢) الحديث الشريف أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/٢٩٥ ، ٥٢٧ ، من حديث سهيل .
(٣) الأبيات في ديوان أبي نواس ٩٠ ، والأخيران في بهجة المجالس ١/٦٤٨ ، وما عدا الثاني في العقد الفريد ١/٣٢٩ دون نسبة .

ابن مهدويه ، قال : حدث أبو حفص عمر بن إبراهيم العدوي ، قال : حدثنا محمد بن المنهال – إلا أنه قال الضرير – قال : حدثني يزيد بن زريع : وساق الخبر ، إلا أنه زاد فيه قال يزيد بن زريع : وكان أبو نواس صَبيّاً .

(شرب نبيذاً ثم لا يدري أطلق امرأته أم لا ، وحكم ذلك)

حدثنا أبي رضي الله عنه ، قال : حدثنا عبد الله بن أيوب بن زاذان القربي ، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد التميمي ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن معري ، قال : جاء رجل إلى أبي حنيفة ، فقال : إني شربتُ البارحة نبيذاً فلا أدري طلقتُ امرأتي أم لا ، قال : المرأة امرأتُك حتى تستيقن أنك طلّقْتَها ، ثم أتى سفيان الثوري فقال : يا أبا عبد الله ! إني شربتُ البارحة نبيذاً فلا أدري طلقت امرأتي أم لا ، قال : اذهب فراجعها فإن كنت قد طلقتها فقد راجعتها وإن لم تك طلقتها لم تَضُرّك المراجعة شيئاً ، ثم أتى شريك بن [1] عبد الله ، فقال : يا أبا عبد الله ! إني شربت البارحة نبيذاً ولا أدري طلقت امرأتي أم لا ، قال : اذهب فطلقها ثم راجعها ، ثم أتى زُفَر بن الهذيل [2] ، فقال : يا أبا الهذيل ! إني شربت البارحة نبيذاً ولا أدري طلقت امرأتي أم لا ، قال : سألت غيري ؟ قال : أبا حنيفة ، قال : فما قال لك ؟ قال : المرأة امرأتك حتى تستيقن أنك قد طلقتها ، قال : الصواب قال ، قال : فهل سألتَ غيره ؟ قال : سفيان الثوري ، قال : فما قال لك ؟ قال : اذهب فراجعها فإن كنت قد طلقتها

---

(١) هو شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي الكوفي القاضي ، ولد ببخارى سنة ٩٠ هـ ، وولي القضاء بواسط سنة ١٥٥ هـ ، وبها توفي سنة ١٧٧ هـ ، انظر المعارف ٥٠٨ ، تذكرة الحفاظ ٢١٤/١ .

(٢) هو زفر بن الهذيل بن قيس ، من بني العنبر ، وكان قد سمع الحديث ، وغلب عليه الرأي ، وتوفي بالبصرة ، انظر المعارف ٤٩٦ .

فقد راجعتها وإن لم تك طَلَّقْتها لم تضرك المراجعة شيئاً ، قال : ما أحسن ما قال ! قال : فهل سألتَ غيره ؟ قال : شريكَ بن عبد الله ، قال : فما قال لك ؟ قال : اذهب فطلقها ثم راجعها ، فضحك زفر وقال : لأضربنَّ لك مثلاً ، رجل مرَّ بمثعب يسيل فأصاب ثوبه ، قال لك أبو حنيفة : ثوبُك طاهر وصلاتك تامة حتى تستيقن أمر الماء ، وقال لك سفيان : اغسله فإن يك نجساً فقد طَهُر ، وإن يك نظيفاً زاد نظافة ، وقال لك شريك : اذهب فبُلْ عليه ثم اغسله .

(حذف ألف الاستفهام)

قال القاضي : في هذا الخبر : ولا أدري طلقت امرأتي أم لا ، والفصيح ولا أدري أطلقت ، غير أنه قد جاء في مواضع بغير الف اكتفاء بدلالة أم ، قال امرؤ القيس [(١)] :

تَرُوح من الحَيِّ أم تَبْتَكِــرْ ... وماذا يَضُرُّك لَوْ تنتظِــر

وقال آخر :

لَعَمْرُك ما أدري وإن كنتُ داريـا
شُعَيْبُ بنُ سَهْم أم شُعَيبُ بنِ مِنْقَرِ [(٢)]

وقال ابن أبي ربيعة [(٣)] :

---

(١) البيت التالي في ديوانه ١٥٤ برواية : وماذا يضرك أن تنتظر .

(٢) البيت للأسود بن يعفر التيمي ، انظر كتاب سيبويه ٤٨٥/١ ، والشاهد فيه حذف ألف الاستفهام ضرورة لدلالة أم عليها ، ولا يكون هذا إلا على تقدير الألف لأن قوله : ما أدري يقتضي وقوع الألف وأم مساوية لها والمعنى : ما أدري أشعيث بن سهم أم شعيث بن منقر ، وروى شعيب بالياء كما هنا ، وهم من بني منقر ، وشعيث حي من تيم ثم من بني منقر ، فجعلهم أدعياء ، وشك في كونهم منهم أو من بني سهم ، هذا وقد ورد البيت دون نسبة في مغني اللبيب ٥٥ ، شرح الأشموني ١٠١/٣ ، اللسان ٤٦٧/٢ .

(٣) البيت التالي في ديوانه ٢٩٩ .

فوالله ما أدري وإن كنت داريــــاً
بسبع رَمَيْن الجَمْر أم بِثَمَـــانِ

وقد أجاز قوم حذف ألف الاستفهام وإن لم تكن أم في الكلام ، وتأولوا مثل هذا في القرآن ، كقوله ﴿هَـٰذَا رَبِّي﴾ (١) واستشهدوا بقول الهذلي (٢) :

رَفَوْني وقالوا يا خُوَيلدُ لِمْ تُـــرَع
فقلتُ وأنكرتُ الوُجُوهَ :هُمُ هُمُ ؟

وقول ابن أبي ربيعة (٣) :

ثم قالوا : تُحِبُّها ؟ قلــت : بَهْـــراً
عددَ الرَّمْلِ والحصى والتُّرابِ

وأنكر هذا بعض نُظّار النحويين ،إذ فيه عنده التباس الخبر والاستخبار ، وقال : الأبيات على الخبر دون الاستفهام .

---

(١) سورة الأنعام الآية ٧٧ .
(٢) هو أبو خراش الهذلي خويلد بن مرة ، انظر بيته التالي في ديوان الهذليين ١٤٤/٢ ، اللسان ٤٩٦/٩ ، والرواية فيهما : لا ترع بدل لم ترع .
رفوني : أي سكنوني وطمأنوني ، ولا ترع : لا تخف ، وكان أبو خراش قد أمر بمصاحبة زوج أبيه لكي تحج ، فأوصلها إلى مكة ثم انتظرها خارجها خشية قوم قد وترهم ، وحذرها بألا تذكر عنه حرفاً ، إلا أن أحدهم رآها فخدعها بأنه جار لهم حتى عرف منها مكانه ، ولما عادت عرف أبو خراش منها ذلك وتيقن أنهم سيتبعونه ، فلم يكن له همة إلا أن ينجي زوج أبيه ، فأركبها بعيراً ناجياً وطلب منها الإسراع ، ثم وقف على مقربة منهم حتى أطمعهم فيه وتركوا المرأة تذهب ، ثم أحاطوا به وأخذوا يسكنون من روعه ، ولما تأكد له أن المرأة قد فاتتهم حاورهم ثم أعجزهم هرباً حتى عاد إلى مضارب قبيلته ، انظر القصة بالتفصيل في ديوان الهذليين ١٤٢/٢ ، ١٤٣، والشاهد في البيت : حذف ألف الاستفهام ، والتقدير : أهم هم ؟
(٣) ديوانه ٣٠ .

وقد أحسن زُفَر في فصله بين هؤلاء الثلاثة فيما أفْتَوا به في هذه المسألة وفيما ضربه لسائله من الأمثل ، وأما قول أبي حنيفة فهو محضُ النظر ومَرُّ الحق ، ولا يجوز أن يحكم على امرئٍ في زوجته بطلاقها بعد صحة زوجيتها ، ويقين العلم بثبوت النكاح بينه وبينها ، بظنٍّ عَرَض له وحُسْبان أنه أوقع الطلاق في حالٍ يتغير فيها الفهم ، ويزولُ معها التمييز ، وهو أبعد عند ذوي الأفهام ، من أضغاث الأحلام ، ورؤيا الراقد في المنام ، من حال الصحة التي تلزم فيها الأحكام، وتجري فيها الأقلام ، فأمّا ما قال سفيانُ الثوري فإنه أشار بالاستظهار والتوقفة والأخذ بالحزم والحيطة وهذه طريقة أهل الورع المتقين ، وذوي الاستقصاء على أنفسهم من أهل الدين ، وفُتيا أبي حنيفة في هذا عين الحق وجُلُّ الفقه ، وأي هاتين المحجتين سلك من نزلت به هذه النازلة ، وعرضَتْ له هذه الحادثةُ فهو مُصيبٌ محسن على ما بينا فيها من الفضل بين المنزلتين ، وأما ما أفتى به شريك وتعجّب زُفر منه واقع في موقعه ، ولا وجه في الصحة لما أشار به ، وقد أصاب زُفرٌ أيضاً في المثل الذي ضربه له ، وأرى أن شريكاً تَوهّم أن الرجعة لا تتحقق إلا مع تحقق الطلاق ، فأمر باستئناف تطليقة لتصح الرجعة بعدها ، وهذا ما لا يحيل فساده ، ولو كان كما نرى أنه توهمه لما أثرت الرجعة إلا في التطليقة التي أوقعها وتيقنها دون التي أشفق من تقدمها وهو على غير يقين منها ، ولو أن رجلاً وكّل رجلاً في طلاق زوجته ، ثم غاب الوكيل فأشفق من تطليقه إياها عليه ، وأشهد على رجعتها وهو غير عالم بوقوعها ، ثم تبين أنها وقعت قبل مراجعته لصحّت رجعته ، وكذلك لو كتب إلى زوجته بطلاقها إذا وصل إليها كتابه ، ثم أشهد على الرجعة بعد الوصول وقبل انقضاء العدة ، لكانت الرجعة صحيحة لوقوعها بعد الطلاق الذي لم يكن عالماً به .

المجلس الحادي والعشرون

(حديث : إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم)

حدثنا محمد بن علي بن إسماعيل الأبلي ، قال : حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن خلف الجيلاني ، قال : حدثنا أبي : قال : حدثنا محمد بن إبراهيم بن ذي حمام ، عن عليّ بن الفضل الحنفي ويكنى أبا الفضل ، عن زيد ، عن عبد الله بن سعيد ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم لن تَسَعُوا الناس بأموالكم ولكن يَسَعُهم منكم بَسْطُ الوجه وحُسْنُ الخُلق »[1] .

(التعليق على الحديث)

قال القاضي : هذا الذي ذكره رسول الله ﷺ من أحسن الكلام وألطفه ، وأبلغ بيان وأشرفه ، ولقد أرشد أمته إلى الحاضر المتيسر ، والموجود الذي ليس بمستصعب ولا متعذر ، وقد جاء عنه وعن السلف بعده في حسن الخلق ، وبسط الوجه ، وتوطئة الكَنَف ، وجميل المعاشرة ،

---

(١) الحديث الشريف في مجمع الزوائد ٢٢/٨ : كتاب الأدب ، باب ما جاء في حسن الخلق ، والرواية فيه « إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ، ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق » . قال : رواه أبو نعيم في الحلية ، والبيهقي في الشعب .

وكريم الصحبة ، ما يطول ذكره ويتعب جمعه ، وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « إنّ الرَّجُل ليدرك بحُسْن خلقه درجة الصائم القائم ، وإنّ خير ما أوتي المرء بعد الإيمان بالله عز وجل خُلُق حَسَن » وجاء عنه ﷺ أيضاً في ذم سوء الخلق ما يطولُ ذكره ، وأمر هذين الخلقين في فضله وحسنه ، ونقض الآخر وقبحه، بين عند خواص العاقلين وعوام المتميزين، من أن يحتاج إلى الإطناب فيه والإسهاب في الاستشهاد عليه ، وفقنا الله وإياكم من الأخلاق لكل ما يحمد ويُستحسن ، وأعاذنا مما يذمّ ويستهجن ، فلن ندرك خيراً إلا بفضله ومعونته ، ولن ندرأ شَرّاً إلا بحوله وقوته .

(عيش الفقراء وحساب الأغنياء)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا أبو حاتم ، عن العتبي ، عن سعيد ، قال : سمعتُ أعرابياً ، يقول : عجباً للبخيل المتعجل للفقر الذي منه هرب ، والمؤخِّر للسَّعَة التي إياها طلب ، ولعله يموت بين هربه وطلبه ، فيكون عيشه في الدنيا عيش الفقراء، وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء ، مع أنك لم تر بَخيلاً إلاّ وغيره أسعد بماله منه ، لأنه في الدنيا مهتمٌّ بجمعه ، وفي الآخرة آثم بمنعه ، وغيره آمن في الدنيا من همّه ، وناج في الآخرة من إثمه .

قال القاضي : وفيما حكى لي من منثور كلام ابن المعتز : بَشِّرْ مال البخيل بحادث أو وارث (١) ، ومن منظومه :

يا مَالَ كُلِّ جامعٍ ووارث
أبْشِر بريبِ حادثٍ أو وَارِثِ

(١) انظر هذه العبارة والبيت في الأوراق ، قسم أشعار أولاد الخلفاء ٢٩٦ وفيه : بئس مال البخيل .. الخ وهي تصحيف ، وانظر ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان ٤٨٨ .

(سبب نكبة أبي أيوب المورياني وزير المنصور)

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا أبو الفضل العباس بن الفضل الربعي ، قال : حدثني أبي : قال : كان أبو جعفر المنصور في بعض أسفاره في أيام بني أمية تزوج امرأة من الأزد بالموصل عن ضُرٍّ شديد أصابه حتى أكرى نفسه مع الملاّحين يمدُّ في الحبل ، حتى انتهى إلى الموصل أو فَعَل ذلك لأمر خافَه على نَفْسه ، فتنكر وأكرى نفسه في مَدَادِي السّفن ، فخطب هذه المرأة ورَغّبها في نفسه ، ووعدها ومناها وأخبرنا أنه نَابِهُ القَدْر ، وأنه من أهل بيت شرف ، وأنها إن تزوجته سَعِدَتْ به ، فلم يزل يُمَنِّيها بهذا وشبهه حتى أجابته وأقام معها ، وكان يختلف في أسبابه ويجعل طريقه عليها بما رزقه الله عز وجل ، ثم اشتملتْ على حَمْل ، فقال لها : أيتها المرأة ! هذه رُقْعةٌ مختومة عندك لا تَفْتَحيها حتى تضعي ما في بطنك ، فإن ولدت ابناً فسمِّيه جعفراً وكَنِّيه أبا عبد الله ، وإن ولدت بنتاً فسمِّيها فلانة ، وأنا عبد الله بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، فاسْتُري أمري فإنّا قومٌ مطلوبون ، والسلطان إلينا سريع ، وودّعها وخرج ، فقُضي أنها ولدتْ ذكراً وأخرجت الرقعة وقرأت النسب فسمته جعفراً وضرب الدهر على ذلك ما تسمع له خبراً ، ونشأ الصبي مع أخواله وأهل بيت أمه ، وكان كَيِّساً ذَهِناً لَقِناً (١) واستخلف أبو العباس (٢) فقيل للمرأة : إن كنت صادقة في رقعتك وكان من كتبها صادقاً فإن زوجك الخليفة أمير المؤمنين ، قالت : ما أدري صفوا لي صفة هذا الخليفة ، قالوا : غلامٌ حين اتصل وجهه ، قالت : ليس هو هو ، قيل : فاستري إذاً أمرك ، ولم يلبث أبو العباس أن مات واستحق عندها اليأس ، وأقبل ابنها على

---

(١) لقناً : أي عاقلا ذكياً .

(٢) أبو العباس : يعني أبا العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين .

الأدب فتأدب وظَـرُفَ وكتب ونزعت به همته إلى بغداد ، فدخل ديوان أبي أيوب كاتب المنصور ، وانقطع إلى بعض أهله فأتى عليه زمان يتقوّت الكتب ويتزيد في أدبه وفهمه وخطه ، حتى بلغ أن صار يكتب بين يدي أبي أيوب ، إلى أن تهيأ أن خرج خادم يوماً إلى الديوان يطلب كاتباً يكتب بين يدي المنصور ، فقال أبو أيوب للغلام : خُذْ دَوَاتَك وقم واكتب بين يدي أمير المؤمنين ، فدخل الغلامُ فكتب وكانت تتهيأ من أبي جعفر إليه النظرة بعد النظرة يتأمله ، وألقيت عليه محبته واستجاد خطه واسترشق فهمه ، فلبث زماناً لا يزال الخادم قد خرج فيقول : يا غلام خذ دواتك وقم واكتب بين يدي أمير المؤمنين، واستراح أبو أيوب إلى مكانه، ورأى أنه قد حَمَل عنه ثقلاً ، وبرَّ الغلامَ ووصله وكساه كُسْوةً تصلح أن يَدْخُل بها إلى أمير المؤمنين ، ثم إن أبا جعفر قال للغلام يوماً : ما اسمك ؟ قال : جعفر ، قال : ابن من ؟ فسكت متحيراً ، قال : ابن من ويحك ؟ قال : ابن عبد الله قال : فأين أبوك ؟ قال : لم أره ولم أعرفه ، ولكن أمي أخبرتني أن أبي شريف ، وأن عندها رقعة بخطه فيها نسبه ، عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، فساعة ذكر الرقعة تغير وجه المنصور ، فقال : وأين أمك ؟ قال : بالموصل ، قال : وأين تنزلون ؟ قال : في موضع كذا ، قال : فتعرفُ فلاناً ؟ قال : نعم هو إمام مَسْجِد مَحلَّتنا ، قال : أفتعرف فلاناً ؟ قال : نعم بَقّالٌ في سكتنا ، فلما رأى الغلام أبا جعفر ينزع [1] بأسماء قوم يعرفهم أدركته هيبةٌ له ، وجَزَع وتَدَمَّعَ ، فأدركت أبا جعفر الرقة عليه فلم يتمالك أن قال : فلانة بنت فلان من هي منك ؟ قال : أمي ، قال : ففلانة ؟ قال : خالتي ، قال : ففلان ؟ قال : خالي ، فضمه إليه وبكى ، وقال : يا غلام ! لا يعلمنّ أبو أيوب ولا أحد من خلق الله تعالى ما دار بيني وبينك ، انظر انظر احذر احذر ، فنهض الغلام فخرج ، فقال له أبو

(١) ينزع : أي يتسبب بذكر هذه الأسماء .

أيوب لقد احتبستَ عند أمير المؤمنين ، قال : كتبتُ كتباً كثيرة وأملّها علي ، قال : فأين هي ؟ قال : جعلها نسخاً يتردّدُ فيها حتى يُحْكمها ثم تخرج إلى الديوان ثم إن أبا جعفر جعل يقول في بعض الأيام لأبي أيوب : هذا الغلام الذي يكتب بين يدي كيس فاستوص به ، قال : فاتّهم أبو أيوب الغلامَ أنه يُلْقِي إلى أبي جعفر الشيء بعد الشيء من خبره ، ثم لم يلبث أن سأله عنه مرة بعد مرة فقُذِف في قلب أبي أيوب بُغْضُ الغلام ، وأنه يقوم مقامه إن فقده أبو جعفر ، وقذف في قلبه أنه يسعى عليه وأنه يخرج أخباره ، فجعل إذا خرج الخادم يطلب كاتباً بعث معه غيره وأبو جعفر يزداد ولهاً إلى الغلام ويجن جنوناً وليس يمنعه من إدنائه وإظهار أمره إلاّ لأمر يريده ، فلما رأى أن أبا أيوب يحبسه عنه عناداً ، قال للخادم : اخرج إلى الديوان فجئني بفلان الغلام الذي كان يكتب بين يديّ ، فإن بعث معك أبو أيوب بغيره فقل : لا ، أمرني أمير المؤمنين ألا يدخل عليه غيره ، ففعل الخادم ذلك فاستحق في قلب أبي أيوب ما حذره وحَدَّثَتْه به نفسه ، فقال الغلام : يا أمير المؤمنين — جعلني الله فداك — قد تعرفت من أبي أيوب البغض والاستثقال بمكاني ، وله غوائل لا يحيط بها علمي وأنا أخافه على نفسي ، فقال له أبو جعفر : بارك الله عليك ، فما أخطأت الذي في نفسي وهذا كله يا بني قد جال في صدري ، فإذا كان غد فتعرض لأن يغلظ لك ، فإذا أغلظ فقم فانصرف كأنّك مغضب ، ولا تعد إلى الديوان واجعل وجهك إلى أمك ، وأوصل إليها هذا العقد وهذا الكيس وكتابي هذا ، واحمل أمك ومن اتبعها من قرابتك وأقبل فانزل موضع كذا ، فإني منفذ إليك خادماً يتفقد أمورك ويعرف خبرك ، ولا تطلِعَنّ أحداً من الخلق طَلْع ما معك ، وامض بهذا المال وبهذا العقد وأحرزه أولاً قبل رجوعك إلى الديوان ، ثم قال للخادم : أخرجه من باب كذا وكذا ، فخرج الغلام فأحرز ما كان معه ثم رجع إلى الديوان ، وأبو أيوب في فكره من احتباسه عند المنصور ، ورجع الغلام

بوجه بهج مسرور لا يخفي ذلك عليه وظهور الفرح في وجهه وشمائله ، فقال أبو أيوب : أحلفُ بالله لقد رجع هذا الغلام بغير الوجه الذي مضى به ، ولقد دار بينه وبين أمير المؤمنين من ذكرى ما سرّه ، واستشعر الوحشة منه وصرف أكثر عمله عنه ، ثم لم يلبث أن أغلظ له ، فقال الغلام : أنا إنسان غريب أطلب الرزق وأنت تستخِفُّ بي ، فكأني قد ثقلت عليك فأنتحي عنك قبل أن تَطْرُدني ، ثم قام فانصرف وافتقده أبو أيوب أياماً ، ورأى أن أبا جعفر لا يسأل عنه ولا يذكره ، ثم إن نفس أبي أيوب نازعته إلى علم حقيقة خبره ، فأرسل من يسأل عنه في الموضع الذي كان نازلاً فيه ، فقيل له : إنه قد تهيأ للسفر وتجهز جهازاً حسناً وشخص إلى أهله بالموصل ، فقال أبو أيوب في نفسه: ومن أين له ما يتجهز به؟وكم مبلغ ما ارتزق معي وارتفق به [1] ؟ لهذا الأمر نبأ ، وجعلت نفسه تزدادُ وحشة منه ومن خبره إلى أن قيل له: قد كان أبو جعفر وصله بمال ووهب له شيئاً ، فقال في نفسه : هذا الذي ظننت وقد ربصه لمكاني [2] وينبغي أن يكونَ استأذنه في أن يخرج إلى أهله فيلم بهم ثم يرجع إليه فيقلّده مكاني ، فقال لرجل من أصحابه : اخرج إلى طريق الموصل ثم أعط صفة الغلام منزلاً منزلاً حتى تأتي الموصل قرية قرية براً وبحراً ، فإذا عرفتَ موضعه فاقتله وجئني بما معه ، فشخص وتهيأ ، ثم إن الغلام لما خرج عن بغداد رأى أنه قد أمن فقصر في مسيره ، وكان يقيم في الموضع فيستطيبه اليوم واليومين والأكثر والأقل ، فلحقه رسول أبي أيوب وعرفه ، فباتا بقرية فقام إليه الرسول فخنقه وطرحه في البئر وأخذ خُرجَه وخرائط كانت معه ، وركب دابّة له ورجع إلى أبي أيوب وسلّم ذلك إليه وشرح الخبر له ، ففتش متاعه أبو أيوب فإذا المال والعقد فعرفه ، وإذا كتاب المنصور بخطه إلى أمه فوجم أبو أيوب وندم وعلم أنه قد عجل وأخطأ ، وأن

---

(1) ارتفق به : انتفع واستعان .
(2) ربصه مكاني : أي انتظر ما يحدث لي حتى يضمه مكاني .

الخبر لم يكن كما ظن ، وعزم على الحلف والمكابرة إن عثر على شيء من أمره ، وأبطأ خبر الغلام على أبي جعفر ، واستبطأه في الوقت الذي ضرب له ، فدعا خادماً من ثقاته ورجلاً من خاصته ، فقال لهما : استقرئا المنازل إلى الموصل منزلاً منزلاً وقرية قرية ، وأعطيا صفة الغلام حتى تدخلا الموصل ، ثم اقصدا موضع كذا من الموصل فسلا عن فلانة ، ووصف لهما كل ما أراد ففعلا ، فلما انتهيا إلى الموضع الذي أصيب فيه الغلام أُعْلِما خبره ، وذكروا الوقت الذي أصيب فيه فإذا التاريخ بعينه ، ثم مضيا إلى الموصل فسألا عن أمه فوجداها أشدَّ خلق الله تعالى وَلَهاً إلى ابنها ، وحاجة إلى علم خبره ، فأطلعاها طلع حاله ، وأمراها أن تستر أمرها ، ثم رجعا إلى أبي جعفر بجملة خبره ، فكادت أمه أن تقتل نفسها ولم تُرِد الدنيا بعده ، وكان المنصور يذكُره فيكادُ ذِكره يصدع قلبه ، وأجمع أبو جعفر على الإيقاع بأبي أيوب عند ذلك ، فاستصفى ماله ومال أهل بيته ، ثم قتلهم جميعاً وأباد عصراءهم [1] ، وكان إذا ذكر أبا أيوب لعنه وسبه ، وقال : ذاك قاتل حبيبي .

(جميل وقول أحدهم فيه : لن يفلح هذا أبداً)

حدثني أبو المنذر ، قال : حدثني شيخٌ من أهل وادي القرى [2] ، قال : لما استعدى آل بثينة مروان بن الحكم على جميل [3] وطلبه رِبْعِيٌّ

---

(١) عصراؤهم : أي كل من التجئوا إليهم ولاذوا بهم .

(٢) وادي القرى : هو واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتحه عنوة سنة سبع من الهجرة وكان غالب أهله من اليهود فأجلاهم عمر رضي الله عنه وهو الآن تابع للمدينة ، انظر معجم البلدان ٨٧٨/٤ .

(٣) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري ، شاعر فصيح مقدم جامع للشعر والرواية عشق بثينة بنت حبأ بن ثعلبة وكان ابن خالتها إلا أن ابن عمها وكان يسمى نبيهاً سبقه إلى خطبتها وساق في ذلك مهراً كثيراً فزوجوه منها ، فظل جميل بعد ذلك مولها بحبها يقول الشعر في ذلك حتى اشتهر بها فيقال جميل بثينة ، انظر أخباره وأشعاره في الأغاني ٩٠/٨ ، مختار الأغاني ٢٣٣/٢ — ٢٧٥ .

ابن دجاجة العبدي [١] صاحب تيماء [٢] هرب إلى أقاصي بلادهم ، فأتى رجلاً من بني عذرة شريفاً وله بنات سبع كأنهن البدور جمالاً ، فقال : يا بناتي ! تحلّيْن بجيد حُليكن والبسن جيد ثيابكن ثم تعرضن لجميل فإني أنفس على مثل هذا من قومي ، فكان جميل إذا تزيَّنَّ ورآهن أعرض بوجهه فلا ينظر إليهن ، ففعلن ذلك مراراً وفعله جميل ، فلما علم ما أريد بهن أنشأ يقول :

حَلَفْتُ لكي تَعْلَمْنَ أنّيَ صادقٌ
ولَلصدقُ خَيْرٌ في الأمورِ وأنْجَحُ
لتكليمُ يومٍ من بُثَيْنَة واحـد
ورؤيتُها عندي ألذُّ وأصلـحُ
من الدهر أو أخْلُو بِكُنَّ وإنما
أعالجُ قلباً طامحاً حيث يطمحُ

قال : فقال لهن أبوهن : ارجعن ، فوالله لا يفلح هذا أبداً [٣] .

(أبو إسحاق الفزاري يردُّ على اتهام الرشيد له)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني محمد بن المرزبان ، قال : حدثنا يزيد بن محمد المهلبي ، قال : حدثنا الأصمعي ، قال : كنت جالساً بين يدي هارون الرشيد أنشده شعراً ، وأبو يوسف القاضي جالس

---

(١) اسمه في الأغاني : عامر بن ربعي بن دجاجة ، وورد اسمه في المختار : دجاجة بن ربعـي .

(٢) تيماء : بليدة في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق ، كان يسكنه اليهود ، وبه حصن تيماء الشهير الذي كان للسموءال بن عادياء ، وقد أجلاهم منها عمر رضي الله عنه حين أجلى اليهود عن جزيرة العرب ، انظر معجم البلـدان ٩٠٧/١ .

(٣) انظر هذا الخبر في مصارع العشاق ٢٨٠ .

على يساره ، فدخل الفضل بن الربيع ، فقال : بالباب أبو إسحاق الفزاري [١] ، فقال : أدخله ، فلما دخل قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال له الرشيد: لا سلّم الله عليك ولا قرّب دارك ولا حيّا مزارك ، قال : لم يا أمير المؤمنين ؟ قال : أنت الذي يحرم لبس السواد ، قال : يا أمير المؤمنين ، من أخبرك بهذا ؟ لعل ذا أخبرك ؟ وأشار إلى أبي يوسف — فعلى هذا لعنة الله وعلى أستاذه من قبله ، والله يا أمير المؤمنين لقد خرج إبراهيم [٢] عَلَى جَدِّك المنصور فخرج أخي معه ، وعزمت على الغزو فأتيت أبا حنيفة فذكرت ذلك له ، فقال لي : مخرج أخيك أحب إليّ مما عزمت عليه من الغزو ، ووالله ما حرّمت السواد . فقال الرشيد : فسلّم الله عليك وقرّب دارك وحيّا مزارك ، اجلس يا أبا إسحاق ، يا مسرور ! ثلاثة آلاف دينار لأبي إسحاق ، فأتى بها ووضعها في يده وخرج وانصرف ، فلقيه ابن المبارك فقال : من أين أقبلت ؟ فقال من عند أمير المؤمنين ، وقد أعطاني هذه الدنانير ، وأنا عنها غنيّ ، قال : فإن كان في نفسك منها شيء فتصدق بها فما خرج من سوق الرافقة حتى تصدّق بها كلها .

(كأس أم حكيم) [٣]

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثني عون بن محمد الكندي ،

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة الفزاري ، صاحب السير ، وكان خيراً فاضلا ، إلا أنه كان يغلط في حديثه ، توفي بالمصيصة قرب طرسوس سنة ١٨٨ هـ ، انظر المعارف ٥١٤ .

(٢) يعني به إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكان قد خرج هو وأخوه محمد علي أبي جعفر وغلبا على المدينة ومكة والبصرة ، فبعث إليهما عيسى بن موسى فقتل محمداً بالمدينة وقتل إبراهيم ببخارا على ستة عشر فرسخاً من الكوفة ، انظر المعارف ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٣) هي أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ، وأمها زينب =

قال حدثنا إبراهيم بن إسماعيل ، أبو أحمد إبراهيم ، قال : ركب الرشيد يوماً بَكِراً فنظر إلى محمد الأمين [1] يميلُ به سرجه ، فقال : ما أصارك إلى هذا يا محمد ؟ قال : أصارني إليه البارحة :

عَلِّلاَني بعاتقاتِ الكُرُوم واسْقِيَاني بكأسِ أمَّ حَكِيم [2]

قال : فانصرفْ يا محمد ، فلما رجع الرشيد وجّه إليه بخادم ومعه كأس أم حكيم ، وكان كأساً كبيراً فِرْعُونياً ، قد جعل فيه طَوْقُ ذهبٍ ومقبض من ذهب ، فإذا هو مملوء دنانير ، وقال له : يقول لك أمير المؤمنين بعثتُ إليك بالذي أسهرك لتشرب فيه وتنتفع بما يصل معه ، قال : فأعطى الخادم قبضة من دنانير ، وفرق نصفه ما فيه على جلسائه وأعطى النصف خازنه وشرب في القدح ثلاثة أرطال رطلاً بعد رطل وردّه ، فكان مبلغ الدنانير عشرة آلاف دينار .

(متى يقال : الليلة الماضية ، ومتى يقال : البارحة)

قال القاضي : جاء في هذا الخبر أن الأمين قال : بَكِراً أصابني

= بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، كانت هي وأمها من أجمل نساء قريش ، وكانت قريش تسمى أم حكيم : الواصلة ، لأنها وصلت الجمال بالكمال ، تزوجت عبد العزيز ابن الوليد بن عبد الملك في حياة جده ، ثم طلقها فتزوجها هشام بن عبد الملك ، وكانت أم حكيم مدمنة على الشراب لا تكاد تفارقه ، ولها كأس خاص كانت تشرب فيه هو الذي سيذكره المؤلف ، انظر مختار الأغاني ١/٣٨٧ .

(١) الواقع أنه لم يكن محمداً الأمين الذي حدثت معه هذه القصة بل هو محمد بن الجنيد الختلي ، وكان محمد أحد أصحاب الرشيد ، ومن يقدم دابته ، انظر مختار الأغاني ١/٣٩١ ، ومن المستبعد أن يكون الأمين قد ظهر بمظهر المخمور أمام أبيه ، وكلمه أبوه بهذا الكلام .

(٢) البيت ضمن ثلاثة أبيات للوليد بن يزيد ، وبعده :

إنهـا تشرب المدامة صرفاً في إناء من الزجـاج عظيم
جنبـوني أذاة كـل لئيم إنـه ما علمت شر نديـم

انظر المرجع السابق .

البارحة ، وهذا كلام مستفيض في العامة إطلاقهم إياه في خطابهم وفيما يروونه عن غيرهم ، فأما أهل العلم بالعربية فيذهبون إلى أنه يقال في أول النهار إلى زوال الشمس لليلة الماضية كان كذا وكذا الليلة ، فإذا زالت الشمس قالوا حينئذ : البارحة ، وفي هذا الخبر ذكر الكأس ، وقد ذهب قوم إلى أنها اسم للخمر واسم للإناء ، قال الله تعالى ذكره : ﴿ يطافُ عليهم بكأسٍ من مَعِين ، بيضاء لَذَّةٍ للشّارِبين ﴾ [1] وقيل إنها في قراءة عبد الله : صفراء [2] ، وقال الفراء : الكأس : الإناء بما فيه ، فإذا أخذ ما عليه وبقي فارغاً رجع إلى اسمه إن كان طَبَقاً أو خُوَاناً أو غير ذلك ، وقال بعض أهل التأويل [3] : الكأس الخمر ، قال الله عز وجل : ﴿إنِ الأبْرَارَ يَشْرَبُون من كأسٍ كان مَزَاجُها كَافُوراً ﴾[4] وقال جَلَّ ذِكْرُه :﴿وَيُسْقَوْن فيها كأساً كَانَ مِزَاجُها زَنْجَبِيلاً ﴾[5] وأنشد أبو عبيدة :

وما زَالَتِ الكَأسَ تَغْتَالُنَا ... وتَذْهَب بالأوّلِ الأوّلِ [6]

وقال الأعشى [7] :

وكأسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ ... وأُخْرى تَدَاويتُ مِنْها بها

---

(١) سورة الصافات الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .
(٢) انظر تفسير القرطبي .
(٣) القول التالي هو قول أبي حاتم السجستاني والأصمعي ، انظر اللسان ٧٢/٨ .
(٤) سورة الإنسان الآية ٥ .
(٥) سورة الإنسان الآية ١٧ .
(٦) البيت لأبي محمد التيمي عبد الله بن أيوب ، انظره في الأغاني ٤٤/٢٠ ، واللسان ٢٣/١٤ ، والغول : الصداع وقيل : السكر ، وفسر به قوله تعالى : « لا فيها غول » ، والغول أن تفتك عقولهم ، وتوصل إليهم شراً ، انظر تفسير القرطبي ٥٥٢/٣ .
(٧) ديوانه ٢٤ .

وقال آخر [1] :

ومَنْ لَم يَمُت عَبْطَةً يَمُتْ هَرَما
الموت كَأْسٌ والمرءُ ذَائِقُهـــا

العبطة : أن يموت الرجل من غير علة ، ومن هذا قولهم : دَمٌ عبيط إذا كان طرياً قد خرج من جسم صحيح ، وقال أبو حاتم السجستاني : لا يقال للموت كأس ، قال القاضي : وهذا خطأ منه ، قد يضاف الكأس إلى المنية ، وقد توصف المنية بأنها كأس كما توصف بأنها رَحَى ، ويضاف إليها الرّحى فيقال : المنية رحى دائرة على الخلق ، وللمنية على الناس رَحَىً دائرة ، وللموت كأسٌ مرة ، والموت كأس كريهة ، ويقال شرب فلان كأس المنية ، فيضاف الكأس إليها ، قال مهلهل :

ما أُرَجِّي العيشَ بعـــد نَدَامَي
قد أُراهُمُ سُقُوا بكأس حَلاَقِ [2]

أي بكأس المنية ، لأن حلاق من أسماء المنية بمنزلة حَذَام وقطام ، ورواه بكأس خلاق بالخاء فقال : يعني بكأس تصيبهم من الموت وهذا أكثر وأشهر من أن يخيل على عالم بالعربية ، وأعجب بذهابه على أبي حاتم مع سعة معرفته ، ولكنهم بشر وأنى إنسان يحيط بالعلم كله ولا يخفى عليه شيء من جَلِيِّه فضلاً عن غامضه وخَفِيِّه ، وقد قال الشاعر في هذا المعنى :

أين القرون التي عن حَظِّها غَفَلَتْ
حتّى سَقَاها بكأسِ المَوْتِ سَاقِيها [3]

---

(١) البيت التالي لأمية بن أبي الصلت كما ذكر الأصمعي في اللسان ٧٢/٨ ، وينسب أيضاً لبعض الحرورية برواية : والمرء ذائقه ، اللسان ٧٣/٨ .

(٢) البيت في اللسان ٧٢/٨ ، ١١ ، ٣٥٢ .

(٣) البيت مع بيت آخر دون نسبة في البيان والتبيين ١٢٠/١ ، وذكر أنهما وردا في خطبة لعبد الله بن الحسن العنبري .

وقال السجستاني : في البيت الذي فيه الموت إنما هو الموتُ كأس ، قال : وقطع ألف الوصل لأنها في مبتدأ النصف الثاني وهذا يحتمل ، وقال : أنشدناه الأصمعي لبعض الخوارج ، وقال : ليس لأمية بن أبي الصلت ، قال القاضي : وقد روت الرواة هذا الشعر لأمية بن أبي الصلت وأما المعنى الذي ذكره السجستاني من تجويز قطع ألف الوصل فقد جاء في الشعر كثيراً كقول الشاعر :

بأبِي امرؤٌ ألشّام بَيْنِي وبَيْنَه
أَتَتْنِي ببِشْر بُرْدُه ورَسَائِلُه

وقال آخر :

إذا جاوز الإثنين سِرٌّ فإنه ... ببَثٌّ وتَكْثِيرِ الوُشَاةِ قَمِينُ (١)

وقال آخر :

ألا لا أرى إثْنَين أَحْسَنَ شِيمَةً
عَلَى حِدْثان الدَّهْر مِنِّي ومِنْ جُمْل (٢)

وأحسن هذا الباب ما كان في الأوائل والأركان والأنصاف قال حسان (٣) :

لتسْمَعُنَّ وشيكاً في ديارِهِمُ ... الله أكبر يا ثارات عثمانا

---

(١) البيت لقيس بن الخطيم ، وهو في ديوانه ٥٥ ، أمالي القالي ٢/٢٠٢ ، لباب الآداب ٢٣ ، حماسة البحتري ٢٢٦ ، الكامل للمبرد ٢/١١٧ ونسبه فيه إلى جميل بن معمر العذري ، والبث : الذيوع والانتشار ، وقمين : حرى خليق ، والشاهد في البيت قطع الهمزة من (الاثنين) في الضرورة .

(٢) البيت في شرح الأشموني ٤/٢٧٣ ، وجمل : اسم امرأة ، والشاهد فيه كالشاهد في البيت السابق وإثبات همزة الوصل للضرورة .

(٣) ديوانه ٦٠ .

(القضاة في نظر أبي يوسف)

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقري ، قال : حدثنا عبد الله بن الحسن الحراني ، قال : حدثنا علي بن الجعد ، قال : سَمِعْتُ أبا يوسف القاضي يقول : ما ولي القضاء أحدٌ أفقهُ في دين الله ولا أقرأُ لكتاب الله ولا أعفُّ عن الأموال من ابن أبي ليلى [1] قال : فقلت : فابْنُ شُبْرُمة [2] ، قال : رجلٌ مِكْثار ، قال عليّ : وولى حفصُ بن غياث [3] القضاء من غير مشورة أبي يوسف فاشتدّ عليه فقال لبشر بن الوليد [4] والحسن اللؤلؤي [5] تتبّعا قضاياه ، فتتبعناها فلما نظر إليها ، قال : هذه قضايا ابن أبي ليلى ، ثم قال لهما : تتبعا الشروط والسِّجِلاّت ففعلا ، فلما نظر فيها ، قال : حَفْصُ بنُ غِياثٍ ونُظَراؤه يعانون قيام الليل .

(كم كان يصلي بهم لو أكلوا اللّوْزِينَج)

حدثنا محمد بن مزيد البوشنجي، قال : سمعت سفيان بن وكيع بن الجراح ، يقول : سمعتُ سفيان بن عيينة ، يقول : دعانا سفيانُ الثوري [6] يوماً فقدّم إلينا تَمْراً ولبناً خاثراً [7] فلما توسّطْنا الأكل قال : قُوموا

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) هو عبد الله بن شبرمة بن الطفيل بن حسان الضبي ، أبو شبرمة الكوفي القاضي ، ولاه أبوجعفر المنصور قضاء الكوفة ، توفي سنة ١٤٤ هـ ، انظر تهذيب التهذيب .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) الكندي القاضي العلامة أبو الوليد ، تفقه على أبي يوسف ، وسمع مالك وطبقته ، وولى قضاء مدينة المنصور ، وكان محمود الأحكام كثير العبادة ، توفي سنة ٢٣٨ هـ ، عن سبع وتسعين سنة ، انظر شذرات الذهب ٨٩/٢ .

(٥) هو أبو علي الحسن بن زياد اللؤلؤي ، مولى الأنصار ، وأحد أصحاب أبي حنيفة الذين رووا عنه ، كوفي نزل بغداد ، وولى القضاء بعد حفص بن غياث سنة ١٩٤ هـ ، وكان يضعف في حديثه ، انظر لسان الميزان ٢٠٨/٢ .

(٦) سبقت ترجمته .

(٧) اللبن الخاثر : الثخين الغليظ .

بنا نُصَلِّي ركعتين شُكْراً لله تعالى قال سفيان بن وكيع : لو كان قدم إليهم شيئاً من هذا اللَّوْزينج [1] المُحْدَث لقال لهم : قوموا بنا نصلي التراويح .

(إغباب الزيارة)

أنشدنا محمد بن أبي الأزهر ، قال : أنشدني محمد بن يزيد المبرد :

عليك بإقْلال الزيارة إنّها
تكون [2] إذا دامَتْ إلى الهَجْرِ مَسْلَكا
فإنّي رأيتُ القَطْرَ يُسْأَمُ دائماً
ويُسْأَلُ بالأيْدِي إذا هو أمْسَكا [3]

قال ابن أبي الأزهر : فأنشدت هذين البيتين أبا بشر البندنيجي بإسكان بني سعيد فقال : هما في شعرٍ طويل ، وأنشدني القصيدة وهي طويلة ، فقلت له : أنشدني المبرد هذين البيتين منذ ثلاثين سنة ، قال : قد قلتهما أكثر من سبعين سنة ، قال القاضي : في نحو هذا المعنى قول أبي تمام [4] :

وطُول مقام المرء في الحيِّ مُخْلِقٌ
لِدِيباجَتَيْه فاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ
فإنّي رأيتُ الشمسَ زيدتْ مَحبّةً
إلى الناس إذْ ليستْ عليهم بسَرْمَدِ

---

(١) اللوزينج : ضرب من الحلوى شبه القطائف ، يؤدم بدهن اللوز .
(٢) سقطت هذه الكلمة من أ .
(٣) نسب البيتان إلى ناصر بن أحمد الخوي في معجم الأدباء ٢١١/١٩ ، وإلى ابن حموش القيسي المقري في وفيات الأعيان ٣٦٤/٤ ، وانظرهما دون نسبة في بهجة المجالس ٢٥٨/١ ، محاضرات الأدباء ١٢١/١ ، التمثيل والمحاضرة ٤٦٣ .
(٤) ديوانه ٥٦ .

ومن البيان الحَسَن في هذا المعنى ، ما رَوي عن النبي ﷺ من قوله : « زُرْ غِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً » [(١)] .

أنشدنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك الشيباني ، قال : أنشدني أبو بكر القرشي ، قال : أنشدني الحُسَيْن بن عبد الرحمن :

هل الدَّهْرُ إلاّ ساعةٌ ثم تَنْقَضِي
بما كان فيها من عَنَاء ومن خَفْضِ
فَهَوْنَك لا تَحْفِل بمَشْنَاةِ عَارِضٍ
ولا فَرْحَةٍ سَرَّتْ فكلتاهُما تَمْضِي

• • •

(١) رواه البزار وأبو نعيم والعسكري في الأمثال والبيهقي في الشعب راجع كشف الخفاء جـ ١ صفحة ٤٣٨ .

المجلس الثاني والعشرون

(فضل العقل)

حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي سعيد ، أبو بكر البزاز ، قال : حدثنا محمد بن عبد النور الحَرّاني ، قال : حدثنا أحمد بن مفضل ، قال : حدثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن عاصم بن ضمرة، عن عليّ رضي الله عنه ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : «إذا تَقَرَّبَ النّاس إلى خَالِقِهم بأنْواع البِرّ فتقرب إليه بأنواع العَقْل ، تسبقهم بالدَّرَجاتِ والزُّلَف عند النّاس في الدنيا وعند الله في الآخرة » .

قال القاضي : وهذا ما يبين به شرف العقل وفضله ، وأن الأعمال الصالحة تَزْكو به ويتضاعف ثواب عاملها بحسب حَظِّهم منه ، وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الرجل ليكون من أهل الصلاة وأهل الصيام وأهل الجهاد ــ حتى عَدّ سهام الخير ــ وما يجازي إلاّ على قَدْرِ عَقْله » [1] وروى عنه ﷺ أنه قال : « ما اسْتَوْدَعَ الله عزّ وجل عَبْداً عَقْلا إلا استنقذه به يوماً ما » .

---

(١) روى قريباً من هذا الحديث في مجمع الزوائد ، كتاب الأدب « باب ما جاء في العقل والعقلاء » ٢٨/٨ ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الصغير والأوسط .

وما روى عن العقل وفضله ، وشرف منزلته ، وعظيم نفعه ، أكثر من أن يحصى .

وقد حدثنا الحارث بن محمد بن أبي أسامة قال : حدثنا محمد بن حسين ، عن عمرو بن حمزة ، قال : حدثنا صالح المري ، عن حسن ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الحكمة تزيد الشَّرِيفَ شَرَفاً ، وترفع العبد المملوك حتّى تجلسه مجالس الملوك » . وإن في هذا ما يُرَغِّب في اقتباس العلم واكتساب الحكمة ورفع المرء قدره عن طبقة العوام، ومنزلة الهَمَج الطَّغام ، فكم ذي علم ومعرفة وحكمة وبصيرة ، قد نَبُه وسَمَا وارتفع وعلا ، وصار متبوعاً مُعَظَّماً وزَعيماً مُقَدَّما ، وكم من ذي قدر وحسب، ومنصب ونسب ، ومال ونشب ، وشرف في أصله ، ومنزلة في أهله ، قد هدم ما بناء له أهله وشيَّدُوه ، وخفض ما رفعوه ، وحَطَّ ما عَلوه وعَمَّدُوه ، وقد روينا أن بعض ولد رُوح بن حاتم بن قُبَيصة بن المُهلّب وُجِد في القبة التي بالبصرة ، وهي التي يُقال لها « خضراء روح » على سُوءة ، فقيل له : وَيْحك أي مَحَلٍّ شَرَفك ؟ ! فقال :

ورثنا المجدَ عن آباءِ صِدْقٍ ... أسأْنَا في دِيَارِهِمْ الصَّنِيعَا[1]

ومما يُستحسن في هذا المعنى قول القائل :

إنَّ الفتى مــن يقول هأنــذا ... ليسَ الفَتَى من يقولُ كان أبي

ولله دَرُّ القائل :

لَسْنَا وإنْ أحْسَابُنَا كَرُمَتْ ... أبداً على الأحساب نَتّكِــلُ
نبني كما كانت أوائلُنــا تبني ... ونفعل مثلَ ما فَعَلُــوا[2]

---

(١) البيت في بهجة المجالس ٥٢٩/١ ، وبعده بيت آخر :

إذا الحسب الرفيع تعاورتــه ... بناة السوء أوشك أن يضيعــا

(٢) ورد البيتان في كامل المبرد ٩٤/١ منسوبين لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن—

وقد رُوينا أن زيد بن علي تَمثّل بهذين البيتين ، ولقد كان رضوان الله عليه من أعلام الأبرار والأئمة الأخيار ، سلك سبيل سلفه ، واقتفى آثارهم فارتفع واعتلى ، وأم أنوارهم فاستبصر واهتدى ، ورفع قواعدَ بنيانهم ، وشيد وثيق أركانهم ، واتّبع سبيلهم في نصرة حزب الإسلام وأوليائه ، ومحاربة حَرْبِ الدين وأعدائه ، وغَضِب لله جل جلاله من طغيان المترفين وعُدوان المُسْرِفين ، فجاهد في سبيل ربه بنفسه ومن أطاعه من أهله المتقين ، وأوليائه من أماثل المسلمين ، وإخوانه في الملّة والدِّين ، وأبدى صفحته ، وبذل في ذات الله ماله وصحبته ، فقضى الله تعالى له بالتوفيق والسعادة ، وختم له بالفوز والشهادة ، ونقله إلى دار كرامته ، وجعل أعداؤه بغرض الانقلاب إلى دار عذابه ونقمته .

حدثنا ابن دريد ، قال : أخبرنا أبو معاذ المُؤدِّب خَلَف بن أحمد ، قال سمعت المازنيّ ينشد :

وَلَرُبَّ ذي مالٍ تــراه مُبَاعــدا
كالكلب ينبــحُ من وراء البــابِ
وترى الأديب وإن دَهَتْه خَصَاصَةٌ
لا يُسْتَخَفُّ بــه على الأبــوابِ

ولقد أحسن ابنُ الرومي في قوله :

فلا تفتخر إلاّ بمــا أنت فاعــلٌ
ولا تحسبن المَجْد يُوَرثُ كالنّسَب
وليس يَسُود المــرءُ إلاّ بفعلــه
وإن عَدَّ آباءً كراماً ذَوِي حَسَب

= أبي طالب ، ونسبا في حماسة أبي تمام ٢٣٩/٢ إلى المتوكل الليثي ، وانظرهما دون نسبة في بهجة المجالس ٥٣٠/١ ، زهر الآداب ٧٩/١ ، نوادر القالي ١١٧ ، ورواية الشطرة الأولى : لسنا وإن كرمت أوائلنا .

إذا العُود لم يُثْمِرْ وإن كان شُعْبَةً
من المُثْمِرات اعْتَدَّه الناسُ في الحَطَب

وهذا باب يتسع ويكثر جمعه ، ولنا فيه رسالة تشتمل على جملة كثيرة منه .

(خبر سعد العشيرة)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرني عمي ، عن أبيه ، عن ابن الكلبي ، عن أبيه ، قال : وَفَدَ سعدُ العشيرة في مائة من ولده إلى بعض ملوك حِمْير ، وكان سعدٌ قد عُمِّر مائة وخمسين سنة ، فلما دخل على الملك قال له : ما معك يا سَعْد ؟ قال : عشيرتي ، قال : أنت سعدُ العشيرة . فَسُمِّيَ سعد العشيرة [1] ، قال له الملك : إنه قد بلغني عنك رجاحةُ لُبٍّ،ورصانةُ حِلم،وأصالة رأي،ونفاذٌ في الأمور،مع ما جَرّبت من تصرف الدُّهور ، فهل أنت مخبري عما أسائِلُك عنه ؟ فقال : أيها الملك : إن عقلي وقلبي مضغتان مني ، حَرَاهما الدهر كما حَرَى سائر جسمي ، ولكني أبو روية ثاقبة ما خذلتني منذ أيدتني ، فليقل الملك أسمع ، فإن أوفّق للصواب فبيُمْنِ الملك ، وإن يَخُنِّي الجوابُ،فبما تَلَمَّتْهُ مِنِّيَ الأحْقابُ ، قال له : يا سعد ! ما صلاحُ الملك ؟ قال : أيها الملك ! مَعْدَلةٌ شائعة ، وهيبة وازعة ، ورعية طائعة ، فإن في المعدَلة حياة الأنام ، وفي الهيبة نفي الظلام ، وفي طاعة الرعية التآلف والالتئام . قال له الملك : يا سعد ! فمن أحْمَدُ الملوك إيَالا ، وأحسنهم عند الرعية حالا ؟ قال : من كثُرتْ في اصطناع المعروف رغبته ، ومالت إلى الأضياف رحمته ، وتخول بالمراعاة رعيته ، واعتدلت بهيبته رأفته ، قال : يا سعد !

---

(١) وقال ابن قتيبة في عيون الأخبار ٣/٩٥ إنه إنما سمى بذلك لأنه كان يركب في عشرة من ولده فكأنهم عشيرة .

يُستَدرك عنه الملوك حُسْنُ المكانة ؟ وتُستبدل منه الفظاظة باللّيانة ؟ قال : بالمبالغة في طاعته ، والانتهاء إلى مشيئته ، ومجانبة مسخطته ، والتقرب إليه بموافقته ، قال : فبم تُؤْمَن سطوة الملك ويُحتجب من بوادر عقوبته ؟ قال : بالنصيحة غير المَمْذُوقة[1]، وأداء الأمانة غير المشوبة بالخيانة، وقطع لسان العتاب بالحيطة بالمغيب ، والتحفظ عن إفشاء الكلمة في الطعن عليه ، فإن الكلام إذا لَفَظَهُ اللسان لم تَمْلِك إعادته إلى القلب ، ولم يُؤْمن منه عَثْرةٌ غيرُ مُقَالة ، وكبوة غير مغتفرة ، قال : فأين يوجد الرأي الأصيل ، والصواب الأَلِيل ؟ قال : عند الناصح اللبيب ، الحازم الأريب ، الذي إعلانه ككمنونه، ومبتذله كمصونه ، قال : فبم يدرك علم الأمر في الولاج المَازول والرأي المستور في مستقر التامور ؟ قال : بإحدى خلتين ، إما بالعشيرة المماطلة ، والتجربة المصاولة ، أو بالمحبة البالغة ، والبصيرة الثاقبة ، قال : من أحق الناس بالمعاونة على دهره وأحراهم بالمساعدة على أمره ؟ قال : من جعلك سنداً لظهره ، وألقى إليك مقاليد أمره ، وجعل رجاءك عامر صدره ، قال : بم تتأكد محبة الخاصة ، ويستعطف رضا العامة ؟ قال : ببسط يد العدل ، أو إطلاق عقل البذل ، والتجافي عن العثار ، ما لم يخرج ذلك إلى انتشار ، قال : فبم تحسن أحدوثة الملك ؟ قال : بإرجاء العقوبة في سلطان الغضب ، وتعجيل مكافأة المحسن قبل الطلب ، وتسليط الحلم والأناة على الطيش والنزق ، واستصلاح أولى الانقياد لاستجلاب أولى الرَّهَق .

(معنى الألفاظ اللغوية)

قال القاضي : قول سعد العشيرة في عقله وقلبه : حراهما الدهر كما حرى سائر جسمي معناه نقصهما ، يقال : حرى الشيء يحرى أي نقص ، كما قال القائل :

(۱) غير الممذوقة : غير الخالصة ، والممذوق : المختلط بعضه ببعض .

في جَسَدٍ يَنْمِي وعَقْلٍ يَحْرِي [1]

وفي قوله : فبما ثَلَمتَه مني الأحقاب يعني السنين ، قال الله عز وجل : ﴿ لاَبِثِينَ فيها أحْقَابًا ﴾[2] والواحد حُقْب، قال الله تعالى : ﴿ أو أمْضِيَ حقبا ﴾ [3] وقيل : إن الحقب ثمانون عاماً ، وقيل له : حقبة من الدهر يُراد به المدة الطويلة ، قال متمم بن نُوَيرة : يرثي أخاه مالكاً :

وكُنّا كَنُدْمَانَيْ جَذِيمة حِقْبَـةً

من الدهر حتى قيل لن يَتَصَدَّعبا [4]

وقوله : أحمد الملوك إيالا : يعني الإصلاح والتدبير والسياسة ، ويقال فلان حسن الإيالة إذا وُصِف بالإحسان في سياسة أمره ، وقوله : الولاج المأزول يعني المَدْخل الضَّيِّق ، ويقال : أصاب القوم أزل أي شدة وضيق .

قال الشاعر :

وإن أفْسَد المَالُ الجماعاتِ والأزْل [5]

---

(١) بيت من الرجز لأبي نخيلة السعدي ، وقبله :

ما زال مجنوناً على است الدهر

والبيت وارد في اللسان ٣٩٠/٨ ، والرواية فيه : ذا حمق ينمى وعقل يحرى ، وفسر البيت بقوله : است الدهر أول الدهر ويقال : كان ذلك على است الدهر وعلى أس الدهر أي على قدم الدهر ، أي لم يزل مجنوناً دهره كله ، وينمي : يزيد ، ويحري : يقلّ .

(٢) سورة النبأ الآية ٢٣ .

(٣) سورة الكهف الآية ٦٠ .

(٤) البيت في ديوانهما المجموع ١١١ ، وانظر المراجع التي أوردها المحقق، قال: وندماني جذيمة هما مالك وعقيل ابنا خارج بن كعب من بني القين ، نادما الملك جذيمة الأبرش حين ردا عليه ابن أخته عمرو بن عدي ، ومكثا معه دهراً حتى قتلهما يوماً وهو في حالة سكر شديد ، ثم ندم على مقتلهما ، فكان إذا شرب كفأ لهما كأسين ، فلا يزال كذلك حتى يغورا ، ولم يتادمه غيرهما ، وقد ضرب بهما المثل في طول الملازمة والاجتماع ، وسارت أبيات متمم في الآفاق لهذا المعنى المشهور .

(٥) انظر هذا الشطر في اللسان ١٤/١٣ .

فأما الإزل بكسر الهمزة : فالكذب ، كما قال ابنُ دارة [1] :

يقولون إزلٌ حُبُّ ليلى وودُّها
وقد كَذَبوا ما في مَوَدَّتِها إزْلُ

وقوله : التامور يريد القلب ، ويعبر بالتّامور عن النفس وهو الدم ، يقال نفس سائلة أي دم ، والنفاس والنفساء من هذا .

(الوليد يوافق الحجاج على عسفه بآل المهلب)

حدثنا أبو إسحاق إسماعيل بن يونس ، قال : حدثنا أبو توبة بن دراج ، قال : قال الأصمعي : كتب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك يذكر عَسْفَهُ آل المهلب ومطالبته إياهم بما اختانوا من الأموال ، فوقع في كتابه بخطه : ليس للخائن حرمة تبعث الأحرار عن ترفيههم ، فإياك وتضييع حق قد وجب ، وأمانة مال خطير يزين الدولة ويُحَصِّن الخلافة ، ويؤخذ من خائن لم يَشكر عليه ، ويدفع إلى ناصح يحتاج إليه ، فلما قرأ الحجاج كتابه أنشأ يقول متمثلاً بشعر رجل من بني كلاب :

وإني لَصَوَّانٌ لنفسي وإنّني　　على الهول أحياناً بها لرَحُومُ
وإني لأزري في خلال كثيرة　　على المرء أن يختال وهو لئيمُ

(أنا أشعر أم أنت ؟) [2]

حدثنا محمد بن مزيد البوشنجي ، قال : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : أخبرني ثابت بن الزبير بن هشام ، قال : قدم المأمون من خراسان ومعه

---

(١) هو عبد الرحمن بن دارة ، انظر بيته في اللسان ١٤/١٣ . .

(٢) أنظر الخبر التالي في الأغاني ، ومختار الأغاني ١٧٩/٧ ، وقد ذكر أن الشاعر الذي حدثت بينه وبين أبي العتاهية هذه المحاورة كان محمد بن مناذر ، وروى الخبر برواية أخرى فيهما .

شاعر ، فلقيه أبو العتاهية فقال له : من أشعر أنا أم أنت ؟ قال : أنت أشعر وأولى بالتقدمة ووقّره ، فقال أبو العتاهية : كم تقول في الليلة من بيت شعر ؟ قال : ربما أقمت على القصيدة لا تكون ثلاثين بيتاً شَهرا ، قال : فأنا أشعر منك ، ربما دعوت الجارية فأمليتُ عليها خمس مائة بيت ، قال : فحمي الخُرَاساني فقال : لو كنت أرضى مثل شِعرك لقلتُ في الليلة خمسة آلاف بيت ، قال : مثل أي شعر ؟ قال : مثل قولك :

ألا يا عُتْبةَ السّاعَــــهْ   أمُوت السّاعَةَ الساعـهْ

قال : فاستضحك القوم منــه .

وحدثنا ابن دريد [1] قال : أخبرنا أبو حاتم ، قال : قيل لأبي مهدية : يعجبك قول الشاعر :

ألا يـا عتبـة الساعــــهْ   أموت السـاعة الساعـهْ

قال : لا ، ولكنه يَغُمُّني ، قال : فقيل له : فما يعجبك ؟ قال : يعجبني :

جاء زهيرٌ عارضــاً رُمْحَــه   إن بنى عَمِّكَ فيهم رِمَاحُ
هل أحْدَثَ الدهر لنا نكبــةً   أو فُلَّ يوماً لزهيرِ سلاَحُ [2]

(بدء أمر أبي العتاهية)

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثني أحمد بن صدقة ، قال : أخبرني محمد بن عبد الله الأسدي ، قال : أخبرني إبراهيم بن سلام ،

(١) وهذا الخبر ورد في الموشح للمرزباني ٣٩٦ ، دون ورود اسم الأعرابي فيه ، وأبو مهدية الذي ذكره المؤلف هو أحد الأعراب الفصحاء الذي روى عنهم البصريون ، واختار له الأصمعي قصيدة في الأصمعيات ، وانظر الفهرست ٦٩ .

(٢) الرواية الشهيرة في كلا البيتين : شقيق بدل زهير .

قال : كان آبو العتاهية يعمل الفخار ، وكان أبو العتاهية معتوهاً ، وكان يعرف بإبراهيم المجنون [1] ، قال : فجاء إنسانٌ يوماً فصاح : أين إبراهيم المجنون ؟ فقال أبو العتاهية :

لا ذنبَ إن كان ذَا جُنُونـا كذا أراد الله أن أكونـا

وانطلق يقول الشعر واشتهر به وبإحسانه فيه .

(يقول شعراً وهو لا يدري) [2]

حدثنا محمد بن محمود الكاتب ، قال : حدثني عبدوس بن مهدي بالكرخ ، قال : نزلتُ على ابن أبي البغل [3] عند تقلده الإشراف على أعمال الجبل ، فزارته مغنيةٌ كان بها لَهِجاً على قِلّة إعجابه بالنساء ، فإنّا لَلَيْلةٌ ونحن قعود بالبستان نشرب وقد طلع القمر ، فهبت ريح عظيمة فقلبت صوانينا التي كان فيها شرابنا فَشِيلت وأقبل الغلمان يسقُونَنا ، فسكر ابن أبي البغل على ضَعْفِ شُربه ، وقام إلى مرقده وأخَذَنَا معه والمغنية ، فلما حصلنا فيه استدعى قدحاً ولنا مثله ، وأنشأ يقول :

مغموسةٌ في الحسن معشوقـةٌ تقتلُ ذا الصَّبِّ وتُحْيِيـهِ
باتَ يُرِينِيهَا هِلالُ الدُّجَى حتى إذا غـاب أرتْنِيـهِ

وطرح الشعر على المغنية فلقنته وغنتنا به ، وشربنا القدح وانصرفنا ،

---

(١) هذا الاسم مما لم تذكره الأخبار عن أبي العتاهية ، فمن المعروف أن اسمه إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان ، وكنيته أبو إسحاق ، وأبو العتاهية لقب غلب عليه ، انظر الأغاني ١/٤ .

(٢) انظر القصة التالية في مصارع العشاق ١٤١ .

(٣) هو محمد بن يحيى بن أبي البغل ، أبو الحسين ، كاتب من وزراء المقتدر العباسي ، توفي مسجوناً في حدود سنة ٢٩٩ هـ ، له من الكتب : ديوان الرسائل ، ورسائله في فتح البصرة ، انظر هدية العارفين ٢٣/٢ .

فلما كان من غدٍ وحضرنا المائدة وهي معنا فاتحناه بما كان منه ، فحلف أنه لم يعقل بما جرى ولا بالشعر ، واستدعى دفتره فأثبت البيتين فيه .

(طرأ الواغل برغم هروبهم إلى الصحراء)

حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق المعروف بحرمي [1] ، قال : حدثني أبو جعفر محمد بن عبد الرحمن البصري ويعرف بالمخضوب ، بمكة سنة خمسين ومائتين ، قال : حدثني ابن عائشة : أن ثلاثة فتيان من فتيان أهل البصرة وكانوا يتنادمون ، فتطربوا يوماً إلى الصحراء والخلوة فيها ممن يَثْقُلُ عليهم في شرابهم ويَتَنَبَّذ عليهم [2] ، فخرجوا في غِبِّ مطرٍ إلى ظهر البصرة فأخذوا في شرابهم ولهوهم يتناشدون حتى كَرَبَتِ الشمس أن تغيب ، فإذا بأعرابي كالنجم المنقض يهوى حتى جلس بينهم ، فقال بعضهم لبعض : قد علمنا أن مثل هذا اليوم لا يتم لنا ثم قال له أحدهم :

أيُّهَا الواغلُ الثقيـــلُ علينـــا حين طاب الحديثُ لِي ولِصَحْبِي

ثم قال الآخر :

خَلِّ عنـــا فأنت أثقل واللـــ ـه علينا من فَرْسَخَيْ دِيرِ كَعْبِ

ثم قال الثالث :

ومِنَ الناس من يَخِفُّ ومنهُـــمْ كَرَحَي البَزْرِ رُكِّبَتْ فوق قَلْبِي

---

(١) هو أحمد بن محمد بن إسحاق بن ابراهيم بن أبي خميصة ، أبو عبد الله المكي ، المعروف بحرمي بن أبي العلاء ، سكن بغداد ، وكان كاتب أبي عمر محمد بن يوسف القاضي ، وحدث عن الزبير بن بكار بكتاب النسب وغيره ، كما حدث عن محمد بن أبي عبد الرحمن المقرىء ويحيى بن المغيرة المديني وكان ثقة ، توفي عام ٣١٧ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٣٩٠/٤ .

(٢) ينبذ عليهم : أي يطرح نفسه عليهم .

فقال الأعرابي :

لستُ بالبارح العَشيّة واللـــــه لشجٍ ولا لِشِدّةِ ضَرْبِ
أو تُرَوُّونَ بالكِبَار مُشَاشِي وتُعِلُّون بعد ذاك بقَعْبِ (١)

وطرح قِعْبا (٢) كان معلّقا فضحكوا من ظَرْفِه وحَمَلوه معهم إلى البصرة فلم يَزَلْ نديماً لهم .

(الواغل والوارش)

قال القاضي : الواغل الذي يَغِلُ على الشَّرْب من غير أن يَدْعُوَهُ الناس ، قال امرؤ القيس :

فاليوم أشربْ غيَر مُسْتَحْقِبٍ إثماً مــن اللهِ ولا وَاغِلِ (٣)

ويقال للذي يفعل مثل هذا في الطعام وارش .

(احتكم يا أبا السَّمْط)

حدثنا يزداد بن عبد الرحمن الكاتب ، قال : حدثنا أبو موسى يعني عيسى بن إسماعيل البصري ، قال : حدثني القُتَبي ، قال : قَدِم معنُ ابن زائدة بغداد فأتاه الناس وأتاه ابنُ أبي حَفْصة ، فإذا المجلس غَاصٌّ بأهله ، فأخذ بعُضَادَتَيِ الباب ثم قال :

وما أحْجَمَ الأعْدَاءُ عنك تَقِيّةً
عَلَيْكَ ولكنْ لم يَرَوْا فيك مَطْمَعَا
له راحتان الجود والحَتْفُ فيهمـــا
أبَى اللهُ إلاّ أن يَضُرَّ ويَنْفَعَـــا

---

(١) المشاش : العظم لا مخ فيه ، وتعلون : أي تستقوني مره بعد الأولى لأن الأولى تسمى نهلا .
(٢) القعب : القدح الضخم الكبير .
(٣) سبق البيت .

فقال معن : احتكم يا أبا السِّمْط ؟ فقال : عشرة آلاف ، فقال معن : ربحتُ والله عليك تسعين ألفاً .

(مكافأة بغا على شجاعته)

حدثنا محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن عبد الأعلى الكاتب ، قال : حدثنا جَدِّي علي بن الحُسين بن عبد الأعلى ، قال : كان عبد الله بن طاهر قد أهدى للمعتصم شُهْرُبين مُلَمَّعين ذَكَر أن خراسان لم تُخرج مثلهما ، فسأله بغا [1] أن يحمله على أحدهما فأبى وقال : تَخَيَّر غيرهما ما شئت فخُذه ، قال : فخرجنا ولم يأخذ شيئاً فلما كنا بطبرستان عرض له قوم من أهلها ، فقالوا : أعز الله الأمير ! إن في بعض الغِياض سَبُعاً قد استكلب على الناس وأقناهم ، فقال : إذا أردت الرحيل غداً فكُونوا معي حتّى تَقِفُوني على موضعه ، قال : فلما رحلنا من غد حضر جماعة منهم فانفرد معهم في عشرين فارساً من غلمانه ، ومعه قوسه ونشابتان في منطقته ، قال : فصاروا به إلى الغَيْضة فثار السبع في وجهه من بينهم ، قال : فحرك فرسه من بين يديه وأخذ نَشَّابة من النشابتين فرماه في آسته ، فمر السهم فيها إلى الريش ، وركب السبع رأسه ، قال : وعاد بغا إليه فما اجترأ أحد على النزول إليه حتّى نزلُ بغا فوجده ميتاً ، قال : فشبرناه فكان من رأسه إلى رأس ذنبه ستة عشر شبراً ، ووجدناه أحَصَّ الشعر إلا مَعْرِفَتَه ، قال : فكتبنا بخبره إلى المعتصم ، فلحقنا جوابُ كتابنا بحُلوان يذكر فيه أنه قد تفاءلت بقتل السبع ، ورجا أن يكون من علامات الظفر ببابك [2] ، وأنه

---

(١) هو بغا الكبير أبو موسى ، أحد قواد المتوكل والمعتصم ، كان مملوكاً لذي الرياستين الحسن بن سهل وكان شجاعاً فاتكاً فضلا عن أنه كان من ذوي الرواية وقد ولاه المستعين ديوان البريد ، انظر مختصر تاريخ دمشق ٢٧٢/٣ ، ٢٧٣ وفيه الخبر منقولا عما هنا .

(٢) هو بابك الخرمي ، مجوسي الأصل دخل الإسلام وتسمى الحسن أو الحسين وكان شديد البطش خبيث النفس ، اعتصم بالجبل المعروف بالبيدين بناحية أذربيجان وكثر بها أتباعه =

قد وجّه إلى بُغَا بالشهربين اللذين كان طلب أحدهما فمنعه، وبسبع خلع من خاصة خلعه وثيابه ، وخمس مائة ألف درهم صلة له وجزاء على قتله السبع ، قال : وإنما أراد المعتصم بذلك إضراؤه على طاعته ومجاهدة عدوه .

قال القاضي : قوله في السبع وجدناه أحَصّ : لا شعر عليه ، كما قال الشاعر [1] :

قد حَصَّتِ البَيْضة رَأْسِي فَمَا   أطْعَمُ نَوْماً غير تِهْجَاعِ

(أول ما ظهر من فهم سليمان عليه السلام)

حدثنا محمد بن الحسين بن زياد المقري ، قال : أخبرنا الحسن بن سفيان ، قال : حدثنا صفوان بن صالح ، قال : أخبرنا الوليد ، قال : أخبرنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عباس ، قال : لما تزوج داود عليه السلام بتلك المرأة ، وولدتْ له سليمان بن داود بعدما تاب اللهُ عز وجل عليه ، غلاماً طاهراً نقياً فَهِماً عاقلاً عالماً ، وكان من أجمل الناس وأعظمه وأطوله ، فبلغ مع أبيه حتى كان يشاوره في أموره ويدخله في حكمه ، فكان أول ما عرف داود من حكمته وتفرس فيه النُّبُوة أن امرأة كانت كُسِيت جمالاً ، فجاءت إلى القاضي تَخَاصَمُ عنده ، فأعجبته فأرسل إليها يخطبها ، فقالت : ما أريد النكاح فراودها على القبيح ، فقالت : أنا عن القبيح أبعد، فانقلبت منه إلى صاحب الشرطة فأصابها منه مثل الذي أصابها من القاضي ، فانقلبت إلى صاحب السوق فكان منه مثل ذلك ، فانقلبت منه إلى حاجب داود فأصابها منه ما أصابها من

= واستباحوا المحرمات وقتلوا الكثير من المسلمين ، حتى هزمه الأفشين قائد المعتصم وأسره فأمر المعتصم بقطع أطرافه وصلبه ، انظر الفرق بين الفرق ٢٦٦ ، البرصان والعرجان ٢٥٥ .

(١) البيت لأبي قيس بن الأسلت ، انظره في خزانة الأدب ٤٨/٢ ، ٤١١/٣ ، واللسان (حص) ، والموشح ٣٨٣ .

القوم ، فرفضت حقّها ولزمت بيتها فبينا القاضي وصاحب الشّرطة وصاحب السوق والحاجب جلوس يتحدثون فوقع ذكرها ، فتصادق القومُ بينهم وَشَكا كلٌ واحد منهم إلى صاحبه ما أصابه من العجب بها ، قال بعضهم : وما يمنعكم وأنتم ولاة الأمر أن تتلطفوا بها حتّى تستريحوا منها فاجتمع رأيُ القوم على أن يشهدوا أن لها كَلْباً وأنها تضطجع فترسله على نفسها حتّى ينال منها ما ينال الرجل من المرأة ، فدخلوا على داود عليه السلام ، فذكروا له أن امرأة لها كلب تُسَمِّنُهُ وترسله على نَفْسها حتّى يفعل بها ما يفعل الرجل بالمرأة فكرهنا أن نرفع أمرها إليك حتّى تَتَحقّق، فمشينا حتّى دخلنا منزلاً قريباً منها في الساعة الّتي بلغنا أنها تفعل ذلك ، فنظرنا إليها كيف حلّتْه من رباطه ثم اضطجعت له حتّى نال منها ما ينال الرجلُ من المرأة ، ونظرنا إلى الميلِ يدخل في المُكْحلة ويخرج منها ، فبعث داود عليه السلام فأتى بها فرجَمَها، فخرج سليمان يومئذ وهو غلامٌ حين ترعرع ومعه الغلمان ومعه حصانه يلعب ، فجعل منهم صبياً قاضياً وآخر على الشرطة وآخر على السوق وآخر حاجباً وآخر كالمرأة، ثم جاءوا يشهدون عند سليمان مثل ما شَهِد أولئك عند داود عليه السلام يريدونَ رَجْم ذلك الصبي كما رُجِمَت المرأة ، قال سليمان عند شهادتهم : فَرِّقُوا بينهم، ثم دعا بالصبي الذيٰ جعله قاضياً ، فقال : أيقنت الشهادة ؟ قال : نعم . قال : فما كان لون الكلب ؟ قال : أسود ، قال : نَحّوه ، ونادى بالذي جُعل على الشرطة ، فقال له : أيقنت الشهادة ؟ قال : نعم . قال : فما كان لون الكلب ؟ قال : أحمر ، قال : نَحّوه ، ثم دعا بصاحب السوق فقال : أيقنت الشهادة ؟ قال : نعم ، قال : فما كان لون الكلب ؟ قال : أبيض قال : نَحّوه ، ثم دعا بالذي جعله حاجباً ، فقال : أيقنت الشهادة ؟ قال : نعم . قال : فما كان لون الكلب ؟ قال : أغبش ، قال : أردتم أن تَغُشّوني حتى أَرْجُمَ امرأة من المسلمين ، فقال للصبيان : ارجُمُوهم ،وخلّي سبيل الصبي الذي جعله امرأة ورجع إلىحصانه، فدخلوا

على داود عليه السلام فأخبروه الخبر ، فقال داود : عليَّ بالشهود الساعة واحداً واحداً فأتى بهم فسأل القاضي : ما كان لونُ الكلب ؟ قال : أسود ، ثم أتى بصاحب الشرطة فسأله فقال : أبيض ، ثم أتى بصاحب السوق فسأله فقال : كان أحمر ، ثم أتى بالحاجب فسأله فقال : كان أغبش ، فأمر بهم داود عليه السلام فقتلوا مكان المرأة، فكان هذا أول ما استبان لداود عليه السلام من فهم سليمان عليه السلام .

وقد حدث في أيام الدولة العباسية في وديعة أودعها بعض الشهود بواسط ، فأبدلها واختان صاحبها فيها ما يضارع هذه القصة من بعض جهاتها ، نحن نأتي بها فيما نستأنفهُ من مجالس كتابنا هذا إن شاء الله .

• • •

المجلس الثالث والعشرون

(من مكارم الأخلاق)

حدثنا محمد بن القاسم بن زكريا بن يحيى المحارمي ، قال : حدثنا إسماعيل بن إسحاق الراشدي ، قال : حدثنا داهر بن نوح ، قال : حدثنا أبو زيد الأنصاري ، قال : حدثني عبد الصمد بن سليمان ، عن سُكَيْن ابن أبي سراج ، قال : حدثنا عبد الله بن دينار ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس ، « أن رجلاً أتى النبي ﷺ ، فقال : يا رسولَ الله ! أيُّ الناس أحبُّ إليك ؟ قال : أنفعُهم للناس ، وإن من أحبِّ الأعمال إلى الله تعالى سُروراً يَدْخُلُ على مسلم ، أو يكشِفُ عن كَرْبِهِ أو يَسُدُّ عنه جُوعاً ، ولأن أمشي مع أخٍ لي في حاجة أحبّ إلي من أن اعتكف شهرين في المسجد ، ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه لأمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاً ، ومن مَشى مع أخٍ له في حاجة حتّى يثبتها ثبت الله قدمه يوم تَزُولُ الأقدام ، وسوء الخلق يُفسد العمل كما يفسد الخَلُّ العسل »[1] .

---

(١) الحديث روى قريباً منه في مجمع الزوائد ، كتاب البر والصلة ، باب فضل قضاء الحوائج ١٩١/٨ ، وورد بنصه في لباب الآداب ٣١٣ ، ٣١٤ ، وعلق الشيخ أحمد شاكر عليه —

قال القاضي : قال أبو العباس بن سعيد في سكين ، يقال سُكَيْنُ بن أبي سراج وسكين بن سراج ، قال القاضي : وفي هذا الخبر ترغيبٌ في أنواع من أفعال الخير وأبواب البر ومكارم الأخلاق ، وذَمٌّ لسوء الخلق وتكريهٌ له ، وكلّ فصل من فصول هذا الخبر قد أتى في معناه أخبار ، ورويت في مجانسه آثار عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين ، ومن تقدمنا من الأئمة الماضين والسلف الصالحين ، والخاصة من علماء المسلمين وحكماء أهل الدين ، وكتابنا هذا متضمن لكثير منه متفرقاً في المجالس المرسومة فيه ، وحقيق على من كَرُمَتْ نفسه عليه، وحُبِّبَتْ منافعها إليه، أن يسعى في اكتساب ما يزينها ويُصلحها، ويهذب أخلاقه ويُنَقحها ، ويهجر مذموم الخلائق ويطرحها، نسأل الله المعونة على ذلك بفضله وطوله، وقوته وحولـــه .

(خبر عمرو بن المسبح أرمى عربي)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا السكن بن سعيد ، عن العباس بن هشام ، قال : حدثني جميل بن مراد الطائي من بني معن ، عن أشياخه ، قال : كان عمرو بن المسبح (١) أرمى عربيٍّ على وجه الأرض فأدرك امرأ القيس وله يقول امرؤ القيس :

رُبَّ رامٍ من بَنِي ثُعَـــلٍ (٢)

وعاش حتّى أدرك النبيَّ ﷺ وهو ابنُ خمسين ومائة سنة فسأله عن

= بقوله : نقله المنذري في الترغيب ٢٥٣/٣ ، ونسبه للأصبهاني عن ابن عمر ، ولابن أبي الدنيا عن صحابي غير مسمى ، ونقله العجلوني في كشف الخفا رقم (١٢٦) ونسبه للطبراني وابن أبي الدنيا ، عن ابن عمر وهو حديث أشار المنذري إلى تضعيفه .

(١) ذكره أبو حاتم السجستاني في كتابه المعمرين ٩٧ ، وأورد ما ذكر هنا مع بيتين من شعره .

(٢) صدر بيت ، وعجزه :

الصيد ، فقال « كل ما أصْمَيْت ودَعْ ما أنْمَيْت » وفيه يقول رجلٌ من طَيِّيء :

نَعَبَ الغُرَابُ ولَيْتَهُ لم يَنْعَبِ
بالبين من سَلْمَى وأمُّ الحَوْشَبِ

ويروى زعب الغراب وهي لغة ، قال القاضي : وكأن زعب في هذه اللغة من رفع الشيء وأخذه ومنه قول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو : « وأرْغَبُ لك من المال »[1] قال الشاعر :

ليت الغراب رَمَى حِمَاطَةَ قَلْبِـه
عَمْرو بأسهمه التي لم تُلْغَـبِ

ويروى تغلب ، واللغاب عيب في السهام ، وهو اختلاف في الريش التي يراش بها واللُّؤام خلافه وهو محمود ، وذكر ابن الكلبي أن عمراً هذا كان يمر به السِّرْبُ من القطا يطير في السماء، فيقول: أيتها تريدون ؟ فيشار له إلى واحدة فيصرعها ، قوله: كُلْ ما أصْمَيْتَ ودع ما أنميت ، يقال : أصمي الرجل الصيد إذا أصابه فمات بحضرته ، وأنماه إذا أصابه فتحامل فغاب عنه ثم مات ، وأشواه إذا أخطأه ويقال : هذا شَوًى إذا لم يصب المقتل ، قال الشاعر :

وكنت إذا الأيام أحْدَثْنَ نكبـةً
أقول شَوًى ما لم يُصِبْنَ صَمِيمِي[3]

= متلج كفيه من قتره

ومتلج كفيه : أي يدخل كفيه في القتر ، وهي بيوت الصائد التي يكمن فيها لئلا يفطن له الصيد فيفر منه ، انظر الديوان ١٢٣ .

(١) الحديث في النهاية ٣٠٢/٢ .

(٢) البيت في اللسان ٢٣٩/٢ .

(٣) البيت دون نسبة في الحيوان ٨٣/٣ ، بهجة المجالس ٣٥٧/٢ ، الأغاني ٢٤٢/١٧ .

ويقال : أشوي إذا أخطأ الصميم وأصاب الأطراف كاليدين والرجلين، قال امرؤ القيس [1] :

سَلِيمُ الشَّظَى عَبْلُ الشَّوى شَنِجُ النَّسَا
له حَجَبَاتٌ مُشْرِفَاتٌ عَلَى الفَالِ

وقد يقال لجلدة الرأس شواة وتجمع شوًا ، وقال بعض أهل التأويل في قوله عز ذكره ﴿ نَزَّاعةً لِلشَّوَى ﴾[2] أن معناه الأطراف ، وقيل : فروة الرأس ، وقيل الهام ، وقيل العصب والعقب ، وقد اختلف الفقهاء في أكل الصيد إذا أتاه راميه وغاب عن عينه فأحلّه بعضهم ، وحرّمه بعضهم على ظاهر الخبر الذي ذكرناه ، وقدر آخرون لغيبته مدة على اختلاف منهم في قَدْرِهَا ، قال القاضي : وأرى أنه قيل للرامي في الموضع الذي وصفنا لإصابته الصميم ، وأصمى أصله عندي أصْمم فاستُثْقِل التضعيف فقيل أصمي ، وأشْبِعت فَتحة الميم الأولى فصارت ألفاً مكان الميم الثانية وبدلاً منها ، والعرب تقول : تمطى فلان من المطا وهو الظهر وأصله تمطط ، ويقولون تقضى من القضة وأصله تقضض ، قال الراجز :

دَانِي جَنَاحَيْهِ مِنَ الطور فَمَرّ
تَقَضِّيَ البَازِي إذا البَازِي كَسَر [3]

وهذا الباب كثيرٌ جداً ، وما وجدت أحداً سبقني إلى ما قلتُ في الصميم

---

(1) البيت التالي في ديوانه ٣٦ من معلقته المشهورة ، وسليم الشظي : الشظي : عظم صغير في يد الفرس ، فإذا تحرك قيل : شظى الفرس: والشوى: القوائم، والنسا : عرق ، ووصفه بالشنج لأنه أصلب له ، والحجبات : رءوس الأوراك . وقوله : على الفال : يريد على الفائل : وهو عرق عن يمين أصل الذنب ويساره والمعنى أنه مشرف الكفل فحجباته مشرفة لاتصالها بالكفل .

(2) سورة المعارج الآية ١٦ ، وانظر النص جميعه في مجالس ثعلب ٣٦٩/٢ .

(3) هو العجاج ، انظر ديوانه ٤٢/١ .

وَهو بَيِّن ، ومن الشوى بمعنى فروة الرأس ، قول الشاعر :

إذا هي قامت تقشعــر شَوَاتهــا
ويُشْرِقُ بين الليْتِ منها إلى الصُّقْل

وقال الأعشى (١) :

قَالَتْ قُتَيْلَــةُ مَــا لَــهُ قَدْ جُلِّلَتْ شَيْباً شَوَاتُــهُ

وذكر عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال : من رواه هكذا فقد صَحّف ، وزعم أنه سَرَاتُه بالسين والراء يعني أعلاه ، وما ذكره أبو عمرو أولى بالتصحيف ، ورواية البيت بالشين والواو ، وقد ثبتت وصحت في تأويلها وعُرفت ، وقول أبي عمرو في السراة صحيح لو أتى به الشاعر ، ومن السّراة قول امرئ القيس :

كــأن سَرَاتَهُ وجِدَّةَ مَتْنِه
مَدَاكُ عروسٍ أو صَرَايَةَ حنظل (٢)

وقد روى أن أبا عمرو لما تبين صحة الرواية بالشين رجع إليها ، وقد

---

(١) لم أعثر على البيت التالي في ديوانه ، وانظره دون نسبة في اللسان (شوى) ، وانظره مع ما ورد هنا في التنبيه على حدوث التصحيف ٧٨ .

(٢) هذا البيت ملفق من البيتين أولها في الديوان ١٨١ ، وهو :

كأن سراته وجــدة ظهــره كنائن يجري بينهن دليص

والثاني من قصيدة أخرى في الديوان ٢١ وهو :

كأن على الكتفين منــه إذا انتحى مداك عروس أو صراية حنظــل

وهو يصف فرساً فيقول : إن ظهره يبرق كما يبرق الحجر الذي يسحق عليه الطيب ، وخص العروس لأنها قريبة العهد بسحق الطيب ، فمداكها براق ، والصراية : الحنظلة الصفراء البراقة وإذا لم تصفر فهي مغبرة ، وفي أ : صلابة وهي تحريف . وهو يشبه ظهر الفرس إذا اعترض ونظرت إليه من جانب بصخرة الطيب أو صراية الحنظل في ملاستها وبريقهــا .

ذكرنا كلاماً في هذا الفصل أشبع من هذا في كتابنا الذي أمللناه في شرح مختصر الجرمي في النحو .

(لم يُسْمع بأسرة دخلت الإسلام كهؤلاء).[(١)]

وحدثنا ابن دريد ، قال : أخبرنا السكنْ بن سعيد ، عن العباس بن هشام ، عن أبيه ، قال : حدثني الوليد بن عبد الله الجعفي ، عن أبيه ، عن أشياخ قومه قالوا : كانتْ عند أبي سَبْرة وهو يزيد بن مالك بن عبد الله بن الذُّؤَيب [(٢)] بن سلمة بن عمرو بن ذهل بن مُرّان بن جُعْفى امرأة منهم فولدت له سَبْرة وعَزِيزاً ثم ماتت فورّثت ابناها إبلاً ، ثم تزوج أبو سبرة أخرى فجفا ابنيه ونحاهما فكانا في إبلهما التي ورثاها عن أمهما ، فلما بلغهما مهاجرة النبي ﷺ قال سبرة لمولى لأمه كان يرعى عليه : ابغني ناقةً كِنَازاً ذاتَ لبن ، فقال القاضي : هي الكثيرة اللحم المجتمعة الجسم ، فأتاه بها فركبها وهويقول لأبيه :

ألا أبْلِغَا عني يَزِيدَ بن مَالِكٍ ... أَلَمّا يَأنِ للشّيخ أن يَتَذَكّرا
رأيت أبَانَا صَدَّ عنّا بوجهه ... وأمسَكَ عنّا مَالَه وتَنَمّرا

ثم توجه إلى النبي ﷺ فأسلم وأقبل أخوه عَزِيز ، فقال للمولى : أين أخي ؟ قال : نَدّت له ناقة فذهب في طلبها ، فنظر في الإبل فلم يرَ شيئاً ، فقال للمولى : لَتُخْبِرنّي ، فأخبره وأنشده البيتين ، فدعا بناقة فركبها وهو يقول :

ألا أبلغا عنّي معاشر مذحج
فهل لِي من بعد ابن أُمّيَ مِعْبَرُ

---

(١) انظر الخبر التالي في الإصابة الترجمة ٩٣٠٧ ، وجمهرة أنساب العرب ٤٠٩ ، ٤١٠ .
(٢) في أ : الذهب وهو تحريف صحته ما أثبتنا نقلا عن الجمهرة .

ولحق بالنبي ﷺ فأسلم ، ثم أقبل أبو سبرة فقال للمولى : أين ابناي ؟ فأخبره خبرهما وأنشده شعرهما ، فركب وهو يقول :

وسبرة كان النفس لو أنَّ حاجةً تُرَدُّ ولكن كان أمراً تَيَسَّرا
وكان عَزِيزٌ خَلَّتي فرأيتُه تولّى ولم يقبل عَلَيَّ وأدْبَرا

ثم لحق بهما وخلف عند المولى غلاماً له يقال له شَنْفر ، فمكث المولى أياماً ثم لحق بهم وأنشد يقول :

بدَّلْتَ أنياباً حِيَالاً وشَنْفَرَا
بأهْلِيَ لا أرْضَى بِهِمْ من أولَئِك

قال القاضي : الأنياب جمع ناب وهي الناقة المسنة ، والحيال : جمع حائل وهي التي حالت عن أن تشتمل على حمل ، فأتى أبو سبرة النبي ﷺ ومعه ابناه فأسلموا ، فقال النبي ﷺ لعَزِيز : ما اسْمُكَ ؟ قال : عَزِيز ، قال : لا عزيز إلاّ الله ، أنت عبد الرحمن ، وقال أبو سَبْرة للنبيِّ ﷺ : إن بظهر كَفّي سَلْعة [1] قد مَنَعَتْنِي من خطام راحلتي ، فدعا النبي ﷺ بقدح فجعل يَضْرِبُ به على السَّلْعة ويَمْسَحُها فذهبت ، ودعا له ولابنيه وأقطعه جروان [2] وادياً في بلاد قومه ، قال ابن الكلبي : فلم يسمع بأهل بيت أجابوا إلى الإسلام طَوْعاً بمثل هؤلاء .

(خبر مقتل عمرو ذي الكلب) [3]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا

---

(١) السلعة : ورم غليظ غير ملتزق باللحم يتحرك عند تحريكه وله غلاف

(٢) يطلق على هذا الوادي أيضاً وادي جعفى باليمن ، كما ورد في الجمهرة ، ولم يرد في معجم البلـدان .

(٣) هو عمرو بن العجلان بن عامر الهذلي ، ويذكر ابن الأعرابي أنه سمي ذا الكلب لأنه كان له كلب لا يفارقه ، وقال أبو عبيدة : إنما خرج غازياً ومعه كلبه يصطاد به فقال له ــ

أحمد بن عبيد ، عن الذماري ، قال : دخل عمرو بن معدي كرب الزبيدي على عمر رضي الله عنه يوماً ، فقال له : يا أبا ثور ! أخبرني بأعجب ما رأيت ، فقال : إني أخبرك يا أمير المؤمنين أني خرجت يوماً أريد حياً من أحياء العرب حتى إذا ما كنت بواد يقال له بطن شريان (١) إذا أنا برجل مفترس أسداً قد أدخل رأسه في جوفه ، وهو يلغ في دمه كما يفترس الأسد الناس والبهائم ويلغ في دمائهم ، فهالني ذلك وراعني وظننته شيطاناً ثم عاتبت نفسي ، فصحت بالرجل فوالله ما نهنه صياحي به حتى صحت به صيحة أخرى فلم يبل ، فصحت الثالثة فرفع رأسه ونظر إليّ وعيناه كالجمرتين، ثم أعاد رأسه في جوف الأسد احتقاراً لي ، فوقفت أنظرْ إليه تعجباً منه ، فأقبلت حية كان على طريقها تكون شبراً أو نحوه فتعثرت به فلدغته لدغة في منكبه كما كان باركاً على الأسد، فصاح منها صيحة ثم أطرق فلم أره يتحرك كما كان قبل ذلك ، فدنوت منه فإذا سيف له وقوسٌ موضوعان ، وفرس مشدود فأخذت سلاحه ، فلم يتحرك فأمَـنْتُـه ودنوتُ منه وضربت بيدي إلى ذراعيه فتبعتني والله يده من الكف فوقعت، فقلت : إن هذا للعجب ، لا أبرح حتى أعلم علمه عند بعض من يمر فأسأله فإذا كلب رابض ناحية ، فأقبلت السباع والنسور فحماه الكلب فلما جَنَّنِي الليل انصرفت وتركته على هيئته فمضى لذلك زمن ، فبينا أنا بسوق عكاظ في أيام الموسم في أجمع ما كان الناس، إذا امرأة تَنْشُدُ الرجلَ فعرفت النعت والصفة ، فقلتُ : أنا صاحب الرجل ، وهذا سيفه

= أصحابه : يا ذا الكلب ، فثبتت عليه ، وكان يغزو بني فهم متصلا ، فنام في بعض غزواته فوثب عليه نمران ففتكا به ، فادعت فهم قتله ، ورثته أخته : انظر الأغاني ٢٠/٢٢ ، ٢٣ ، ديوان الهذليين ١٢٠ ، ١٢٤ على حين يورد المؤلف قصة طريفة أخرى في مقتله كما نرى .

(١) شريان بكسر أوله وسكون ثانيه : موضع بعينه أو واد ، انظر معجم البلدان ٢/٢٨٤ ، وفيه الأبيات التالية لجنوب أخت عمرو ، وضبطت شريان بفتح أوله في ديـوان الهذليين .

وقوسه ، قال : فقالت : يا عمرو ! إنه لا يجمل بمثلك الكذب وأنت فارس قومك ، فأسألك باللاَّتِ والعزَّى إلاّ صَدَقْتني ، فخبرتها الخبر ، فقالت : صدقت ، وإنما كان يفعل ذلك لأن أسداً مرة عدا على أخ كان له يقال له صخر فأكله ، فآلى على نفسه ألا يلقى أسداً إلاّ افترسه وولغ في دمه ، وقال : إنما هو كلب ، فسمي عمراً ذا الكلب ، وأنا أخته الجنوب ، وبكته في شعر تقول فيه :

وكلُّ حَيٍّ وإن طالتْ سَلاَمتُهم
يوماً طريقهمُ في الشَّرِّ مركُوب (١)

أبلغ هُذَيْلاً وخصِّص في سَرَاتِهِمُ
عَنِّي مقالاً وبعضُ القول تكذيبُ (٢)

بأن ذا الكلب عمراً خيرهُم نَسَباً
ببطن شريان يَعْوِي عنده الذِّيبُ

تمشي النسور إليه وهي لاهيةً
مَشْيَ العذارى عليهن الجَلاَبيبُ

الطاعنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلاءَ يتبعُها
مُثْعَنْجِرٌ من نَجيعِ الجَوْفِ أُثْعُوبُ (٣)

(أيهما أجود ؟)

حدثنا الحسن بن أحمد الكلبي ، قال حدثنا محمد بن زكريا ، قال : حدثنا العباس بن بكار ، قال : حدثنا عيسى بن يزيد ، عن صالح بن

---

(١) الرواية في ديوان الهذليين : دعبوب بدل مركوب ، والدعبوب : الطريق الموطوء .

(٢) الرواية لهذا البيت في الديوان :

أبلغ هذيلا وأبلغ من يبلغها ... عني رسولا وبعض القول تكذيب

(٣) المثعنجر : السائل ، والنجيع : البين الواسع ، وأثعوب : ما يثعب أي يسيل ، ويروى أسكوب أي منسكب ، انظر اللسان ١/٤٥٢ .

كيسان ، وحدثني الحسن بن أحمد ، قال : حدثنا محمد بن زكريا ، قال : وحدثنا عبد الله بن ضحاك ، قال : حدثنا هشام بن محمد ، عن عوانة ، قال : وفد عبيد الله بن العباس على معاوية بن أبي سفيان ، فلما كان ببعض الطريق عارضته سحابة فأمَّ أبياتاً من الشَّعرَ ، فإذا هو بأعرابي قد قام إليه فلما رأى هيئته وبهاءه، وكان من أحسن الناس شارة وأحسنهم هيئة، قام إلى عُنَيْزة له ليذبحها فجاذبته امرأته ومانعته ، وقالت : أكَلَ الدهرُ مالَك ولم يُبْقِ لك ولبناتك إلا هذه العُنَيْزة يتمتعون منها ثم تريد أن تفجعهن بها ، فقال : والله لأذبحنّها ، فذبحُها أحسن من اللُّؤم ، قالت : إذن والله لا تبقي لبناتك شيئاً فأخذ العُنَيْزة ــ وأضجعها ، وقال :

قَرينَتي لا تُوقِظي بُنَيَّـــهْ إن تُوقظيها تنتحِبْ عليَّـــه
وتَنْزِع الشفرة من يديَّـــه أبْغِضْ بهذا وبذا إليَّـــه

ثم ذبح الشاة وأضرم ناراً وجعل يقطع من أطايبها ويلقيه على النار ثم يناوله عبيد الله ويحدثه في خلال ذلك بما يُلْهيه ويضحكه ، حتى إذا أصبح عبيد الله وانجلت السحابة وهَمَّ بالرحيل قال لقيِّمه : ما معك ؟ قال : خمس مائة دينار ، قال : ألقها إلى الشيخ ، قال : القَيِّم جعلتُ فِداك ، إن هذا يُرضيه عُشْر ما سميت وأنت تأتي معاوية ولا تدري على ما توافقه على ظاهره أم على باطنه ، قال : ويحك إنا نزلنا بهذا وما يملك من الدنيا إلا هذه الشاة فخرج لنا من دنياه كلها ، وإنما جُدْنا له ببعض دنيانا فهو أجود منا ، ثم ارتحل فأتى معاوية فقضى حوائجه ، فلما انصرف وقرب من رحل الأعرابي قال لوكيله : انظر ما حال صاحبنا ، فعوَّل إليه فإذا إبل وحال حسنة وشاء كثير ، فلما بصر الأعرابي بعبيد الله قام إليه فأكب على أطرافه يقبلها ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ، قد مدحتك وما أدري من أي خلق الله أنت ثم أنشده :

توسَّمْتُه لما رأيتُ مَهَابَةً عليه وقلت : المَرْءُ من آلِ هاشمِ

وإلا فمِنْ آلِ المُرَار فإنَّهُم ... ملوك وأبناء الملوك الأكارم
فقمت إلى عنز بقيـة أعنـزِ ... فأذبحها فعل امرئٍ غير نـادم
فعوَّضني منها غِنَايَ وإنَّمـا ... يُسَاوي لُحيم العَنْزِ خمس دراهم
أفدتُ بها ألفاً من الشاء حُلَّبـا ... وعبداً وأنثى بعد عبد وخـادم
مباركة من هاشمي مبـارك ... خيار بني حواء من نسل آدم
فلله عيناً من رأى لعُنَيزة ... أفادت وراشت بعد عشر قوادم
فقلت لعِرْسِي في الخلاء وصِبْيَتِي ... أحقٌّ ترى هذا امَ أحلام نـائم

قال عبيد الله : قد أصبتُ وأنا من ولد العباس وأنا من آل المرار (١) ، فبلغت معاوية ، فقال : لله درُّ عبيد الله ، من أي بيضة خرج ، وفي أي عِشْ درج ، عبيد الله معلِّم الجود ، وهو والله كما قال الحطيئة (٢) :

أولئك قومٌ إن بَنَوْا أحْسَنُوا البِنا
وإن عاهدُوا أَوْفَوْا وإن عَقَدُوا شَدُّوا
وإن كانت النُّعْمى عليهم جَزَوْا بها
وإن أنْعَمُوا لا كدَّرُوها ولا كَدُّوا

(مطايب الجزور وأطايب الفاكهة)

قال القاضي : في هذا الخبر : وجعل يقطع من أطايبها ، والصواب من مطايبها هكذا يقال في اللحم ، والعرب تقول : مطايب الجزور وأطايب الفاكهة ، والمطايب من الجمع الذي لا واحد له على منهاج لفظه ، وقياسه مثل ملامح ومشابه وهذا كثير . وقد حكى الفراء أنه سأل

(١) لعله يعني بآل المرار بني آكل المرار وهو حجر بن عمرو أبو امرىء القيس فقد كان هو وإخوته ملوك كندة في اليمن ، لكن نسب عبيد الله من جهة والده معروف ، أما أمه فهي لبابة الصغرى من بني عبد بن هلال بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وليست لهم صلة بملوك كندة ، انظر الجمهرة ٩٠٤ .

(٢) البيتان التاليان في ديوانه ١٤٠ .

بعض العرب عن الواحد في مطايب الجزور ، فحكى عنه ما معناه أنه لم يكن عنده فيه شيء يحفظه ، وأنه أخذ يتكلف فيه قولاً يستخرجه وجعل يقول : مطيبة وأنه ضحك من هذا من قوله مطيبة، وقول الحطيئة أحسنوا البُنا هكذا رأيته بضم الباء . وقد حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا القاسم بن إسماعيل ، قال : حدثنا عبيد الله بن محمد القرشي ، قال : حدثنا الأصمعي ، قال : أتيت شعبة [1] يوماً وعنده حماد بن سلمة [2] وهما يتكلمان في حديث ، فقال له شعبة : يا أبا سلمة ! هذا الفتى الذي ذكرته لك ، فقال لي حماد بن سلمة كيف تنشد قول الحطيئة : أولئك قوم ...، فابتدأت القصيدة من أولها [3] :

ألا طرقتنا بعدما هجعتْ هِنْدُ
وقد سِرْنَ خَمْساً واتْلأَبَّ بنا نَجْدُ[4]

إلى أن بلغت البيت :

أولئك قومٌ إنْ بَنَوْا أحْسَنُوا البنَا
وإن عاهدوا أوْفَوْا وإن عَقَدُوا شَدُّوا

فقال لي حماد بن سلمة : يا بني ! إن العرب تقول : بَنَى يَبْنِي بِناءً في العمران ، ويقولون في الشرف : بَنَا يَبْنُو بُنَاءً فأنشد هذا :

---

(١) هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي الواسطي البصري ، محدث كثير الرواية ، كان الشعبي يقول فيه : شعبة أمير المؤمنين في الحديث ويقولون : إنه أول من تكلم في علم الرجال ، ولد سنة ٨٢ وتوفي سنة ١٦٠ هـ ، انظر تهذيب التهذيب .

(٢) كان من متقدمي النحويين البصريين ، أخذ عنه يونس بن حبيب ، قال أبو عمر الجرمي : ما رأيت فقيهاً أفصح من عبد الوارث بن سعيد التميمي وكان حماد أفصح ،توفي سنة ١٦٧ هـ، انظر نزهة الألباء ٤٠ــ ٤٢ ، وإنباه الرواة ٣٢٩/١ ، وبغية الوعاة ٥٤٨/١ .

(٣) القصيدة في ديوانه ١٤٠ .

(٤) رواية الديوان : هجعوا بدل هجعت ، وغوروا بدل خمساً ، واستبان بدل اتلأب .

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا إلينا ، قال : فعرفت قدر حماد بن سلمة من ذلك اليوم ، فما كنت أنشده إلا ما كنت أتقنه .

قال القاضي : والبناء في الرباع والمساكن ممدود مكسور الباء في لغات عامة العرب ، وبهذه اللغة جاء القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ والسَّماء بِنَاء ﴾(1) ، وذكر الفراء أن من العرب من يقصر البناء ها هنا .

(أعرابي يشرب بجزَّة صوف فتعاتبه امرأته) (2)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا أحمد بن عبيد ، قال : حدثنا أبو نصر ، عن الأصمعي ، قال : شرب أعرابي بجزة صوف ، فلامته امرأته وعتبت عليه ، فأنشأ يقول :

عَتَبَتْ عَلَيَّ لأنْ شَرِبْتُ بصُوف
فلَئِنْ عَتَبْتِ لأشْرَبَنْ بخَرُوفِ

ولئن عتبتِ لأشربنَّ بنَعْجَـةٍ
ذَرْءاً ومن بعد الخروف سَحُوفِ

الذرء : التي في رأسها بياض ، والسحوف : سمينة .

ولئن عتبت لأشربن بلَقْحَةٍ صَهباء مالِئَةَ الإناءِ صَفُوف(3)
ولئن عتبتِ لأشربنَّ بصاهــلٍ ما فيه من هجن ولا تَقْرِيفِ

الهجين : الذي أمه من غير جنس أبيه ، والمقرف مثله .

ولئن عتبتِ لأشربنَّ بواحدي ويكونُ صبري بعد ذاك حَلِيفِي

---

(1) سورة البقرة الآية ٢٢ .

(2) الخبر التالي في أمالي القالي ١/١٥٠ ، شرح شواهد المغني ٢٠٧ ، البيان ٣/٣٤٤ مع اختلاف بين هذه المراجع وما هنا في ألفاظ الرواية للشعر خاصة .

(3) الصفوف : التي تصف رجليها عند الحلب .

فلقد شربتُ الخمر في حَانُوتِها صفراءَ صافيةً بأرض الرِّيفِ
ولقد شهدت الخيلَ تَقْرَعُ بالقَنَا وأجبْتُ صَوْتَ الصَّارِخ المَلْهُوفِ

قال أبو بكر بن الأنباري : إني وجدت بغير هذا الإسناد أن امرأته أجابته فقالت :

ما إن عتبتُ لأن شَرِبْتَ بصُوفِ أو أن تَلَذَّ بلَقْحَةٍ وخَرُوفِ
فاشربْ بكل نفيسة أُوتِيتَهــا ومَلَكْتَها من تَالِدٍ وطَـرِيفِ
وارفع بطرفك عن بُنَيَّ فإنــه مِنْ دُونه شَغَبٌ وجَدْعُ أُنُوفِ

(فطنة قاض) (١)

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقري ، قال : أخبرنا إدريس الحداد ، قال : حدثنا هارون الحمال ، عن يزيد بن هارون ، قال : تقلد القضاء بواسط رجل ثقة كثير الحديث ما أظنه إلا أُكْرِه على القضاء والله أعلم — فجاء رجل فاستودع بعض الشهود كيساً مختوماً ذكر أن فيه ألف دينار ، فلما حصل الكيس عند الشاهد ، وطالت غيبة الرجل ، قَدَّر أنه قد هلك ، فَهَمَّ بإنفاق المال ، ثم دَبَّر ففتق الكيس من أسفله وأخذ الدنانير وجعل مكانها دراهم وأعاد الخياطة كما كانت ، وقُدِّر أن الرجل وافى وطالب الشاهد بوديعته فأعطاه الكيس بختمه ، فلما حصل في منزله فضَّ خَتْمه فصادف في الكيس دراهم فرجع إلى الشاهد ، وقال له : عافاكَ الله ، اردُدْ عليَّ مالي فإني استودعتُك دنانير والذي وجدت دراهم مكانها ، فأنكر ذلك واستعدى عليه القاضي المقدم ذكره ، فأمر بإحضار الشاهد مع خصمه ، فلما حضرا سأل الحاكم : مُذْ كم أودعتَه هذا الكيس ؟ قال : مذ خمس عشرة سنة ، فأقبل على الشاهد ، فقال : ما تقول ؟ قال : صدق هو عندي

---

(١) الخبر التالي في أخبار الأذكياء : ١٠٢ .

منذ خمس عشرة سنة ، فأخذ القاضي الدراهم وقرأ شكلها فإذا هي دراهم منها ما قد ضُرب منذ سَنتين وثلاثة ونحو ذلك فأمره أن يدفع الدنانير إليه فدفَعها إليه أو مكانها وأسْقَطه ، فقال له : يا خائن ونادى مناديه : ألا إن فلان بن فلان القاضي قد أسقط فلان بن فلان الشاهد ، فاعلموا ذلك ولا يغتَررْ به أحد بعد اليوم ، فباع الشاهد أملاكه بواسط ، وخرج منها هارباً فلا يعلم عنه خبر ، ولا أحسّ منه أثر .

(رأيُ أبي يوسف القاضي فيمن يشهدون عنده)

حدثنا عبد الله بن منصور الحارثي ، قال : حدثنا أبو العباس أحمد بن قال : حدثني بعض أصحابنا ، قال : قال الرشيد لأبي يوسف القاضي : بلغني أنك تقول إن هؤلاء الذين يشهدون عندك وتقبل أقوالهم متصنعة ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنّ من صح سَتْرُه وخلصت أمانته لم يعرفنا ولم نَعْرِفه ، ومن ظهر أمره وانكشف سِتْرُه لم يأتنا ولم نقبله ، وبَقِيتْ هذه الطبقة وهم هؤلاء المُتَصَنّعة الذين أظهروا الستر وأبطنوا غيره ، فتبسم الرشيد وقال : صدقت .

(نوع الشهود الذين اختارهم إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة)

حدثنا إسماعيل بن علي أبو محمد الخطبي ، قال : لما ولي إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة القضاء ، قال : يجب أن يكون بين أيدينا قوم نَتَمَنْدَلُ بهم ويتمنْدَلُون هم بالعامة ، ولا يجب أن يكونوا من أكابر الناس ومن أعاليهم ، ولا سوقتهم وسِفْلتهم ، فاختار متوسطي التجار فجعلهم شهوداً .

(معنى السوقة الصحيح)

قال القاضي : قول ابن حماد من سوقتهم وسفلتهم ، يدلُّ على أنه كان

يظن أن السوقة أهل الأسواق ، ولم يعلم أن السوقة هم الذين يسوقهم الملوك بسياستهم وأن الناس ملوك وسوقة أي رعية ، كما قال زهير [1] :

يا حار لا أُرْمَيَنْ منكم بداهية
لم يَلْقَها سُوقَةٌ قبلي ولا مَلِكُ

وقالت حُرقة بنت النعمان بن المنذر :

فبينا نسوسُ الناس والأمر أمرنـــا
إذا نحنُ فيهم سُوقةٌ نتنصَّفُ

(ما قيل في تقلد نوح بن دراج القضاء)

حدثنا الحسن بن علي العدوي ، قال : أخبرنا الحسن بن علي بن راشد ، قال : قيل لشريك بن عبد الله : قد تقلد القضاء نوح بن درّاج [2] ، قال : ذهبت العَرَبُ الذين كانوا إذا غضبوا كَفَرُوا .

(النسب القصير)

حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن الصواف ، قال : حدثني أحمد بن الصلت الحماني ، قال : حدثنا النضر بن علي ، قال : حدثنا خالد بن

---

(١) البيت التالي في ديوانه ٤٧ ، وهو يخاطب به الحارث بن ورقاء الصيداوي ، وكان قد أغار على إبل زهير وأخذ عبده يساراً ، وبعد البيت قوله :

اردد يساراً ولا تعنف عليـــه ولا تمعك بعرضك إن الغادر المعك

وتمعك : أي تمطل .

(٢) هو نوح بن دراج العتكي مولاهم ، أحد أصحاب أبي حنيفة ، تولى القضاء بالكوفة وكان أبوه حائكاً من النبط ، وله أربعة أبناء تولوا القضاء ، وأصيبت عيناه وكان يقضي وهو أعمى ولا يعلم أحداً بعماه ، وتوفي وهو قاض على الجانب الشرقي لبغداد سنة ١٨٢ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٣١٥/١٣ ، نكت الهميان ٣٠١ ، تهذيب التهذيب ٤٨٢/١ .

الحارث، عن أبيه ، قال : قال الفرزدق بن غالب : خرجت من البصرة أريد العمرة ، فرأيت عسكراً في البرية ، فقلت : عسكر من هذا ؟ قالوا : عسكر الحُسَيْن بن عليٍّ رضي الله عنهما، قال : فقلت : لأقضينّ حق رسول الله ﷺ فيه ، فأتيته فسلّمت ، فقال : من الرَّجُل ؟ فقلت : الفرزدق بن غالب ، فقال : هذا نسب قصير ، فقلت : أنت أقصر مني نسباً ، أنت ابن رسول الله ﷺ فقال لي : أبو من ؟ فقلت : أبو فراس ، قال : يا أبا فراس كيف خلّفْتَ الناس ومن أين وإلى أين ؟ قال : قلت : من البصرة أريد العُمْرة ، وما سألت عنه من أمر الناس فقلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء [1] قال : فاغرورقت عيناه ، وقال : هكذا الناس في كلِّ زمان ، أتباع لذي الدينار والدرهم ، والدين لَغْو على ألسنتهم فإذا فُحصوا بالابتلاء قَلَّ الدَّيّانون .

قال القاضي : معنى ما ذكر من قصر النسب في هذا الخبر ، أن النبيه الذي بغير نظير له يشاركه في نسبه وما يعرف به فلا يحتاج إلى زيادة في انتسابه وإطالته ، وهو مستغن بقصير ما يعرف به عن كثيره ، كما قال الشاعر [2] :

أحبُّ من النِّسوانِ كُلَّ قصيرةٍ
لها نَسَبٌ في العالمين قَصِيرُ

ومن هذا النسب نسب الرسل والأنبياء والملوك والخلفاء ، وقد قال النسابة البكري لرؤبة بن العجاج لما انتسب له: مه قَصَّرْت وعَرَّفت . وحكى لي بعض أصحابنا، أنه وجد بخط صاحبنا محمد بن جعفر بن جمهور :

---

(١) انظر هذه العبارة في البيان والتبيين ١٨٩/٢ .
(٢) هو كثير ، انظر بيته التالي في ديوانه ١١٠/١ وانظره مع الوارد هنا في اللسان ٤١١/٦.

سألتُ أبا جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري أن يزيدني في نسبه ، فقال متمثلاً قول رؤبة :

قد يرفعُ العجّاجُ بيتاً فادْعُني
بِاسْمٍ إذا الأنسابُ طالتْ يَكْفِنِي [1]

* * *

(١) لم يرد هذا البيت في ديوان رؤبة .

المجلس الرابع والعشرون

من يكن في حاجة أخيه

حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد الحمال ، قال : حدثنا عمي ، قال : ابن نافع ، قال: حدثنا ابن المنكدر ، عن أبيه ، عن الحسين بن أبي الحسن ، عن جابر بن عبد الله ، أن النبي ﷺ ، قال : « من يَكُنْ في حاجة أخيه يكن الله عزّ وجل في حاجته » .

قال القاضي : في هذا الخبر ما يرغب في قضاء حاجات الإخوان ، إذ سعيهم فيها يعود عليهم بمعونة الله عز وجلّ لهم في حاجتهم ، ويرجى به إدراكهم منها ما لا يبلغونه بسعيهم ، دون معونة الله لهم عليه وتيسيره إياه ، وقد جاء في هذا المعنى ونحوه أخبار كثيرة ، وقد مضى بعض ذلك فيما مضى في كتابنا ، فلعلنا نأتي فيما بعد بما يَحْضُرنا منه إن شاء الله .

(إسلام سادن الصنم)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا السكن ، عن العباس ابن هشام ، عن أبيه ، قال : حدثني أبو كبران المُرادي ، عن يحيى بن هاني بن عروة ، عن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي ، قال : كان لسعد

العشيرة صنم يقال له فراس وكانوا يعظمونه ، وكان سادنه رجلاً من بني أنس الله بن سعد العشيرة ، يقال له ابن دقشة ، قال عبد الرحمن : فحدثني رجل من بني أنس الله يقال له ذباب ، قال : كان لابن وقشة رِئْيٌ من الجنّ يخبره بما يكون ، قال : فأتاه ذات يوم وأنا عنده فأخبره بشيء فنظر إليّ وقال لي : يا ذباب ، اسمع العجب العجاب ، بعث الله أحمد بالكتاب ، يدعو بمكة فلا يُجاب ، قال : فقلت ما تقول ؟ فقال : ما أدري هكذا قال لي ، فلم يكن إلا قليل حتى سمعنا بظهور النبي ﷺ فثرت إلى الصنم فحطمته ، ثم أتيتُ النبي ﷺ ، فقلت :

تَبِعْتُ رسول الله إذ جاء بالهدى ... وخَلَّفْتُ فَرَّاساً بدار هَوَانِ
شَدَدْتُ عليه شَدَّةً فتركتُهُ ... كأن لم يكن والدهر ذو حَدَثَانِ
فلما رأيت الله أظهر دينَهُ ... أجبتُ رسول الله حين دعاني
فأصبحتُ للإسلام ما عشتُ ناصراً ... وألقيتُ فيه كَلْكَلِي وجِراني
فمن مُبلغٍ سعد العشيرة أنَّنِي ... شَرَيتُ الذي يَبْقَى بآخَرَ فَانِ

(مناظرة ابن عباس للحَرُورية) (١)

حدثنا علي بن محمد بن الجهم ، أبو طالب الكاتب ، قال : حدثني أبو عبد الله أحمد بن يوسف بن الضحاك الفقيه ، قال : حدثنا عمر بن علي الفلاسي ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن سُدّي ، قال : حدثنا عكرمة بن عمار ، قال : حدثني أبو رميل ، قال : حدثني عبد الله بن عباس ، قال : لما خرجَت الحرورية اعتزلوا في دار ، وكانوا ستة آلاف ، فقلتُ لعليٍّ : يا أمير المؤمنين ! أَبْرِدْ بالصلاة لعلّي أكلِّمُ هؤلاء القوم ، فقال : إني أخافهم عليك ، قلت : كلا ، فلبست أحسن ما يكون من اليمنة

---

(١) انظر هذه المناظرة في الكامل للمبرد ١١٧/١ ، والحرورية : فرقة من الخوارج سميت باسم البلدة التي خرجوا بها وهي بظاهر الكوفة ، انظر معجم البلدان ٢٤٣/٣ .

وترجّلتُ ودخلت عليهم في دار نصف النهار وهم يأكلون ، فقال : مرحباً بك يا أبن عباس،فما جاء بك؟ فقلت لهم : أتيتكم من عند أصحاب النبيّ ﷺ والمهاجرين والأنصار ، ومن عند ابن عم رسول الله ﷺ وصهره ، وعليهم نزل القرآن ، وهم أعلم بتأويله منكم ، وليس فيكم منهم أحد لأبلغكم ما يقولون وأبلغهم ما تقولون ، فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً فإن الله عزَّ وجل قال : ﴿ بلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُون ﴾[1] فانتحى لي نَفَرٌ منهم فقالوا : لنكلّمنه ، فقلت: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه ، قالوا : ثلاثاً ، قلت : ما هن ؟ قالوا : أما إحداهن فإنه حكّم الرجال في أمر الله تعالى ، وقد قال الله عز وجل : ﴿إنِ الحُكْمُ إلاَّ لِلّه ﴾[2] ما شأن الرجال والحكم ؟ قلت : هذه واحدة ، قالوا : وأما الثانية فإنه قاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم ، فإن كانوا كفاراً فقد حلَّ سِباهم وقتالهم ، ولئن كانوا مؤمنين فما حَلَّ قتالهم ولا سباهم ، قلت : هذه ثنتان فما الثالثة ؟ قالوا : إنه محا نفسه من إمرة المؤمنين فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين ، قال : قلت : هل عندكم من غير هذا ؟ قالوا : حسبنا هذا ، قلت : أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ما يَرُدُّ قولكم هذا ترجعون ؟ قالوا : نعم ، قلت : أما قولكم حكّم الرجال في أمر الله تعالى ، فأنا أقرأ عليكم من كتاب الله عز وجل أن قد صير الله عز وجل حكمه إلى الرجال في ثُمن رُبْع درهم ، وأمر الله عز وجل الرجال أن يحكموا في أرنب ، قال الله تعالى : ﴿ يا أيُّهَا الّذينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وأنْتُم حُرُم ، ومَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّداً فَجزَاءٌ مثل ما قَتَل مِنَ النّعَم يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُم ﴾[3] وكان من حكم الله عز

---

(۱) سورة الزخرف الآية ٥٨ .

(۲) سورة يوسف الآية ٦٧ .

(۳) سورة المائدة الآية ٩٥ .

وجل انه صيره إلى الرجال يحكمون فيه ولو شاء لحكم فيه فجاز حكم الرجال ، أنشدكم بالله أحكم الرجال في صلاح ذات البين وحقن دمائهم أفضل أم حكمهم في أرنب ؟ وفي المرأة وزوجها : ﴿وإنْ خِفتُمْ شِقاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وحَكَماً من أهْلِهَا إنْ يُرِيدَا إصْلاحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُما ﴾[1] ، نشدتكم الله فحكم الرجال في إصلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل أم حكمهم في بضع امرأة ؟ أخرجت من هذه ؟ قالوا : نعم . وأما قولكم قَاتَلَ ولم يَسبِ ولم يَغْنَم أفتَسْبُون أمكم عائشة فتستحلّون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم ، فإن قُلتم : إنا نستحلُّ منها ما نستحل من غيرها لقد كفرتم ، ولئن قلتم ليست بأمنّا لقد كَفَرْتُم لقوله تعالى: ﴿النّبِيُّ أَوْلَى بالمُؤْمِنِين من أَنْفُسِهِمْ وأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُم ﴾[2] فأنتم بين ضلالتين فأتوا منهما مخرجاً، أخرجت من هذا ؟ قالوا : نعم . وأما قولكم محا نفسه من إمرة المؤمنين فأنا آتيكم بما ترضون به ، إن نبي الله ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعليّ : « اكتُب يا علي : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله قالوا : لا نعلم أنك رسول الله ، ولو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ، فقال رسول الله ﷺ : امحُ يا علي ، اللهم إنك تعلم أني رسول الله ، امْحُ يا عليّ واكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله [3] ، ووالله لرسول الله خير من عليٍّ لقد محا نفسه ، ولم يكن مَحْوُه ذلك يَمْحُوه من النبوة ، أخَرَجْتُ من هذه ؟ قالوا : نعم ، فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقُتلوا على ضلالة ، قتلهم المهاجرون والأنصار .

---

(١) سورة النساء الآية ٣٥ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٦ .

(٣) انظر صلح الحديبية في سيرة ابن هشام ٩٤/٣ .

(خبر الأصدقاء الثلاثة) (١)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا أصحابنا أن عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج : أنفذ مع عبد الله بن كعب أربعة آلاف إلى خراسان ففعل ، فشخص في المعسكر ثلاثة كانوا متؤاخين متصاحبين على اللذات ومعاقرة الشراب ، يقال لهم : أوس بن حارثة وأنيس بن خالد وبشر بن غالب ، وكانوا إذا نزلوا منزلاً انفردوا دون الناس فَتَخَلَّوْا بشرابهم ولذاتهم ، فلم يزالوا على ذلك حتّى دخلوا سجستان ونزلوا رزداق راوند (٢) وخزازى .. قال أحمدُ بن يحيى : الصواب ما ذكره وهو رزداق ، ورستاق خطأ – فمات أوس – قال القاضي : أصل هذا الكلام بالفارسية وعُرِّب فقيل : رزداق ورستاق ، وهو أكثر في كلام من تقدم ومن تأخر فيما وردت الأخبار عنهم به – فعظم حزنهما عليه وجزعهما له ، وقال أنيس يرثيه :

تَخَطّى إليَّ الموتَ من بين من أرى ... فأتلفَ نُدْماني لقدجار واعْتَدَى
أثْلَبَنِي فتى كان النديمَ حياتَهُ ... لنا دُونَ خَلْق الله كان أبا الرِّضَا
حليماً أديباً ماجداً ذَا سَمَاحَة ... بعيداً عن الفحشاء والشّر والخَنَا
أميناً جواداً غيرَ كَزٍّ مخــــالفٍ ... ولا جاعلاً ربّاً من المال ما حَوَى

---

(١) الخبر التالي في خزانة الأدب ٢٦٤/١ ، والجزء الأخير منه مع أبياته في حماسة أبي تمام ٩٨ ، ومعجم البلدان ٤٧١/٢ ، وقد أورد فيه ما قيل من أقوال مختلفة فيمن حدثت معه هذه القصة ، وأحد هذه الأقوال ما أورده المؤلف ، والثاني يذكر أن رجلين من بني أسد خرجا إلى أصبهان فآخيا دهقاناً بها في موضع يقال له راوند ونادماه،فمات أحدهما وبقي الأسدي الآخر والدهقان ، فكانا ينادمان قبره فيشربان كأسين ويصبان على قبره كأساً ، ثم مات الدهقان فكان الأسدي الغابر ينادم قبريهما ، والقول الأخير – وسيذكره المؤلف – أن الشعر لقس بن ساعدة الإيادي في خليلين كانا له وماتا .

(٢) راوند : بليدة قرب قاشان وأصبهان ، وقال حمزة : وأصلها أهاوند ، ومعناه : الخير المضاعف ، انظر المعجم ٧٤١/١ ، أما خزازي فهو جبل بين منعج وعاقل بإزاء حمى ضرية ، المعجم ٣٤٤/٢ ، ولا أظنه مقصوداً هنا .

تَخَوَّنَه الدهر الخَئُونُ بريبةٍ فأصبح رهناً للصفائح والصَّفا
أناديه يا أوسُ بنُ حارثة الذي به كنتُ أنفي الهَمَّ عنّي والأذى
أجِبْني لقد أنفدت بالوجد عَبرتي عليك أما ترثي لباكٍ إذا بكى
وقد كنت ذا رأي وسَمْعٍ وفِطْنَة سريعاً إلى الدّاعي مُجيباً إلى الندا
فليس لنا إذا مات أوس منادمٌ سِوى قبره حتى يحل بنا الرَّدَى

وقال فيه أيضاً :

وردنا خُزازي إذ وردنا ثلاثةٌ كأنا جميعاً أيها الناس واحدُ
أنيسٌ وأوسُ الحارثي بنُ خالد ونَصْرٌ أخوهم والمنايا رواصدُ
فكنا ولا نبغي من النّاس رابعاً كأنا أثاف لا نَرِيمُ رواكدُ
فلما رمانا الناس بالأعين التي متى يَرْمُقُوا شيئاً بها فَهو بائدُ
رمتني بنات الدهر منا بأسْهُمٍ ونبل المنايا للرجال قواصدُ
فأردَيْنَ أوساً لهفَ نَفْسِي لفقده سَقي قبرَه صَوْبُ الغَمام الرَّواعدُ

فمات أنيس فعظم حزن نصرعليه ، واتصل بكاؤه وجزعه له ، وقال يرثيه :

أنيسٌ فدته النفس مَيْتاً فقدتُه فنفسي له حَرَّى عليه تَقَطّعُ
أنيس فدتك النفسُ أصبحتُ مُفردا وحيداً فما أدري أخي كَيف أصنعُ
أنيس فَدَتْكَ النفسُ خَلّفْتَ حَسْرةً عليَّ فعينِيَ الدهرَما عشتُ تُدْمعُ
أنيسٌ فدتك النفس ماذا رزئته لقدخفت أن أقضي وشيكاً فأسْرعُ
فكيف بقائي بعد أوسٍ أخي الفدى وبعد أنيس لستُ في العيش أطمعُ

ثم جعل يجلس بين قبريهما فيشرب قدحاً ويصب في كل قبر قدحاً ، ويقول :

خليليَّ هُبّا طال ما قد رَقَدْتُما أجَدَّكُما لا تقضيان كَرَاكُما
ألم تعلما ما إنَّ راوند كُلّها ولا بخزازى لي صديق سواكما

أصبُّ على قبريكما من مدامـــة فإلاّ تـذُوقا أَرْوِ منها ثـرَاكُما
مقيم على قَبْريكما لستُ بارحاً طوال الليالي أو يجيب صَدَاكُما
أجدكما ما ترثيان لموجـــع حزين على قبريكما إذ بكاكما
جرى النوم بين اللّحم والعظم منكما كأنّكُما كأسَيْ عقَارٍ سقَاكُما
ألم ترحمَاني أنني صِرْت مُفْرَداً وأنّيَ مُشْتَاقٌ إلى أنْ أرَاكُما
أناديكما بالجهر مني صَبَابَــة كأنكما لم تسمعا من دَعَاكُما
فإن كنتما لا تسْمعاني فما الذي خَلِيليَّ عن سمع الدُعَاءِ عَدَاكُما
سأبكيكما حتّى الممات فمـا الذي يَرُدُّ علَى ذِي عَوْلَةٍ إن بَكَاكُما

فلم يزل يشرب ويردد هذا الشعر حتّى مات ، فدفن إلى جانبهما ، فقبورهم هناك تسمى قبور الإخوة .

(تعليق لغوي)

قال القاضي : قول أنيس في شعره : كأنا أثاف لا تريم رواكد ، الأثافي أثافي القدر ، وهي ما تنصب عليه من حجارة أو غيرها ، والواحدة أثفية ، ومثله أمنية وأماني وأوقية وأواق ، وقد يخفف هذا فيقال أماني وأواقي ، وروى عن بعض المتقدمين أنه قرأ ﴿لا يَعْلَمُونَ الكتابَ إلاّ أمانِيَ﴾ [1] بالتخفيف ، وقيل : هو في تخفيفه وتشديده بمنزلة قراقر وقراقير في جمع قرقور [2] ، والعرب تقول في دعائها على الرجل : رماه الله بثالثة الأثافي يريدون الجبل ، لأنهم يجعلون للقدر أثفيتين ويسندونهما إلى الجبل فيغنيهم عن أثفية أخرى ، وقيل : إنهم يخففون الأثافي من هذا الباب أكثر من تخفيفهم غيره لكثرة استعماله ، ومن قال هذا ونحوه : الأخفش

---

(١) سورة البقرة الآية ٧٨ .

(٢) القرقور : السفينة الطويلة العظيمة .

وقوله : لا تريم ، أي لا تبرح ، يقال : لا أريم وما أريم ، ولا يستعمل إلا في النفي لا يقال : ما رمت كما يقال ما زلت ، ولا يقال زلت في الأبيات ، قال الشاعر :

لَمِنْ طَلَلٌ برامة ما يـريم عفَا وخَلاَ له حُقْبٌ (١) قديم

وقال الأعشى (٢) :

أبانا فلا رِمْتَ مِنْ عِنْدَنا فإنّا بخيرٍ إذا لم تَرِم

وقال أيضاً :

أفي الطَّوْفِ خِفْتِ عَلَيَّ الرَّدَى وكم من رَدٍ أهْلَهُ لم يَرِم

وقول نصر بن غالب في أنيس أيضاً : لقد خفت أن أقضي وشيكاً أسكن الياء في أقضى وحكمها أن تنصب بأن ليسلم بيته من الانكسار ، وقد يجعل هذا على لغة من يقرأ الفعل المضارع على الرفع بعد أن ولا ينصبه وقد جاءت في الشعر أبيات على هذا في الصحيح غير المعتل، من ذلك قول الشاعر :

وإني لأجتاز القِرَى طَاوِيَ الحَشَا
مُحَاذَرَةً من أن يُقَال لَئِيمُ

وروى بعضهم عن مجاهد أنه قرأ : ﴿ لمن أراد أن يُتِمُّ الرضاعة ﴾(٣) والأشهر عنه : من أراد أن يتمّ الرضاعة ، وعلى توجيه الفعل إليها وقراءة الجمهور من السلف والخلف التي لا نستجيز تَعَدّيها ﴿من أراد أنْ يُتِمَّ الرضاعة﴾ لوجُوب الحجة بنقلها لصحتها في العربية ومقاييسها ، ومما

---

(١) الحقب بتسكين القاف وضمها ، المدة الطويلة من الدهر .
(٢) البيت التالي في ديوانه ٢٠٠ ، من قصيدة يمدح بها قيس بن معدي كرب .
(٣) الآية ٢٣٣ من سورة البقرة .

أسكنت ياؤه من معتل هذا الباب قول الأعشى [1] :

فتىً لو يُنادي الشمس ألقتْ قِناعها
أوِ القمرَ السّاري لألقَى المَقالِدا

وجاء مثله في الواو ، وذلك قول الفرزدق [2] :

فإن حراماً أن أسبَّ مُقاعساً
بآبائي الشُّمِّ الكرامِ الخَضارِمِ [3]
ولكن نَصَفاً لو سَبَبْتُ وسَبّنِي
بنو عبد شمسٍ من منافٍ وهاشمِ
أولئك أكْفائِي فجئْني بمثلهم
وأعبَدُ أن أهجو كُلَيْباً بِدارِمِ [4]

ومثل هذا كثير وشواهده وذكر علله من جهة النحو والإعراب واسع جداً ، وله موضع هو أولى به ، وقد أضيفت جملة هذا الشعر والخبر الذي تضمنه في رواية أخرى إلى قُس بن ساعدة وأنه أنشد هذا في نديميه ، وقد رويناه في أخبار قُسٍّ وأقاصيصه .

---

(١) البيت في ديوانه ٤٢ من قصيدة يمدح بها هوذة بن علي الحنفي ، والشاهد في البيت قوله : الساري حيث أسكن الياء وكان حقها النصب لأنها صفة المنصوب .

(٢) الأبيات التالية في ديوانه ٤١٤ ، وانظرها في فصل المقال ٣٠٣ ، ومعاهد التنصيص ١٧/١ ، والبيت الثالث في اللسان ٢٦٥/٤ ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، تفسير القرطبي ٥٩٤٠ .

(٣) الخضارم بفتح الخاء مفرده بضمها ، وهو السيد الحمول الجواد الكثير العطاء والمعروف .

(٤) أعبد بفتح الباء مضارع عبد بكسرها ومعناه آنف وأغضب ، وهو أحد التفسيرين في قوله تعالى : (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) بمعنى الآنفين من ذلك ، انظر اللسان وتفسير القرطبي .

(الصمصامة سيف عمرو بن معدي كرب) [1]

حدثنا أبو النضر العقيلي أحمد بن إبراهيم بن إسحاق بن الحارث ، قال : حدثنا محمد بن زكريا ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله ، قال : أخبرني أحمد بن أبي محمد اليزيدي [2] ، قال : كان أبي ربّى الرشيد وموسى ابني المهديّ وأدَّبهما قال : فدخلت على موسى وقد استخلف وكان يجلني ويكرمني ، فسلمت فردْ علي السلام واستقعدني فقعدت ، وإذا بين يديه سيف عريض كأنه بقلة ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! ما هذا ؟ قال : هذا سيف عمرو بن معدي كرب الصمصامة [3] ، فاستحسنته ، فقال لي أمير المؤمنين : قد كنت سألت أمير المؤمنين المهدي رضي الله عنه أن يهب لي هذا السيف فضنٍّ به عني ومنعنيه ، فآليت إن بلغني الله تعالى أملي أن أمتحنه ، وقد عزمت على أن أدعو غلامي طرخان الحريري وهو جيد الذراع ، وأن يحضر لي صخرة سوداء طولانية من حجارة القصارين [4] ، وأتقدم إليه أن يجمع يديه في السيف ثم يضرب به الرأس الدقيق من الصخرة ، فإن سلم سلم وإن يقطع يقطع ، قال : فلم نزل نطلب إليه ونسأله إعفاء السيف من المحنة ونقول : شَرَفٌ من شرف العرب وسيف لا يوجد مثله ، فأبى ودعا غلامه طرخان وأحضر الصخرة ، قال أحمد ،

---

(١) الخبر التالي في العقد الفريد ٣٤٠/٢ ، حلية الفرسان ١٨٩ ، طراز المجالس ١٣٦ ، الحيوان ٨٧/٥ ، مروج الذهب ٢٨٦/٤ .

(٢) هو أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي المقرىء ، صاحب أبي عمرو بن العلاء وهو مولى لبني عدي بن عبد مناة ، وإنما قيل له اليزيدي لأنه صحب يزيد بن منصور خال المهدي يؤدب ولده فنسب إليه ، ثم اتصل بالرشيد فجعله مؤدب المأمون ، توفي سنة ٢٠٢ هـ ، انظر نزهة الألباء ٨١ ـ ٨٤ ، بغية الوعاة ٣٤٠/٢ ، تاريخ بغداد ١٤٦/١٤ ، ١٤٨ .

(٣) في العقد أن عمراً كان قد وهب الصمصامة لسعيد بن العاص الأموي فتوارثه ولده إلى أن اشتراه موسى الهادي منهم بمال جليل ، وهو يخالف ما ذكره المؤلف فيما يلي .

(٤) القصار : المبيض للثياب ، وكان يهييء النسيج بعد نسجه ببله ودقه بالمقصرة وهي قطعة من الخشب على قطعة من الحجر .

قال أبي : فقلت له : يا أمير المؤمنين ! فإذا لم تطعني فاعمل له حديثاً يبقى على الدهر ، يدخل من بالباب من الشعراء حتى يَحْضُرُوا السيف ومحنته ، فإن سلم وصفوه وإن يقطع رَثَوه ، فأمر بإحضار الشعراء ، وكان بالباب منهم أبو الهول وأبو الغول التميمي وسلم الخاسر ، فقيل لهم : إن أمير المؤمنين أحضركم لمحنة هذا السيف فمن أحسن الوصف له والقول فيه فصِلته عشرة آلاف درهم وخلعة وحملان [1] ، ثم أحضر طرخان والسيف بين يدي موسى ، فحسر عن ذراعيه وهزّه وجمع يديه في قائمه ثم ضَرَبَ به الصخرة فمضى فيها باتراً لها ولم يصبه شيء ، فأما أبو الهول فلم يصف شيئاً ، وأما سلم فلم يرض ما قال ، وأما أبو الغول فوصف فأحسن وأخذ الصلة عشرة آلاف درهم والحُملان والخلع وانصرف ، وأمر لأبي الهول وسلم الخاسر بخمسة آلاف خمسة آلاف وانصرفا ، فكان الشعر لأبي الغول [2] حيث يقول :

حَازَ صمصامة الزبيدي من بَيْـ ... ـن جميع الأنام [3] مُوسى الأمين
سيف عمرو وكان فيما علمنـا ... خيرُ ما أغمدتْ عليه الجفـون
أخضر اللون بين حَدَّيْه بَرْدٌ ... من رياحٍ تَمِيسُ فيه المَنُون [4]
أوقدتْ فوقه الصواعق نارا ... ثم شابته بالزُّعاف القيون [5]
فإذا ما سللته بهـر الشمـ ... ـس ضياء فلم تكد تَسْتَبِين [6]

(١) الحملان : ما تحمل عليه الهدايا من الدواب .
(٢) في وفيات الأعيان ومروج الذهب والعقد أن قائل الشعر هو ابن يامين ، وفي الحيوان أنه أبو الهول .
(٣) في العقد : الزبيدي عمرو ... من جميع ... الخ ...
(٤) في العقد : من فرند تمتد فيه العيون .
(٥) القيون : جمع قين وهو الحداد .
(٦) بعد هذا في العقد بيتان آخران هما :

وكـأن المنون نيطت إليـه ... فهو من كـل جانبيه منون

ما يبالي إذا الضّريبة حانت [1] أشِمالٌ سَطَتْ به أم يَمِينُ

(نتيجةُ الرفق ونتيجة التعذيب) [2]

حدثنا الحسين بن المرزبان النحوي ، قال : حدثني علي بن جعفر بن بنان المخزمي ، قال : حدثني عمر بن شبة ، قال : حَدثني علي بن محمد المدائني ، عن أبي المضرحي ، قال : أمر الحجّاجُ محمد بن المنتشر [3] بن أخي مسروق بن الأجدع [4] أن يعَذّبَ أزْدَاد مَرْذ بن الهربز ، فقال أزداد مرذ: يا محمد! إن لك شرفاً قديماً، وإن مثلي لا يعطى على الذّل شيئاً، فاستأدِ [5] وارفق بي ، فاستأدى في جمعة ثلاثمائة ألف، فغضب الحجاج وأمر معبداً [6] صاحب العذاب أن يعذبه فدق يديه ورجليه فلم يعطهم شيئاً، قال محمد: فإني لأسير بعد ثلاثة أيام إذ أنا بأزداد مرذ معترضاً على بغل [7] قد دُقّتْ يداه ورجلاه ، فقال : يا محمد ! فكرهت أن آتيه فيبلغ الحجاج ، وتذممت [8] من تركه إذ دعاني ، فدنوتُ منه فقلت : حاجتك ؟ فقال : إنك قد وليت مني مثل هذا فأحسنتَ إليّ ، ولي عند فلان مائة

= نعم خراب ذي الحفيظة في الهيـ ـجاء يحويه ونعم القريـن

(١) في العقد : ما يبالي من انتضاه لضرب .

(٢) الخبر التالي كما هنا في نشوار المحاضرة ١٣٦/١ ، وورد مختصراً في الكامل للمبرد ١٧٨/١ .

(٣) هو محمد بن المنتشر بن الأجدع بن مالك الهمداني الكوفي ، روى عن عمه مسروق وابن عمر وعائشة ، وكان من ثقات المحدثين ، انظر تهذيب التهذيب .

(٤) كان مسروق من عباد أهل الكوفة وكبار محدثيهم ، وولاه زياد على السلسلة ، ومات بها سنة ٦٣ هـ ، انظر تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة ١١/٣

(٥) استأداه مالا : صادره وأخذ منه .

(٦) في نشوار المحاضرة أن اسمه معد .

(٧) معترضاً : أي موضوعاً بالعرض على البغل .

(٨) تذمم منه : خشي أن يفعل فعلا يذم به .

ألف درهم ، فانطلق فخذها ، قلت : لا والله لا آخذ درهماً وأنت على هذه الحال ، قال : فإني أحدثك حديثاً سمعته من أهل دينك ، يقولون : « إذا أراد اللهُ بالعباد خيراً أمطرهم في أوانه ، واستعمل عليهم خيارهم ، وجعل المال عند سمحائهم ، وإذا أراد بهم شراً أمطروا في غير إبانه ، واستعمل عليهم شرارهم ، وجعل المال في أشحائهم » . ومضى وأتيت منزلي فما وضعت ثيابي حتى جاءني رسول الحجاج ، فأتيته وقد اخترط سيفه [1] فهو في حجره ، فقال : أدْنُ ، فدنوت قليلاً ، ثم قال : ادن ، فقلت : ليس بي دُنُوٌّ ، وفي حجر الأمير ما أرى ، فأضحكه الله تعالى لي وأغمد السيف فقال : ما قال لك الخبيث ، فقلت : والله ما غششتك منذ استنصحتني ، ولا كذبتُك منذ صدقتني ، ولا خُنْتُك منذ ائتمنتني ، وأخبرته بما قال ، فلما أردتُ ذكر الرجل الذي عنده المال صرف وجهه ، وقال : لا تسمه، ثم قال : لقد سمع عدو الله الأحاديث .

(كيف يكون بارداً وله هذا الشعر) [2]

حدثنا إبراهيم بن الفضل بن حبان الحلواني ، قال : حدثني أبو بكر بن ضباب ، قال : سمعتُ بعض أصحابنا بالرَّقة يقول : كَبِر خالد الكاتب حتى دق عظمه ورَق جلده فوسوس ، فرأيته ببغداد والصبيان يتبعونه ويصيحون به : يا بارد يا بارد ! فأسند ظهره إلى قصر المعتصم ، وقال : كيف أكون بارداً وأنا الذي أقول :

بكى عاذلي من رَحْمَتِي فرَحِمْتُه   وكم من مُبْعِدٍ من مثله ومُعِينِ
ورَقّتْ دموعُ العين حتى كأنها   دموعُ دُموعي لا دموعُ جفوني

(١) الخبر التالي في تاريخ بغداد ٨/٣١٠ ، وثمرات الأوراق ١/٨٦ ، نقلا عما هنا .
(٢) هو خالد بن يزيد البغدادي ، أبو الهيثم المعروف بالكاتب ، شاعر غزل من الكتاب كان أحد كتاب الجيش في أيام المعتصم العباسي ، وكان يهاجي أبا تمام ، شعره رقيق ، أكثره في الغزل ، توفي في بغداد سنة ٢٦٢ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٨/٣٠٨ .

(السيد الحميريُّ يستكمل هدية)

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقري ، قال : أخبرنا الصائغ بمكة ، قال : أخبرنا يحيى بن معين ، قال : أخبرني محمد بن كناسة : أن والياً كان بالكوفة أهدى إلى السيد بن محمد الحميري (١) رِدَاءً عَدَنِيّاً ، فكتب إليه السيد في شعر وجّه به إليه :

وقد أتَانا رداءٌ من هَدِيّتِكُمْ
فلا عَدِمْنَاك طُولَ الدهر من والِ
نعـم الرداءُ جزاكَ الله صالحـة
لو أنه كان مَوصولاً بسربــال

فلما قرأ الشعر أهدى إليه خلعة تامة (٢) .

(معاتبات في عدم قضاء الحاجة)

حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمي ، قال : حدثنا أحمد بن أبي خيثمة ، قال : أنشدت لسعيد بن سليمان المساحقي القاضي في هارون بن زكريا كاتب العباس بن محمد :

أزورك رِفهاً كُلَّ يومٍ وليلةٍ ودرُّك مَخْزُونٌ عليَّ قصير

---

(١) هو إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري ، الملقب بالسيد ، عرف بتشيعه واعتقاده مذهب الكيسانية الذين يقولون بإمامة محمد بن الحنفية ، وكانت تلقى له وسائد في مسجد الكوفة يجلس عليها ، وكان من أكثر الناس شعراً ، ولد سنة ١٠٥ هـ وتوفي سنة ١٧٣ هـ ، انظر الأغاني ٢٢٩/٧/ ٢٧٨ العقد الفريد ٤٠٦/٣ .

(٢) انظر هذا الخبر في الأغاني ٢٧٠/٧ ، وفيه أنه بعث إليه بخلعة تامة وفرس جواد ، وقال : يقطع عتاب أبي هاشم واستزادته إيانا .

(٣) ولي قضاء المدينة في خلافة المهدي ، وكان جيد المذهب حسن الطريقة ومن رجال قريش جلداً وجمالا وشعراً ، انظر تاريخ بغداد ٦٥/٩ .

لأيّ زمان أرتجيك وخلّة إذا أنت لم تَنْفع وأنت وَزيرُ
فإن الفتى ذا اللب يطلب ماله وفي وجهه للطالبين بشـــيرُ

حدثنا أبي ، قال : حدثنا أبو أحمد الخُتّلي ، قال : أخبرنا أبو حفص النسائي قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن ، قال : كتب رجل إلى يحيى ابن خالد بن برمك في حاجة وكان وعده فمطله إياها فأرسل إليه بهذه الأبيـات :

لولا المماتُ وأن العمـر مُنْتَقِصٌ
لما اكْتَرثتُ بما تأتي من العِلَـل
إما اعتزمتَ على تَنفيذ وَعْدِكَ لي
فامنع حياتي من الآفاتِ والأجلِ
وما تَذَكّرَ قومٌ ما فعلتَ بهم
عند الوُرود على معروفك الخَضِـلِ
إلا استعنتُ بوجهِ الأرضِ أنكتُهُ
وأضمُّ بعضي إلى بعضيِ من الخَجَلِ

قال : فقضى حاجته وأحسن جائزته، ووقعَ ما قاله بألطف الموقع عنـده :

(عبيد الله بن جعفر يهب ثيابه لبعض الفتيان) [١]

حدثنا عبيد الله بن محمد بن جعفر الأزدي ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، قال : حدثني أحمد بن عبد الأعلى الشيباني ، وأحمد بن عبيد الله الغنوي ، أن عبد الله بن جعفر كان في سفرٍ له ، فمرَّ بفتيانٍ يُوقدون تحت قِدْرٍ لهم ، فقام إليه أحدُهُم ، فقال :

---

(١) سبق هذا الخبر .

أقول له حين ألفيتُـــه عليك السلامُ أبا جعفرِ

فوقف وقال : وعليك السلام ورحمة الله ، فقال :

وهذي ثيابي فقد أخْلِقَتْ وقد عَضّني زَمَنٌ منكَــرُ

قال : فهذه ثيابي مكانها ــ وعليه جبة خزٍّ وعمامة خزٍّ ومُطْرف خزّ ــ ونُعينك على زمنك ، فقال :

فأنت كريم بــني هـــاشم وفي البيت منها الذي يُذْكرُ

قال : يا ابن أخي ، ذاك رسول الله ﷺ .

قال القاضي : وهذي ثيابي ، ويقال : هاتا أيضاً ، قال الشاعر :

فهذي سيوفٌ يا صُدَيٌّ بن مـــالك
كثيرٌ ولكن أين بالسيف ضاربُ (١)

وقال آخر في هاتا :

إن كنتِ كارهةً لعيشتنـــا هاتا فحُلّي في بني بدر (٢)

وروى عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قرأ ﴿ ولا تَقْرَبَا هَذه الشّجَرَة ﴾(٣) ، وأما هذا ففيه ثلاث لغات . هذا وهي أفصحهن وأشهرهن ، وهذّاء بمدّة بعدها همزة مكسورة ، وهذّائه بمدة بعدها همزة ثم هاء مكسورتان وكسرة الهاء مشبعة ، قال الشاعر في هذه اللغة :

هذائهِ الدّفّة خَيْرُ دفـــترٍ في كفّ خيرِ عَالمٍ مُصَوّرِ

وآخرون يروون هذه القصة عن المنصور .

---

(١) البيت في المذكر والمؤنث لابن الأنباري .
(٢) البيت لحاتم الطائي ، انظره في ديوانه ٢٠ ، واللسان ٧/٧٠ ، والأغاني ١٧/٣٩٣ .
(٣) سورة البقرة الآية ٣٥ .

حدثنا أبو بكر بن دريد ، قال : أخبرنا الحسن بن خضر ، عن أبيه ، قال : دخل رجل على المنصور ، فقال :

أقولُ له حين واجهتُــهُ عليك السلام أبا جَعْفَــرِ

فقــال له المنصور : وعليك السّلام ، فقال :

فأنتَ المُهَذَّبُ مــن هاشمٍ وفي الفَرْعِ منها الذي يذكرُ

فقال له المنصور : ذاك رسول الله ﷺ ، فقال :

فهذي ثيابِيَ قَدْ أخلقــتْ وقد عَضَّنِي زمنٌ منكــرُ

فألقى إليه المنصور ثيابه وقال : هذه بدلها .

* * *

المجلس الخامس والعشرون

(الرزق على قدر النفقة)

حدثني محمد بن عمر بن نصير الحربي الحمال ، قال : حدثني محمد بن سعد كاتب الواقدي ، قال : حدثنا محمد بن عمر الواقدي ، قال : أوصلتُ إلى أمير المؤمنين رقعةً أشكو فيها غلبة الدين وحالا قد دُفعت إليها ، فوقّع على ظهر رقعتي : فيك يا شيخ خلّتان : الحياء والسخاء ، أما السخاءُ فهو الذي أخرج ما في يديك ، وأما الحياء فهو الذي قطعك عن إطلاعنا على حالك ، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم فإن كانت فيها بُلْغة فذاك ، وإن يكن غير ذلك فهذه ثمرة ما جنيت على نفسك ، فأنت حدثتني وأنت قاضٍ لأبي الرشيد ، عن محمد بن إسحاق الزهريّ ، عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إن مفاتيح الرِّزْق متوجهة نحو العرش فينزل الله عز وجل على الناس أرزاقهم على قدر نفقاتهم ، فمن كثّر كثّر له ، ومن قلّل قلل له » . قال الواقدي : فكنتُ أُنسيتُ هذا الحديث حتى حدثني به المأمون فكان أحظى عندي من الصلة .

(ابن هرمة يرثي الحكم بن المطلب)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا أبو عثمان ، قال :

أخبرني رجل من قريش بمكة ، أحسبه قال : من ولد عبد الرحمن بن عوف ، قال : حدثني حميد بن مغوث الحمصي عن أبيه ، قال : كنت فيمن حضر الحكم بن المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنظب بن الحارث ابن عبد بن عمر بن مخزوم وهو يجود بنفسه بمنبج ، قال : ولقي من الموت شِدَّة ، فقال رجلٌ ممن حضر وهو في غشية له : اللهم هوّن عليه فإنه كان وكان ، فلما أفاق قال : منِ المتكلم ؟ قال : المتكلم أنا . فقال : إن ملك الموت يقول لك : إني بكلٍّ سخي رفيق ، قال : وكأنما كانت فتيلة أطفئت ، فلما بلغ موته ابن هرمة قال :

سألا عن الجود والمعروف أين هما
فقلت إنهمـــا ماتا مـــع الحَكَمِ
ماتا مـــع الرجل الموفي بذمتـــــه
يوم الحفاظ إذا لم يُوفَ بالذممِ
ماذا بمنبَج لـــو تُنْشَرْ مَقَابِرُها
من التَهَدُّمِ بالمعروفِ والكَــرَمِ

قال ابن دريد : فسألت أبا حاتم عن قوله : لو تنشر مقابرها لم جزم ؟ فقال : قال قوم من النحويين : كراهة لكثْرة الحركات ، كما قال الراجز :(1)

إذا اعوجَجْنَ قلتُ صاحبْ قَوِّمِ
بالدَّوِّ أمثــال السَّفِينِ العُــوَّمِ

وقال : لو قال : لو نبشتْ مقابرها لاستراح من اللبس وكان كلاماً فصيحاً .

قال القاضي : وقد بينا فيما مضى من هذه المجالس هذا النحو مما

---

(1) الرجز التالي في الكتاب لسيبويه ٢/٢٩٧ ، واللسان ١٥/٣٢٧ وتفسير القرطبي ٣٤٣ ، والسفين العوم : العائمة .

سُكِّن في الشعر مع استحقاقه التحريك ، وذكرنا ما أنشده سيبويه [1] في هذا المعنى والاختلاف في روايته واستجازته ، ما يغني عن إعادته ، فأما قول أبي حاتم في معنى نبشت في لفظ الفعل الماضي وإسكان عينه [2] ، فهو كما قال : وهو مطرد في القياس وقد جاء منه شيء كثير ، ومن ذلك قول أبي النجم :

لو عُصْرَ منه المسكُ والبانُ انعَصَر

ومثلــه :

رُجْمَ به الشيطانُ في ظلمائِهِ

(وفود جرير على عبد الملك بن مروان) [3]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا عبد الله بن عمرو الوراق ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن طهمان قال : حدثنا عمرو بن أبي عمرو الشيباني ، عن أبي عمرو الشيباني ، قال : حدثني مروان بن أبي حفصة ، قال : جلس عبد الملك بن مروان يوماً للناس على سرير ، وعند رِجْلِ السرير محمد بن يوسف أخو الحَجّاج بن يوسف [4] ، وجعل الوفود يدخلون عليه ومحمد بن يوسف يقول : يا أمير المؤمنين ! هذا فلان ، هذا فلان ، إلى أن دخل جرير بن الخَطَفَي فقال : يا أميرَ

---

(١) انظر الكتاب ٢/٢٥٧ – ٢٥٨ ، باب ما يسكن استخفافاً وهو في الأصل عندهم متحرك .

(٢) قال في الموشح : جاء في الشعر تسكين الحروف التي عليها الضمات ، والكسرات نحو عضد وفخذ ، فقيل عضد وفخذ ، وفي كبد وعلم ، وفي كرم ، وفي رجل ، وفي ضرب وعصر ، وانظر ضرائر الشعر ٦٦ ، وإصلاح المنطق ٤٢ .

(٣) الخبر التالي في ذيل أمالي القالي ٤٣ ، وانظر الأغاني ٨/٦٦ – ٦٨ ، ٣٠٦ ، والموشح ٣٧٦ .

(٤) الذي ذكر في المراجع أنه أرسل ابنه محمد بن الحجاج لا أخاه في وفد من عشرة أشخاص كان أحدهم جريراً .

المؤمنين ! هـــذا جرير بن الخطفي ، قال : فلا حيّاه الله ، القاذفَ للمُحْصَنَات والعاضِهِ لأعراض الناس — قال أبو بكر بن الأنباري : العاضِه : المُغتاب ، ويقال : العاضه : النمّام ، ويقال : الساحر ، قال القاضي : ومنه الخبر عن النبي ﷺ : أنه لعن العاضهة والمستعضهة ، يعني الساحرة والمستسحرة ، قال الراجز :

الماءُ مِنْ عِضَاهِهِنَّ زَمْزَمَهْ

وقيل في قول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِين ﴾ أقوال منها : هذا ، وهو أن المشركين قالوا : هو سِحر ، وقيل : إنهم عَضَوْه بأن آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، وقيل ، بل اقتسموه بينهم استهزاءً فقالوا : لفلان هذه السورة ولفلان هذه السورة ، فعضوه كما تعضى الشاة وكما تجزأ أعضاء الجزور فتقسم وتوزّع بين مقتسميها وهذا فيما يتضمن عنه بمشيئة الله وعونه كتابنا المسمى « البيان الموجز عن علوم القرآن المعجز » ونأتي على ما جاء فيه عن أهل العلم،وأصحاب التأويل والمفسرين،وعن أصحاب المعاني النحويين ، ومن العضه السحر ، ما أنشدنيه عبيد الله بن محمد بن جعفر الأزدي ، قال : أنشدنا أحمد بن يحيى :

أَعُوذُ بِرَبِّي من النَّافِثَــا ... تِ في عُقَدِ العَاضِهِ المُعْضِهِ[1]

وقال : يعني بهما الساحر ، وقال أبو موسى الحامض : المعضه الذي يأتي بالأمر العظيم ثم يَبْهَت — فقال جرير : يا أمير المؤمنين دخلتُ فاشْرأب الناس نحوي ، ودخل قومٌ بعدي فلم يشرئب الناس إليهم ، فقدرتُ أن ذلك لذكرٍ جميلٍ ذكرني به أمير المؤمنين ، فقال عبد الملك : لما ذُكِرْتَ لي قلتُ : لا حيّاهُ اللهُ القاذفُ للمحصنات العاضهُ لأعراض الناس ، فقال جرير : واللهِ يا أمير المؤمنين ما هجوتُ أحداً حتّى أجزه عِرضي

---

(١) البيت في تفسير القرطبي ٣٦٧٥ .

سَنَةً ، فإن أمسك أمسكت ، وإن أقام استعنتُ عليه وهجوتُه ، فقال له : هذا صديقك أبو مالك سَلِّم عليه — يعني الأخطل — فاعتنقه وقال : والله يا أمير المؤمنين ما هجاني أحدٌ كان هجاؤُه عليَّ أشدَّ من هجائه ، إلا أني كنتُ أظن أنه يُرْشي على هجائي ، فقال له الأخطل : كذبتَ وأُتُنِ أمِّك ، قال له جرير : صدقتَ وخنازير أملك ، فقال عبد الملك : أحضروا جامعة (١) فأحضرت وغمز الوليد الغلام أن ناجز بها ، فقال عبد الملك للأخطل : أنْشِدْ ، فأنشد :

تأبّد الربعُ من سلمي بأجْفـــار
وأقْفرتْ من سُلَيمي دِمْنَةَ الدّارِ

حتّى ختمها ، فقال له عبد الملك : قضينا لك أنك أشعر من مضى ومن بقي . واستأذنت قيس عبد الملك في أن ينشد جريرٌ فأبى ، ولم يزل جرير مقيماً دهراً يلتمس إنشاد عبد الملك وقيس تشفع له ، وعبد الملك يأبى إلى أن أذن له يوماً ، فأنشده :

أتصحُو بل فؤادُك غير صــاح عَشيّة هَمَّ صَحْبُك بالرواح

فقال عبد الملك : بل فؤادُك يابن اللخناء — قال أبو بكر : اللخناء : المنتنة الريح ، فلما انتهى إلى قوله :

تَعَزَّتْ أم حَزْرَة ثم قَالــــت رأيتُ المُوردين ذوي اللقاحِ (٢)

---

(١) الجامعة : هي الغل الذي يجمع البدن إلى العنق ، هذا وقد ذكروا أن عبد الملك كان غاضباً من جرير وكان يقول: إنما أنت للحجاج ، فلما حضر مجلسه طلب منه أن ينشد فأنشده قصائده في الحجاج فغضب ، وأمر الأخطل أن ينشد فأنشده مدائحه فيه ، فأمره أن يركب جريراً فركبه ، حتّى قال جرير : إن النصراني لا يعلو ولا يظهر على المسلم ولا يركبه ، فقال أهل المجلس : صدق يا أمير المؤمنين ، قال : دعه ، وانتقض المجلس ، ولم يزل عبد الملك غير راض عن جرير حتّى تشفعت له قيس فرضي عنه ، انظر المراجع السابقة .

(٢) أم حزرة : امرأة جرير ، والموردين : الحاضرين الماء وهو يعني العطاء، واللقاح : =

تُعَلِّلُ وهي سَاغِبَةٌ بَنِيهـــا   بأنفاس من الشَّبِمِ القَرَاحِ

قال أبو بكر : الشبم : البارد ، والقراح : الماء الذي ليس معه لبن ، والساغبة الجائعة ، قال القاضي : ومن دعاء العرب : حلبتَ قاعداً وشربتَ بارداً ، يريدون كنت ذا غنم تحلبها وأنت قاعد ولا إبل لك تحلبها قائماً ، وشربت بارداً أي ماء محضاً ، قال عبد الملك : لا أروى الله عَيْمَتها ، قال القاضي : العَيْمة : شهوة اللبن ، يقال : عمت إلى اللبن أعيم عيمة ، ومن دعاء العرب : ما له عام وغام وآم ، فغام : قرم إلى اللبن ولم يقدر عليه ، وآم : ماتت امرأته ، كما قال الشاعر :

وأبْنا وقــد آمتْ نِسَاءٌ كثيرةٌ
ونسْوَانُ سَعْدٍ ليس فيهنَّ أيِّمُ (١)

معنى آمت نساء مات أزواجهن ، وغام : عطش فلم يقدر على الماء ، فلما انتهى إلى قوله :

ألستُمْ خيْرَ من ركب المَطَايا   وأندى العَالمين بُطُونَ رَاحِ

قال عبد الملك : من مدحنا فليمدحْنا هكذا . فلما ختمها أمره بإعادتها ، فلما أنشد :

أتَصْحُو أم فؤادُك غَيْرُ صَــاحِ

لم يقل له ما قال في المرة الأولى ، ولما ختمها أمر له بمائة ناقة بأداتها ورعاتها ، فقال جرير : يا أمير المؤمنين ! اجعلها من إبل كلب ، وإبل كلب إبل كرام .

= جمع لقحة وهي الناقة الحلوب الغزيرة اللبن ، ورواية هذه الشطرة في الديوان : رأيت الواردين ذوي امتناح .

(١) البيت يقوله شاعر لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، انظره في المذكر والمؤنث لابن الأنباري .

قال القاضي : وقد كتبنا هذا الخبر عن أبي بكر بن الأنباري في مجلس آخر : فأتى به بزيادة في هذه القصيدة وأنشد فيه كلمة جرير كلها وفسر غريبها ، وإذا عثرنا عليه رسمناه فيما نستقبله من مجالسنا هذه إن شاء الله .

(الرشيد يحبس محمد بن الليث ثم يطلقه ويكرمه)

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا الحسن بن زيد أبو علي الكاتب المعروف بالحكيمي ، قال : سمعتُ أحمد بن يوسف الكاتب يقول : حدثني ثمامة بن أشرس ، قال : أول ما أنكر يحيى بن خالد من أمره ، أن محمد بن الليث أبي الربيع الكاتب كتب إلى الرشيد رسالة يَعِظُه فيها ويذكر فيها يحيى بن خالد ويقول : يا أمير المؤمنين إن يحيى بن خالد لا يغني عنك من الله شيئاً ، وقد جعلته فيما بينك وبين الله عز وجل ، فكيف أنت إذا وقفت بين يديه فسألك عما عملت في عباده وبلاده ، فقلت : أي رب ! استكفيت يحيى بن خالد أمور عبادك ، أتراك تحتج بحجة يرضاها؟ مع كلام فيه توبيخ وتقريع ، فلما قرأها الرشيد دعا يحيى بن خالد وقد تقدم إلى يحيى خبر هذه الرسالة ، فقال له : أتعرف محمداً بن الليث ؟ قال : نعم ، قال : فأيُّ الرجال هو ؟ قال : مُتَّهم على الإسلام . فأمر الرشيد بمحمد بن الليث فوضع في المطبق فأقام دهراً ، فلما تنكر الرشيد للبرامكة ذكره فأمر بإخراجه فأحضر ، فقال له بعد مخاطبة طويلة : يا محمد ! أتحبني ، قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، قال : أو تقول هذا ؟ قال : نعم ، وضعت في رِجلي الأَكْبَالَ وحلت بيني وبين العيال بلا ذنب ولا حَدَث أحدثتُ سوى قول حاسد يكيدُ الإسلام وأهله ، ويحب الإلحاد وأهله ، فكيف أُحبُّك ؟ قال : صدقت ، وأمر بإطلاقه ، ثم قال له : يا محمد بن الليث أتحبني ، قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكن قد ذهب بعض ما كان في قلبي ، فأمر أن يُدفع إليه من ساعته مائة ألف درهم فأحضرت ، فقال : يا محمد أتحبني ؟ قال : أما الآن فنعم ، قد أنعمت

وأحسنت، فقال: انتقم الله لك ممن ظلمك وأخذ بحقِّك ممن بغى عليك، فكان هذا أول ما ظهر من الرشيد في أمر يحيى بن خالد ثم تَزَيّد الأمر بعد ذلك.

(خبرُ وضّاحِ اليمن)[1]

حدثنا أبي، قال: حدثنا أبو أحمد الختلي، قال: أخبرنا أبو حفص النّسائي، قال: حدثني محمد بن حبّان بن صدقة، عن محمد بن أبي السري، عن هشام بن محمد بن السائب، قال: كانت عند يزيد بن عبد الملك بن مروان أم البنين بنت فلان[2]، وكان لها من قلبه موضع قال: فقدم عليه من ناحية مصر بجوهر له قيمة وقدر، قال: فدعا خصيّاً له فقال: اذهب بهذا إلى أم البنين وقل لها: أُتيتُ به الساعةَ فبعثتُ به إليك، قال: فأتاها الخادم فوجد عندها وَضّاحَ اليمن وكان من أجمل العرب وأحسنها وجهاً، فعشقته أم البنين فأدخلته عليها، فكان يكون عندها فإذا أحسّت بدخول يزيد بن عبد الملك عليها أدخلته في صندوق من صناديقها، فلما رأت الغلام قد أقبل أدخلته في الصندوق فرآه الغلام ورأى الصندوق

---

(١) وضاح اليمن لقب غلب على هذا الشاعر لجماله وبهائه، واسمه عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال بن داذ بن أبي حمد، شاعر يماني مجيد، انظر القصة التي وردت هنا له في أسماء المغتالين من الأشراف ٢٧٣، والأغاني ٢٢٥/٦، على أن أبا الفرج يذكر أن وضاح اليمن شبب بها فحسب، وأن الوليد غضب لذلك وهم بقتله، إلا أن بعض خاصته نصحوه بالتغاضي عن ذلك كما فعل معاوية بأبي دهبل الجمحي حين شبب بابنته وبره ووصله فكف عن تشبيبه وكذب نفسه، إلا أن الوليد لم يقبل هذه الفكرة وأحضره ودفنه حياً لمجرد تشبيبه بزوجته، أما قصة تخبئتها له في صندوق من صناديقها فهي قصة موضوعة من الخيال في العصر العباسي، انظر الأغاني ٢٢٤/٦.

(٢) المعروف أن الذي حدثت معه هذه القصة هو الوليد بن عبد الملك لا يزيد، وأن امرأته هي أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان وذلك كما ورد في المراجع السابقة لكن المؤلف لم يذكر اسم أبيها تحرجاً.

الذي دخل فيه ، فوضع الجوهر بين يديها وأبلغها الرسالة ، ثم قال : يا سيِّدتي هَبِي لي منه لُؤْلؤة ، قالت : لا ، ولا كرامة ، فغضب وجاء إلى مولاه فقال : يا أمير المؤمنين ! إني دخلت عليها وعندها رجل ، فلما رأتني أدخلته صندوقاً فهو في الصندوق الذي من صفته كذا وكذا وهو الثالث أو الرابع ، فقال له يزيد : كذبت يا عدو الله ، جئوا في عنقه فوجأوا عنقه ونَحَّوه عنه ، قال : فأمهل قليلاً ثم قام فلبس نعله ودخل على أم البنين وهي تمتشط في خزانتها ، فجاء حتى جلس على الصندوق الذي وصف له الخادم ، فقال : يا أم البنين ! ما أحب إليك هذا البيت ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ! أدخله لحاجتي وفيه خزانتي فما أردت من شيء أخذته من قُرب ، قال : فما في هذه الصناديق التي أراها ؟ قالت : حُلِيِّي وأثاثي ، قال : فهبي لي منه صندوقاً ، قالت : كلها يا أمير المؤمنين ، قال : لا أريد إلا واحداً ولك عليَّ أعطيك زِنتَه وزنة ما فيه ذهباً ، قالت : فخذ ما شئت ، قال : هذا الذي تحتي ، قالت : يا أمير المؤمنين ! عَدِّ عن هذا وخذ غيره ، فإن لي فيه شيئاً يقع بمحبتي ، قال : ما أريد غيره ، قالت : هو لك ، قال : فأخذه ودعا الفراشين فحملُوا الصندوق فمضى به إلى مجلسه فجلس ولم يفتحه ولم ينظر ما فيه ، فلما جَنَّه الليل دعا غلاماً له أعجمياً ، فقال له : استأجِرْ أُجَراء غُرباء لَيْسُوا من أهل المصر ، قال : فجاء بهم فأمرهم فَحَفَروا له حُفْرة في مجلسه حتى بلغ الماء ، ثم قال : قَدِّموا لي الصندوق فألقي في الحفرة ثم وضع فمه على شَفْرِه فقال : يا هذا ! قد بلغنا عنك الخبر ، فإن يكن حقاً فقد قطعنا أثره وإن يكن باطلاً فإنما دفنّا خَشَباً ، ثم أهالوا عليه التراب حتى استوى ، قال : فلم ير وضاح اليمن حتّى الساعة ، قال : فلا والله ما بان لها في وجهه ولا في خلائقه ولا في شيء حتى فرق الموت بينهما .

(جنّهُ وجنّ عليه)

قال القاضي : في هذا الخبر : فلما جنّه الليل ، والفصيح من كلام

العرب : جَنَّ عليه الليل وأجنّه الليل ، قال الله جَلّ اسمه ﴿ فلما جَنَّ عَلَيْه اللّيْلُ رَأَى كَوْكَبَا ﴾ [1] وفيه لغة أخرى وهو جنّه كما جاء في الخبر ، وقد روى عن بعض الماضين من القراء ﴿ جَنّهُ المأْوى ﴾ [2] وهذا وجه شاذ في القراءة ، واللغة ، وفي هذا الخبر أيضاً وجهٌ من اللغة ليس بالظاهر السائر وهو قوله : ثم أهالوا عليه التراب ، واللغة الفاشية الصحيحة العالية : هِلْتُ عليه التراب أهِيله، قال الله جل ثناؤه : ﴿ وكانتِ الجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلاً ﴾ [3] .

(من أدب آل البيت)

حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن شاذان أبو الحسن البزاز ، قال : حدثنا أبو غسان ، عن عبد الله بن محمد بن يوسف بالقُلزم [4] ، قال : حدثني عبد الله بن محمد اليماني ، عن علي بن يوسف المدائني ، قال : سمعت سفيان الثوري ، يقول : دخلتُ على أبي عبد الله جعفر بن عليٍّ رضي الله عنهم ، فقلت : يا ابن رسول الله أوصني ، فقال : يا سفيان ! لا مروءة لكذوب ، ولا راحة لحسود ، ولا خلّة لبخيل ، ولا أخاً لملول ، ولا سُؤْدُد لسيِّء الخلق ، قلت : يا ابن رسول الله ، زِدني ، قال : يا سفيان ! كُفَّ عن محارم الله تكن عابداً ، وارض بما قسم الله لك تكن مسلماً ، واصحب الناس بما تحب أن يصحبوك به تكن مؤمناً ، ولا تصحب الفاجر فيعلِّمك من فجوره ، وشاور في أمورك الذين يَخْشَوْنَ الله تعالى ، فقلت : يا ابن رسول الله : زدني ، قال : يا سفيان ! من أراد عزّاً بلا عشيرة وهيبةً بلا سلطان ، فليخرُجْ من ذل معصية الله تعالى إلى طاعة الله

(١) سورة الأنعام الآية ٧٦ .
(٢) سورة النجم الآية ١٥ .
(٣) سورة المزمل الآية ١٤ .
(٤) القلزم : مدينة بينها وبين مصر ثلاثة أيام مبنية على شفير البحر وبها فرضة مصر والشام ، ومنها تحمل حمولاتهما إلى الحجاز واليمن ، معجم البلدان ٣٨٨/٤ .

عز وجل ، قلت : يا ابن رسول الله زدني قال : يا سفيان أدبني أبي بثلاث وأتبعني بثلاث ، قلت : يا ابن رسول الله ! ما الثلاث التي أدبك بهن أبوك ؟ قال : قال لي أبي : من يصحب صاحب السوء لا يسلم ، ومن يَدْخُل مداخل السُّوء يُتَّهم ، ومن لا يملك لسانه يندم . ثم أنشدني :

عَوِّدْ لسانك قَوْل الخَيْر تَحْظَ بِهِ
إن اللِّسان لِمَا عَوَّدْتَ مُعْتَادُ [1]
مُوَكَّلٌ بتقاضِي ما سَنَنْتَ لَـــه
في الخَيْر والشَّرِّ فانظُر كيف ترتادُ

قال : فقلت : فما الثلاث الأخر ؟ قال : قال أبي : إنما يُتَّقَى حاسدُ نِعمة ، أو شامتٌ بمصيبة ، أو حامل نميمة .

(وفود كُثَيِّر عزَّة على عبد الملك وحديثه معه) [2]

حدثنا الحسين بن عليّ بن المرزبان النحوي ، قال : حدثنا عبد الله بن هارون النحوي ، قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن أبي يعقوب الدينوري ، قال : أخبرني نصر بن منصور ، عن العتبي ، قال : كان عبد الملك بن مروان يحب النظر إلى كُثَيِّر إذا دخل عليه آذنه يوماً ، فقال : يا أمير المؤمنين ! هذا كُثَيِّر بالباب ، فاستبشر عبد الملك ، وقال : أَدْخِلْه يا غلام ، فدخلَ كُثير وكان دميماً حقيراً تَزْدَرِيه العين فسلّم بالخلافة ، فقال عبد الملك : تَسْمَعَ بالمُعَيْدِيِّ خيرٌ من أن تراه ، فقال كثير : مهلاً يا أمير المؤمنين ، فإنما الرجل بأصغريه ــ قال القاضي : العرب تقول : تسمع بالمعيدي لا أن تراه ، وأن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه،وهو

---

(١) هذا البيت وحده دون نسبة في بهجة المجالس ١/٨٧ ، ولباب الآداب ٣٢٦ .
(٢) انظر هذا الخبر في أمالي القالي ١/٤٦ ، والجزء الخاص بخروج عبد الملك إلى الغزو في الأمالي أ/١٣ ، والأغاني ٩/٢١ ، مع اختلاف في ألفاظ الرواية .

مَثَلٌ سائر [1] ـ بلسانه وقلبه ، فإن نَطَقَ نَطَقَ ببيان ، وإن قاتل قاتل بجنان [2] ، وأنا الذي أقول يا أمير المؤمنين [3] :

وَجَرَّبْتُ الأمورَ وَجَرَّبَتْنِي ... فقد أبدتْ عَرِيكَتِي الأمُورُ [4]
وما يَخْفَى الرِّجَالُ عَلَيَّ إنـي ... بِهِم لأخُو مُثَاقَبَةٍ خَبِيرُ [5]
تَرى الرجل النَّحِيفَ فتزدريه ... وفي أثوابه أسدٌ يَزِيـرُ [6]
ويُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فتبتليه
فيُخْلِفُ ظَنَّكَ الرَّجلُ الطَّرِيرُ [7]
وما عِظَمُ الرجال لهم بِزَيْنٍ ... ولكن زَيْنُهَا كَرَمٌ وخِيرُ
بُغَاثُ الطَّيْر أطْوَلُهَا جُسُوماً ... ولم تَطِلِ البُزَاةُ ولا الصُّقُورُ

وروى :

بُغَاث الطَّير أكثَرها فِرَاخاً ... وأمُّ الصَّقْر مِقْلاَتٌ نَزُور

---

(١) انظر مجمع الأمثال ١٢٩/١ ، والرواية الثانية هي المختارة ، وثمة رواية ثالثة ، هي : « لأن تسمع بالمعيدي خير » ، وهو يضرب فيمن خبره خير من مرآه ، وانظر حديثه وأول من قاله في مجمع الأمثال .

(٢) في الأمالي أنه قال : يا أمير المؤمنين ، كل عند محله رحب الفناء ، شامخ البناء ، عالي السنـاء .

(٣) الأبيات التالية في ديوان كثير : ٨٢/١ ، هذا وقد وردت منسوبة للعباس بن مرداس في حماسة أبي تمام ١٣٤ ، ومعجم الشعراء ٢٦٣ ، وورد الرابع منسوباً له في اللسان ١٧٠/٦ ، ثم قال : وقيل : إنه للمتلمس الضبعي ، كما نسب لمعاوية بن مالك معود الحكماء في الحور العين ٩ .

(٤) أبدت : أظهرت وكشفت ، والعريكة : الطبيعة والنفس .

(٥) المثاقبة : الفهم الثاقب المصيب .

(٦) يزير : أي يزأر فخففت الهمزة ، والرواية في الحماسة : مزير ، وفي الأمالي : هصور .

(٧) الطرير : ذو الرواء والجمال .

وفي بغاث الطير لغتان : بَغَاث وبِغَاث بالفتح والكسر ، فأما الضم فخطأ عند أهل العلم باللغة ، فقد أجاز بعضهم الضم ، والمقلات التي لا يعيش لها ولد ، والقلت بفتح اللام : الهلاك ، ومن ذلك ما روى عن النبي ﷺ أنه قال : « المُسَافر وما معه على قَلَتٍ إلا ما وَقَى اللهُ عزّ وجَلّ » (١) ومنه قول الشاعر :

فلم أر كالتّجْميرِ مَنْظَرَ نَاظِرٍ
ولا كَلَيَالِي الحَجِّ أَقْلَتْنَ ذَا هَوَى(٢)

ويروى : أفلتن بالفاء ، فأما القلت بسكون اللام : فالنقرة في الجبل أو الحجر يجتمع فيها الماء ، تجمع قلات ، قال الشاعر : (٣)

كأنّ عينيه مِنَ الغُثُورِ   قَلْتَان في جَوْف صَفاً مَنْقُورِ

ثم رجعنا إلى شعر كُثَيِّر :

لقد عَظُم البَعير بغير لُبٍّ   فلَم يَسْتَغْنِ بالعِظَمِ البَعيرُ
فيركب ثم يضرب بالهَرَاوَي   فلا عُرْفٌ لديه ولا نَكِيرُ

قال القاضي فيروى :

يُجَرِّرُهُ الصَّبِيُّ بكلّ سَهْبٍ   ويَحْبِسُهُ على الخَسْفِ الجَرِيرُ

---

(١) انظر النهاية في غريب الحديث ، وقد نسبت هذه العبارة لأعرابي في البيان والتبيين ١٠٥/٢ وانظر اللسان « قلت » .

(٢) البيت لعمر بن أبيَ ربيعة ، والرواية كما هنا في اللسان « قلت » ، والرواية الثانية التي ذكرها المؤلف بالفاء في ديوانه ١٨ ، وتفسير القرطبي ٤٨٦٥ ، وثمة رواية ثالثة هي « أفتن » ، وهي واردة في الأغاني ٢٧٠/١ ، ٢٧٢ ، والحيوان ١٢/٥ ، واللسان ١٩٤/١٧ مادة فتن .

(٣) هو العجاج ، انظر ديوانه ٣٤٦/١، واللسان ١٥٥/١٣ ، وحور العين ١١، والرواية للبيت الثاني فيها كلها :

قلتان أو حوجلتا قارور

قال القاضي : الجريرُ : الحبل ، وبه سمي الرجل : قال الشاعر :

يرى في كف صاحبه خـَـلاءَ   فيُفْزِعه ويُجْبِنُه الجَرِيـرُ

رجعنا إلى شعر كُثَير :

وعُودُ النّبْعِ يَنْبُتُ مُسْتَمِـراً[1]
وليس يَطُول والقَصْبَاء خُــور

قال القاضي : النبع من كريم الشجر وتتخذ منه القسيّ ، قال الشاعر :

ألم تر أن النّبْعَ يَصْلُبُ عُودُهُ
ولا يَسْتَوِي والخَرْوَعُ المتَقصّــفُ

وقال الأعشى :

ونَحْنُ أُنَاسٌ عُودُنا عُودُ نَبْعَةٍ
إذا افتَخرَ الحَيّان بَكْرٌ وتَغْلِبُ[2]

قال : فاعتذر إليه عبد الملك ورفع مجلسه ، ثم قال : يا كثير ! أنشدني في إخوان دهرك هذا ، فأنشده :

خَيْرُ إخوانِكَ المُشَارِكُ في المُــــرِّ
وأيْنَ الشّرِيكُ في المُرِّ أيْنَــــا

الــذي إن حَضَرْتَ سَرّكَ في الحَيِّ
وإن غبتَ كَانَ أُذْناً وعَيْنَــا

ذاك مثل الحسام أخلصه القَـــيْنُ
وجَلاَّهُ الجَلاَءُ فازداد زَيْنَــا

(١) المستمر : القوي ، من المرة بكسر الميم أي القوة .
(٢) البيت من قصيدة له يهجو بها الحارث بن وعلة ، الديوان ١٢ .

قال القاضي : ويروى : جلاه التلام يريد التلامذة والتلاميذ وهم الصياقلة ها هنا ، ويقال : التلام المدوس وهو حجر يُجلى به ، رجع الشعر :

أنتَ فِي معشر إذا غبت عنهـم　　بَدَّلُوا كل ما يَزينك شَيْنَـا
فإذا مـا رأوك قالوا جميعـا　　أنت من أكرم الرجال علينا

فقال له عبد الملك : يغفر الله لك يا كثَيِّر ، فأين الإخوان ؟ قال : غير أني أنا الذي أقول :

صَدِيقُكَ حِينَ تَسْتَغْنِي كَـثيرٌ
ومَالَكَ عند فقركِ من صِدِيـقِ
فلا تُنْكِر على أحدٍ إذَا مَـا
طَوَى عَنْكَ الزِّيَارة عند ضِيـقِ
وكنتُ إذا الصَّديق أرادَ غَيْظِـي
عَلَى حَنَقٍ وأشْرَقني بريقِـي
غفرتُ ذُنُوبَـه وصفحتُ عَنْه
مخافـةَ أن أكونَ بلا صَدِيـقِ

(خروج عبد الملك بنفسه إلى حرب مصعب وتمثله بشعر لكثير)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا محمد بن يزيد ، قال : أخبرني محمد بن عبد الله بن طاهر ، عن أبيه ، عن جده ، قال : وفَدَ كُثَيِّر على عبد الملك وهو يريد الخروج إلى مُصْعب ، فقال له لما خرج : يا ابن أبي جمعة ! ذكرتُك بشيء من شعرك الساعة ، فإنْ أصبتَه فلك حُكْمُك ، قال : نعم يا أمير المؤمنين أردتَ الخروجَ فبكتْ عاتكةُ بنت يزيد (١) وحَشَمُها — يعني امرأته — فذكَرْتَ قولي :

---

(١) في أ : عاتكة بنت زيد والصحيح أنها عاتكة بنت يزيد بن معاوية كما ورد في الأمالي والأغاني .

إذا ما أراد الغَزْوَ لم تَثْنِ هَمَّـــه
حَصَانٌ عليها نَظْمُ دُرٌّ يزَينها

نَهَتْهُ فلما لم تَرَ النَهْيَ عَاقَــهُ
بكتْ فبكى مِمّا عراها قَطِينُها [1]

فقال : أصبت والله ، احْتَكِم ، قال : مائة ناقة من نُوقك المختارة ، قال : هي لك ، فلما كان الغد نظر عبد الملك إلى كُثَيِّر يسيرُ في عُرْض الناس ضارباً بذقنه على صدره يفكر ، فقال : عليَّ بكثيرٍ فجيء به ، قال : فإن أصبت ما كنتَ تفكرُ فيه فلِي حُكْمي ؟ قال : نعم ، قال : اللهَ ، قال : الله ، قال : قلت في نفسك : ما أصنَعُ بالمسير مع هذا الرجل ، ليس على نِحلَتي ولا على مذهبي [2] يسير إلى رجل كذلك وكلاهما عِندي ظَالِمٌ من أهل النار ، ويلتقي الحيان فيصيبني سَهْمٌ غَرْبٌ فأكون قد خسرتُ الدنيا والآخرة ، قال : والله يا أمير المؤمنين ما أخطأت حَرْفاً فاحْتَكِم ، قال : حُكْمِي أن أحْسِنَ صِلَتك وأصرفك إلى أهلك ، ففعل ذلك .

(معنى الغرب)

قال القاضي : يقال : أصابه سهم غَرَب وغَرْب والتحريك أعلاهما ، وهو أن يصيبه السهم على حين غفلة منه ، والغرب أيضاً علة تعرض للعين [3] ، والغرب دلو عظيمة ، ومنه الخبر : « ما سُقِي بالغَرْب ففيه

---

(١) القطين : الخدم والحشم والأتباع .

(٢) كان كثير غالياً في التشيع يذهب مذهب الكيسانية (والكيسانية فرقة من الشيعة الإمامية تنسب إلى كيسان ،ولى علي رضي الله عنه) وكان يقول بالرجعة والتناسخ ، انظر الأغاني ٤/٩ .

(٣) الغرب : علة تصيب العين فلا يرقأ دمعها .

نصف العُشْر » ويجمع غروبا ، كما قال الأعشى [1] :

من ديارٍ بالهَضْبِ هَضْبِ القَلِيبِ
فَاضَ مَاءُ الشُّؤونِ فَيْضَ الغُرُوبِ

والغرب مقابل الشرق ، والغَرَب بالتحريك ضرب من الشجر معروف [2] ، والغرب بالفتح أيضاً من أسماء الفِضَّة ، قال الأعشى [3] :

إذا انكب أزهر بين السُّقَاة
وَلِعُوا به غَرَباً أو نُضَارا [4]

قال أبو عبيدة : الغرب : الفِضَّة ، والنُّضَار : الذهب ، وقال الأصمعي : الغرب : الخشب ، والنضار : الأَثْل [5] ، وكل ناعم فهو نضار ، وقيل للأصمعي : انهم لم يكونوا يشربون في آنية الخشب يعني الأكاسرة ، ويقال للفضة : اللُّجَين ، والقطعة منه سبيكة ودبلة ، والذهب : نضر وعقيان [6] وعسجد ، ويقال له : الزخرف ، والغرب أيضاً : ما سال من الحوض والبئر من الماء ، كما قال ذو الرمة :

---

(١) البيت مطلع قصيدة له في مدح قيس بن معدي كرب ، الديوان ٢٦ ، وهضب القليب : جبل في ديار بني عامر ، والشؤون : ماء العين ، والغروب جمع غرب وهي الدلو العظيمة .

(٢) الغرب : ضرب من شجر تسوى منه السهام ، ويطلق في الشام على الحور ، وهو جنس شجر من الفصيلة الصفصافية يزرع حول الجداول ، وفي مصر نوع منه يسمى شجر البنت أو أم الشعور .

(٣) البيت من قصيدة له في مدح قيس بن معدي كرب ، الديوان ٨١ .

(٤) الأزهر : الإناء الأبيض المتلألىء ، والرواية في الديوان : تراموا به بدل ولعوا به .

(٥) في أ : الإبل ، وهي تحريف ، والصحيح أن النضار يطلق على أثل ورسي اللون بغور الحجاز ، يقال : أهداه قدحاً من نضار ، أي من أثل ، والأثل شجر طويل مستقيم يعمر ، جيد الخشب .

(٦) العقيان : الذهب المتكاثف في مناجمه ، الخالص مما يختلط به من الرمال والحجارة .

فأدرك المُتَبَقّى من ثَميلَتِـه

ومِنْ ثَمَائِلِها واسْتُنْشِيءَ الغَرَبُ [1]

قوله : واستنشيء الغرب معناه أنه شم من قولهم : شممت منه نشوة طيبة أي ريحاً طيبة ، يقول : شممن الماء من شدة العطش ، يعني حمر الوحش .

* * *

تم الجزء الأول

ويليه الجزء الثاني ان شاء الله

---

(١) البيت في ديوانه ١٧ ، وهو يصف فيه حمر وحش معها قائدها وقد أتى عليها حر الصيف حين صوح النبت وجف الماء ، وأدرك معناها : فرغ ، والثميلة : بقية كل شيء ، وهو يقول : إن قائدها فرغ من جوفه الطعام وهي كذلك ، وقد عز الماء حتى شمت رائحة الماء من شدة العطش .

الفهرس

القسم الأول

الدراسة

الموضوع	الصفحة

الفصل الثالث :

الموضوع	الصفحة

القسم الثاني

التحقيق

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

المجلس السادس :

المجلس السابع :

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
ضعف قلبي عن الرد	٣٦٠
نصيحة اعرابي	٣٦٢
قريش أسخى أم أمية	٣٦٢
سمى الله المستهزئ جاهلاً	٣٦٣
أخبار أصحاب الغلمان	٣٦٤
التويخي وزرزر المغني	٣٦٤
المعتز ويونس بن بغا	٣٦٥
وناسك يقتله الوجد	٣٦٦
لو أمر الله العباد بالجزع	٣٦٧
الأمين يتوجع لإصابة خادمه كوثر	٣٦٧
المأمون يعاتب التيمي	٣٦٨
خمسة آلاف في تفسير كلمة	٣٦٩
أبيات غزلية	٣٧٠

المجلس الثالث عشر :

حديث الغار	٣٧١
كثير من اصحاب الحديث لا يضبط اللغة	٣٧٣
إعراب المفعول له	٣٧٣
غار ينطبق على تسعة اخوة	٣٧٤
الأعضب وما قيل فيه من اللغة والفقه	٣٧٥
شعر لا يستنكر إنشاده في المسجد	٣٧٦
أكله كلــه	٣٧٧
أبشر بطول سلامة يا مربع	٣٧٩
دع لله إحداهما تنل الأخرى	٣٨٢

الموضوع	الصفحة
عبد الله بن طاهر يجيز العتابي ثلاث مرات	٣٨٢
قصة أبيات من الشعر لعبد الله بن طاهر	٣٨٣
أبيات ثلاثة لأبي نواس تساوي شعر أبي العتاهية	٣٨٥
شعر يعزل قاضياً عن القضاء	٣٨٦
تعليق نحوي : مد المقصور وقصر الممدود	٣٨٨
عمر رضي الله عنه يعزل والياً بسبب شعره	٣٨٩
من الشعر العفيف	٣٩١
أبيات تمثل بها ابن الزبير منصرفه يوم الجمل	٣٩٢

المجلس الرابع عشر :

حديث : الصاحب مسئول عن صاحبه	٣٩٥
خبر جد أعشى همدان وصاحبه	٣٩٧
خبر مقتل أبي مسلم صاحب الدولة	٤٠٤
خبر للمؤلف مع بعض الرؤساء في شأن أبيات لأبي تمام . . .	٤٠٥
الحسين رضي الله عنه يرفض تزويج زينب بنت جعفر من يزيد	٤٠٦
عمرو بن حريث يتزوج ابنة عدي بن حاتم على حكمه . . .	٤٠٨
بين حفص بن غيات وأبي الديك المعتوه	٤٠٩

المجلس الخامس عشر :

قول الرسول في مخاطبة قتلى بدر	٤١١
جارية ظريفة ترد علي أبي الشعثاء	٤١٢
ابن الزبير يغضب من ابني العباس بن عبد المطلب	٤١٣
زواج شرحبيل الغساني من مية بنت عمرو ثم تطليقه لها بأمر أبيه	٤١٤
من مخارج أبي يوسف الفقهية	٤١٧

الموضوع	الصفحة

المجلس السادس عشر :

المجلس السابع عشر :

الموضوع | الصفحة

المجلس الثامن عشر :

المجلس التاسع عشر :

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

المجلس الثاني والعشرون :

المجلس الثالث والعشرون :

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

نماذج من المخطوط

كتاب
الجليس الصالح الكافي
والأنيس الناصح الشافي

٣٧

عدد الأوراق

٢٨٢

كتاب

الجليس الصالح الكافي

والانيس الناصح الشافي من املاء

القاضي ابي الفرج المعافى

ابن زكريا بن يحيى الجريرية

رواية القاضي ابي

العالم محمد بن علي

الرجاجي رحمه الله

فيها دار صاحبها

نعم الجنة

فتملها داما

راعها

٢٨٢

الجزء الثالث من كتاب الجليس والانيس

من امالي القاضي ابي الفرج المعافا بن زكريا
النهرواني الحريري رحمه الله تعالى
في الوعظ

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

المجلس الثامن والأربعون

أخبرنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري قال حدثنا
محمد بن [illegible] في سنة [illegible] وثلثمائة قال حدثنا
[illegible] ببغداد [illegible] سنة [illegible] وأربعين ومائتين
[illegible] حدثنا يحيى عن عاصم بن عمرو بن قتادة عن
[illegible] أهل بيت منا قال لم يكن [illegible]
[illegible] وكان [illegible] الشعر [illegible]
أصحاب رسول الله صلى الله [illegible] بعض العرب [illegible]
[illegible] فإذا سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم [illegible] ما يقول [illegible] الشعر إلا [illegible]

[illegible] الا [illegible] بالهجا
[illegible] في الجاهلية والإسلام
[illegible] بالبيت [illegible] والشعر [illegible]
[illegible]

قال الأصمعي فقال أصابه سهم غرب وغرب والغرب [illegible]

وغرب سهمه [illegible] والغرب [illegible]

[illegible] والغرب [illegible] والغرب [illegible]

[illegible] قال الأصمعي [illegible]

إذا [illegible] من السماء [illegible]

وقال أبو [illegible] الغرب [illegible]

الأصمعي الغرب [illegible]

وقيل للأصمعي [illegible]

وقال [illegible]

[illegible] وقال [illegible] والغرب [illegible]

[illegible]

[illegible] وأستقي الغرب

[illegible] وأستقي الغرب [illegible]

أي [illegible]

المجلس السادس والعشرون

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الرجل [illegible]

[illegible]

[illegible]

آخر المجلد الأول